مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الجديد
في تفسير القرآن المجيد

للعلامة الشيخ محمد السبزواري

الجزء الأول

دار التعارف للمطبوعات

بسم الله الرحمن الرحیم

الجدید فی تفسیر القرآن المجید

کاتب:

محمد بن حبیب الله سبزواری نجفی

نشرت فی الطباعة:

دار التعارف للمطبوعات

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵

الجدید فی تفسیر القرآن المجید المجلد ۱ ----- ۹

اشاره ----- ۹

اشاره ----- ۹

سوره الفاتحه ----- ۱۷

سوره الفاتحه (۱): الآیات ۱ الی ۷ ----- ۱۷

اشاره ----- ۱۷

آ-فضلها: ----- ۱۷

ب-نزولها: ----- ۱۸

ج-التفسیر: ----- ۱۹

سوره البقره ----- ۳۳

سوره البقره (۲): الآیات ۱ الی ۵ ----- ۳۳

اشاره ----- ۳۳

آ-فضلها: ----- ۳۳

ب-نزولها: ----- ۳۳

ج-التفسیر: ----- ۳۳

سوره البقره (۲): الآیات ۶ الی ۷ ----- ۴۲

سوره البقره (۲): الآیات ۸ الی ۱۶ ----- ۴۴

سوره البقره (۲): الآیات ۱۷ الی ۲۰ ----- ۵۰

سوره البقره (۲): الآیات ۲۱ الی ۲۴ ----- ۵۵

سوره البقره (۲): الآیات ۲۵ الی ۲۷ ----- ۶۰

سوره البقره (۲): الآیات ۲۸ الی ۲۹ ----- ۶۵

سوره البقره (۲): الآیات ۳۰ الی ۳۹ ----- ۶۶

سوره البقره (۲): الآیات ۴۰ الی ۴۶ ----- ۷۶

سوره البقره (۲): الآيات ۴۷ الى ۵۳ ---------- ۸۲
سوره البقره (۲): الآيات ۵۴ الى ۵۷ ---------- ۸۶
سوره البقره (۲): الآيات ۵۸ الى ۵۹ ---------- ۸۹
سوره البقره (۲): الآيات ۶۰ الى ۶۱ ---------- ۹۱
سوره البقره (۲): آيه ۶۲ ---------- ۹۵
سوره البقره (۲): الآيات ۶۳ الى ۶۶ ---------- ۹۶
سوره البقره (۲): الآيات ۶۷ الى ۷۱ ---------- ۹۹
سوره البقره (۲): الآيات ۷۲ الى ۷۴ ---------- ۱۰۲
سوره البقره (۲): الآيات ۷۵ الى ۷۸ ---------- ۱۰۴
سوره البقره (۲): الآيات ۷۹ الى ۸۲ ---------- ۱۰۸
سوره البقره (۲): الآيات ۸۳ الى ۸۶ ---------- ۱۱۰
سوره البقره (۲): الآيات ۸۷ الى ۸۹ ---------- ۱۱۴
سوره البقره (۲): الآيات ۹۰ الى ۹۱ ---------- ۱۱۷
سوره البقره (۲): الآيات ۹۲ الى ۹۳ ---------- ۱۱۹
سوره البقره (۲): الآيات ۹۴ الى ۹۶ ---------- ۱۲۱
سوره البقره (۲): الآيات ۹۷ الى ۱۰۰ ---------- ۱۲۴
سوره البقره (۲): الآيات ۱۰۱ الى ۱۰۳ ---------- ۱۲۶
سوره البقره (۲): الآيات ۱۰۴ الى ۱۰۷ ---------- ۱۳۲
سوره البقره (۲): الآيات ۱۰۸ الى ۱۱۳ ---------- ۱۳۴
سوره البقره (۲): الآيات ۱۱۴ الى ۱۱۵ ---------- ۱۳۹
سوره البقره (۲): الآيات ۱۱۶ الى ۱۱۸ ---------- ۱۴۲
سوره البقره (۲): الآيات ۱۱۹ الى ۱۲۳ ---------- ۱۴۴
سوره البقره (۲): الآيات ۱۲۴ الى ۱۲۹ ---------- ۱۴۷
سوره البقره (۲): الآيات ۱۳۰ الى ۱۳۴ ---------- ۱۵۶
سوره البقره (۲): الآيات ۱۳۵ الى ۱۴۱ ---------- ۱۶۱
سوره البقره (۲): الآيات ۱۴۲ الى ۱۴۵ ---------- ۱۶۵

سوره البقره (۲): الآيات ۱۴۶ الى ۱۵۲ ---------- ۱۷۵
سوره البقره (۲): الآيات ۱۵۳ الى ۱۵۷ ---------- ۱۸۲
سوره البقره (۲): الآيات ۱۵۸ الى ۱۶۳ ---------- ۱۸۶
سوره البقره (۲): الآيات ۱۶۴ الى ۱۶۷ ---------- ۱۹۴
سوره البقره (۲): الآيات ۱۶۸ الى ۱۷۱ ---------- ۲۰۱
سوره البقره (۲): الآيات ۱۷۲ الى ۱۷۶ ---------- ۲۰۵
سوره البقره (۲): الآيات ۱۷۷ الى ۱۷۹ ---------- ۲۰۸
سوره البقره (۲): الآيات ۱۸۰ الى ۱۸۲ ---------- ۲۱۵
سوره البقره (۲): الآيات ۱۸۳ الى ۱۸۷ ---------- ۲۱۹
سوره البقره (۲): الآيات ۱۸۸ الى ۱۸۹ ---------- ۲۳۳
سوره البقره (۲): الآيات ۱۹۰ الى ۱۹۵ ---------- ۲۳۶
سوره البقره (۲): الآيات ۱۹۶ الى ۲۰۲ ---------- ۲۴۲
سوره البقره (۲): الآيات ۲۰۳ الى ۲۰۷ ---------- ۲۵۰
سوره البقره (۲): الآيات ۲۰۸ الى ۲۱۰ ---------- ۲۵۴
سوره البقره (۲): الآيات ۲۱۱ الى ۲۱۵ ---------- ۲۵۶
سوره البقره (۲): الآيات ۲۱۶ الى ۲۱۸ ---------- ۲۶۳
سوره البقره (۲): الآيات ۲۱۹ الى ۲۲۱ ---------- ۲۶۸
سوره البقره (۲): الآيات ۲۲۲ الى ۲۲۵ ---------- ۲۷۳
سوره البقره (۲): الآيات ۲۲۶ الى ۲۳۲ ---------- ۲۸۱
سوره البقره (۲): الآيات ۲۳۳ الى ۲۳۴ ---------- ۲۹۳
سوره البقره (۲): الآيات ۲۳۵ الى ۲۳۷ ---------- ۲۹۹
سوره البقره (۲): الآيات ۲۳۸ الى ۲۳۹ ---------- ۳۰۶
سوره البقره (۲): الآيات ۲۴۰ الى ۲۴۲ ---------- ۳۰۸
سوره البقره (۲): الآيات ۲۴۳ الى ۲۴۵ ---------- ۳۱۲
سوره البقره (۲): الآيات ۲۴۶ الى ۲۴۷ ---------- ۳۱۶
سوره البقره (۲): آيه ۲۴۸ ---------- ۳۱۹

سوره البقره (۲): الآيات ۲۴۹ الی ۲۵۲ ----- ۳۲۱
سوره البقره (۲): الآيات ۲۵۳ الی ۲۵۴ ----- ۳۲۶
سوره البقره (۲): الآيات ۲۵۵ الی ۲۵۷ ----- ۳۳۰
سوره البقره (۲): الآيات ۲۵۸ الی ۲۵۹ ----- ۳۳۸
سوره البقره (۲): آيه ۲۶۰ ----- ۳۴۵
سوره البقره (۲): الآيات ۲۶۱ الی ۲۶۲ ----- ۳۴۸
سوره البقره (۲): الآيات ۲۶۳ الی ۲۶۵ ----- ۳۵۰
سوره البقره (۲): الآيات ۲۶۶ الی ۲۶۹ ----- ۳۵۳
سوره البقره (۲): الآيات ۲۷۰ الی ۲۷۴ ----- ۳۵۷
سوره البقره (۲): الآيات ۲۷۵ الی ۲۷۷ ----- ۳۶۳
سوره البقره (۲): الآيات ۲۷۸ الی ۲۸۱ ----- ۳۶۷
سوره البقره (۲): الآيات ۲۸۲ الی ۲۸۴ ----- ۳۶۹
سوره البقره (۲): الآيات ۲۸۵ الی ۲۸۶ ----- ۳۷۷
تعريف مركز ----- ۳۸۰

الجدید فی تفسیر القرآن المجید المجلد ۱

اشاره

سرشناسه : سبزواری، محمد

Sabzawari, Muhammad

عنوان و نام پدیدآور : الجدید فی تفسیر القرآن المجید/ تالیف محمد بن حبیب الله سبزواری نجفی

مشخصات نشر : دار التعارف للمطبوعات - بیروت.

مشخصات ظاهری : ج ۷

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

شماره کتابشناسی ملی : ۱۹۰۵۱۳

ص: ۱

اشاره

سوره الفاتحه

سوره الفاتحه (۱): الآيات ۱ الی ۷

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِيمِ (۱) اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ اَلْعالَمِينَ (۲) اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِيمِ (۳) مالِكِ يَوْمِ اَلدِّينِ (۴) إِيّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيّاكَ نَسْتَعِينُ (۵) اِهْدِنَا اَلصِّراطَ اَلْمُسْتَقِيمَ (۶) صِراطَ اَلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ اَلضّالِّينَ (۷)

آ-فضلها:

لا يخفى أن أفضل سور القرآن سوره الحمد.

ذلك أن أفضل الطّاعات هو الصلاه التى عبّر عنها بعماد الدّين فى

قوله عليه السلام: الصلاه عماد الدين،إن قبلت قبل ما سواها،و إن ردّت ردّ ما سواها. و أمثال هذه الروايه كثيره فى فضلها.و قد جعل اللّه تعالى سوره الحمد جزءا من الصّلاه (۲)،بحيث لا يسدّ مسدّها شيء من سور القرآن (۳).

****

(۲) قال عليه السلام: لا صلاه إلا بفاتحه الكتاب. كما أنه قال: لا صلاه إلا بطهور،و لا صلاه إلا إلى القبله ،إلخ..

(۳) طوالها و قصارها.

بخلاف سوره الإخلاص،فإن المصلّى مخيّر بينها و بين غيرها من السّور.

و هذا يكشف عمّا ذكرناه.

ب-نزولها:

هى مكّيه،و على قول أنها نزلت فى المدينه ثانيا. (۱)و لها أسماء:

۱-فاتحه الكتاب:لأنها مفتتحه أو مفتاحه.

۲-و أمّ الكتاب:لاشتمالها على جمل معانيه،أى على خلاصه ما فصّل فى الكتاب.

و بيان ذلك:أنها مشتمله على معانى القرآن بصوره اللّف،من الثّناء على اللّه بما هو أهله،و من التعبّد بالأمر و النّهى،و الوعد و الوعيد (۲).فكأنّ الكتاب نشأ و تكوّن منها بالتفصيل بعد هذا الإجمال.أو أنها كمكّه التى سميّت أمّ القرى،لأن الأرض تكوّنت و دحيت منها.و العرب من شأنهم أن يسمّوا ما يحتوى على أشياء،أو هو جامع لمطالب و أصول و مقاصد و رؤوس مطالب:

أمّا،كما يسمّون الجلده الجامعه للدّماغ بمختلف حواسّه:أمّ الرّأس.

و نذكر فى المقام روايه واحده عن عظمه فاتحه الكتاب:

ففى مجمع البيان،روى عن جعفر بن محمد،عن أبيه،عن آبائه، عن النبىّ صلوات اللّه عليهم: لما أراد اللّه عزّ و جلّ أن ينزل فاتحه الكتاب،

****

(۱) هذا القول يجىء بنظرى ساقطا،لأن نزولها ثانيا لا يترتب عليه إلا التكرار و لا وجه له، ففى المدينه جرى تحويل الوجوه فى الصلاه نحو البيت الحرام بعد ان كان التوجه نحو بيت المقدس و قد كان المسلمون يصلّون بقراءه الفاتحه قبل الهجره الى المدينه.و لم يحصل فى الصلاه أى تبدل أو تغير فى سوره الفاتحه أو فى غيرها من أجزاء الصلاه،فلا حاجه الى الأخذ بقول لم نقع فيه على آيه أو روايه.

(۲) و هذه الأمور أصوله و أركانه.

و آیه الکرسیّ،و آیه شهد اللّه،و قل اللّهمّ مالک الملک،إلی قوله:بغیر حساب-تعلّقن بالعرش و لیس بین اللّه و بینهنّ حجاب و قلن:یا رب،تهبطنا دار الذنوب و إلی من یعصیک،و نحن معلّقات بالطّهور و القدس؟.قال:

و عزّتی و جلالی،ما من عبد قرأکنّ فی دبر کلّ صلاه،إلاّ أسکنته حظیره القدس علی ما کان فیه،و نظرت إلیه بعینی المکنونه فی کل یوم سبعین نظره، و إلاّ قضیت له فی کل یوم سبعین حاجه أدناها المغفره،و إلاّ أعذته من کل عدوّ و نصرته علیه،و لا یمنعه عن دخول الجنه أن یموت.

۳-الحمد:و هو من أسمائها لذکره فی ابتدائها (۱).

۴-السبع المثانی:الأول،لکونها سبع آیات اتّفاقا فی جملتها،إلاّ أن هناک خلافا بین عدّ البسمله آیه،أو«أنعمت»دون البسمله.

و الثانی،لأنها تثنّی فی الفریضه،و لنزولها فی مکه أولا،و فی المدینه ثانیا.نزلت فی مکه حین افترضت الصّلاه،و فی المدینه-کما قیل-حین حوّلت القبله لمناسبه خفی مقتضاها علینا،فإن أفعال اللّه کأقواله قد تصدر عن مصلحه مکنونه،کما تصدر عن مصلحه مکشوفه.

۵-لها أسماء أخر،کالشافیه،و الکنز، و الوافیه.و الأشهر ما ذکرناه أولا.

ج-التفسیر:

****

(۱) و قد یقال بأن ابتداءها البسمله،و الأوجه تسمیتها بها لورودها فی أولها.و الجواب:أن البسمله جزء من کل سوره،بل آیه منها.و لو تسمّت بها سوره لتسمّت بها جمیع السّور ما عدا براءه.فأسماء السور أمر تعبدیّ،لا علاقه له بورود الاسم فی الأول أو الوسط أو الآخر.

١- بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ :

هی آيه من كلّ سوره عدا براءه بإجماعنا (١)و غيرنا،بين موافق لنا و مخالف.و ذكر الموافق و المخالف ليس فيه كثير فائده.

و الباء للاستعانه،و يترجّح ذلک بأن الإنسان فی جميع أموره يطلب الإعانه منه سبحانه و يشعر بكثره مدخليّه اسم اللّه تعالی فی تسهيل أعماله.

فكأنّه جعل اسمه تعالی آله للفعل مشعرا بزياده مدخليته فيه حتی كأنه لا يوجد بغيره.

أو للمصاحبه،و الحجه فيه التبرّک باسمه تعالی،أدخل فی أدب الإسلام من أجل الرّد علی المشركين الذين كانوا يتبرّكون بأسماء آلهتهم كاللات و العزّی و غيرهما.و الحق أن التبرّک يحصل بكلّ من الاستعانه و المصاحبه، و لا فرق بينهما عند النظر الدقيق.

و السوره مقوله علی ألسنه عباده علی ما هو الرائج بينهم فی محاوراتهم تعليما للتبرّک باسمه و حمده و مسألته.و متعلّق الظّرف فعل مقدّر مؤخّر، لأهميه اسمه تعالی و قصر التبرک عليه سبحانه.هكذا:«بسم اللّه أتلو».

حذف المتعلّق لدلاله الحال عليه،أو لأن كل فعل يضمر له ما يناسبه المقام، مثلا فی الذبح و الحلّ و الارتحال:«كأذبح،و أحلّ،و أرتحل».أو يقدّر من الإبهام العام:«كأبدأ،و أعمل،و أفعل.»من الأفعال العامه المبهمه،ما يناسب كل فعل و فعله.

****

(١) و يدل عليه روايات نذكر منها ما جاء فی تفسير العيّاشی عن يونس بن عبد الرحمن،عمّن رفعه،قال: «سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه تعالی: وَ لَقَدْ آتَيْناکَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِی إلخ..قال:هی سوره الحمد،و هی سبع آيات منها بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ». و لا يخفی أن المناسبه تقتضی أن يكون ذكر هذه الروايه عند قولنا فی بيان وجه تسميه السوره المباركه بالحمد.

و الاسم من السّـِمو:بفتح السين و سكون الميم،و هو مصدر (۱)فمعناه جعل الاسم.فحذف عجزه و سكن أوّله و زيدت همزه مبتدأ بها،يشهد بمبدإ اشتقاقه التكسير و التصغير اللذان يردّان الأشياء إلى أصولها.

أو من السّمه:و أصله أى مصدره:وسم،معناه العلامه بالكىّ و نحوه.

و حذفت الواو،و عوّض عنها الألف.

و لم يقل سبحانه:«باللّه»لأن التبرّک باسمه أدخل فى الأدب مضافا بأن التبرّک بالاسم يلازم التبرّک بالذّات بالأولى بخلاف العكس و ليعمّ كل أسمائه.

اللّه:أصله إله.حذفت الهمزه و عوّض عنها أداه التعريف فصار مختصّا بالمعبود بالحق بالغلبه،بخلاف الإله فإنه كان لكل معبود،ثم غلب فى المعبود بالحق.و هو من:أله بالفتح،بمعنى:عبد أو تحيّر و معنا هما عام.

و بالكسر(أله)بمعنى سكن أو فزع أو ولع لأنه معبود تتحيّر فيه العقول و تطمئنّ بذكره القلوب و يفزع إليه و يولع بالتضرّع لديه.و قيل أصله لاه(مصدره:ليها و لاها)بمعنى احتجب و ارتفع.و أدخلت عليه الأداه فصار علما شخصيّا للذّات المقدّس الجامع لكل كمال،لا اسما لمفهوم واجب الوجود،و إلاّ لم تفد كلمه شهاده التوحيد،لاحتمال اعتقاد قائلها تعدّد أفراد ذلک المفهوم العام،و عورض بأنه لو كان كذلک لم يفده قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ لجواز علميّته لأحد أفراد الواجب مع عدّهم السوره من أدله التوحيد.و يجاب بأن ذيلها يفيد الواحديّه،و صدرها الأحديّه،أى نفى قبول القسمه بأنحائها.

اَلرَّحْمنِ الرَّحِيمِ :صفتان مشبّهتان من رحم بكسر عين الفعل، كغضبان من غضب،و عليم من علم.و الرحمه هى رقّه القلب المقتضيه للإحسان.و اتّصافه تعالى بها باعتبار غايتها التى هى فعل،لا مبدئها الذى هو

****

(۱) سما يسمو سموا الرجل زيدا،أى جعل اسمه زيدا.

انفعال.و الرّحمن أبلغ لاقتضاء زياده البناء زياده المعنى.و هى هنا باعتبار «الكمّ»حسب كثره أفراد المرحومين و قلّتها.و عليه حمل:يا رحمان الدنيا لشمول المؤمن و الكافر،و رحيم الآخره لاختصاصه بالمؤمنين.و أما باعتبار «الكيف»فيصير الأمر فى الأبلغيّه بالعكس لجسامه نعم الآخره فتنخرط القاعده.

و ملخص القول أن معنى الرحمن أى البالغ فى الرحمه غايتها،و لذا اختصّ به سبحانه.

قال الصادق عليه السّلام: «الرّحمن اسم خاصّ بصفه عامّه،و الرّحيم اسم عام بصفه خاصه» على ما رواها عنه أصحاب التفاسير فى كتبهم.و إنما قدّم فى البسمله و غيرها من موارد اجتماعهما على الرحيم، لصيرورته بالاختصاص كالواسطه بين العلم و الوصف،فناسب توسيطه بينهما و خصّيت البسمله بهذه الأسماء الثلاثه إعلاما بأن التحقيق أن يستعان به تعالى فى جميع الأمور،دنيويه و أخرويه،لأنه المعبود الحقيقىّ البالغ فى الرحمه غايتها،المولى للنّعم الجسيمه كلها.و لعلّ وجه التقديم-مضافا إلى ما قلناه آنفا-كون الرحمانيّه دنيويه،و هى مقدّمه على الأخرويه.فالذى يدل عليها طبعا مقدّم (١)على الذى يدل على صفه أخرويه.و لا منافاه بين الوجهين.

٢-اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ :

الحمد:هو الثناء على أمر جليل جميل صدر عن اختيار نعمه و غيرها.

و حمده تعالى على صفاته،حمد على الآثار الاختياريه الصادره عن ذاته المقدّسه كما هو الحق.و نقيضه:الذّم،و يراد منه المدح.و قيل يعم غير

****

(١) و لا يخفى أنه تعالى أردف اسمه الذى هو علم لذاته،المستجمع للقهر و الرحمه،بصفه الرحمه دون القهر،تنبيها للعباد بأن«رحمتى غالبه على غضبى و قهرى»و هذا سرّ من أسرار البسمله.يا من سبقت رحمته غضبه:أى غلبت.

الاختیاری،و الحق هو الأول من القولین أما الشکر فهو ما قابل النعمه من قول أو عمل أو اعتقاد.و من الشکر الحمد علی النعمه و هو أظهر أفراده و شعبه دلاله علیه،لخفاء الاعتقاد،و احتمال عمل الجوارح.و لذا

قال(ص): «الحمد رأس الشکر،ما شکر اللّه من لم یحمده» فجعله کأشرف الأعضاء،فکأن الشکر منتف بانتفائه.و نقیضه الکفران.

و الحمد مبتدأ و خبره الظرف-أی للّه-و هو من المصادر التی تنصب بأفعال مضمره.فأصله النصب،و عدل إلی الرفع لیفید الثبات دون التجدد و الحدوث.و لامه یحتمل أن یکون للجنس أو الاستغراق أو العهد،أی حقیقه الحمد أو کلّ أفراده أو أکملها،أی المعهود من الحمد بین العبد و مولاه هو أکمل أفراده ثابت له تعالی علی وجه الاختصاص کما تفید اللام و لو بمعونه المقام.

ربّ العالمین:مالکهم و سائسهم،أی مدبّر أمورهم علی ما ینبغی.

و الرب مصدر،بمعنی التربیه،و هی تبلیغ الشیء کماله المقدّر له تدریجیّا،وصف به سبحانه للمبالغه علی ما قیل.بیان ذلک أنه لا یقدر أحد تبلیغ الموجودات طرا إلی کمالها-کلّ علی حسبه تدریجیّا-إلاّ اللّه.فهذا من أوصافه الخاصه به جلّ و علا التی تدل علی أن قدرته فوق ما یتصوّر من القوی، و لا یطلق علی غیره تعالی إلاّ مضافا:کربّ الدار،أو مجموعا:کالأرباب.

لکنه فیه تعالی کما یطلق مفردا یستعمل مضافا

کقوله(ص): «ربّ الماء و التراب واحد».

و العالم:اسم لما سوی اللّه،أو اسم لما یعلّم به کالطابع،غلبت فی کل جنس مما یعلم به الصانع تعالی من الجواهر و الأعراض،کما یقال:

عالم الأرواح،و عالم الأفلاک،و عالم العناصر.و یطلق علی مجموعها أیضا

كالماء يطلق على القليل كالقطره و على الكثير كالبحر.و هذا شأن كل اسم جنس لا يختصّ ببعض دون بعض.

و لاـ يجمع إلا بالإطلاق الأول فيتعيّن هنا.و إنما جمع ليشمل مسمّاه كلّ الأجناس و أفرادها.و يجمع بالواو و النون لتغليب جانب العقلاء.و أما وجه أنه جمع مع كونه معرّفا بالألف و اللام الاستغراقيه و هى تفيد الشمول،فللدلاله على كون العالم أجناسا مختلفه الحقائق كما عدّدنا آنفا المشهور منها.و هذا المعنى لا يستفاد من حرف التعريف و إن كان مفيدا للشمول الاستغراقى».

۳- اَلرَّحْمنِ الرَّحِيمِ :كرّرا فى مفتاح الكتاب الكريم إشعارا بشده اعتنائه سبحانه بالرحمه،و تثبيتا للرجاء بأن مالك يوم الجزاء هو البالغ فى الرحمه غايتها فلا يقنط من عفوه و غفرانه المذنبون.و الوجه الثالث لتكرارهما،هو أنهما بيان لعله تخصيص الحمد به تعالى.

۴- مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ :

مالك:بالألف على قراءه عاصم و الكسائى،و يؤيّده: يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ.. و قرأ الباقون:«ملك يوم الدين» و يؤيّده: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ،لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ .و هذه أدخل فى التعظيم و أنسب بالإضافه إلى يوم الدين،و لوصفه تعالى بالملكيه بعد الربوبيه فى سوره مباركه خاتمه للكتاب ليوافق الافتتاح الاختتام.

و الفرق أن المالک من له التصرّف فيما فى حوزته و تحت يده،و الملک من له التصرف فى الأمور كلها أمرا و نهيا للسلطه و الغلبه على الناس و ما فى يدهم و تحت تصرفهم طرّا.

و الدّين:هو الجزاء،و منه:«كما تدين تدان».و

عن الباقر عليه السلام: «أنه الحساب» و تخصيص اليوم بالإضافه،مع أنه تعالى مالك و ملك

لجميع الأشياء فی کل الأوقات،لتعظيم ذلک اليوم،أو لتفرّده تعالی بالملک و السلطان فيه،لأن ما حصل منهما لبعض فی الدنيا ظاهرا،يزول و يفنی، فينفرد سبحانه بهما علی ما يستفاد من قوله جلّ و علا: لِمَنِ الْمُلْکُ الْيَوْمَ،لِلّٰهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ .

و فی التعبير باسم الذات الدالّ علی استجماع جميع الکمالات و تعقيبه بالصفات المنتفيه عمّن سواه،دلاله علی انحصار استحقاق الحمد فيه،و قصر العباده و الاستعانه عليه تعالی،و إرشاد إلی المبدأ و المعاد،و تنبيه علی أن من يحمده الناس إما لکماله الذاتی،أو لرجائهم إحسانه فی المستقبل،أو لخوفهم من کمال قهره.فکأنه تعالی يقول:أيها الناس،إن کنتم تحبّون أن تحمدوا للکمال الذاتی فأنا المستجمع له،أو للإنعام و التربيه فأنا«ربّ العالمين»أو للرجاء فی المستقبل فأنا«الرّحمن الرّحيم»أو للخوف و السطوه فأنا«مالک يوم الدّين».

فاللّه تعالی سدّ طرق العباد فی عباداتهم من جميع الجهات التی يتصوّر أن تکون عباداتهم لها،و حصرها بذاته المقدّسه جلّ و علا،فما بقی للعباد عذر فی عباده من سواه سبحانه..و بعد ذکر الأوصاف الثابته لذاته المقدّسه التی لا تعلم و لا تعرف إلّا بعد انکشافها من ناحيته عقّبها بقوله: «إِيّاکَ نَعْبُدُ إلخ...»تعليما للعباد طرق المخاطبه له حين تخضّعهم و تخشّعهم لربّهم، و تربيه لهم حينما يدعونه تعالی علی کيفيه الدعوه.

ص: ١٧

۵- إِیّاکَ نَعْبُدُ وَ إِیّاکَ نَسْتَعِینُ :

إیّا:ضمیر منفصل منصوب،و لواحقه من الهاء،و الکاف،و الیاء، و النون،حروف لبیان الغیبه،و الخطاب،و التکلّم،لا محلّ لها من الإعراب،نحو کاف«ذلک»علی أصحّ الأقوال.و هو منصوب علی المفعولیه.و انفعاله و تقدّمه علی فعله لإفاده الحصر،لأن تقدیم ما هو حقه التأخیر یفید الحصر.أی قصروا العباده و الاستعانه علیه.

و العباده أعلی مراتب الخضوع و التذلّل،لا یستحقها إلاّ المنعم لأعظم النّعم من الوجود،و الحیاه و توابعهما.

و الاستعانه طلب المعونه فی الفعل،و یراد هنا طلب المعونه فی کل المهمّات،و لذا أبهم المستعان فیه،أو فی أداء العباده بوظائفها المقرّره بقرینه توسّطها بین:«نعبد و اهدنا»فحذف اختصارا للقرینه.و تقدیم المفعول لقصر العباده و الاستعانه علیه تعالی.

و أما وجه الاقتصار أنه تعالی بیّن صغری و کبری بذکر أوصافه الخاصه له،و عقّبها باسمه الخاصّ الذی یدل علی ذاته المستجمعه للکمالات بأجمعها من المذکورات و غیرها،فیستفاد منه أنه سبحانه واجد لوصف الرحمانیه فی الدنیا،و الرّحیمیه و الملوکیّه فی العقبی،حیث إنه«ملک یوم الدین»أی هو الذی أزمّه الأمور طرّا بیده،هذه صغری.و کل من کان هذه الصفات و هذه القوه و القدره صفته،فهو الذی یستحق أن یعبد و یستعان به لا غیره.فنستنتج أنه جلّ و علا مستحقّ للعباده و الاستعانه من دون غیره،فلا معنی لقصر العباده و الاستعانه علیه تعالی إلاّ هذا.فثبت الحصر و وجهه ظهر.و الحصر حقیقیّ ثبوتا،و أما إثباتا فإضافیّ بالنسبه إلی المؤمنین باللّه،و الوجه الآخر لتقدّم المفعول،تقدمه سبحانه فی الوجود،و للتّنبیه علی أن العابد و المستعین ینبغی

أن يكون نظرهما بالذات أولا- إلى الحق المتعال،ثم منه إلى أنفسهم،لا- من حيث ذواتها بل من جهه أنها وسيله إلى لحاظه تعالى،ثم إلى عبادتهم و نحوها،لا من حيث صدورها عنهم،بل من حيث أنها وصله بينهم و بين الخالق جلّ و علا.

و تكرير الضمير:«إيّاك و إيّاك»للتنصيص على التخصيص بالاستعانه،فينتفى احتمال تقدير مفعول لها غيره تعالى مؤخرا.و لبسط الكلام مع المحبوب كآيه: هِيَ عَصايَ .

و تقديم العباده على الاستعانه ليتوافق الفواصل فى متلوّ الآخر،و لأن تقديم الوسيله على طلب الحاجه أدعى إلى الإجابه.و لمناسبه تقديم مطلوبه تعالى من العباد على مطلوبهم منه.و لأن المتكلّم،لما نسب العباده إلى نفسه،كان كالمعتدّ بما يصدر منه،فعقّبه بقوله: وَ إِيّاكَ نَسْتَعِينُ إيذانا بأن العباده لا- تتمّ إلا- بمعونته، و إيثار صيغه المتكلّم مع الغير ليؤذن بحقاره نفسه عن عرض العباده و طلب المعونه منفردا على باب الكبرياء،فلا بد من انضمامه إلى جماعه تشاركه فى العرض و الطلب كما يصنع فى عرض الهدايا و رفع الحوائج إلى الملوك.و فى الجمع يمكن أن يقصد تغليب الخلّص على غيرهم،فيصدق:

«و ليدرج عبادته و حاجته فى عباده المقرّبين و حاجتهم،و لعلها تقبل و تجاب ببركتهم».

و العدول من الغيبه إلى الخطاب:أولا من عاده العرب العدول من أسلوب إلى آخر تفنّنا فى الكلام،و ثانيا لأن فى العدول من الغيبه إلى الخطاب تطريه و تنشيطا للسامع ليس فى غيره،فإن فى الخطاب اعتناء بشأن المخاطب بل لطف و إحسان إليه،و لا سيّما إذا كان من شخصيه ساميه:فكيف بذات

رفیعه مقدّسه جامعه لجمیع الکمالات و الأوصاف العظیمه التی لا توجد فی غیرها.

علی ان مواقع العدول و تختصّ بنکت و رموز:

فممّا اختصّ به هذا الموضع أن العباده و الاستعانه ینبغی کتمانها عن غیر المعبود المستعان لتکون أقرب إلی الإخلاص و أبعد عن الرّیاء.فالمناسب له طریق الخطاب،فلذا عدل إلیه.و منه التلویح إلی ما فی الحدیث:«أعبد اللّه کأنک تراه».إذ العباده الکامله هی ما یکون العابد حال اشتغاله بها مستغرقا فی الحضور کأنه مشاهد لجناب معبوده.فظنّ أنه وصل إلی مقام المقرّبین، فقال:

۶-اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ :بیان للمعونه المطلوبه،کأنه قال:

«کیف أعینکم؟»فقالوا: اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ .

و الهدایه:الدلاله بلطف إلی المطلوب.و قیل هی الموصله،و غیرها إراءه الطریق.و یدفعه قوله تعالی: فَهَدَیْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمی عَلَی الْهُدی و یرفع الدفع أنّه من الممکن أن یوصل الإنسان شخصا إلی مطلوبه و مع ذلک یصیر المطلوب مبغوضا له و یرفع الید عنه و یؤثر الغیر علیه لسبب من الأسباب.و الحاصل أن الآیه مصداق من مصادیق المعونه،و آثره الطالب إیذانا علی أنه أسماها و أعلاها،ثم إنّ أصناف هدایته جلّ و علا و إن لم یحصرها العدّ علی أربعه أوجه:

الأول:إفاضته القوی و الحواسّ لجلب النفع و دفع الضّرر،یدل علیه: أَعْطی کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدی .

الثانی:نصب الدلائل الفارقه بین الحق و الباطل،یدل علیه وَ هَدَیْناهُ النَّجْدَیْنِ .

الثالث:إرسال الرّسل و إنزال الکتب: وَ أَمّا ثَمُودُ فَهَدَیْناهُمْ .أی

بالإرسال و الإنزال.

الرابع:إزاله الغواشى البدنيه و إراءه الأشياء كما هى بالوحى أو الإلهام أو المنام الصادق أو الاستغراق فى ملاحظه جماله و جلاله بحيث تقشعرّ جلودهم من الخشيه ثم يرغبون فى ذكر ربهم و يعرضون عمّا سواه،قال تعالى:

تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ،ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللّهِ،ذلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشاءُ .و هذا يختص به الأنبياء و الأولياء،ثم الأمثل فالأمثل أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ،فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ .هذه الآيه الشريفه بالنسبه إلى غير الواصلين و هو الهدايه فى المرتبه الرابعه.و بالإضافه إلى الواصلين يراد مزيد الهدايه: وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً .فإنها ذات مراتب كما تدلّنا على ذلك هذه الشريفه.و

عن أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه: «اهدنا:أى ثبّتنا».

و الصراط:هو الجادّه،و الطريق.من سرط الطعام أى ابتلعه.فكأنه يسترط السابله.كما يسمّى لقما،كأنه يلتقمهم.و جمعه سرط ككتب.

و أصله السين قلبت صادا لتطابق الطاء فى الإطباق.و الصراط-بالصاد-لغه قريش.

و المراد بالصّراط المستقيم:دين الحق أو دين الإسلام أو كتاب اللّه عزّ و جلّ.

٧- صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ :

هذه الجمله بدل كلّ من الصّراط المستقيم،و نتيجته التأكيد أو التّنصيص على أن الطريق الذى هو علم فى الاستقامه هو طريق المنعم عليهم لأنه جعل كالتفسير له.و المراد بهم:المذكورون فى كتابه: فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ... الآيه».و قيل أراد بهم

المسلمين،حيث إن نعمه الإسلام أصل كلّ النّعم.

و الإنعام:إيصال النّعمه.و هى فى الأصل مصدر بمعنى الحاله المستلذّه ككون الإنسان مليّا عليما خطيبا بليغا مثلا.ثم أطلقت على نفس الشىء المستلذّ به تسميه للشىء باسم مسبّبه.و نعمه سبحانه كثيره بحيث تعذّر حصرها و عدّها وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ لا تُحْصُوها .

و هى إمّا دنيويّه كإفاضه الوجود و العمر و القوى البدنيه و النّعم الظاهريه الأخر.أو باطنيه.و من أسماها العقل و سائر القوى،و التوفيق للتّخليه من الرّذائل و التّحليه بالأخلاق الفاضله الزكيه،و الإيمان باللّه و التصديق بالرساله و بما جاء به النبىّ(ص).

و إما أخرويه،و هى روحانىّ«كغفران الذنوب»و جسمانى«كأنهار العسل و الشراب الطّهور».و إجمالهما ما ذكرناه مما«تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين»،

«مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر».

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ الضّالِّينَ :

و الغضب:ثوران النّفس لإراده الانتقام تشفّيا.فإن أسند إليه تعالى فباعتبار الغايه كما فى الرّحمه،و العدول عن إسناده إليه تعالى إلى صيغه المجهول و إسناد عديله إليه تعالى،تأسيس لمبانى الرّحمه.فكأنّ الغضب صادر عن غيره تعالى،و إلاّ فالظاهر أن يقول:«غير الّذين غضبت عليهم».و مثل ما نحن فيه فى التصريح بالوعد و التعريض بالوعيد كثير فى الكتاب،و منه قوله سبحانه: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ،وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِى لَشَدِيدٌ .و المقابل لقوله:«لأزيدّنكم:لأعذّبنّكم».

وَ لاَ الضّالِّينَ :من الضّلال،و هو العدول عن الطريق السّوىّ و لو خطأ.

ص: ٢٢

و شعبه کثیره،بشهاده

قوله(ص): «ستفترق أمّتی ثلاثا و سبعین فرقه،فرقه ناجیه،و الباقون فی النار.».

و تفسیر اَلْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ بالیهود و اَلضّالِّینَ بالنصاری، مشهور.و قیل:المراد بهما مطلق الکفره لأنهم واجدون للوصفین.و قیل: مطلق من کان معنونا بالعنوانین من الکفار و غیرهم.

«و غَیْرِ الْمَغْضُوبِ.. الآیه»بدل کلّ من اَلَّذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ .

و المعنی أن المنعم علیهم هم الذین صینوا و حفظوا من الغضب و الضلال.فالفائده فیه التأکید و التّنصیص کما مرّ.

و روی عنه(ص) أنّ«أفضل سوره أنزلها اللّه فی کتابه هی الحمد أمّ الکتاب و أنها شفاء من کل داء (۱)». و

عن الصادق علیه السلام: «لو قرئت سوره الحمد علی میّت سبعین مره ثم رددّت فی الروح ما کان عجبا». و

عنه علیه السلام: «اسم اللّه الأعظم مقطّع فی أمّ الکتاب». و

فی العیّاشّی عن النبیّ (ص): «أن أمّ الکتاب أفضل سوره أنزلها اللّه فی کتابه،و هی شفاء من کلّ داء إلاّ السّام». أی الموت.و

فی الکافی عن الباقر علیه السلام: «من لم یبرئه الحمد لم یبرئه شیء».

(قد تمت السوره المبارکه الحمد،و تتلوها سوره البقره).

****

(۱) و نحن أثبتنا أیضا-بالبرهان الاجتهادیّ-أفضلیّتها فی أول افتتاح ترجمه السوره المبارکه عن کل سوره.

سوره البقره

سوره البقره (۲): الآيات ۱ الی ۵

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

الم (۱) ذٰلِکَ اَلْکِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (۲) اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ اَلصَّلاهَ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (۳) وَ اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْکَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ وَ بِالْآخِرَهِ هُمْ يُوقِنُونَ (۴) أُولٰئِکَ عَلىٰ هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولٰئِکَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (۵)

آ-فضلها:

سئل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله:أىّ سور القرآن أفضل؟ قال:البقره.قيل:أىّ آى البقره أفضل؟.قال:آيه الكرسى. و

قال الصادق عليه السلام: من قرأ البقره و آل عمران جاء يوم القيامه تظلّانه على رأسه مثل الغمامتين.

ب-نزولها:

مدنيه و آياتها مائتان و ستّ و ثمانون آيه.كلّها نزلت بالمدينه إلاّ آيه منها نزلت بمنى و هى قوله: وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّٰهِ...

ج-التفسير:

۱-الم :قيل:هذا و ما يأتى من الألفاظ المتهجّى بها:أسماء، مسمّياتها الحروف التى منها ركّبت الكلم.و الدليل صدق حدّ الاسم عليها، مع قبولها لخواصّ الاسم.و لعل السرّ فى النطق بهذه الألفاظ هو إشاره منه

تعالی إلی أن«کتابنا»هذا رکّب من هذه الحروف الهجائیه التی تنطقون بها نهارا و لیلا.فإن کنتم فی ریب مما نزّلنا علی عبدنا فأتوا بمثله و أنتم عرب.

و حاصل هذه الألفاظ التی افتتحت السّور القرآنیه بها،أن القرآن و إن کان محصولا-من هذه الحروف،کما أن کتبکم و أشعارکم و خطبکم و کلامکم محصوله منها إلاّ-أن نظم القرآن،و کیفیه ترکیبه جاء معجزا،حیث إن أفصح فصائحکم،و أبلغ بلغائکم عاجزون عن أن یأتوا بسوره من مثله فکیف بغیرهم مع غایه الجد و نهایه الاجتهاد بأن یأتوا بمثله.فیکشف أن هذا من فعل غیر المخلوق،و عمل من هو وراء الطبیعه،فینبغی أن یتحدّی به کما تحدّی بقوله: فَأْتُوا بِسُورَهٍ إلخ...

و قیل:هی أسماء للقرآن.و قیل إنها أقسام أقسم اللّه تعالی بها لشرفها و عظمتها لکونها مبانی کتبه و أسمائه و صفاته،لأنها مرکّبه منها هی و أصول کلام الأمم کلّها.

و منها:إن کل حرف منها رمز،و إشاره إلی مده بقاء قوم و آجال آخرین بحساب الجمّل الذی کان فی سابق الزمان علما معروفا بینهم،و لا-سیما فی الرّومیین علی ما نقل.و النبیّ لما بعث إلی جمیع البشر فینبغی أن یکون کتابه واجدا للرموز و هو عالم بها،حتی یتحدّاهم بکتابه هم و غیرهم.

و ورد عن أئمتنا علیهم السلام أنها من المتشابهات التی استأثر اللّه نفسه بعلمها و لا یعلم تأویلها غیره.و فی بعض الأدعیه ورد أن علیّا علیه الصلاه و السلام کان یدعو اللّه و یقول:یا کهیعص و حمعسق.و بناء علی صحه الاستناد یظهر أن هذه الفواتح المفتتح بها السور أسماء له تعالی.و علی المفروض،لا یبعد أن نقول بکون بعضها اسما له سبحانه،و البعض الاخر اسما لنبیّه صلّی اللّه علیه و آله علی ما یستفاد من الدعاء المرویّ عن السجّاد سلام اللّه علیه،المذکور فی کتاب مستدرک السفینه فی المجلد الثالث منه،تألیف

ص: ۲۶

بعض الأعلام من المعاصرين.و لكننا لا نعتمد على صحه سندها،و إن كانت القرائن المقاميه تعضدها،حيث إن تلك الألفاظ،أكثرها-إن لم نقل جميعها-صدرت فى مقام التخاطب بحيث لو قلنا إنها ليست بأسماء للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله،فلا بدّ أن نقدّر من قبلها اسما من أسمائه(ص).فنفس الخطاب يدعونا إلى كونها اسما له صلوات اللّه عليه و آله حتى لا نحتاج إلى التقدير الذى هو خلاف الظاهر.بل الآيات المباركات الواقعه بعد المفتتح بها،تقضى كونها أسماء له(ص)بأجمعها.فانظر إلى قوله سبحانه:

طه: ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى ..

كهيعص: ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيّا ..

حم عسق: كَذلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ ..

و هكذا،فالآيات المذكوره بعد المقطّعات،كاشفه-من حيث الخطاب-عن كونها أسماء له(ص)لكمال تناسبها لما ذكرنا..نعم،إن فى تسميته(ص)بتلك الأسماء أسرارا و ألطافا لا يعلمها إلا من خوطب بها و الراسخون فى العلم من أهل بيته الطاهرين صلوات اللّه عليهم..و لا منافاه بين أن يكون بعضها مشتركا بينه تعالى و بين نبيّه اشتراكا لفظيا،فيصحّ دعاء علىّ عليه السلام للّه سبحانه،بقوله:يا كهيعص و أمثاله.

و أما مسأله إعرابها:فهى متفرّعه على المراد منها.فإن جعلت أسماء للّه تعالى،أو للسوره-على ما قيل-أو للقرآن،فمحلّها الرفع على الابتداء أو الخبر.أو النّصب بتقدير:أتل،أو فعل القسم،أو الجر بإضمار حرف القسم،و إن جعلت اسما للنبى صلّى للّه عليه و آله فالنّصب،لأنها مناديات، و التقدير:أدعو،أو نظيره،و إلاّ فلا محلّ لها.

۲- ذٰلِكَ الْكِتابُ (۱):يحتمل أن يكون«ذلك»إشاره إلى القرآن،أى الكتاب الذى أخبر به موسى بن عمران،أو عيسى بن مريم فهما أخبرا بنى إسرائيل.بهذا الكتاب الذى أفتتح بالم.و حيث شابه المعهود البعيد لتضيّه أتى بصيغته،أو إلى الكتاب.فيكون الكتاب موصوفا،أى الكتاب،الموعود به. لا ـ رَيْبَ فِيهِ من رابه يريب،إذا حصل فيه الرّيبه أى الشك.و حقيقه الريبه قلق النفس و اضطرابها.و الريب مصدر.و المعنى أنه-من وضوح دلالته-لا ينبغى أن يرتاب فيه عاقل،فإنه لا مجال للريبه فيه.و رَيْبَ هاهنا مبنىّ لأنه اسم لا النافيه للجنس و فِيهِ خبره. هُدىً مصدر.و هو الرشاد، و البيان،و الدلاله.يقال هداه اللّه إلى الإيمان،أى:أرشده إليه.و هداه الطريق أو إليه:بيّنه له،و دلّه إليه،و عرّفه.و هو ضد:أضلّه.و توصيف

****

(۱) لا يخفى أن«ذلك»اسم إشاره وضع للدلاله على البعيد.و الكتاب الذى بين أيدينا هو الذى كان فى عصر النزول بين أيدى الناس،أى قريبا جدا منهم،سواء أنزل فى مكه أم فى المدينه،فلما ذا لم يقل سبحانه:آلم،هذا الكتاب لا ـ ريب فيه..و لماذا استعمل:ذلك الكتاب لا ريب فيه؟.و ما نحن فيه من الموضوع يشير إلى القرآن دون أى شك.أى إلى جميع أقسامه التى كانت قد نزلت قبل سوره البقره و قبل هذه الآيه الكريمه أو بعدها و التى كان النبىّ(ص)يتلوها على الناس و يعطيهم إياها فيكتبونها و يحفظونها.فالإشاره إلى تلك الأقسام بلفظه«ذلك»لأهل ذلك الزمان-و لغيرهم-قد يتراءى أنها فى غير موردها.فممّا لا شك فيه أن الإشاره تعنى القرآن جمله،أى الكتاب المذخور فى اللوح المحفوظ،الذى يطابقه القرآن المنزل و هى بالتالى دلاله على النّسخه الملكوتيّه التى بعد أن نزل القرآن على محمّد(ص)صوره تامه عنها، أملى محمّد(ص)صورتها على أمير المؤمنين(ع)ثم تناقلها الأئمه المطهّرون من أهل بيت النبوّه واحدا بعد واحد إلى أن صارت بيد صاحب العصر عجّل اللّه تعالى فرجه. و هى التى يخرجها للناس بعد ظهوره الشريف للعمل بها دون النسخه التى بين أيدى الناس،و لهذا أشار اللّه سبحانه إلى القرآن بقوله: ذٰلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ و هو وحده العالم بكل شىء،و نستغفره من الزّلل و الخطل..

الکتاب به للمبالغه،کزید علم.و تنکیره للتعظیم.و لِلْمُتَّقِینَ اختصاصه بالمتّقین و إن کان هدی للبشر طرّا إلی آخر الدهر،لأنهم المهتدون به،أی لهم کفایه الاهتداء علی ضوئه.و لعل المراد زیاده قابلیه الاستضاءه و الاهتداء، و ثباته لهم.و إلاّ فکثیر من الناس یهتدون به،و المراد بهم المشارفون للتقوی.

و المتّقی:اسم فاعل من وقاه فاتّقی.و الوقایه فرط الصّیانه، و شرعا من وقی نفسه الذنوب.و فسّر المتّقون بالذین یتّقون الموبقات.و هذا التفسیر أعمّ من سابقه،لأن الموبقات تشمل الذنوب و غیرها.هذا،و یظهر علی حسب الوجوه الإعرابیه،أن الآیه المبارکه أربع جمل متناسقه،تقرّر کلّ لاحقه سابقتها،و لذا لم یتخلّلها العاطف.فآلم جمله للتحدّی و ذلک الکتاب ثانیه تقرّر وجهه التحدّی،أی أیّ کتاب من کتبکم کان مبتدأ بالحروف المقطّعات قبل کتابی هذا.و لا ریب فیه:ثالثه تسجّل کما له.و هدی للمتّقین:رابعه تقرّر کونه یقینا لا شکّ فیه.و یظهر أن السوره التی هی أولی الزهراوین و سنام القرآن صدّرت بذکر المرتضین عباد اللّه و هم المتقون (۱)هی هذه السوره.

۳- اَلَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِالْغَیْبِ :هذه الآیه الشریفه إما محلّها الجرّ بناء علی کونها صفه للمتّقین،أو النّصب بتقدیر:أعنی،بناء علی کونها بیانا للمتّقین.فإن

****

(۱) عن کعب الأحبار:سئل عن:ما حقیقه التقوی؟فأجاب:هل وقعت فی أرض ذات أشواک بحیث لا تقدر الخروج منها إلا بأن تجمع ذیلک و تخرج مع غایه الاحتراز منها، حتی لا تتشوّک ثیابک بها؟.و هذا هو التقوی.و نعم ما قال الشاعر: خلّ الذنوب کبیرها و صغیرها،فهو التّقی و اصنع کماش فوق أر ض الشوک یحذر ما رأی لا تحقرنّ صغیرها إن الجبال من الحصی!. و فی کتاب کمال الدین و تمام النعمه،عن الصادق علیه السلام: المتّقون شیعه علیّ.

الآیات یفسّر بعضها بعضا.أو الرّفع علی تقدیر کون الموصول خبرا لمبتدأ مقدّر،أی:هم الذین..و یحتمل أن تکون منقطعه عما قبلها.و کانت مبتدأه و خبرها:أولئک علی هدی..

و الإیمان إفعال،من أمن،بمعنی صدّقه،و ضد التکذیب.و حقیقه الإیمان شرعا هو المعرفه باللّه و صفاته،و برسله و بما جاؤوا به،و یلازمه التصدیق بهم.و إلاّ-فالتصدیق بلا-عرفان لسانیّ لا-یترتب علیه أیّ أثر واقعی کالإسلام اللسانی.بل هما مترادفان.و قیل:الإیمان الحقیقی هو القبول الجنانیّ و التصدیق بما جاء به النبیّ قلبا،و عمل الأرکان.فهذا الإیمان هو الذی له دخل فی ارتقاء الإنسان مرتقی سامیا إلی سماء الرّوحانیه و الملکوتیه القدسیه،بحیث یستضیء بضوء أهلها،فیتخلّص بذلک عن مرتبه الدنیّه البهیمیه التی إذا مات الإنسان علیها أو حیی فموته و حیاته جاهلیه ظلماء، أعاذنا اللّه منها.

و الغیب:مصدر،بمعنی الغائب و المغیّب،أی ما یستتر عن الحواسّ الظاهریه.بل یمکن أن یقال:إن المراد به:الخفیّ الذی لا یعلمه العباد إلا بإرشاد اللّه تعالی و هدایته،کوجود الصانع سبحانه،و صفاته-یا من دلّ بذاته علی ذاته-و کالنبوّه،و الولایه،و الشرائع السابقه،و غیبه المهدیّ علیه السلام و خروجه،و القیامه و أحوالها،و الجنّه و النار و کیفیّاتهما،و کالحساب، و الوعد و الوعید،إلی غیر هذه من الأمور المخفیّه عن إدراک البشر.

و یحتمل أن یکون المراد بالغیب هو الحجه الغائب عجّل اللّه تعالی فرجه،و الشاهد علیه قوله تعالی: یَقُولُونَ لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیَهٌ مِنْ رَبِّهِ،فَقُلْ إِنَّمَا الْغَیْبُ لِلّٰهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِینَ. فأخبر عزّ و جلّ أن الآیه هی الغیب،و الغیب هو الحجه.و تصدیق ذلک من کتاب اللّه قوله سبحانه:

وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْیَمَ وَ أُمَّهُ آیَهً ،أی حجه.

وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ من أقام العمود إذا قوّمه و استقامه.و المراد هنا هو أن يعدّلوا أركان الصلاه،و يأتوا بواجباتها على أصولها و مقرّراتها المشروعه حتى لا يقع فيها زيع و لا يتطرّق إليها باطل. وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ عطف سبحانه على الإيمان إقامه الصلاه التى هى رأس العبادات البدنيه،ثم عطف على ذلك العباده الماليّه التى هى الإنفاق فى سبيل اللّه على ما هو المقرّر شرعا من الواجب و المستحبّ.و الرّزق لغه الحظّ و النّصيب،و عرفا إعطاء اللّه تعالى للحيوان ما ينتفع به كلّ بحسبه،فبالإضافه إلى الإنسان هو الأموال،و القوى،و الأبدان السالمه،و الجاه،و العلم،و فى رأس هذه النّعم التوفيق لصرف كل واحده منها فى محلّه و فيما خلق لأجله.و

عن محمد بن مسلم،عن الصادق عليه السلام أنه قال: هو العلم الذى منّا يأخذون و يعلّمون غيرهم. و عن ابن عباس أن المراد به زكاه المال التى يؤدّون إلى مصارفها.و من إسناد الرزق إلى نفسه سبحانه،و مدحهم بالإنفاق،نستفيد أن الحرام خارج عنه و ليس منه لتنزّه ساحته الساميه و ارتفاع مقامه العالى جلّ و علا عن القبائح،و عدم قابليه الحرام لمدح منفقه.و الإتيان(بمن)التبعيضيّه رمز إلى أنهم فى الإنفاق منزّهون عن الإسراف و التبذير.و تقديم المفعول لمزيد الاهتمام به لكونه حلالا،و لكونه مما به تعيش الحيوانات طرّا.و لذا أسنده جلّ و علا إلى ذاته المتعاليه.و

عن الصادق عليه السلام: و ممّا علّمناهم يبثّون. و هذا قريب مما ذكرناه سابقا عن محمد بن مسلم عنه(ع).

۴- وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ :إما عطف على الذين يؤمنون بالغيب،فالمراد بالمعطوف هو أهل الكتاب الذين آمنوا برسول اللّه و بما جاء به،كعبد اللّه بن سلام و أشباهه،فيشاركونهم فى صفه التقوى.و إما عطف على المتّقين،كأنه قيل:هدى لهؤلاء الذين يؤمنون بما أنزل إليك إلخ..

و هؤلاء هم الأوّلون بأعيانهم.و توسيط العاطف على معنى أنهم الجامعون بين

تلک الصفات و هذه.و المراد بما أنزل:هو القرآن،و الشریعه بأسرها وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ من الکتب السماویه الماضیه و الشرائع السابقه وَ بِالْآخِرَهِ هُمْ یُوقِنُونَ أی یعلمون تمام العلم من غیر شک و تردید..و تقدیم الظّرف و تقدّم الضمیر و انفصاله تعویض علی غیرهم من أهل الکتاب،و حصر للإیقان بالمؤمنین بمحمّد و بما جاء به،و بالأنبیاء السابقین و کتبهم و شرائعهم.

و تحصیل الیقین بالآخره له طریقان:الأول بإخبار الصادق المصدّق،و الثانی بالمعجزه.و للیقین ثلاث مراتب:

الأولی علم الیقین،و هو یحصل لسالک طریق الحق من الاستدلال، أو المکاشفات،و کشف الشهود،و إدراک باطنیّ یحصل به الیقین.

و الثانیه عین الیقین و هی فوق مقام علم الیقین،لأن علم الیقین قابل للزوال بل سریع الزوال و لو بتشکیک مشکّک أو الإتیان ببرهان أتقن و أدلّ، ینقض البرهان الأول و هذا بخلاف من أتی ببراهین حصل له منها عین الیقین، فهذه المرتبه السامیه و لو کانت متفرعه إلی حدود تقوم علی مقدّمات المقام الأوّل،إلا أنها بعد وصول السالک إلیها،یصل إدراکه الباطنیّ،و توصله ریاضته النّفسیه،إلی حدّ لا یؤثّر فیه تشکیک المشکّک،و لا یختلج بباله من إرابه المریب ریب،بحیث یصیر لو أن أهل الدنیا بأسرهم اجتمعوا علی خلاف معلومه و متیقّنه لا یتأثر بهم و لا یهتم بمخالفتهم له أبدا،لأنه یری معلومه کما یری الشمس فی رابعه النهار،و یمشی علی ضوء متیقّنه بکمال الاطمئنان، و یری معلومه مجسما عنده مقرّرا لا یرقی إلیه شکّ.

و الثالثه حق الیقین.و هی أرقی من السابقتین.فالسالک بعد إکمال المرتبه الثانیه،و ارتقائه فی یقینه بنتیجه ریاضاته النفسانیه،یصل إلی مقام یصیر فیه بصره حدیدا و سمعه شدیدا،فیری ما لا تری عیون غیره من الناس، و یسمع ما لا تسمع آذانهم،و یدرک ما لا یخطر علی قلوب أقرانه،إذ ترتفع

الحجب،و تزول الأغطيه،فيرى الأشياء على ما هى عليه بحقائقها و بواطنها و كما يرى ظواهرها سواء بسواء،فيصل إلى هذا المقام الجليل المسمّى بحق اليقين.و كم من العباد وفّقوا لإدراك هذه المرتبه من اليقين كالشابّ الأنصاريّ الذى سئل:كيف أصبحت؟قال:على يقين إلى آخر قصته..و كالبشر الحافى،و نظائرهما كثيرون فى الأمم السابقه و الحاضره.و قد قال بعض الزهّاد:الطّرق إلى اللّه كثيره،و الهدايه من اللّه موجوده حاصله.لكنّ الذى يقدر أن يجد الطريق و يهتدى به إليه سبحانه،و يثبت و يتمكّن أن يكون فى الطريق قليل قليل..

۵- أُولئِکَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ :قوله:أولئك،إشاره إلى الصّنفين من المؤمنين،أو القسمين المذكورين آنفا فى عطف الآيات السابقه.و كلمه (عَلى)فى هذه الآيه للاستعلاء،و معناه تشبيه تمسّكهم بالهدى أو ثباتهم عليه باعتلاء الراكب مركوبه و تسلّطه عليه و لصوقه به.فالمؤمنون كذلك ملازمون للهدى لزوم الراكب لمركوبه و لا يفارقونه أبدا بل يمضون على ضوئه.و نكّر (هُدىً)هاهنا للتعظيم،و وصفه بقوله(مِنْ رَبِّهِمْ)تأكيدا لتعظيمه لأنه ممنوح منه،و ليس هو إلّا اللّطف و التوفيق.(وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)تكرير الإشاره لفائده اختصاصهم و تميّزهم بالمزيّتين عن غيرهم.و إدخال العاطف لاختلاف الجملتين مفهوما خلافا لقوله سبحانه: أُولئِکَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِکَ هُمُ الْغافِلُونَ ،أى ليس ما نحن فيه كهاتين الآيتين،فإن الثانيه منها مقدّره و مبيّنه للأولى فلا يحسن العطف هاهنا لأنه يعدّ من باب العطف على النفس.

نعم لو قلنا بأن الجمله الثانيه-فى ما نحن فيه-أيضا بيانيّه للأولى،فلا بدّ أن نحمل الواو فيها على الاستئناف لا العطف.

سوره البقره (۲): الآيات ۶ الى ۷

إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (۶) خَتَمَ اَللّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (۷)

۶- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ...:لما ذكر سبحانه أولياءه بصفاتهم الموجبه لهم الهدى و الفلاح،أتبعهم بأضدادهم:أى الكفره العتاه الذين لا يتناهون عن منكر و لا ينتفعون بالتبشير و الإنذار.و الوجه فى فصل قصتهم عن قصه المؤمنين للتباين بينهما من حيث الغرض،لأن قصه المؤمنين فى بيان كشف شأنهم و أوصافهم الجميله،بخلاف قصه العتاه و المرده فإنها لبيان تمرّدهم و إظهار أوصافهم السيئه الخبيثه و كشف سوء سريرتهم.فالقضيّتان فى طرفى النقيض مفهوما.(و سترى بيان ذلك فى ما يلى) سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ سواء:اسم بمعنى الاستواء.و الإنذار هو التخويف من العقاب مطلقا.و المراد منه هنا التخويف من عقاب اللّه تعالى. لا يُؤْمِنُونَ جمله مؤكّده لما قبلها فلا محلّ لها من الإعراب،أو هى حال من ضمير عليهم أيضا مؤكّد.و هذا الإخبار منه تعالى لا ينافى قدرتهم على الإيمان،لأنه سبحانه يخبر عن علمه بحالهم و عاقبه أمرهم.و علم اللّه بعدم إيمان شخص لا يسلب قدره الشخص،كما أن علمه بإيمانه لا يجبره عليه،فلا يكون تكليفهم به تكليفا بما لا

يطاق.و هـذا إخبار بالغيب منه تعالى،و إعجاز عن النبىّ(ص)،لأنه أمر يعجز عن الإتيان بمثله الإنسان الأمّى إلاّ بوحى أو إلهام منه تعالى.و هذا الطريق منحصر بالأنبياء و الرّسل عليهم السلام.

٧- خَتَمَ اللّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ ...الختم أخو الكتم،إذ فى مقام الاستيثاق بالشىء يضرب الخاتم عليه،فهو كتم له.و

عن الرضا عليه السلام:

هـو الطّبع على قلوب الكفّـار عقوبه على كفرهم،كما قـال تعـالى: بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ . و لا يتوهّم شبهه أن الطبع ينفى قدرتهم.فتكليفهم-مع عدم القدره-تكليف بالمحال،لأن اللّه سبحانه-لمّا علم تصميم الكفره و إلزامهم أنفسهم بأن لا يؤمنوا و لو أبقاهم اللّه أبد الدهر جحدا و عنادا-ختم و طبع على قلوبهم،على كفرهم و عنادهم الأبدى،و هم-مع ذلك-مكلفون بالأصول و الفروع،لأن الامتناع بالاختيار لا ينافى الاختيار.و لعزمهم على كفرهم أبد الآبدين و جزمهم على ذلك.فهم مخلّدون فى النار دهر الداهرين مع عصيانهم مده قليله.و هذا التخليد فى العذاب على قصدهم لا على مجرّد عصيانهم.

فالإشكال على مسأله التخليد من بعض الجهله مرتفع أيضا. وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ أى غطاء،من غشّاه أى غطّاه.و ذلك أنهم لما أعرضوا عن النظر فيما كلّفوه و قصرّوا فيما أريد منهم،جهلوا ما لزمهم الإيمان به،فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر أمامه،فهم لا يبصرون الحق و الحقيقه وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ و العذاب كالنّكال زنه و معنى،ثم سمّى به كلّ ألم فادح و إن لم يكن نكالا أى عقابا.و(العظيم)نقيض الحقير،كالكبير نقيض الصغير.و العظيم فوق الكبير،و الحقير دون الصغير،و التنكير إشاره إلى قسم من العذاب لا يعلم كنهه إلاّ اللّه عزّ اسمه.

سوره البقره (۲): الآيات ۸ الى ۱۶

وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ وَ بِالْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (۸) يُخادِعُونَ اَللّهَ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ ما يَخْدَعُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما
يَشْعُرُونَ (۹) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اَللّهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ (۱۰) وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي اَلْأَرْضِ
قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ (۱۱) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ اَلْمُفْسِدُونَ وَ لكِنْ لا يَشْعُرُونَ (۱۲) وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَما آمَنَ اَلنّاسُ قالُوا أَ نُؤْمِنُ
كَما آمَنَ اَلسُّفَهاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ اَلسُّفَهاءُ وَ لكِنْ لا يَعْلَمُونَ (۱۳) وَ إِذا لَقُوا اَلَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنّا
مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ (۱۴) اَللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ (۱۵) أُولئِكَ اَلَّذِينَ اِشْتَرَوُا اَلضَّلالَةَ بِالْهُدى فَما
رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ (۱۶)

ص: ۳۶

٨- وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا ...و هم الـذين زادوا على كفرهم و عنـادهم النّفـاق.أبطنوا الكفر و أظهروا الإيمـان،و هم أخبث الكفره لخلطهم كفرهم بالإيمـان تمويها. بِاللّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ تكرّر الباء لادّعاء الإيمان بكل واحـد على الأصاله وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ تكذيب لقولهم:آمنّا،على ما حكى عزّ و جلّ فى صدر هذه الآيه (١).

وَ مِنَ النّاسِ ...أصـل النـاس أنـاس،حـذفت الهمزه و عوّض عنهـا لام التعريف.و هى اسم جمع،و لامه للجنس،أى:و من النـاس ناس.و المراد (بمن)الموصوله:ابن أبى سلول و أضرابه كمعتب بن قسمين،و جماعه أخرى كانوا مع هؤلاء،أخبث و أنجس منهم بـدرجات،من الـذين كـانوا فى الأصـل يهودا و آمنوا خوفـا أو طمعـا.و قـد قـال تعـالى وَ مِنَ النّاسِ و مـا قال و من المؤمنين لأن إخراجهم عن جمله المؤمنين أبلغ فى توهينهم و عدم الاهتمام بهم و بشؤونهم،و تأكيدا لنفى الإيمان عنهم رأسا.

٩- يُخادِعُونَ اللّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا ...الخـدع(بالفتـح و الكسـر)الختـل، و هـو أن يظهر للغير خلاـف مـا يخفيـه،و مـا يريـد بـه من المكروه،و أصل معناه الإخفاء.و معنى المخادعه أن يعملوا معهم معامله المخادع من إبطان كفرهم و إظهار الإسلام لديهم.و إنما أضـاف مخـادعه الرسول إليه تعالى لأن مخادعته ترجع إلى مخادعه اللّه كما قال اللّه عزّ و جلّ: إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللّهَ ، و كما قال سبحانه: وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللّهَ رَمى .و المخادعه مع المؤمنين هو إيذاؤهم بخديعتهم وَ ما يَخْدَعُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ أى ما يضرّون بتلك الخديعه أحدا و إنما يرجع و بال ذلك عليهم دنيا و آخره وَ ما يَشْعُرُونَ أى:و ما

****

(١) تنبيه:أخذ سبحانه ابتداء بتوصيف كتابه بآيه،و ثنّى بذكر خلّص المؤمنين بأربع آيات، و ثلّث بأضدادهم المحّضين للكفر سرّا و جهرا بآيتين بعدها،ثم بثلاث عشره آيه نزلت فى المنافقين المذبذبين بين الفريقين كما أشرنا فى أعلاه.

يحسّون.و قد جعل لحوق ضرر انخداعهم كالمحسوس.فهم لفرط غفلتهم كفا قد الحس لا يشعر بألم خدعتهم و ضررها عليهم لأنهم كمن لا شعور له.و الحاصل أن اللّه تعالى يطلع نبيّه على كذبهم و أنهم منافقون فى أصحابه، و هم أكفر الكفره و أخبثهم.

۱۰- فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ...أى شك و نفاق.و وجه تسميه الشك بالمرض أن الشك تردّد بين الأمرين،و المريض مردّد بين الحياه و الممات.أو لأن قلوبهم كانت فى اضطرابها تغلى على النبىّ و الوصىّ حسدا و حنقا،كما أن المريض يكون دائما عرضه للاضطراب و التزلزل و الخوف من الموت،و رجاء العافيه و الصحه و السلامه..و الجمله تقرير لعدم شعورهم،أو مستأنفه لذكر سببه و كون قلوبهم مريضه،تاره تحمل على الحقيقه،و أخرى على المجاز.أما الأولى فلأن قلوبهم كانت متألّمه و متأثره،و هى فى قلق و انزعاج حنقا على النبىّ و المؤمنين، و هذا أشد الأمراض و أصعب الآلام،بحيث ربما يموت الإنسان منه.و أما الثانيه فبناء على أن المراد بالمرض هو الكفر أو الغلّ أو حب العصيان و التمرّد،مما هو آفه شبيهه بالمرض،فإطلاق المرض عليها مجاز أو كنايه عن الرعب الذى سلّطه اللّه تعالى عليهم حين رأوا شوكه المسلمين و قوّتهم فقذف فى قلوبهم الرعب...و يحتمل أن تكون هذه الجمله فى مقام إنشاء الدعاء عليهم تنبيها للناس على أن الدعاء على المنحرفين عن طريق الشريعه الإسلاميه الحقه لازم.

و يمكن أن تكون إخبارا بأن القلوب المريضه-بطبعها-يزداد المرض فيها لضعفها و لكونها مستعده له كالأمزجه الضعيفه إذا ابتلت بالمرض.فلما لم يكن فيها استعداد لمقاومه المرض ينمو فيها المرض و يصير مزمنا ثم يؤدى إلى الموت.

فَزادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً بحيث تاهت قلوبهم و كادت أن تذوب فى الدنيا،و فى الآخره لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ أى مؤلم موجع غايه الإيلام بِما كانُوا يَكْذِبُونَ

بمقالتهم آمنا.و لفظ(کان)للاستمرار.و یستفاد من الآیه حرمه الکذب و أنه من الکبائر العظام التی وعد اللّه علیها النار (۱).و غیر حمزه و عاصم من القرّاء قرءوها بالتشدید أی لتکذیبهم الرسول(ص)بقلوبهم دائما،و فی جمیع أخباره و مقالاته.

۱۱- وَ إِذا قِیلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ :بإظهار الشّقاق و النفاق بین المسلمین لتشویشهم فی دینهم،و إضلالهم فی مذهبهم،و إثاره الفتن و الحروب بین المستضعفین بخداعهم،فإن ذلک یؤدی إلی الفساد فی الأرض.و القائل هو اللّه تعالی أو الرسول. قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ أی لیس شأننا إلاّ الإصلاح.و قد حصروا أمرهم فی الإصلاح لتصوّرهم الفساد إصلاحا،بل أرادوا أن یصوّروه إصلاحا لمرض قلوبهم.

۱۲- أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ..ردّ لدعواهم الکاذبه.و قد بالغ فی الرّد بألا المتبّهه علی تحقیق ما بعدها،و أن الذی وضع التأکید مدخوله،و توسیط الفصل بتکریر الضمیر و الاستدراک وَ لکِنْ لا یَشْعُرُونَ بکونهم مفسدین مع غایه ظهور فسادهم الذی هو کالشیء المحسوس،و لکنّ حبّ الشیء یعمی و یصم.

۱۳- وَ إِذا قِیلَ لَهُمْ:آمِنُوا ..و قد نصحوا بأمرین مکمّلان لإیمان العبد،الأول:ترک الرذائل فی قوله سبحانه:و لا تفسدوا.و الثانی:اکتساب الفضائل بقوله تعالی آمِنُوا کَما آمَنَ النّاسُ و لفظه(ما)مصدریّه،و جمله المشبّه به فی محل نصب علی المصدریه(آمنوا إیمان الناس)و لام الناس للعهد، یراد به النبیّ(ص)و من آمن من أصحابه الخلّص،کسلمان و أبی ذر و عمار و المقداد

****

(۱) أجیز الکذب فی الشرع الإسلامی فی ثلاثه موارد،الأول:فی الحرب،کما قیل: الحرب خدعه.و الثانی:فی مقام الإصلاح بین نفرین أو أزید ممن یکون بینهم نزاع و کراهه.و الثالث:بین الزوج و الزوجه لجذب کلّ واحد قلب الآخر و للتألیف بینهما.

رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين(قالوا)فى الجواب أو فيما بينهم: أَ نُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ .استفهام إنكارى.و لام السفهاء للعهد.و المعهود هم الناس الذين آمنوا مع الرسول(ص)المذلّون أنفسهم لمحمد(ص).و إنّما سفّهوهم لاعتمادهم سوء رأيهم فى إيمانهم بمحمد و بما جاء به،أو تحقيرا لهم لفقر أكثرهم و لكون بعضهم موالى.و كان أذل الناس عندهم فى ذلك العصر الموالى.

بحيث يعاملون معهم معامله الأنعام.و السفه هو ضعف الرأى و الخفّه فى العقل. أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ وَ لكِنْ لا يَعْلَمُونَ أنهم سفهاء،أى أخفّاء العقول أراذل،إذ عرفوا بالنفاق بين الطائفتين.و هذا ردّ بليغ عليهم لتجهيلهم بجهلهم الراسخ فيهم.و قد فصّلت جهالتهم الشديده بقوله سبحانه(لا يعلمون)أى يجهلون سفاهتهم.و من نفى عنهم العلم و الشعور فأولئك كالأنعام،بل هم أضلّ.

۱۴- وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ...هذا البيان تثبيت لكونهم منافقين،لأن صاحب اللسانين هو الذى يقال له المنافق،و حاصل صدر قصّتهم بيان لمذهبهم،و هذه بيان لصنعهم مع المؤمنين و الكفّار،أى إذا رأوا المؤمنين قالُوا آمَنّا بما آمنتم به وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ أى إخوانهم من المنافقين الذين يكذّبون الرسول مثلهم قالُوا إِنّا مَعَكُمْ،إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ بمحمد و أتباعه.و قولهم:إنما نحن...تأكيد لقولهم:إنّا معكم.و معنى:إذا خلوا، أى إذا انفردوا بالذين هم كالشياطين فى التمرّد و العتوّ-و هم رؤوس الكفر و الضلال-أى قسسهم و رهبانهم.قال الضحّاك:كان فى عصر الجاهليه،لكل قبيله من قبائل العرب،من يدّعى أنه يعلم الغيب:فكعب بن أشرف كان فى بنى قريظه،و أبو برده كان فى نبى أسلم،و عبد الدار كان فى جهينه،و عوف بن عامر كان فى بنى أسد.و السبب فى أنهم كانوا معروفين فى قبائلهم و مسمّين بالشياطين أن الأعراب كانوا يعتقدون أن الذى يخبر عن الغيب يكون معه قرين من الشيطان

یعلّمه طریق تداوی المرضی و معالجاتهم،و یعرّفه مکان الضالّه و السارق و نحو ذلک من الأمور الخفیه و الأسرار المجهوله.فلذلک یطلق علی رهبانهم و قسّیسیهم و کهنتهم لفظ الشیاطین مجازا بعلاقه القرینه،و اللّه تعالی أنزل کتابه بلسان أهل عصر نبیّه صلوات اللّه علیه و آله،لإتمام الحجه علیهم.فقال تعالی: وَ إِذا خَلَوْا إِلی شَیاطِینِهِمْ ...أی قرناء الشیاطین.

۱۵- اَللّهُ یَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ...أی یعاملهم معامله المستهزئ،أو یجازیهم علی استهزائهم.و قد سمّی جزاءه باسمه کجزاء سیئه سیئه.و یمکن أن تکون مجازاتهم علی استهزائهم أنهم لمّا کانوا مظهرین للإسلام الظاهر،فالناس کانوا موظّفین أن یعاملوهم معامله المسلمین بحسب الظاهر.لکنهم کانوا محرومین من المزایا المعنویه الإسلامیه کالإیمان و الرحمه و طیبه القلب و صدق النیّه و الکرم و الشرف و نحو ذلک مما یمتاز به الإنسان المسلم الواقعیّ عن غیره. وَ یَمُدُّهُمْ فِی طُغْیانِهِمْ یَعْمَهُونَ من مدّ الجیش و أمدّه أی زاده لا من المد فی العمر فالمعنی أنه یزید فی فسخ المجال لطغیانهم،لإصرارهم و ازدیاد عتوّهم،و نفاقهم من أجل شق عصا المسلمین و تفرقتهم و تفریقهم فهم(یعمهون)یتحیّرون و یتردّدون، و العمه هو التحیّر فی البصیره کالعمی فی البصر.و إسناد ذلک إلیه تعالی إسناد الفعل إلی المسبّب،حیث إنه منعهم ألطافه لإصرارهم علی الکفر و العمه فازدادت قلوبهم رینا،ففعل اللّه مصدره فعلهم،و هو یتولّد منه.

۱۶- أُولئِکَ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الضَّلالَهَ ...أی استبدلوا الهدایه بالضلاله.یعنی باعوا دین اللّه و اعتاضوا به الکفر باللّه.و الاشتراء إعطاء بدل و أخذ آخر،و هو الاشتراء حقیقه.و فی المقام هو ترک الهدایه التی جعلت لهم بالفطره التی فطر الناس علیها،و أخذ الضلاله.فالشراء هنا لم یکن مبادله،أی أخذا و عطاء، بل هو ترک و أخذ فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ ترشیح مجاز لما ذکر.فإن الاشتراء أتبعه ما یشاکله تصویرا لما فاتهم بصوره خساره التجاره.و التجاره طلب الربح

بـالبيع و الشـراء،و الربـح الفضـل على رأس المـال،و أسـند إلى التجـاره لتلبّسـها بالفاعل.فهؤلاـء المنـافقون،الـذين هم أخبث من الكافرين الممحّضـين بالكفر بدرجات،استبدلوا الهدايه بالضلاله،و الطاعه بالمعصيه،و الاتحاد بالاختلاف،و السنّه بالبدعه و الربح بالخساره!..فأيّه جهاله أسوأ من هذا؟..أعاذنا اللّه من ذلك،لأن الاستبدال هو استبدال الجنّه بالنار،و لا يفعل ذلك إلا رأس شجره النّفـاق الـذى يقول،النّار و لا العار. وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ لطرق الحق و الصواب،أى للتجاره التى فيها الربـح الوافر،بل أضاعوا رأس مالهم باشترائهم الضلاله بالهدى فلا ربح لمن ضيّع رأس المال.

سوره البقره (٢): الآيات ١٧ الى ٢٠

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ اَلَّذِى اِسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اَللّهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فِى ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ اَلسَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِى آذانِهِمْ مِنَ اَلصَّواعِقِ حَذَرَ اَلْمَوْتِ وَ اَللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ (١٩) يَكادُ اَلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَ إِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا وَ لَوْ شاءَ اَللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ إِنَّ اَللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

ص: ۴۲

۱۷- مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِی اسْتَوْقَدَ ناراً :أخذ سبحانه فی بیان صفتهم العجیبه بأوضح بیان.أی بضرب مثلهم و تشبیه حالهم بحال من هو أوضح حالا منهم.

فإنّ ضرب المثل و التشبیه أوقع فی النّفس و أقمع للخصم اللّجوج،فإنّه ألدّ الخصام لأنه یجعل المتخیّل کالمحقّق و المعقول کالمحسوس.و المثل فی الأصل النظیر،ثم أطلق علی القول السائر.و لا یضرب إلاّ لما فیه غرابه،ثم أستعیر لکل قصه أو صفه لها شأن،نحو:مثل الجنّه التی وعد المتّقون..و معنی الآیه الشریفه:

حالتهم العجیبه کحال من استوقد نارا أی طلب إشعال النار لارتفاع لهبها و سطوع نورها،لیبصر بها ما حوله فَلَمّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ أی انتشر نورها حول مستوقدها لیستضیء مع وهطه ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ أطفا نارهم فذهب النور و وقعوا فی الظّلمه.و الإطفاء یکون بسبب ریح،أو إنزال مطر،أو وضع شیء علیها،أو نفاد مادّتها.

و توضیح التشبیه أن المنافقین بظاهر إیمانهم رأوا الحقّ و شارکوا المؤمنین فی أحکام الإسلام.فلما أضاء نور الإیمان الظاهر ما حولهم،و أبصروا فوائد الإسلام من حقن الدم و سلامه المال و العرض و حفظ النوامیس،ظلوا علی عنادهم و عاشوا فی ظلمه ضلالهم،ثم أماتهم اللّه فصاروا فی ظلمات عذاب الآخره لا یجدون منها مفرّا و لا مناصا وَ تَرَکَهُمْ فِی ظُلُماتٍ لا یُبْصِرُونَ لا یرون بعیونهم.و

عن الرضا علیه السلام: إن اللّه لا یوصف بالتّرک کما یوصف خلقه، و لکنه متی علم أنهم لا یرجعون عن الکفر و الضلال،منعهم المعاونه و اللّطف، و خلیّ بینهم و بین اختیارهم. و هذا معنی ترکه تعالی لهم.و قوله سبحانه:لا

یبصرون،لعله إشاره الى أن هؤلاء المنافقین أسوأ حالا من البهائم و الحشرات و لأن بعضها یبصر فی ظلمات اللّیل،فابتلاؤهم بظلمه النّفاق فی الدنیا أعمی أبصارهم فی الدنیا و الآخره.

۱۸- صُمٌّ بُکْمٌ عُمْیٌ فَهُمْ لا یَرْجِعُونَ :صمّ طرش عن سماع الحق، بکم:عییّون عن النّطق به،عمی:مکفوفو البصر عن رؤیته.و قد حمل الأصحاب الآیه علی الآخره.و الحال أنه خلاف الظاهر،لأن قوله تعالی: فَهُمْ لا یَرْجِعُونَ ،فی مقام الذّم إذ یدلّ علی أنّهم مکلّفون بالرجوع عن الضلاله إلی الهدی،و حیث لم یرجعوا ذمّهم اللّه.فالآخره لیست بدار تکلیف،و لا یناسبهم فیها الذّم بعدم الرجوع.فالآیه تصف حالهم فی الدنیا ظاهرا،و اللّه تعالی أعلم بما قال.نعم لما کانوا فی الدنیا هکذا فسیحشرون علی تلک الأوصاف یوم القیامه.قال سبحانه: وَ نَحْشُرُهُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ عَلی وُجُوهِهِمْ عُمْیاً وَ بُکْماً وَ صُمًّا..

۱۹- أَوْ کَصَیِّبٍ مِنَ السَّماءِ (۱)...عطف علی اَلَّذِی اسْتَوْقَدَ .أی کمثل ذوی صیّب،لقوله: یَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ .و(أو)للإجابه.و المعنی أن قصه المنافقین مشبهه لکلّ من هاتین القصتین.فلک التمثیل بهما أو بواحده منهما.

و الصیّب المطر الذی یصوب أی ینزل بشده،و یقال:السحاب مطلقا، و کلاهما محتملان هنا.و التنکیر للتهویل،لأن المراد به هنا نوع خاص من المطر

****

(۱) ذکر بعض أرباب التفاسیر فی کتبهم بشأن نزول هذه الآیه الشریفه،ما نقله عبد اللّه بن مسعود من أنّ نفرین منافقین خرجا من المدینه فی عصر النبیّ صلوات اللّه علیه فرارا، فابتلیا لیلا فی البادیه بالمطر الشدید و الرعد و البرق المتوالی الکثیر.بحیث کادا أن یموتا من أهوال الظلمات و أصوات الرعد الهائله،و خوف الصواعق المحرقه.فکانا یجعلان أصابعها فی آذانهما.فلما لمع البرق مشیا،و لما خمد ابتلیا بالظلمه فوقفا متحیرین و لم یدریا ما یفعلان.فقال أحدهما:یا لیت نخلص هذه اللیله فنرجع إلی المدینه و نتشرف بخدمه النبیّ و نتوب.فلما أصبح الصباح جاء إلی خدمه الرسول(ص)و أسلما إسلاما حقیقیّا و صارا من المؤمنین.و قد شبه المنافقون بهذین النفرین فی أول حالتهما.

الهائل.و لام السماء للجنس،لتطبيقها على جميع آفاقها لا على أفق واحد، و السماء يراد بها العلاء.و وجه الشّبه هو أن ما خوطبوا به من الحق و الهدى كمثل مطر،و كما أن الأرض تحيا بالمطر،فإن القلوب تحيا بالحق و الهدى.فالتشبيه كان بلحاظ الحياه التى فيهما.

(فِيهِ ظُلُماتٌ)أى فى الصيّب الذى أريد به المطر.و الظّلمات:ظلمه تكاثفه،و ظلمه غمامه،و ظلمه الليل.و إذا أريد به السحاب فالظّلمات:

سحمته (١)،و تطبيقه مع ظلمه الليل(وَ رَعْدٌ)أى الصوت الذى يسمع حين يتولّد من احتكاك و تماسّ الذرات المؤلّف منها السحاب بعضها مع بعض حين تحرّكها بسرعه،و هو مثل للتخويف و الوعيد(وَ بَرْقٌ)و هو ما يلمع منه، و يتولّد من كهربه الاحتكاك.و هو من الآيات الباهره الداله على قدرته القاهره المتضمّنه تبصير العباد. يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ الصاعقه نار تنزل من السماء عند قصف الرعد الشديد و ومض البرق الخاطف.و الجمله استئناف،فكأنه قيل:ما حالهم مع هذا الرعد و البرق؟..فأجيب به..

و الضمائر لذوى الصيّب.و اختيار الأصابع على الأنامل مع مناسبه الأنامل،هو للمبالغه(حَذَرَ الْمَوْتِ)أى خوف الموت لئلا تنخلع أفئدتهم،و خشيه أن ينزل عليهم البرق بالصاعقه فيموتوا.و قد كان المنافقون يخافون أن يعلن النبىّ (ص)عن نفاقهم و كفرهم-و هو أعلم بهم من أنفسهم-و يخشون أن يقتلهم و يستأصلهم.فحينما كانوا يسمعون منه لعنا أو وعيدا لمن خالف الإيمان أو نكث البيعه كانوا كأنّهم يجعلون أصابعهم فى آذانهم لئلا يسمعوا فيشاهد تغيّر حالهم أو تغيير ألوانهم فيعرف المؤمنون أنهم المعنيّون بذلك.و قوله:حذر الموت:

مفعول له.و الموت هو زوال الحياه أو عرض يضادّها.و للصاعقه صفتان

****

(١) السحمه:السواد،و السحاب المتراكم يظهر كذلك نوعا.

کلتاهما متضادّتان مع الحیاه.إحداهما شده الصوت المزعج التی إن لم تهلک بعض الأمزجه فإنها تخیفها و ترعبها،و الثانیه الإحراق.و صعقته الصاعقه:

أهلکته بشده الصوت أو الإحراق. وَ اللّٰهُ مُحِیطٌ بِالْکافِرِینَ مطوّق لهم لا یفوتهم لأنه غالب،و مقتدر علیهم.فإن المحاط لا یفوت المحیط.و الجمله اعتراضیه للترهیب...

۲۰- یَکٰادُ الْبَرْقُ یَخْطَفُ أَبْصٰارَهُمْ :کأنه قیل:فما حالهم مع هذا البرق الخاطف؟.فأجیب بما فی الآیه الکریمه.و قد وضعت لفظه(یکاد) لمقاربه الخبر من الوجود.و المعنی:قریب بأن یختلس البرق أبصارهم،أی یذهب بها سریعا!.فاللّه سبحانه شبّه المنافقین بقوم ابتلوا ببرق فنظروا إلیه و لم یغضّوا عنه أبصارهم لتسلم من ومیضه و لا نظروا إلی الطریق الذی أرادوا أن یتخلّصوا من و عورته بضوء ذلک البرق.و المنافقون یکاد ما فی القرآن من الآیات المحکمه التی یشاهدونها ثم ینکرونها،یکاد أن یبطل علیهم کلّ ما یعرفونه و یعملون به.فإنّ من جحد حقّا أدیّ به جحوده إلی أن یجحد کلّ حق،فصار جاحدا-علی الباطل-سائر الحقوق لأن قلبه یعمی و بصره یعشی کما لو نظر إلی نور الشمس رأد الضحی.

(کُلَّمٰا أَضٰاءَ لَهُمْ)مع الإضاءه جاء بلفظه(کلّما)و مع الإظلام جاء بلفظه(إذا)بسبب حرصهم علی المشی.فکلما صادفوا من البرق فرصه و میض انتهزوها و مشوا،و إذا هبط الظلام وقفوا و تحیّروا.فکلما أضاء أی ظهر لهؤلاء المنافقین البرهان و الحجه علی ما یعتقدون(مَشَوْا فِیهِ)أی فی نوره لمّا رأوا ما فی دنیاهم مما یحبّون ففرحوا بإظهار طاعتهم و بیعتهم له(وَ إِذٰا أَظْلَمَ عَلَیْهِمْ قٰامُوا)وقفوا متحیّرین لا یرون سبیلا یسلکونه إذا رأوا فی دنیاهم ما یکرهون،فیقفون متشائمین ببیعتهم و بمتابعتهم من تابعوه(وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصٰارِهِمْ)یذهب سمعهم بقصف الرعد أو ظهور صوت الدعوه

الکریمه،و یذهب بصرهم بومض البرق و سطوع نور الإسلام.و(لو) حرف شرط تدل علی انتفاء الثانی عند انتفاء الأول و تسمّی الاستدلالیه کما فی هذه الآیه الشریفه.(إِنَّ اللّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ)و الجمله فی موضع العلّه لقوله تعالی: وَ لَوْ شاءَ اللّهُ إلخ..و الشیء ما یصحّ أن یعلم و یخبر عنه و هو یعمّ الواجب،و الممتنع،و الممکن.و خصّصه العقل هنا بالممکن.و القدیر هو القویّ الفعّال لما یشاء علی ما یشاء.و اللّه تعالی لا یعجزه شیء عن شیء.

سوره البقره (۲): الآیات ۲۱ الی ۲۴

یا أَیُّهَا اَلنّاسُ اُعْبُدُوا رَبَّکُمُ اَلَّذِی خَلَقَکُمْ وَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ (۲۱) اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اَلْأَرْضَ فِراشاً وَ اَلسَّماءَ بِناءً وَ أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ اَلثَّمَراتِ رِزْقاً لَکُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْداداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۲۲) وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ اُدْعُوا شُهَداءَکُمْ مِنْ دُونِ اَللّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (۲۳) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا اَلنّارَ اَلَّتِی وَقُودُهَا اَلنّاسُ وَ اَلْحِجارَهُ أُعِدَّتْ لِلْکافِرِینَ (۲۴)

ص: ۴۷

٢١- يـا أَيُّهَـا النّاسُ اعْبُـدُوا رَبَّكَمُ ...إن اللّه تعـالی عـدل عن الغيـاب إلی الخطاب تنشـيطا للسامع.و لفظه(يا)لنـداء البعيـد،و ربما استعمل فی القريب منزّلا منزلته،و إما لعظمته أو للاعتناء بشأن المدعوّ أو لغفلته.و كلمه (أی)وصله إلی نداء المعرّف باللام لتعذّر دخول(يـا)عليه.و قـد أقحمت يـاء التنبيه تأكيـدا و اهتمامـا بمـا خوطب به.و غير خفیّ أن المخاطب هم الموجودون من المكلّفين لقبـح خطـاب المعـدوم،و كل من وجـدوا بعـد ذلک فهم يـدخلون فی الخطاب.و وجه الـدخول فيه للعلم بالمشاركه إلاّ ما خرج بالـدليل عقليّا أو نقليّا.و قيل إن الخطاب يشـملهم بـدليل خارجی آخر.هذا هو المعروف و المشـهور بين الأعلام،و لكن فيه كلام (١)لا يصـدّق بإطلاقه،و الخطاب مختلف فيه بالنسـبه إلی المخاطبين،بالإضافه إلی الكفّار و البالغين المكلّفين جديـدا بإحـداث العباده بشرائطها المتوقفه عليها.و أما بالنسبه إلی المؤمنين فزياده و تثبيت.

اَلَّذِی خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أی الذين خلقهم من قبلكم من الأمم (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)يسـتفاد من الآيه الشريفه أن العباده مقدّمه لتحصـيل التقوی التی هی أعلی مراتب العباده،أو هی ترک المحرّمات و الإتيان بالواجبات.و الحق أن المعنی الثانی لها هو عباره أخری عن المعنی الأول.كما أنه يسـتفاد من قوله (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)أنه ينبغی أن يكون العبـد بين الرّجاء و الخوف لا مغترّا بعمله و فعاله.

٢٢- اَلَّذِی جَعَـلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً :أی مبسوطه تفترشونها تقعـدون عليها و تنامون،كالفراش.و هـذا لا ينافی كرويّه الأرض،فإن حجمها العظيم لا يمنع من وجود السهول و المنبسطات علی ظهرها.(وَ السَّماءَ بِناءً)أی قبه

****

(١) أی كلام المشهور.

مضروبه علیکم(و البناء مصدر سمّی به المبنیّ من بیت أو نحوه)یدیر فیها شمسها و قمرها و سائر کواکبها مع أنظمتها الدقیقه التابعه المختصه لکل واحد منها،و مع المنافع المترتبه علی کل واحد. وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً یعنی ماء المطر فإنه ینزل إلی الأرض من جهه السماء سحابا،أو مما فوق السحاب.

و الحکمه فی جعل نزول الماء من الأعلی هی من أجل وصوله إلی قلل الجبال و تلال الأرض و جمیع أقسامها:عالیها و سافلها.کما أن الحکمه فی عله تفریق المطر إلی أنواع مختلفه،من الضعیف کالطّل،الی الشدید کالوابل و الهیطل-هی من أجل ریّ الأرض و إشباعها،و من أجل مدّها بالماء الذی یجری فتغنی منه الأنهار و العیون و الینابیع و تمتلئ الخزانات الأرضیه الجوفیه.و لو کان المطر کله غزیرا فی مختلف مداراته فان ذلک یفسد الزرع و الثمار و یتلف الأشجار و قد لا تستفید منه الینابیع لأنه یجری سیولا تحدث الانهیارات و تجرف الأتربه و تؤدی إلی الزلازل.

فعن النبی الأکرم(ص)أنه قال: ینزل مع کل قطره ملک یضعها فی موضعها الذی أمره به ربه عزّ و جلّ. فجمیع تلک الأمور تتمّ وفق نظام دقیق خاصّ،جعله اللّه تعالی لمنافع العباد و من ثم لمنافع سائر الموجودات.

فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَکُمْ أی بسببه.بأن جعله سببا فی حیاه الأرض.بما فیها من إنسان و حیوان و نبات،و من غلال و خضار و ثمار-مع قدرته جلّ و علا علی إبداع الأشیاء بتمامها بلا سبب و ماده کما أنشأ نفس الأسباب و المواد،و لکن له،فی إجراء الأسباب لإیجاد الماء تدریجا،حکما و مصالح قد لا تتحقق فی إنشائها دفعه. فَلا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْداداً بعد ما عرفتم أنه تعالی ولیّ نعمکم و خالقکم و منشئ الموجودات بأسرها من العدم الأزلیّ إلی الوجود الأبدیّ،بالإضافه إلی ذوی الأرواح،فلم جعلتم له شرکاء و أندادا؟و النّد:المثل.و الجمله معطوفه علی(اعبدوا..)إی إذا استحق ربکم العباده لما ذکر-و أساسها التوحید-فلا تجعلوا له مثلا و شبیها.و النّد

فعلاـ هو المثل المخالف.فكيف تسمّون أيها المشركون ما تعبدونه أندادا مع زعمكم بأنها تخالفه.فإنكم بتركم لعبادته بعبادتها،و بتسميتكم لها آلهه قد شابهتموه تعالى بها،و لذا سمّيتموها أندادا له.(وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)تعرفون أن هذه الأصنام لا تقدر على شيء،لأنها في واقعها موجودات مثلكم تفتقر إلى الموجد،بل إنكم تشعرون و تعقلون و تمتازون عنها لأنها جمادات،فأنتم أولى بالمعبوديه منها لو كانت المعبوديه جائزه لغير اللّه سبحانه.و الجمله منصوبه على أنها حال من فاعل تجعلوا للّه.

۲۳- وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمّٰا نَزَّلْنٰا عَلىٰ عَبْدِنٰا :عبده،تعالى:هو النبى (ص).و قد تحدّاهم بما نزّله عليه من القرآن الكريم،أولا بقوله: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لاٰ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ. ثم تدرّج و زاد فى توبيخهم بقوله: قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ. ثم عمد إلى استثاره كامن همّتهم و ماضى عزيمهم فقال:فأتوا بسوره من مثله!..و أنّى لهم أن يأتوا بمثل أقصر سوره من القرآن الذى أعجز البلغاء و أخرس الفصحاء!..و لا ينبغى أن ننسى العصر الذى صدر فيه هذا التحدّى،فإنه عصر بلغت فيه الفصاحه و البلاغه غايتيهما يوم علّق أرباب الفصاحه و البلاغه صحفهم و دواوين شعرهم على الكعبه المكرّمه إعلانا لإنتاج أبلغ ما صاغت قرائح البلغاء من العرب،و أوسمه بل مداليات عمليه عالميه بمعلّقاتهم المختاره.فلما بعث نبيّنا صلوات اللّه عليه و آله بكتابه الناطق بالحق المنزل من عند ربه عزّ و جلّ،و كان فى الفصاحه و البلاغه فى مرتبه شامخه فاقت بلاغه العرب و نسخت فصاحتهم بأسرهم-لأنه أنسى من قبله و أتعب من بعده-لمّا كان ذلك نزعت صحفهم المعلّقه على البيت الحرام و رميت إلى خارجه اعترافا من أربابها و رواتها بأنها دون بلاغه القرآن و فصاحته،بل وقف يومها جميع فصحاء العرب مكتوفى الأيدى،ناكسى الرؤوس لا يستطيعون أن يحيروا جوابا على التحدّى و لا

يقـدرون على التقليـد،بـل لم ينبسوا ببنت شـفه.و لـذلك قـال عزّ من قائـل وَ ادْعُوا شُـهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صـادِقِينَ أى استعينوا بكل من بحضرتكم يعاونكم فى الإتيان بسوره مثل سور القرآن،فإنه تعالى-وحده- قادر على أن يأتى بمثل هذا القرآن و بأزيـد منه بمراتب،فهـاتوا مـا عنـدكم إن كنتم صـادقين بـأنه(ص)قـد تقوّله و جـاء به من عنـد نفسه.و قيل إن المراد بالشـهداء أصنامهم التى يعبدونها بالنسبه الى المشركين،و الشياطين بالنسبه إلى اليهود و النصارى،و القرناء الملحدون بالنسبه إلى المسلمين من النّصّاب لآل محمد الطيّبين صلوات اللّه عليه و عليهم أجمعين.

و الحاصل أنه سبحانه،لما أثبت وحدانيته،و علّم الطريق إلى معرفه ذلك،عقّبه بما هو الحجه على نبوّه محمّد(ص)و هو القرآن،و جعله معجزا لرسالته،و أنه من عند اللّه،و علّمه طريق إثباته على البشر بأسرهم بأن تحدّى به الناس بأجمعهم،فكأنه(ص)قال لهم:لو كـان من عنـدى و من تقوّلا ـتى على مـا زعمتم فلا ـ أقـول:ائتونى بسوره من مثله و هو بلسـانكم و لغتكم و أنتم أهـل الفصـاحه و البلاغه،مما أخر سهم و جعل قلوبهم فى أكنّه.

۲۴- فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا،وَ لَنْ تَفْعَلُوا ...إن لم تعملوا الذى تحدّيتكم به(و لن تفعلوا)لعجزكم،فلن تقدروا على معارضته و أنتم عاجزون حقّا،و أنا أعرف بكتابى و أدرى بمعجزى و ما نزل فى بيتى،فيجب التصديق به لمن كان يعقل.

أمـا و قـد عجزتم،و لم تمتثلوا لمـا جاء من عنـدى فَاتَّقُوا النّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَهُ جنّبوا أنفسكم النار التى تسـتحقونها بمخـالفتكم و إصـراركم بعـد أن تمّت عليكم الحجه،و احترزوا منها.فإنها نار أجّجها اللّه تعالى للعصاه من خلقه،و(أعـدّها)جعلها حاضره للكافرين،و جعل وقودها- حطبها-الناس و الحجاره!..

و الآيه الكريمه فى مقام الوعيد و التهويل للعباد.و قيل إن الحجاره هى

من نوع حجر الكبريت الأشد حراره من سائر الأجسام.و قيل أيضا هى الأصنام التى نحتوها من الأحجار كما فى قوله سبحانه: إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ .و

القمّى عن الصادق عليه السلام قال: إنّ ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنّم.و قد أطفئت سبعين مره بالماء ثم التهبت.و لو لا ذلك ما استطاع آدمىّ أن يطفئها.و إنها ليؤتى بها يوم القيامه حتى توضع على النّار فتصرخ صرخه لا يبقى ملك مقرّب و لا نبىّ مرسل إلاّ جثا على ركبتيه فزعا من صرختها. هذه النّار الشديده(أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ)أى خلقت و هيّئت لهم.

و قد دلّت الآيه بظاهرها على نار مخلوقه لا أنها تخلق فيما بعد.إلاّ أن يقال إن التعبير بالماضى عن الأمر الذى سيوجد،كنايه عن كونه يوجد محقّقا كقوله:

وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ ،أى ينفخ فيه مسلّما.و حينئذ فلا تدل على أنها مخلوقه و موجوده الآن قبل يوم القيامه.

سوره البقره (٢): الآيات ٢۵ الى ٢٧

وَ بَشِّرِ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ كُلَّما رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرَهٍ رِزْقاً قالُوا هذَا اَلَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً وَ لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَهٌ وَ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٢۵) إِنَّ اَللّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَهً فَما فَوْقَها فَأَمَّا اَلَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ أَمَّا اَلَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ما ذا أَرادَ اَللّهُ بِهذا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ اَلْفاسِقِينَ (٢۶) اَلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اَللّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اَللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي اَلْأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ اَلْخاسِرُونَ (٢٧)

۲۵- وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ ...عطف وصف ثواب المصدّقين على وصف عقاب المكذّبين كما هو شأنه تعالى من ذكر الترغيب مع الترهيب تنشيطا لاكتساب ما يزلف،و تثبيطا عن اقتراف ما يتلف.قال تعالى بشّر المصدقين أَنَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ و الجمله بيان للمبشّر به،رتّبت فيها البشاره على الإيمان و العمل إيذانا بأن السبب فى الاستحقاق مجموع الأمرين. كُلَّما رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرَهٍ رِزْقاً أى كلّما منّ اللّه تعالى بثمره يجتنونها،أو يأتيهم بها الغلمان أو الملائكه،فأكلوها قالُوا هذَا الَّذِی رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ فى دار الدنيا.لأن اللّه تعالى جعل ثمر الجنّه من جنس ثمر الدنيا لإشباع الطبائع التى تميل الى ما تألف،فأسماء أثمار الجنّه كأسمائها فى الدنيا و إن كانت فى غايه اللطافه و لذّه الطعم إلى جانب أنها لا تترتّب عليها لوازمها الدنيويه من الأحداث و الفضلات و الخبائث و العوارض الأخر كالأخلاط الأربعه ليظهر فضلها و ميزتها على ما فى الدنيا (١).

و جمله(كلّما رزقوا..)صفه أخرى للجنّات.و كلّما:منصوب ظرفا.و رزقا:ثانى مفعولى رزقوا.و(من ثمره)بيان أو بدل من الظرف أى (منها).و(جنّات)جمع جنّه،و هى الحديقه الكثيره الأشجار.و جريان

****

(١) ورد فى تعليلها أقوال،ليس فى إيرادها و التعرّض لها من فائده تذكر.

الماء يكون تحت أشجار الجنه و مساكنها،و

روى أن أنهار الجنه تجرى من غير أخدود فى الأرض. و النهر مجرى الماء الكبير الواسع،و هو فوق الجدول و دون البحر،كدجله و الفرات و النيل و غيرها.و إسناد الجرى إلى النهر من باب المجاز فى الإسناد لأن الجرى صفه الماء.فالمراد بقوله تعالى: تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ یعنی مياه الأنهار.و يمكن أن يكون الإسناد من باب الإضمار فيكون حقيقه.

وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً ...أى جيئوا بالثّمر يشبه بعضه بعضا فى الاسم الناشئ عن المشابهه فى النوع و اللون،و لكنه مخالف فى الطعم اللّذيذ و الرائحه الزكيه.قال ابن عباس:ليس فى الجنه من أطعمه الدنيا إلّا الاسم.

فمناط التشابه فى الاسم و الصوره-إذا-لا أكثر. وَ لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ منظّفه أبدان الأزواج من الحيض و الأقذار و الأدناس الظاهريه و المعنويه.

و نقيه أخلاقهن من السوء كالحسد و النفاق و شكاسه الطبع و غيرها من الصفات المكروهه.و لم يقل طاهره،بل استعمل لفظه أبلغ إذ جعلها مطهّره بالطّبع قد برأها اللّه تعالى كذلك.و الزوج يقال للذكر و الأنثى وَ هُمْ فِيها خالِدُونَ دائمون.و الخلود هو الثبات الدائم.و بهذا الوعد تتمّ النعمه على المؤمنين و يزول من نفوسهم خوف نقصانها أو احتمال زوالها.

۲۶- إِنَّ اللّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ...نزلت ردّا على الكفره و المنافقين الذين قالوا:أما يستحى ربّ محمّد أن يضرب مثلا بالذّباب و العنكبوت؟..فنزل قوله تعالى: إِنَّ اللّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما ، لتوضيح الحق لعباده المؤمنين.و فى التمثل فوائد كثيره ككشف المعنى، و زياده الإيضاح،و إزاله الوهم،و ترسيخ الحقيقه،و لذا كثرت الأمثال فى الكتب السماويه كلّها،و فى كلام الحكماء و البلغاء.

و لفظه(ما)إبهاميه (۱)لأن النكره تزيد إبهاما كقولك:أعتق عبدا ما.

أی أیّ عبد کان.و حاصل معنی الآیه الشریفه أن اللّه لا یستحیی:یترک حیاء و خجلا،من ضرب المثل بالبعوضه مع حقارتها.و بما فوقها کالذّباب و العنکبوت مع هوانهما و ضعفهما،لفوائد هامّه یدرکها الراسخون فی العلم و یعطونها من هم دونهم لیبثّوها فی أقرانهم.فلا عجب إذا لم تستطع أذهاننا جلاء الحقیقه المتوخّاه بداهه.و

قد قال الامام الصادق علیه السلام: إنما ضرب اللّه المثل بالبعوضه،لأنها علی صغر حجمها خلق اللّه فیها جمیع ما خلق فی الفیل مع کبره و زیاده عضوین آخرین (۲)،لینبّه بذلک المؤمنین إلی لطیف خلقه و عجیب صنعه!.. فهذا المخلوق العجیب،مع صغر حجمه، یدلّ علی خالق تظهر قدرته فی هذا الجرم الصغیر،و یکشف عن توحیده و عظمته و منع الاختلاف فیه.

فَأَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا فَیَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ أما:حرف تفصیل فیه معنی الشرط و تأکید لمدخوله.و القول یعنی أنه مهما یکن من شیء فإنّ المؤمنین یعلمون أنه الحقّ البتّه.ففی تصدیر الجملتین مدح بلیغ للمؤمنین و اعتداد بعلمهم،و ذمّ شنیع للکافرین علی حمقهم.و الضمیر فی(أنّه)عائد للمثل أو نضربه.و الحق:هو الأمر الثابت الذی لا یجوز إنکاره. وَ أَمَّا الَّذِینَ کَفَرُوا فَیَقُولُونَ ما ذا أَرادَ اللّهُ بِهذا مَثَلاً یقولون:أیّ شیء أراد و قصد بهذا المثل.

یریدون بذلک هتک کتاب اللّه و الاستهزاء به و برسوله(ص).و فی قولهم (بهذا)تظهر شائبه الاستحقار بوضوح.و مثلا تمییز. یُضِلُّ بِهِ کَثِیراً وَ یَهْدِی بِهِ کَثِیراً الضلاله و الهدایه متفرعتان عن الجملتین المتصدّرتین بأمّا.فإن

****

(۱) أی أنها بنفسها فیها إبهام،تنکیرها یزید فی إبهامها.

(۲) لعل هذین العضوین الزائدین،جناحا البعوضه اللذان تطیر بواسطتها.

العلم بأن الأمثال حقّ،هدايه،و الجهل بأنها فى غير موردها ضلاله.أما كثره المهديّين فباعتبار أنفسهم مع أنهم إذا قيسوا إلى غيرهم قليل.و أما إسناد الإضلال إليه تعالى فينظر إلى السبب:فإنّ الكفره لمّا اعترضوا على ضرب هذه الأمثله حدث سبب الضلاله،فأجابهم اللّه تعالى بقوله وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ الخارجين عن القصد.و الفاسق هنا الخارج عن دين اللّه، و الجانى على نفسه بترك أوامره و الإتيان بنواهيه.و قد عرّف انه سبحانه الفاسقين فى الآيه التاليه إذ قال:

٢٧-اَلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ ...حدّد صفه فسقهم فهم (ينقضون)أى يردّون و يرفضون(عهد اللّه)ما أخذه عليهم من الميثاق له بالربوبيه،و لمحمد(ص)بالنبوّه،و لعلىّ(ع)بالولايه،و لشيعتهما بالكرامه.و قيل:عهد اللّه:الحجه على التوحيد و تصديق الرّسل(ع).

فالعهد هو ما أخذ فى عالم الذّر،و(من بعد ميثاقه)ذاك،لأن الضمير فى الميثاق عائد للعهد.أى بعد إحكام العهد و توثيقه و إبرامه.(وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ)صفه ثانيه للفاسقين الذين(يقطعون)ينكثون الصله بالنبىّ و الوصىّ و المؤمنين،أو الأرحام و القرابات و لا سيما موده ذوى القربى.

(و يفسدون فى الأرض)صفه ثالثه من أوصافهم القبيحه المذمومه.فهم (يفسدون)ينشرون الفساد و يدعون إلى الكفر و الزّندقه،و قطع طريق المسلمين للسرقه و التخويف و القتل و الوعيد،و إلى الوقوف فى وجه ما فيه نظام العالم و صلاحه(أولئك هم الخاسرون)لأنهم فقدوا رأس مالهم:عمرهم و هو أعظم الأشياء عندهم،صرفوه فى كل ما يترتب عليه الضرّر فى الدنيا و الآخره.

و أيّه خساره أعظم من استبدال نقض العهد بالوفاء،و القطع بالوصل،و الفساد بالصلاح،و العقاب بالثواب؟.فهم كمن ضيّع رأس ماله باختياره و كان عاقبه أمره الخسران الذى ألزمه عذاب الأبد و حرمه النعيم السرمد.

سوره البقره (۲): الآيات ۲۸ الى ۲۹

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۲۸) هُوَ اَلَّذِى خَلَقَ لَكُمْ ما فِى اَلْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اِسْتَوى إِلَى اَلسَّماءِ فَسَوّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۲۹)

۲۸- كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ...استفهام إنكارىّ فى مقام تعجّب.و الخطاب لكفّار قريش و اليهود.كيف تكفرون باللّه،تنكرونه، و كنتم أمواتا:أى عناصر و أخلاطا و أغذيه و نطفا فى الأصلاب قبل خلقكم، إلى أن ولج الروح فيكم(فَأَحْياكُمْ)أثناء وجودكم فى أرحام أمهاتكم.

و العطف هنا بالفاء لتعقّبه بالموت بلا فاصل.أما العطف فى باقى الآيه الكريمه فجاء بثمّ للتراخى(ثُمَّ يُمِيتُكُمْ)بعد خروجكم إلى دار الدنيا و عند حلول آجالكم(ثُمَّ يُحْيِيكُمْ)فى القبور عند السؤال أو يوم القيامه(ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تعودون للحشر من القبور إلى الحساب و الثواب أو الجزاء.

۲۹- هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ ما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ...خلق،أى أوجد لكم الأشياء لانتفاعكم فى كل ما تحتاجون إليه فى حياتكم من المطاعم و الملابس و المناكح و المساكن و نحوها.

قال مولانا أمير المؤمنين سلام اللّه عليه: خلق لكم،لتعتبروا به،و تتوصّلوا إلى رضوانه،و تتوقّوا من عذاب نيرانه. فقد أشار عليه السلام إلى أنه خلق جميع ما فى الأرض لأجلكم، و لكن لا لمجرّد انتفاعكم به فى دار الدنيا،بل لتستفيدوا منه أيضا فى إصلاح

أموركم الأخرويّه،و لتكونوا بواسطته على بصيره من دينكم،فتعملون لما فيه الرّضوان،و تتركون ما يؤدى إلى عذاب النيران.

(ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ)أى وجّه قدرته و إرادته لخلقها بعد خلق الأرض و بثّ ما فيها(فَسَوّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ)أى جعلهن مستويات طبق النظام الأحسن و الأصلح.و هذه الجمله مفسّره لقوله تعالى:ثم استوى..أو بدل منه (١).

وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ عارف خبير،لأن خلق هذه المذكورات على النهج المتقن الأكمل لا يمكن إلا من العالم بكنه الأشياء و حقيقتها.

سوره البقره (٢): الآيات ٣٠ الى ٣٩

وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَهِ إِنِّي جاعِلٌ فِي اَلْأَرْضِ خَلِيفَهً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ اَلدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَ عَلَّمَ آدَمَ اَلْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى اَلْمَلائِكَهِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٣١) قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ اَلْعَلِيمُ اَلْحَكِيمُ (٣٢) قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَهِ اُسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبى وَ اِسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ اَلْكافِرِينَ (٣٤) وَ قُلْنا يا آدَمُ اُسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ اَلْجَنَّهَ وَ كُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هذِهِ اَلشَّجَرَهَ فَتَكُونا مِنَ اَلظّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا اَلشَّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمّا كانا فِيهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي اَلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ اَلتَّوّابُ اَلرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً فَإِمّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ اَلنّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٣٩)

****

(١) القول بالتّسع ممنوع لكفايه السّبع فى نظام الأحسن لصريح الآيه.و لو كان لازما بأن كان له دخل فيه لخلق،و من عدمه نستكشف العدم.و على فرض الدخل و ثبوته فبضمّ العرش و الكرسى الى السماوات السبع.

۳۰- وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ ...إنه تعالی لمّا ذکر نعمه خلق الأرض و السماوات و بنی آدم بکیفیه مذکوره،و خلق ما ینتفعون به فی الدارین،أخذ بالتّنبیه إلی نعمه أخری علیهم،و هی نعمه خلق أبیهم آدم علیه السلام و إکرامه و تفضیله علی الملائکه.فلبنی آدم الفخر بأن خلق عزّ و جل هذا الأب بید قدرته بالمباشره و لم یخلق غیره هکذا لا قبله و لا بعده فیما نعلم.فهذه خصوصیه له لا لغیره حتی من الأنبیاء(ع)و من دونهم من الأولین و الآخرین.

الملائک:جمع ملأک،کالشمائل و الشّمأل.و التأنیث للجمع.قال جمع کثیر من أهل الإسلام إنهم أجسام لطیفه قادره علی التشکّل بأشکال مختلفه.

و قال البعض إنهم مجرّدون مخالفون للنفوس الناطقه فى الحقيقه.و عند بعض النصارى أنهم النفوس الفاضله البشريه المفارقه للأبدان.

و قيل إن الملائكه الذين كانوا طرفا عند قصه خلق آدم و الأمر بالسجود له، و حصل معهم الحوار،هم خلق بعثوا مع إبليس لمحاربه الجنّ الذين أسكنوا الأرض-قبل آدم(ع)و بنيه-فأفسدوا،فأجلوهم و سكنوها بعدهم.هؤلاء قال تعالى لهم إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً و هو من يخلف غيره،و المراد هنا آدم(ع)فإنه خليفه اللّه فى أرضه،أخبرهم بذلك إظهارا لفضل المخلوق البديع،أو لتعليم المشاوره فى الأمور كما علّم نبيّه(ص)بقوله: وَ شاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ أى كما فعل الجنّ من قبل إذ نشروا الفتن و أراقوا الدماء!.و قد قالوا ذلك سؤالا لا اعتراضا عليه سبحانه،و فى هذا دليل أن خطاب اللّه جلّت قدرته كان موجّها إلى من سكن الأرض فى ذلك اليوم من الملائكه و إبليس بعد أن طردوا الجنّ و خلفوهم فيها، و لذا قالوا وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ أى نفعل ما تريد من آدم من التسبيح و التحميد و التقديس،أى التنزيه و التطهير عما لا يليق بجنابه تعالى و يكرهه. قالَ إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ أعرف ما لا تدركونه من الغايه.

و إرادتى من خلق آدم هى غير ما تبادر إلى أذهانكم و خطر ببالكم.

فالملائكه لمّا كان شغلهم التسبيح و التقديس،راحوا يقيسون على أنفسهم،و ظنّوا أن المقصود من إيجاد كلّ مخلوق هو التسبيح و التحميد، و القياس إلى النّفس طبيعى عند كل ذى حياه.و لذلك أفهمهم اللّه تعالى أن وراء خلق آدم أسرارا لا يعرفونها و أنه ليس محتاجا إلى من يسبّحه و يزيد فى عظمته و جلاله.

۳۱-۳۲- وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ ...أى أظهرها ثم طلب منهم بلين و رفق قائلا أَنْبِئُونِى بِأَسْماءِ هؤُلاءِ أى أخبرونى

بأسماء هذه الأشباح التى ستتكوّن من آدم-و بعده-حال كونهم محدقين بعرشى،و هم الذين خلقت الكون لأجلهم،و خلقتهم لأجلى إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى دعواكم بأنكم أولى بالخلافه فى الأرض من آدم؟ قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ إذا أحسّوا بأنه تعالى كره جوابهم الذى جاء على مقتضى خلقهم و أنهم لا يعرفون إلاّ ما علّمهم بعد خلقهم.فحصروا العلم بذاته القدسيه،و اعترفوا بحكمته التى لا يدركونها، و أكّدوا ذلك بصيغه المبالغه،و تأدّبوا فى إظهار جهلهم أمام(العليم)العارف (الحكيم)المتقن فى أفعاله المصيب فى أقواله.

٣٣- قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ ...أى أخبرهم بالأسماء،و عرّفهم المسمّيات فى مقاماتها الراقيه و منازلها الساميه،فكيف لا يعرفون تلك المسمّيات و هى فى أعلى الدرجات من الكائنات؟و كيف لا يعرف الناس إذا رأوا الملك و حاشيته،أنّ من يحدق بالملك يمينا و يسارا هم إجمالا من أعيان المملكه و رجال الدوله و أقرب الناس إلى الملك؟.إنهم بعد تحصيل هذا العلم الإجمالى يحبّون أن يعرفوا أسماءهم ليميّزوهم تفصيلا فيسألون من يعرفهم فيقال مثلا:هذا الذى عن يمينه هو خليفته،و الذى عن يساره رئيس وزرائه،و الذى يليه وزير بلاطه و هكذا..فمعرفه الأسماء هى المقدّمه فى مثل هذه الحال و هى العمده،أمّا المسمّيات فتعرف بالقرائن.و ما نحن فيه من هذا القبيل.و الضمائر فى الآيه الكريمه معهوده و معروفه عند الملائكه،و لو لا ذلك لكان تعليم أسماء المسمّيات المجهوله غير ذى فائده،حتى مع الوعد بتعريفها فيما بعد.و ليس المقام من هذا الباب.و أما التأويل بالمسمّيات و القول بالمجاز فى الإسناد فتأويل بلا طائل،و القول بالحقيقه أولى مهما أمكن.

و غيره-فيما نحن فيه-على ما بيّناه لا يجوز.

و قد قال بعض أعاظم المفسّرين إن المراد بتعليم الأسماء هو تعليم

المسمّيات،معلّلا بأن تعليم الأسماء مرجعه إلى تعليم اللغه،و هو لا يصلح لأن يتفاخر به على الملائكه.و هذا مما لا ينبغى أن يصدّق.مضافا إلى أن إطلاق قوله محلّ تأمّل لأن الأسماء على قسمين:

٨-قسم منها له آثار و خواص مكنونه،و بذلك صارت ذات شرافه و سموّ،لأن شرافتها ذاتيّه (١).و لذا نرى أنه تعالى اختصّ ذاته القدسيه بأسماء خاصه دون غيرها،و آثر أوليائه بأسماء،ثم أمرهم بأن يسموا أولادهم بها.

تماما كما أمر نبيّه(ص)بأن يسمى سبطيه(ع)حسنا و حسينا،و بنته الزهراء البتول:فاطمه(ع).و قد أمر الصادق(ع)بعض أصحابه بأن يغيّر اسم بنته و يسميها فاطمه،لا لأنه اسم أمّه(ع)فقط،بل لأنه لا بد أن يكون فى الاسم خصوصيّه ذاتيه.و كذلك الاسم الأعظم و أسماء اللّه الحسنى فإن فيها خواصّ و آثارا صارت بها ذات شرافه أو كانت فيها الشرافه الذاتيه بمقتضى وضعها،و لو لأنّ واضعها هو اللّه سبحانه بالمباشره و هو الذى جعل فيها تلك الخواصّ و الآثار.

فعلى التقديرين،نرى أن تعليم و تعلّم هذه و أمثالها من الأسماء الشريفه المباركه ليس من باب تعليم و تعلّم اللغه فقط،بل من أجل تعليم و تعلّم الأسرار المكنونه فيها،و الرموز المحتجبه المستوره عن البشر إلاّ عن الأولياء و من له أهليّه تعلّمها فالملائكه و أمثالهم من الروحانيين.

أما القسم الثانى من الأسماء المتعارفه-كزيد و أمثاله-فإن تعليمها تعلّم لغه و لا تصلح لشىء مما كنّا فيه.و القول بأن شرافه الأسماء اكتسابيه من مسمّياتها قول يرجع لعدم الفرق بين الأسماء،مع أنه لا شبهه بوجود الفرق بين الاسم الأعظم و أسماء اللّه الحسنى و بين هذين و سائر الأسماء.و القول بالإطلاق لا يعبأ به إلا كموجبه جزئيه كأن يقال:إن حسن المسمّيات و قبحها

****

(١) نرى أن لبعض الأسماء شأنا فى ذاته،كما وقع كثير منها فى مورد القسم و اليمين فى القرآن الكريم.

يؤثّران فى الأسماء،و هو أيضا محلّ تأمّل و إشكال.

فَلَمّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ أخبرهم بها فعرفوها بتطبيق الأسماء على المسمّيات،و علموا بأن المسؤول عنهم هم أفضل الخلائق و أقربهم إليه سبحانه،و أنّهم المفضّلون عليهم و على سائر المخلوقات،لمّا كان ذلك، كشف اللّه تعالى للملائكه أن تفضيل آدم عليهم كان بسبب أنّ ذوى الأسماء هم من ولده.فاعترفوا بتفضيل جميع الأنبياء و الأولياء عليهم،و آمنوا بهم،فقال تعالى أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّی أَعْلَمُ غَیْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أعرف مكنوناتها و أسرارها و جميع ما ستر فيها عن خلقى وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ و أعرف ما تظهرون من ردّكم علىّ،و ما تخفون فى ضمائركم بأنه ليس أحد أفضل منكم.و الهمزه فى قوله(ألم)للإنكار و إثبات المنفىّ.و قد دلّت الآيات الكريمه على شرف الإنسان و فضله الذى يناله بالعبوديه الصحيحه، و على توقّف الخلافه عليه،و على أن آدم أفضل من الملائكه لأنه أعلم منهم..

۳۴- وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ...أخذ سبحانه فى بيان نعمه أخرى على بنى آدم و فضيله ثانيه،إذ أمر الملائكه بالسجود لأبيهم.و الأمر ضمنا أمر اختبار للملائكه،ليظهروا مضمرهم،إذ كان إبليس من أعبد الملائكه فى عصره،و فسق عن أمر ربّه،و اللّه تعالى يعلم فى سابق علمه أن إبليس يضمر المعصيه.

و الظرف فى الآيه عطف على الظّرف السابق وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ .و إذ:

نصب بمضمر،أى:اذكر يا محمد.بل العطف عطف قصه على قصه.

و المأمورون هم الجميع لعموم اللّفظ و لقوله تعالى فى مورد آخر:فسجد الملائكه كلّهم أجمعون إلا إبليس.فالتخصيص بطائفه منهم لا وجه له..

و السجود،لغه:التذلل و الخضوع،و شرعا:وضع الجبهه على الأرض

بقصد العباده.و سجود الملائكه كان تعظيما للّه و تكرمه لآدم عليه السلام، كالتكرمه بالسجود على التربه و الأفضليه بأن يكون على تربه قبر الحسين سلام اللّه عليه تكرمه لها كما روى عن أئمه هداه الأمه صلوات اللّه عليهم أجمعين..

و قيل إن اللام فى(لآدم)بمعنى إلى.فجعل آدم قبله لهم.و هذا خلاف ظاهر الآيه الكريمه.

(فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ)الذى إنما دخل فى الأمر لكونه منهم بالولاء.و لم يكن من جنسهم لأنه(كان من الجنّه ففسق..)(أَبى وَ اسْتَكْبَرَ)عما أمر به، و ترفّع على آدم،و امتنع عن تعظيمه و التخضّع له مع علمه بأن آدم أفضل منه و من الملائكه،و أعلم و أجلّ شأنا و أرفع درجه،و أسمى مقاما،و كان ينبغى له أن لا يمتنع عن امتثال امر مولاه فى السجود لآدم.و لكنه حسده و خالف أمر ربّه وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ و صار منهم باستكباره و احتقاره لنبيّه عليه السلام!.و

عن القمّى عن الصادق عليه السلام: الاستكبار هو أول معصيه عصى اللّه بها إذ قال إبليس:ربّ اعفنى من السجود لآدم و أنا أعبدك عباده لم يعبدكها ملك مقرّب و لا نبىّ مرسل. و

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنه أول من كفر و أنشأ الكفر لعنه اللّه.

۳۵- وَ قُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّهَ ...أنت:تأكيد للمستكن ليعطف عليه(الجنّه)اللام فيها للعهد،و المعهود هو هذه.و قيل هى من جنان الدنيا تطلع و تغرب فيها الشمس و القمر.و بناء عليه يحمل الهبوط-أى النّزول-الذى أمروا به على الانتقال كما فى قوله:(اهبطوا مصر)، فى قضيه موسى(ع)و بنى إسرائيل.و لكنّ الظاهر من الآيات و من لفظه (اهبطوا)و خلق آدم فى السماء كما هو ظاهر كثير من الروايات،بل صريحها.

أنّ الجنه هى جنه سماويه،أ كانت جنه الخلد أم غيرها.أمّا استبعاد إخراج من دخل جنّه الخلد فجوابه أنه ليس الخروج منها بمحال عقلىّ و لا شرعىّ.نعم

المعروف و المشهور هو هذا لأنه يخالف كونها خلدا،فيقال:إن خروج اثنين أو ثلاثه فيها لا ينافى الخلديّه إذا قوبل بخلود الكثيرين فيها من أول الدهر إلى آخره.و إذا فرضنا أن الخروج غير جائز بأى وجه كان،فإن ذلك يصحّ لمن دخلها جزاء بما عمل من الصالحات،لا بالنسبه لمن بدئ خلقه فيها،أو أدخل فيها لمصلحه اقتضت ذلك موقّتا.فدخول آدم و حواء(ع)من هذا النوع، مضافا إلى أنهما عصيا اللّه فيها و خالفا تكليفهما.فهما خارجان من القول بعدم الخروج،لأن الجنّه ليس فيها مكان للعاصين،و لا سيما إذا حصلت المعصيه فيها.

و العصيان هو الخروج عن طاعه المولى.و يكون تاره بمخالفه أوامره الواجبه،و طورا بترك أوامره المندوبه.و الأول محرّم دون الثانى.و مرادنا من العصيان الذى تكلّمنا عنه النوع الثانى و من المعروف أن حسنات الأبرار سيئات المقرّبين،فكيف بترك الأولى،و صدور أمر كان لا يحبّ اللّه صدوره عن عبده المحبوب،فأخرجه تأديبا،لا غضبا كإخراج إبليس لعنه اللّه.

وَ كُلا مِنْها رَغَداً أى أكلا واسعا وافرا بلا عناء من أى مأكول تريدان فأنتما فى سعه منها وَ لا تَقْرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ أى شجره الحنطه على ما هو المشهور و المعروف.و هذا النّهى تنزيهىّ لا تحريمىّ.و قد علّق النهى فيه على الاقتراب من الشجره،لأن القرب من الشىء يغرى به و يكون مقدّمه لفعله.و النهى عن المقدمه نهى عن ذيها أكيدا،و لذلك قال سبحانه فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ لنفسيكما بالإقدام على ما ليس فيه صلاح لكما.و بعباره أخرى:

تظلمان نفسيكما الثواب بترك المندوب و اتّباع الأمر الأحسن و هو الكفّ عن الأكل من الشجره.و الظّلم هو النقص فى الحظّ و النّصيب،فكأنهما أنقصا حظّهما الذى قدّر لهما فى حال عدم الأكل من الشجره.و لمّا أكلا منها حرما من الوصول إلى حقهما و منعا منه فوقع فى نصيبهما-الذى هو الثواب على

الأحسن-خسران و نقصان كان يترتّب على الكف.و المعنى الآخر للظلم فى اللغه هو وضع الشىء فى غير موضعه.و هذا ينطبق أيضا على المقام لأنهما وضعا الأكل فى موضع الكف،فتركا الأولى ۳۶- فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمّا كانا فِيهِ :أى حملهما على عدم الثبوت فى أمرهما و أزاحهما عن فكره الكف،و أوقعهما فى المزلقه إذ تركا المندوب الذى كان إتيانه أحسن عنده سبحانه و تعالى.فتمّت خديعه إبليس و أوقعهما فى ما نهاهما عنه ربّهما بتغرير آدم أو بإغراء حواء عليهما السلام فغلطا و تناولا الطعام من الشجره بخداع إبليس اللعين فَأَخْرَجَهُما مِمّا كانا فِيهِ من النّعم الجزيله و المواهب السنّيه وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ و الخطاب من اللّه تعالى،صدر بنزول آدم و حواء(ع)و الحيه.أما إبليس فقيل إنه لم يكن فى الجنّه لأنه رجيم أى ملعون مطرود.يحرم دخوله فيها فكان حواليها.و يقال إن دخوله لم يكن ظاهرا بل تخفّى فى فم الحيه أو تمركز بين لحييها ليدلّيهما بغروره.و كانت الحيه من أحسن دوابّ الجنه،و كان آدم و حوّاء يظنّان أن الحيه هى التى كانت تخاطبهما،و لم يعلما أن إبليس بين لحييها و لكن لا يمكن القول بأنه قد اختفى على خزنه الجنّه،إلاّ أن يكون ذلك قد تمّ بقضاء اللّه و قدره.و هكذا أصبح آدم و حواء و ما ولدا من الذّريه،أعداء لإبليس و ذريته،و هو و ذريته لهم عدوّ.و هم جميعا و الحيه و ما ولدت أعداء إلى الوقت الذى حدّد تعالى بقوله وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ فالأرض هى مكان بقائكم و موضع سكنكم و منافعكم و متعكم و معاشكم و معادكم،و أنتم فيها إلى وقت آجالكم،أو إلى يوم قيامتكم.فلما نزل آدم إلى الأرض و رأى نفسه وحده تذكّر الجنّه فهاج به الحزن فبكى حتى ابتلّت الأرض بدموعه.

۳۷- فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ :أى استقبلها و أخذها بالقبول.

و الكلمات يحتمل أن تكون قوله تعالى: رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا... الآيه.أو الأسماء الطيبه الخمسه لأهل الكساء(ع)ففيها أقوال عرضت لها التفاسير المفصّله(فتاب عليه)قبل اللّه توبته(إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ)كثير القبول للتوبه.و تكرير الضمير و صيغه المبالغه للتأكيد فى أن العباد لا بدّ و أن يكثروا التوبه إليه فرغّبهم بها،لأنه تعالى يحبّ رجوع المذنبين إليه و سؤال العفو بع الندم،فهو (اَلرَّحِيمُ)الواسع الرحمه و الإشفاق على العباد.و قد قرنت رحمته هنا بالتوبه وعدا منه للتائب بالعفو و الإحسان لطفا منه و كرما.

إلفات نظر:هل كان تلقين اللّه الكلمات لآدم فى السماء أم فى الأرض؟.الظاهر أنه كان فى السماء لأن آيه(تلقّى)محفوفه بآيات كلّها بصوره الخطاب-إلاّ صدر الآيه ۲۶-و كلّها كانت فى السماء،و كان طرف الخطاب-آدم و حواء-فيها أيضا فبقرينه احتفافها بتلك الآيات كانت هذه الآيه المشتمله على جمل خبريه حينما كان المخاطبون فى السماء،و كان التلقّى و التلقين أيضا هناك.هذا مضافا إلى أن التلقين و التلقّى يحملان معنى التفهيم المشافهى.بله أن عله هبوط آدم إلى الأرض كانت من أجل أن يكون خليفه للّه فيها،بل خلق من أجل هذا.و خليفه اللّه تعالى لا يجوز أن يكون مذنبا فتمّت التوبه و التطهير قبل أن تخلع عليه حليه الخلافه و أعباء الرساله.

و نستنتج أن الهبوط الأول كان الأمر بالانتقال من الدرجه العاليه التى كانوا يتنعّمون فيها إلى درجه دنيا تليها أو تنزل عنها درجات،من سماء إلى سماء أو من درجه فى الجنّه إلى درجه أدنى،أو أنه انحطاط مقامهم المعنوى، و هبوطهم الشأنى،أما الهبوط الثانى فهو قوله تعالى:

۳۸- قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً :انزلوا من السماء إلى الأرض كلكم،بعد تلقّى الكلمات و بعد التوبه،نزولا ـ و هبوطا حقيقيا فعليا تكليفيا إثباتيّا.و الفرق بين الهبوطين واضح،و هو يدل على أسرار هذا الكتاب الكريم.و الضمير فى

(منها)راجع إلى السماء أو الجنّه و فى التقديرين يكون المراد الجنس لا الفرد الخاص.و الجميع:تعنى المخالفين للنهى،و الساعين لهما فى المكيده، و هى حال مؤكّده،و لا تفيد نزولهم مجتمعين دفعه واحده كما صدر عن بعض الأعاظم فى سهو قلم على ما يظهر. فَإِمّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً لفظه(ما)زائده تؤكد إن الشرطيه ليحسن تأكيد الفعل و إن لم يتضمّن طلبا و جواب شرط جمله.

أى إن يأتكم منّى هدى على لسان رسول أو بكتاب فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ فمن اقتنع و مشى بحسب هداى و طريقتى نجا و فاز و لا خوف و لا حذر عليه،و لا يصيبه ما يحزنه و يكدّره.و قوله(فلا خوف)جواب الشرط الثانى.

۳۹- وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا ...أى جحدوا و لم يصدّقوا بآياتى، و ضلّوا عن طريق هدايتى عنادا منهم أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ فهم أهل النار،و سأخلّدهم فى جهنّم خلودا سرمديا جزاء استكبارهم و كفرهم.

سوره البقره (۲): الآيات ۴۰ الى ۴۶

يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيّايَ فَارْهَبُونِ (۴۰) وَ آمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ وَ لا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَ إِيّايَ فَاتَّقُونِ (۴۱) وَ لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۴۲) وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرّاكِعِينَ (۴۳) أَ تَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۴۴) وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ وَ إِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلاّ عَلَى الْخاشِعِينَ (۴۵) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ (۴۶)

ص: ۶۸

۴۰- یا بَنِی إِسْرائِیلَ اذْکُرُوا نِعْمَتِیَ ...یا أولاد یعقوب الذی هو إسرائیل،و معنی إسر:عبد.و إیل:هو اللّه و إسرائیل:هو عبد اللّه،باللغه العبرانیه،و قیل:صفوه اللّه.قال سبحانه لمن تحدّر من نسل یعقوب اُذْکُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ. فبعد ان أثبت عزّ و علا الوحدانیه و الرساله و الحشر،و عدّد نعمه العامّه کما مرّ،خاطب أهل الکتاب و أمرهم بذکر نعمه علیهم و شکرها،و طلب إلیهم الوفاء بعهده و الوفاء بمیثاقه من معرفه محمد (ص)و کونه قد بعث و أصبح فی مدینتکم،و قد وضحت لدیکم دلائله و ظهر صدقه فی حمل رساله السماء فلا یشتبه حاله عندکم،و لا تنسوا أبدا نعمی التی أهمّها إنجاء آبائکم من فرعون و الغرق وَ أَوْفُوا بِعَهْدِی أُوفِ بِعَهْدِکُمْ أی أوفوا بمیثاقی علیکم فی عالم الذّر،من الإیمان بی و برسلی و کتبی المنزله إلیکم، و بما فیها من الشرائع و الأحکام،و ببعث محمّد فی آخرهم،و الإیمان به و بشریعته،فإنه خاتم الأنبیاء،و کتابه خاتم الکتب السماویه و ناسخ الکتب السالفه.فإذا وفیتم بهذه المذکورات وفیت بما عاهدتکم علیه من

الأجر و الثواب وَ إِيّايَ فَارْهَبُونِ أى خافونى.و إياى منصوب بمضمر يفسّره المظهر،و هذا آكد من قوله تعالى و تقدّس«فارهبونى»فى إفاده التخصيص، و الرهبه خوف التحرّز.

فعن القميّ: قال رجل للصادق عليه السلام:يقول اللّه عزّ و جلّ: اُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ،و إنّا ندعو فلا يستجاب لنا.فقال عليه السلام:إنكم لا تفون للّه تعالى بعهده،فإنه تعالى يقول:أوفوا بعهدى أوف بعهدكم.و اللّه لو وفيتم للّه بعهده لوفى لكم! ۴۱- وَ آمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً ...صدّقوا بالقرآن الذى أنزلت على محمد(ص)فهو يصدّق كتبكم السماويه من التوراه و الإنجيل و غيرهما، و يطابقها جميعا فى الدعوه إلى التوحيد و الإقرار بمحمد(ص)و الأمر بالعباده و إطاعه المولى و النهى عن مخالفته وَ لا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ فهو يحذّرهم إنكار ما أنزل،و يعرّض بهم خاصه،لأنهم أهل كتب و الواجب عليهم أن يكونوا أول المؤمنين به،لكونهم عارفين به و بصفاته و بكيفيه بعثته.قد قرءوها فى كتبهم،و أخبرهم بها أحبارهم و رهبانهم.فهذا الذى كان مترقّبا منهم، لا أن يكونوا أول الكافرين به من أهل الكتاب فعلا،إذ سبقهم إلى الكفر به مشركو قريش.و صدر الآيه شاهد على أن الخطاب لأهل الكتاب.

فى تفسير الأمام عليه السلام: أن هؤلاء هم يهود المدينه،جحدوا نبوّه محمد(ص)و خانوه و قالوا:نحن نعلم أن محمدا نبيّ،و أنّ عليّا وصيّ،و لكن لست أنت ذاك و لا هذا،و لكن يأتيان بعد وقتنا هذا بخمسمئه سنه!. وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلًا لا تستبدلوا حججى برئاسه دنيويّه موقّته هى لكم فى قومكم،تنالون فيها الرّشى و التحف و الهدايا على تحريف الحق و كتمانه.

ففى المجمع عن الباقر عليه السلام فى هذه الآيه:أن حيّ بن أخطب و كعب بن أشرف و آخرين من اليهود كان لهم مأكله على اليهود فى كل سنه فكرهوا بطلانها بأمر النبيّ(ص)،

فحرّفوا لذلک آیات من التوراه فیها صفته و ذکره. فذلک الثمن الذی أرید به فی الآیه. وَ إِیّایَ فَاتَّقُونِ تجنّبوا بطشی باتّباع الحق و مجانبه غیره.

۴۲- وَ لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ ...أی لا تجعلوا الحق الواضح مشتبها بالباطل و مختلطا به،کما تفترون و تظهرون فی کتبکم من أن محمدا نبیّ منتظر موصوف عندکم،و تنکرون مجیئه و تعدون بمجیئه بعد مده انتهاء رئاستکم وَ تَکْتُمُوا الْحَقَّ تخفوا نعوت محمد الموجوده فی کتبکم المنزله من عند ربّکم،و تخفون الحق وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ تعرفون ذلک.فالکتمان منکم بعد العلم أشد خزیا علیکم.و الجمله عطف علی قوله و لا تلبسوا.أی لا تجمعوا بین لبس الحق و بین علمکم و کتمانکم،فإن الکتمان مع العلم أقبح،و لا عذر للعالم..أو هی منصوبه بإضمار أن.

۴۳- وَ أَقِیمُوا الصَّلاهَ وَ آتُوا الزَّکاهَ ...و الخطاب فی هذه الشریفه لأهل الکتاب کالآیات السابقه،أی أقیموا صلاه المسلمین و ادفعوا زکاتهم.

و هی صریحه بأن الکفّار مخاطبون بالفروع کالأصول،و الإنکار من بعض الأکابر عجیب لأنه اجتهاد فی مقابل صریح الکتاب مع عدم ناسخ فیما بأیدینا، ینافی خصوص المورد!.و الظاهر فی خصوص الزکاه فی خصوص المورد و أمثاله أنها الزکاه المالیه،و قیل هی الفطره،و فسّرت:بالأعم من الأموال إذا وجبت،و من الأبدان إذا لزمت.و

فی الکافی عن الکاظم علیه السلام ،أنه سئل عن صدقه الفطره أ هی مما قال اللّه تعالی: وَ أَقِیمُوا الصَّلاهَ وَ آتُوا الزَّکاهَ ؟.

فقال:نعم. و

فی روایه أن الآیه نزلت و لیس للناس أموال،و إنما هی الفطره.

وَ ارْکَعُوا مَعَ الرّاکِعِینَ .ذکر سبحانه الرکوع بعد ذکر ما تشتمل علیه الصلاه،لأنه یرمز إلی الافتقار و انحطاط الحال.فهو مع الانحناء و انخفاض الرأس،یکشف عن الخضوع الخاصّ الذی لیس فی غیره،و لذا خصّه تعالی

بالذّكر.و يحتمل أن يكون الأمر بالصلاه أمرا بالصلاه الانفراديه،و الأمر بالركوع مع الراكعين كنايه عن الصلاه مع جماعتهم،أى صلّوا مع جماعه الراكعين.فبكلا الخصوصيّتين آثر سبحانه ذكر الركوع.و قيل إن صلاه اليهود ليس فيها ركوع و لذا أمرهم به،و اللّه أعلم بما فى كتابه.

۴۴- أَ تَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ ...جاءت فى مقام التعجّب و التوبيخ.

و البرّ العطاء،و الصدق،و إطاعه الوالدين،و طاعته تعالى،و المراد هنا كلّ خير وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ تتركونها معفاه من ذلك؟..فقد كان الأحبار و الرّهبان يرشدون بعض من استنصحهم سرّا إلى اتّباع محمد(ص)و لا يتّبعونه هم أنفسهم،و يأمرونهم بالصدقات و فعل الخيرات و لا يفعلونها.

فالآيه موجّهه إلى علماء أهل الكتاب،و لذا جاءت بسياق التوبيخ و التعجّب، لأن العالم إذا علم بشىء و لم يعمل طبق علمه فعل قبيحا،و ينبغى أن يوبّخ..

و بعد أن تعجّب سبحانه من فعلهم هذا،قال: وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ تقرأون التوراه الآمره بفعل الخيرات،الناهيه عن المنكرات،المبيّنه لصفات نبىّ آخر الزمان أَ فَلا تَعْقِلُونَ ألا تدركون إىّ قبح يترتّب على عدم امتثالكم و تناسيكم أنفسكم؟.فهو توبيخ بليغ لمن يعظ غيره و لا يتّعظ،فكأنّه لا عقل له و لا حكمه عنده!.و لا يخفى أن فى الآيه حثّا للواعظ على تكميل نفسه قبل أن يطلب كمالها فى غيره،

فقد قال الصادق عليه السلام ...و يقال للناسى نفسه:يا خائن!.أ تطالب خلقى بما خنت به نفسك و أرخيت عنه عنانك؟!...

۴۵- وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ ...أطلبوا العون لأنفسكم بالصّبر على اتّباع الحق و رفض المال و الجاه،و بكف النفس عن مشتهياتها و ميلها إلى المعاصى،و ضعفها عن الطاعات.و قيل إن الصبر فى الآيه هو الصيام،فعن الصادق عليه السلام فيها:إن الصبر الصيام-و

عنه(ع): إذا نزلت بالرجل النازله الشديده فليصم،فإن اللّه تعالى يقول:استعينوا بالصبر و الصلاه،

یعنی الصیام. و

فی المجمع عن العیاشی عن الصادق(ع)أیضا: ما یمنع أحدکم إذا دخل علیه غمّ من غموم الدنیا أن یتوضأ ثم یدخل مسجده فیرکع رکعتین فیدعو اللّه فیهما؟..أما سمعت اللّه یقول: وَ اسْتَعِینُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاهِ ؟. وَ إِنَّها لَکَبِیرَهٌ أی الصلاه عن القمّی.و یحتمل أن یکون الضمیر راجعا إلی الاستعانه.و المراد بکبرها کونها ثقیله شاقه کما فی قوله سبحانه: کَبُرَ عَلَی الْمُشْرِکِینَ إلخ...أی صعب و شقّ. إِلاّ عَلَی الْخاشِعِینَ المتواضعین الخاضعین للّه تعالی.لأن نبیّنا(ص)الذی یعلن:

قرّه عینی الصلاه،و یقول فی أوقاتها:أرحنا یا بلال.أی عجّل فی الأذان لها فإنها أحسن مواقفی و أحوالی،کیف یتصوّر فی حقه و حقّ من یشابهه،أن تکون الصلاه ثقیله علیه؟.لا،بل فیها لذّه له لا یذوقها أحد غیره أبدا.

۴۶- اَلَّذِینَ یَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ ...یظنّون هنا:یعتقدون لقاء اللّه و حسابه.

قال أمیر المؤمنین علیه السلام فی تفسیرها:اللقاء:البعث، و الظنّ:الیقین.

فتوقّعهم ثابت لعلمهم بلقاء ثواب ربّهم.و فی هذه الشریفه بیان و تفسیر لما قبلها من المستثنی.و علی هذا فالظنّ هنا:العلم،لأن الخاشعین بعیدون غایه البعد عن الظّن بلقاء ربّهم و بالبعث و النشور و الثواب و العقاب،بل هم العالمون بذلک علما یقینا،و خشوعهم یکشف عن علمهم الذی ذکرناه.

وَ أَنَّهُمْ إِلَیْهِ راجِعُونَ معادون یوم القیامه للنّعیم و الجنان و الجزاء الأوفی.

و لکن،

قال الإمام علیه السلام فی تفسیره: و إنما قال یَظُنُّونَ لأنهم لا یدرون بماذا یختم لهم،لأن العاقبه مستوره عنهم. لا یعلمون ذلک یقینا لأنهم لا یأمنون أن یغیّروا أو یبدّلوا.و

قال رسول اللّه(ص): لا یزال المؤمن خائفا من سوء العاقبه،و لا یتیقّن الوصول إلی رضوان اللّه حتی یکون وقت نزع روحه و ظهور ملک الموت له.

سوره البقره (۲): الآيات ۴۷ الى ۵۳

يا بَنِى إِسْرائِيلَ اُذْكُرُوا نِعْمَتِيَ اَلَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى اَلْعالَمِينَ (۴۷) وَ اِتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ وَ لا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ (۴۸) وَ إِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ اَلْعَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَ فِى ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (۴۹) وَ إِذْ فَرَقْنا بِكُمُ اَلْبَحْرَ فَأَنْجَيْناكُمْ وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (۵۰) وَ إِذْ واعَدْنا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اِتَّخَذْتُمُ اَلْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ (۵۱) ثُمَّ عَفَوْنا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۵۲) وَ إِذْ آتَيْنا مُوسَى اَلْكِتابَ وَ اَلْفُرْقانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (۵۳)

۴۷- يا بَنِى إِسْرائِيلَ ...كرّر الخطاب لتنشيط السامع و ترغيبه بلذه المتابعه.

فقد روى أن لذّه النّداء أزالت مشقّه التكليف. فالخصم يتنزّل عن مقام عناده و حسده قهرا،و يتأثّر بمخاطبته و تكرير اسمه.فالتكرار هنا ليس مستهجنا،بل له فوائد جليله،و تترتّب عليه آثار كثيره.فعلى هذا الأساس قال سبحانه اُذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ حيث إنى بعثت منكم نبيّا-موسى (ع)-و خلّصتكم من ظلم فرعون و قومه،و أنزلت عليكم المنّ و السّلوى وَ أَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ أى فضّلت أسلافكم على عالمى زمانهم

ص: ۷۴

تفضيلا دينيّا لأنهم آمنوا برسلی و أجابوا دعوتی،و جعلت منکم ملوکا دنیویّین و رزقتکم من الطّیبات.

۴۸- وَ اتَّقُوا یَوْماً لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً :أی تجنّبوا یوم عذاب لا ینقضی،و لا تتحمّل فیه نفس عن نفس شیئا و لا تقضی عنها حقّا و لا تخفّف عن کاهلها جزاء.شیئا:مصدر،و قد نکّر هو و نفسان،إذ ترفض شفاعه نفس عن نفس.و الشفاعه من الشّفع،و هو الزّوج من العدد،فکأن المشفوع له (الفرد)یصیر شفعا(زوجا)بضمّ الشفیع نفسه إلیه. وَ لا یُؤْخَذُ منها (عدل)أی لا تقبل عنها فدیه تعدل الجرم و توازنه...و الآیه مخصوصه بالیهود.إذ لا شفاعه بعد ظهور الإسلام إلاّ لنبیّنا(ص)و لأئمتنا علیهم السلام و الأبدال من المؤمنین.أما الیهود المعاندون فلا تنجیهم شفاعه،و لا تقبل عنهم فدیه وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ و لا ینجحون و ینجون من العذاب بإعانه معین و لا بنصره ناصر،بل یبقون فیه أبد الأبد.و الضمیر للنفس النکره فی سیاق النفی.و المراد بها النفوس الکثیره الداله علیها لفظه(نفس)المفیده للجمع.

۴۹- وَ إِذْ نَجَّیْناکُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ...الجمله معطوفه علی نِعْمَتِیَ فی الآیه السابقه من باب عطفه الخاص علی العام.و أصل الآل:أهل،لأنه یصغّر علی أهیل.و فرعون:لقب کل ملک من العمالقه فی مصر،کقیصر و کسری لملکی الرّوم و الفرس.و فرعون موسی(ع)هو مصعب بن الرّیان أو ابنه ولید.و فرعون یوسف(ع)الرّیان.و بینهما أکثر من أربعمائه سنه.

و الآیه تفصیل لما أجمله فی قوله اُذْکُرُوا نِعْمَتِیَ .و یَسُومُونَکُمْ أی یهینونکم و یذلّونکم و یذیقونکم سُوءَ الْعَذابِ أشدّه و أسوأه یُذَبِّحُونَ أَبْناءَکُمْ یقتلون الذکور من أولادکم إمّا ببقر بطون الحوامل و إخراجهم و قتلهم،و إمّا بذبحهم بعد الولاده.و الجمله تفسیر لسوء العذاب.

وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ يستبقونهن إماء للخدمه و النكاح،و سبب ذلك أن فرعون رأى فى منامه نارا شملت مصر فأحرقت القبط و تركت بنى إسرائيل.

فهاله ذلك فذكره للكهنه فقالوا:سيولد فيهم من يكون هلاكك على يده.

فشرع فى الفتك ببنى إسرائيل،و لكنه لم ينجه تحفّظه من قدر اللّه. وَ فِي ذلِكُمْ أى فى صنيعهم معكم،و إنجائكم منهم بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ محنه و اختبار صعب كبير.

۵۰- وَ إِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ ...اى اذكروا حينما فصلنا البحر فرقا و جعلنا فيه مسالك تعبرون منها للخلاص فَأَنْجَيْناكُمْ خلّصناكم من كيدهم وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ أطبقنا لجج الماء عليهم و قد ذكر فرعون و نسب قومه إليه لأولويته فى المحنه..فعلنا بهم ذلك وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ترون إغراقهم..و

روى أنه تعالى أمر موسى(ع)أن يسرى ببنى إسرائيل ليخرجهم من مصر ليلا.فلحق بهم فرعون و جنوده،فصبّحوهم على شاطئ البحر،فصار بنو إسرائيل بين البحر و عدوّهم.فأوحى اللّه الى موسى(ع)أن اضرب بعصاك البحر،فانفلق عن اثنى عشر طريقا بعدد الأسباط.فسلكوها بعد أن قالوا لموسى نخشى أن يغرق بعضنا و لا نعلم،ففتح اللّه لهم كوى (۱)فتراءوا فيما بينهم حتى عبروا البحر.و لمّا وصل فرعون و رأى انفلاق البحر اقتحم المسالك هو و جنوده فأطبق الماء عليهم فغرقوا جميعا. و هذه من أجلّ النّعم على بنى إسرائيل،و من آيات اللّه الباهره و من أعلام نبوّه موسى عليه السلام التى تحدّث بلاده من لا يمكنه الاستدلال بالآيات الخفيه و البراهين العقليه و المنطقيه.لذا قضت حكمه اللّه تعالى بمثل هذه الآيه لقوم بلغ من عنادهم و حمقهم أنهم-بعد أن عبروا البحر-رأوا جماعه يعبدون الأصنام فقالوا لموسى:اجعل لنا إلها كهؤلاء.بل بلغ بهم ضعف

****

(۱) كوى:جمع كوّه،و هى الخرق فى الحائط.و هى هنا الفتحات بين مسالك الماء، كالنوافذ.

الإيمان إلى اتّخاذ العجل معبودا كما صرّح القرآن الكريم،فهم بخلاف أمّه نبيّنا محمد(ص)من حيث الذكاء و الفطنه و قوّه البرهنه و الاستدلال،لأنهم كانوا يتمكّنون من البرهنه على وجود الصانع عزّ و جلّ بوسائلهم البسيطه الساذجه- كالبعره تدلّ على البعير و غيرها-و يؤمنون بصدق الرّسل و الكتب و الملائكه بدون آيه مخيفه أو برهان عملى...

۵۱- وَ إِذْ واعَدْنا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ...واعده:ضرب معه موعدا و جعل له ميقاتا بأن ينزل عليه التوراه بعد هلاك فرعون بثلاثين يوما،هى ليالى تمام ذى العقده و عشره من ذى الحجه.و قد عبّر عن الفتره بالليالى لأنها غرّه الشهور،و فى الليالى يستهلّ القمر الذى يحدّد الشّهر بمنازله يوما بعد يوم.

و قيل إن موسى استاك فذهب طيب فمه الشريف فأخّر عشرا. ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ أخذتموه إلها تعبدونه بتسويل السامرىّ مِنْ بَعْدِهِ بعد مضىّ ميقات عوده موسى بالتوراه.فعلتم ذلك وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ لأنفسكم بشرككم.

أما السامرىّ فهو من خيار قوم موسى و لكنه من قوم كانوا يعبدون البقر فبقيت عباده البقر فى نفسه.و قد كان على مقدّمه الزحف يوم هرب بنو إسرائيل و أغرق اللّه فرعون و قومه.و قد اختصه موسى(ع)فنظر إلى جبرائيل(ع)و هو على فرس له،كانت كلما وضعت حافرها على موضع من الأرض تحرّك موضعه (۱)فجعل السامرىّ يتفرّس بذكائه،فأدرك أن ما يمسّ حافرها تحلّه الحياه،و صار يأخذ التراب-من تحت الحافر-ثم صرّه فى صرّه حفظها و راح يفتخر بها على بنى إسرائيل.فلما ذهب موسى إلى ربّه قال هرون للقوم:

تطهّروا مما تحملون من زينه آل فرعون فإنها نجس.و أوقد لهم نارا يقذفونها بها

****

(۱) يقال إنّ من خواصّ حيوانات الجنه أنها لا تمسّ شيئا-و لو جامدا-إلا صارت له حياه أبديه لو خلّى و طبعه.شأنها فى ذلك شأن ماء الحياه الذى فى الدنيا،و الذى من عثر عليه و شرب منه لا يموت أبدا كالخضر عليه السلام و لو سقى منه الميّت لحيى حياه أبديه.

فقذفوها فقال السامریّ الذی أشرب حبّ البقر:یا نبیّ اللّه،ألقی ما فی یدی؟ قال هرون:نعم.فوسوس له إبلیس باتخاذ العجل و هو یرمی التراب.، فصارت الزینه بشکل عجل یسمع له خوار و ینبت له الوبر و الشّعر.فسجد له إبلیس علنا فسجد السامریّ لنجاح معجزته بعد أن استغواه الشیطان،کما سجد له معهما سبعون ألفا من بنی إسرائیل؟.

۵۲- ثُمَّ عَفَوْنا عَنْکُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ :غفرنا لکم عباده العجل بعد التوبه و تجاوزنا عن جرمکم لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ تحمدون اللّه الذی عفا عنکم.

۵۳- وَ إِذْ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ ...أعطیناه التوراه وَ الْفُرْقانَ آیاته و معجزاته المفرّقه بین الحق و الباطل لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ أملا بأن ترشدوا،و لکی تهتدوا بما فیه.

سوره البقره (۲): الآیات ۵۴ الی ۵۷

وَ إِذْ قالَ مُوسی لِقَوْمِهِ یا قَوْمِ إِنَّکُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَکُمْ بِاتِّخاذِکُمُ اَلْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلی بارِئِکُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَکُمْ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ عِنْدَ بارِئِکُمْ فَتابَ عَلَیْکُمْ إِنَّهُ هُوَ اَلتَّوّابُ اَلرَّحِیمُ (۵۴) وَ إِذْ قُلْتُمْ یا مُوسی لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتّی نَرَی اَللّهَ جَهْرَهً فَأَخَذَتْکُمُ اَلصّاعِقَهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (۵۵) ثُمَّ بَعَثْناکُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِکُمْ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ (۵۶) وَ ظَلَّلْنا عَلَیْکُمُ اَلْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَیْکُمُ اَلْمَنَّ وَ اَلسَّلْوی کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ ما رَزَقْناکُمْ وَ ما ظَلَمُونا وَ لکِنْ کانُوا أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ (۵۷)

ص: ۷۸

۵۴- وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ ...أذكر يا محمّد يوم خاطب موسى قومه قائلا يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ أى ارجعوا إلى عباده خالقكم،و أقلعوا عن ذنبكم العظيم.و البارئ من برأ:

خلق من العدم،و منه البريّه أى الخليقه و جمعها البرايا.و لعلّ وجه التعبير بالبارئ بدلا عن الخالق أنه أراد أن يفهمهم بأنهم كانوا معدومين و اللّه هو الذى صيّرهم موجودين،فلما ذا لا يشكرونه على نعمه الإيجاد.و العجل هو مخلوق ضعيف محتاج إلى غيره مثلكم،بل هو أضعف منكم،فأى ترجيح له عليكم حتى تؤثرونه على أنفسكم و تعبدونه.بل الترجيح لكم لأنكم أرباب عقل و معرفه و نطق،أ فلا تتفكّرون و تتوبون؟..فتوبوا فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إظهارا للتوبه و فرط النّدم.و الظاهر أن التائب كان يقتل نفسه إمّا بأن يباشر المرء قتل نفسه،و إمّا بأن يتقاتل العبده فيقتل بعضهم بعضا حتى يجىء أمر اللّه بقبول التوبه فيرفعوا اليد عن المقاتله بعدها ذلِكُمْ أى قتل أنفسكم توبه و ندما خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ أحسن بنظر خالقكم من بقائكم أياما قليله فى الدنيا تموتون بعدها فتخلّدون فى النار.فما أقسى توبه بنى إسرائيل إذا قيست بتوبه أمّه محمّد(ص)التى يكفى فيها الصدق فى الإقلاع عن الذنب،و النّدم على الوقوع فى المعصيه،و الاستغفار و العزم على تركها فيما بعد!فسبحان اللّه الحليم الكريم الرؤوف الرحيم.فقد قال سبحانه يا بنى إسرائيل:إن توبتكم أفضل عند بارئكم من دنس الشّرك و عباده العجل.و إذ فعلتم ذلك فَتابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ و يحتمل أن تكون هذه الجمله من قول موسى عليه السلام.و التقدير:ما زلتم قد فعلتم ما أمركم ربكم فقد تاب عليكم.

و هذه الجمله المقدره متفرّعه عن الجمله المذكوره.فإذا قلنا إنها من كلامه تعالى-و إن كان سياق ما قبلها يأبى هذا-يكون موضعها مبنيّا على الالتفات، و تكون متعلّقه بمحذوف كأنّه قيل:ففعلتم ما أمرتم به،فتاب عليكم.و فى

ذكر لفظه بارِئِكُمْ مره ثانيه تقريع لبنى إسرائيل و توبيخ لهم على تركهم عباده الخالق البارئ إلى عباده حيوان مثل فى البلاده فقد أوقعوا أنفسهم فى هلكه لا- يطهّرهم منها إلا- سوره قتال لإفناء بعضهم بعضا،يقتلون أنفسهم بأيديهم ليتوب عليهم ربّهم اَلتَّوّابُ الرَّحِيمُ القابل للتوبه مره بعد مره و المبالغ فى رحمه التائبين و الإنعام عليهم بالمغفره.

۵۵- وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ ...لن نصدّقك و نعترف بنبوّتك و بأن اللّه تعالى أرسلك حَتّى نَرَى اللّهَ جَهْرَةً ننظر إليه عيانا و علنا،لنسأله عما تدّعيه من أنك نبىّ و صاحب كتاب و شريعه منزله من عند اللّه!..و جهره:

مصدر منصوب على أنه حال من المفعول المطلق-رؤيه جهره-أو من نرى اللّه:و يقال جهر بصوته فى القراءه:رفعه و عرّضه للسّماع،و هنا استعيرت للمعاينه. فَأَخَذَتْكُمُ الصّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ذلك أنهم سألوا أمرا عظيما عنده سبحانه إذ طلبوا رؤيته مع أن المرئىّ ينبغى أن يكون مواجها و أن يكون جسما و هذا محال بحقه تعالى.و قد صدرت الآيه عن تعنيف لهم على طلبهم فأخذتهم الصاعقه السماويه بغته لخطوره ما رغبوا فيه،فأحرقتهم بلا مهله حريق استئصال.أو أنها كانت صيحه عذاب،أو قصف رعد مهلك،فماتوا فى الحال التى هم عليها و هم ينظرون إلى الصاعقه تنزل عليهم.فما أحرى المسلمين بأن ينظروا إلى تعنّت اليهود و عنادهم حيث يرون العذاب ينزل عليهم و نبيّهم فيهم،ثم لا يتوبون و لا يرعوون لقساوه قلوبهم التى طبع عليها بالكفر بل لا- يتوسّلون بنبيّهم لرفع العذاب!.فى حين أنّ اللّه تعالى كرّم المسلمين تكرمه لسيّد المرسلين إذ قال عزّ من قائل:و ما كنت معذّبهم و أنت فيهم!.

۵۶- ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ....أى أحييناكم.و آثر لفظه «بعثناكم»على لفظه«أحييناكم»لأنّ فيها حجه على صحه البعث و الرجعه بعد الموت. لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ تحمدون اللّه على إحيائكم بعد إماتتكم

بالصاعقه.و

فى العيون عن الرضا عليه السلام: أنهم السبعون الذين اختارهم موسى و صاروا معه إلى الجبل،فقالوا له:إنك قد رأيت فأرناه كما رأيته.

فقال لهم:إنى لم أره.فقالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتّی نَرَی اللّهَ جَهْرَهً ...

۵۷- وَ ظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الْغَمامَ ...بسطنا عليكم ظلّ الغمام فى صحراء التّيه،و جعلناه فوق رؤوسكم ليقيكم حرّ الشمس و برد القمر وَ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ يقال إنه كان كالصّمغ يسقط على الأشجار.و هو ألذّ من الشّهد و أنصع من الثلج وَ السَّلْوى الطير الدّسم المعروف،و هو من أطيب الطيور.و قيل إنه كان ينزل عليهم مشويّا عند العشاء فاذا أكلوا و شبعوا منه رفع. كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ يعنى قلنا لهم.كلوا من هذا المباح اللذيذ. وَ ما ظَلَمُونا لم يلحقوا بنا ظلما بكفرهم هذه النّعم و تبديل الكفر بالشكر وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ يضرّونها و يجحفون بحقّها.

سوره البقره (٢): الآيات ۵۸ الى ۵۹

وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَهَ فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّهٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (۵۸) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (۵۹)

۵۸- وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَهَ ...أى بيت المقدس بدليل قوله تعالى فى مكان آخر: ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَهَ و قيل هى أريحا،القريه القريبه من القدس التى كان يسكنها بقايا العمالقه برئاسه عوج بن عنق.قال لهم بعد الخلاص من التّيه:ادخلوها فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً كلوا ما أردتم من أنواع

الأطعمه أكلا رغدا:واسعا هنيئا.و قد نصب إما على كونه حالا من ضمير «كلوا»أو على أنه صفه للمقدّر:«أكلا». وَ ادْخُلُوا الْبابَ مدخل القريه أو القبّه التى كانوا يصلّون إليها سُجَّداً خاضعين ساجدين شكرا للّه وَ قُولُوا حِطَّةٌ أى سجودنا حطّه:أى إنزال لذنوبنا،من حطّ الحمل عن ظهر الدابّه:أنزله.

يعنى:قولوا حال سجودكم:نرجو أن يكون فعلنا سببا لحطّ ذنوبنا و كفّاره لخطايانا.فإذا قلتم ذلك نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ تجاوز عن ذنوبكم السالفه، و نزيل أوزاركم عن ظهوركم وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ مع المغفره زياده أجر،و نكثر لمن أطاع و أحسن منكم.و هذه الجمله جاءت فى مقام تشويق للتائبين و ترغيب لممتثلى أوامر اللّه المصدّقين بدعوه داعيه.و هو سبحانه أعرف و أعلم بما قال.

۵۹- فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً ...أى غيّروا،و وضعوا مكان الدعاء بحطّ الذنوب قولا غيره كقول بعضهم:حنطه،استهزاء بالتكليف!.و قيل إن بعضهم وضع مكان السجده الزحف على استه نحو الباب،سخريه و استخفافا بأمر اللّه عزّ و جلّ!.و

فى تفسير الإمام على عليه السلام أنهم قالوا:«ما بالنا نحتاج أن نسجد عند الدخول؟. ظنّنا أنه باب متطامن أى منخفض لا بدّ من السجود فيه،و هذا باب مرتفع.إلى متى يسخر بنا هؤلاء-يعنون الأنبياء و الرّسل-يسجدوننا فى الأباطيل!.و جعلوا استاهم إلى الباب و قالوا خلاف ما أمروا به.»ألا إنهم جهله جحده كفره،يصدق فيهم قوله تعالى: إِنْ هُمْ إِلاّ كَالْأَنْعامِ،بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً .كيف لا،و قد أنزل اللّه عليهم الآيات الباهرات التى لم ينزلها على الأمم من قبلهم:كصيروره العصا ثعبانا،و كانفلاق البحر و نجاتهم و إغراق آل فرعون،و كإنزال المنّ و السلوى عليهم،و إماتتهم و إحيائهم و إجراء الماء من الصخره و غيره و غيره..فإن واحده من هذه الآيات كانت كافيه لغيرهم من الأمم.و مع ذلك أصرّوا على العناد و كفروا برب العباد و نبىّ الرشاد!.أعاذنا اللّه من شرّهم و من ضلالهم الذى استحقوا به قول اللّه عزّ و جلّ فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا عتوا و لم ينقادوا لموسى عليه السلام فى الأقوال و لا فى الأفعال رِجْزاً مِنَ السَّماءِ عذابا مقدّرا،قيل إنه الطاعون الذى مات فيه

أربعه و عشرون ألفا فی ساعه واحده،و قیل مائه و عشرون ألفا!. بِما کانُوا یَفْسُقُونَ أی بسبب فسقهم الذی کانوا لا یرجعون عنه و لو عاشوا أبدا الدهر..

سوره البقره (٢): الآیات ۶۰ الی ۶۱

وَ إِذِ اِسْتَسْقی مُوسی لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اِضْرِبْ بِعَصاکَ اَلْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اِثْنَتا عَشْرَهَ عَیْناً قَدْ عَلِمَ کُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ کُلُوا وَ اِشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اَللّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِی اَلْأَرْضِ مُفْسِدِینَ (۶۰) وَ إِذْ قُلْتُمْ یا مُوسی لَنْ نَصْبِرَ عَلی طَعامٍ واحِدٍ فَادْعُ لَنا رَبَّکَ یُخْرِجْ لَنا مِمّا تُنْبِتُ اَلْأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَ قِثّائِها وَ فُومِها وَ عَدَسِها وَ بَصَلِها قالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ اَلَّذِی هُوَ أَدْنی بِالَّذِی هُوَ خَیْرٌ اِهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَکُمْ ما سَأَلْتُمْ وَ ضُرِبَتْ عَلَیْهِمُ اَلذِّلَّهُ وَ اَلْمَسْکَنَهُ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اَللّهِ ذلِکَ بِأَنَّهُمْ کانُوا یَکْفُرُونَ بِآیاتِ اَللّهِ وَ یَقْتُلُونَ اَلنَّبِیِّینَ بِغَیْرِ اَلْحَقِّ ذلِکَ بِما عَصَوْا وَ کانُوا یَعْتَدُونَ (۶۱)

۶۰- وَ إِذِ اسْتَسْقی مُوسی لِقَوْمِهِ ...تـذکّر یا محمد حین سأل موسی قومه الماء لّما عطشوا فی التّیه فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاکَ الْحَجَرَ عصاه.هی العصا التی دفعها إلیه شعیب علیه السلام،و کانت من آس الجنّه أهبطها آدم معه.طولها عشره أذرع علی طول موسی و لها شعبتان تتّقدان فی الظّلمه.و«الحجر»:

حجر طوریّ مربّع تنبع من کل وجه منه ثلاث أعین،فلکلّ سبط تسیل عین فی جدول یستقون منه،و هم ستمائه ألف یقیمون علی أرض سعتها اثنا عشر میلا.

و قیل إن الحجر أیضا أهبطه اللّه مع آدم (۱)،و صار إلی شعیب فأعطاه إلی موسی علیهما السلام مع العصا. فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَهَ عَیْناً لکل سبط عینه کُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللّهِ نعمه الجزیله کالمن و السّلوی و ماء الحجر وَ لا تَعْثَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِینَ لا تطغوا فیها و تظهروا الفساد کما هی عادتکم من عدم الانقیاد لأوامر اللّه سبحانه و نواهیه.

۶۱- وَ إِذْ قُلْتُمْ یا مُوسی لَنْ نَصْبِرَ عَلی طَعامٍ واحِدٍ ...أی لا صبر لنا علی نوع واحد من الطعام الذی هو المن و السّلوی دون غیرهما.فنحن علی وتیره لا تتغیّر و لا تتبدّل،و لا بدّ من التنویع و مزج هذا الطعام مع غیره لترغب فیه النفوس.فإن تکرار النوع الواحد ینفّر الطبع و لو کان فی غایه اللذه فَادْعُ لَنا رَبَّکَ اطلب منه لأجلنا یُخْرِجْ لَنا مِمّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِها أی خضرها و أطایب أنواعها.و من:للتّبیین. وَ قِثّائِها النبات المعروف الذی ثمره یشبه ثمر الخیار وَ فُومِها الفوم هو الثوم فی لغه.و قیل إنه الحنطه،و الذّره.و سائر ما یخبز وَ عَدَسِها وَ بَصَلِها و هما معروفان قالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِی هُوَ أَدْنی أ تطلبون تغییر الطعام الأقرب مکانه،و الأسهل تناولا،و الأقل کلفه؟،و قیل أستعیر هنا للخسّه و الدناءه إذا قیس بالمنّ و السلوی،مع ما به من تعب التحصیل.

أ تستبدلون الذی هُوَ خَیْرٌ أحسن و أرفع منزله،و أطیب طعما،و أبعد عن الکدّ و التعب بسبیله؟. اِهْبِطُوا مِصْراً ای انزلوا مصرا من الأمصار:أی بلدا من البلدان،لا مصر فرعون التی خرجوا منها فَإِنَّ لَکُمْ ما سَأَلْتُمْ حیث تجدون ما

****

(۱) فی المجمع عن العیّاشی عن الباقر علیه السلام: نزلت ثلاثه أحجار من الجنه:حجر مقام إبراهیم،و حجر بنی إسرائیل.و الحجر الأسود. و فی الکافی عنه علیه السلام: إذا خرج القائم علیه السلام من مکّه،ینادی منادیه:ألا لا یحملن أحد طعاما و لا شرابا، و حمل معه علیه السلام حجر موسی،و هو وقر بعیر،و لا ینزل منزلا إلا انفجرت منه عیون،فمن کان جائعا شبع،و من کان ظمآنا روی،و رویت دوابّهم،حتی ینزل النجف من ظهر الکوفه.

طلبتم من تغيير النعمه بأدونها و أخسّها،فاضربوا فى الأرض و كلوا منها بدل ما كان ينزل عليكم من السماء وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ جمله خبريّه مستأنفه،معلّله بما سيأتى من قوله تعالى:ذلك بأنهم إلخ..و هذه من الأخبار الغيبيّه التى ظهرت آثارها على اليهود من زوال ملكهم حتى أيّامنا هذه، و ستبقى إلى الأبد بلا ريب.فاليهود مع كثرتهم و وفره أموالهم و كونهم أكثر الناس عملا و كدّا فى سبيل الدنيا،ما استقرّت لهم دوله مستقلّه حره آمنه مطمئنّه،ذلك أن ضارب الذلّه(أى:الهوان)هو اللّه سبحانه،و جاعل المسكنه عليهم هو هو،فهم محتاجون لغيرهم أبد الأبد.و أىّ ذلّ(أى حقاره) و خزى هو أعظم من حاجه دوله إسرائيل المسخ التى تحتاج دوما للدّعم الخارجى،و التى هى ولايه-بالحقيقه-أقامتها أميركا هنا لتضرب المصالح العربيه و الإسلاميه،و لتبقى المنطقه-شرقىّ البحر المتوسط-تحت رحمتها و فى قبضتها،تولّى من تولّى و تعزل من تعزل،و مع ذلك لم تنم إسرائيل- المدّعاه دوله-لم تنم ليله واحده قريره العين،و شغلها الشاغل يتلخّص فى زرع الشّقاق و النّفاق أينما كان،لئلاّ يتفرّغ المسلمون لها و يزيلوها من الوجود.و ضربتها القاضيه التى تمحقها منتظره منصوص عليها فى كتبهم و أخبارهم و فى كتبنا و أخبارنا،و هى تتراءى فى الأفق القريب بإذن اللّه تعالى عجّل اللّه فرج من يزيل الوجود اليهودىّ عن وجه الأرض..

أما لماذا ضرب اللّه تعالى على اليهود هذه الذلّه و ابتلاهم بهذه المسكنه، فذلك أنهم قوم كفره فجره،ليس أحد فى الناس أشدّ منهم خصومه للأنبياء و عنادا لربّ السماء..جرّعوا موسى و هرون عليهما السلام الصّبر،و قتلوا الأنبياء قتلات نكر،و جحدوا نبوّه محمد(ص)مع أن كتبهم نصّت عليه بالصراحه و الجهر.و هم أهل لجاج و عناد و خبث و مكر،و لذا لعنوا أكثر من مره وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ رجعوا بعد صفاتهم هذه كلّها مغضوبا عليهم ملعونين مستحقّين

للغضب و اللّعن،و لـذلک قال تعالی: فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلی غَضَبٍ :الأول ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ کانُوا یَکْفُرُونَ بِآیاتِ اللّهِ ینکرونها،و الثانی أنّهم کانوا لا یتورّعون عن الوقوف فی وجه دعوه اللّه وَ یَقْتُلُونَ النَّبِیِّینَ بِغَیْرِ حَقٍّ کزکریّا و یحیی، و هـذا عمل تقشعرّ منه الأبـدان!.فإن قتل کائن من کان جرم کبیر،فکیف بقتل النبیّ الّذی هو من أعظم الکبائر علی الأرض و أجلّها عند اللّه تعالی؟.

ذٰلِکَ بِما عَصَوْا وَ کانُوا یَعْتَدُونَ ذلک:إشاره إلی ما ذکر من کفرهم و عصیانهم و تعدّیهم حدود اللّه و نیلهم من مقدّساته و نوامیسه،و استهزائهم باللّه و ملائکته و رسله و کتبه.و

فی الکافی و العیّاشی عن الصادق علیه السلام ،أنه تلا هذه الآیه فقال:و اللّه ما ضربوهم بأیدیهم،و لا قتلوهم بأسیافهم،و لکن سمعوا أحادیثهم فأذاعوها،فأخذوا علیها فقتلوا.فصار قتلا باعتداء و معصیه.. ذاک أن حکّام الجور-فی کلّ عصر-یتحرّون المصلحین و یلاحقونهم و یحبسونهم أو یقتلونهم لیتخلّصوا من دعوه الخیر التی تزلزل عرش الظّلم.و ما أکثر الوشاه الذین یشترکون فی مثل هذه الجرائم،لتصیر لهم زلفی عند حاکم الجور!.

أما ما

روی فی بعض المصادر من أنهم کانوا یقتلون بین الطّلوعین-من الفجر إلی بزوغ الشمس-سبعین نبیّا من أنبیائهم،ثم یعودون إلی بیعهم و شرائهم و کأنهم لم یفعلوا شیئا -أما مثل هذا القول فلا قیمه له،لأن الوقت هذا لا یتسع لقتل نبیّ و إرسال غیره،فکیف بإرسال سبعین و قتل السبعین؟.

نعم،إنهم بدافع أرواحهم الشریره-کانوا لا یتأخرون عن الوشایه بالرسول، و بکل فرد آمن به،و بجمیع الصّلحاء،و یوغرون صدور الحکّام علی الطیّبین من المؤمنین،فیؤدی عملهم هذا إلی الأسر و السجن المؤبّد و القتل لکلّ روحانیّ یحمل شیئا من دعوه السماء.

سوره البقره (۲): آیه ۶۲

إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ اَلَّذِينَ هادُوا وَ اَلنَّصارى وَ اَلصّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۶۲)

۶۲- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ...قالوا آمنّا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم ممّن حولك يا محمّد من المسلمين،لأنهم لو كانوا مؤمنين حقا لما عقّبه سبحانه بقوله: مَنْ آمَنَ بِاللّهِ إلخ... وَ الَّذِينَ هادُوا دخلوا فى اليهوديه.و هاد بمعنى رجع إلى الحق و تاب.و سمّوا يهودا لتوبتهم و رجوعهم عن عباده العجل.أو هو معرّب من يهوذا بن يعقوب الأكبر وَ النَّصارى جمع نصران،كسكارى و سكران.

دعوا بهذا الاسم إمّا لأنهم تناصروا فيما بينهم،أو لانتسابهم الى قريه الناصره التى كان يسكنها عيسى(ع)بعد عودته مع أمّه من مصر كما فى العيون عن الرضا عليه السلام. أو هو مأخوذ من قوله: مَنْ أَنْصارِى إِلَى اللّهِ؟.قالَ الْحَوارِيُّونَ:نَحْنُ أَنْصارُ اللّهِ . وَ الصّابِئِينَ و فى قراءه:

الصابين.و هم جيل صبوا الى دين اللّه أى:مالوا،و هم كاذبون فى دعواهم.

و قيل هم قوم بين المجوس و اليهود و النصارى لا دين لهم فى الواقع.و فى القمّى أنهم ليسوا من أهل الكتاب و لكنهم يعبدون الكواكب أو الملائكه، من:صبأ إذا خرج.أو أنهم من صبا:مال،و قد مالوا عن جميع الأديان مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ صدّق باللّه و بالبعث يوم القيامه،و نزع عن كفره من هؤلاء وَ عَمِلَ صالِحاً فعل ما أمره اللّه به خالصا عن الشوائب،لا يبغى إلاّ رضى الرّب فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ لهم ثوابهم الذى يستوجبونه على الإيمان

الكامل الخالص من كل ما كرهه اللّه وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ لا خوف عليهم فى الأخرى و لا يحزنون على الدنيا،و ينجون من هذين الأمرين الّذين قد يعرضان لكل أحد.فالاطمئنان من العتاب و الأمن من العقاب من أعظم النّعم و أجلّها.و فى هذه الآيه بشاره أيّه بشاره لأمّه محمّد(ص)و كرامه أيّه كرامه.و«من»هى مبتدأ و خبره فلهم أجرهم و هى فى موضع الجزم،و الجمله خبر إنّ و إنّما رفع:لتكرير«لا».

سوره البقره (٢): الآيات ٦٣ الى ٦٦

وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ اَلطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اُذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَلَوْ لا فَضْلُ اَللّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ اَلْخاسِرِينَ (٦٤) وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ اَلَّذِينَ اِعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي اَلسَّبْتِ فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْناها نَكالاً لِما بَيْنَ يَدَيْها وَ ما خَلْفَها وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٦٦)

٦٣- وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ ...أى اذكروا العهد الذى أخذناه عليكم بالعمل بما فى التّوراه من التكاليف،و من الاعتراف بنبوّه محمّد(ص) و الوصايه لعلىّ و الطيّبين من ذرّيتهما وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ و هو جبل فى صحراء التّيه بسيناء،قيل إن موسى(ع)لمّا جاءهم بالألواح رأوا أنّ ما فيها من

التکـاليف شـاقّ،فکـبر عليهم ذلـک و رفضوا قبولهـا،فـأمر الجليـل سـبحانه جبرائيـل(ع)فـاقتلع جبـل الطّور من أصـله و جعله فوق رؤوسـهم.تهديدا لعنادهم.فقـال لهم موسـى(ع)إمّـا أن ترضـوا بمـا فرض اللّه و تعطوا العهـد على العمـل به،و إمّـا إن يلقى الجبل عليکم-و کان الجبل بسعه معسکرهم-و قال:

خُذُوا ما آتَيْناكُمْ اقبلوه.و«ما»موصول يعنى التوراه.و الجمله فى محلّ نصب بتقدير:قلنا: خُذُوا ما آتَيْناكُمْ ... بِقُوَّةٍ أى بجدّ و إيمان صادق.و

فى العيّاشـى عن الصادق عليه السـلام أنه سـئل عن هـذه الآيه:أ قوّه فى الأبـدان،أم قوه فى القلوب؟.فقال:فيها جميعا.. أى بجـدّ و يقين من الجـوارح و عزيمه من الجوانـح. وَ اذْكُرُوا مـا فِيهِ و الضـمير فى«فيه»يعـود إلى«مـا»فى قوله:مـا أتينـاکم:يعنى التوراه الـتى جاءهم بها.أى لا تنسوا ما فيها و اعملوا بموجبها و لا تغفلوا شيئا منها لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لکى تتجنّبونى و تتّقونى و تخافوا عقابى.

۶۴- ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ ...أى:أعرضـتم عن العهد و الميثاق و الوفاء بهما بَعْدِ ذلِكَ بعد أخذکم ما عاهدتم عليه فَلَوْ لا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لو لا- تفضّـله عليکم بقبول التوبه،و إمهـاله لکم بعـد أن راجعتموه فيما فرض عليکم،و رحمته التى شـملتکم بإنعـامه عليکم بالإسـلام لو لا ذلک لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِـرِينَ مع من خسـر من الـذين لم يوفّقوا للتوبه و لا للإقرار بمحمّـد (ص)بعد ظهور دعوته،و لا خساره کتلک الخساره.و لفظه«لو»فى لولا:

لانتفاء الشىء بانتفاء غيره..و تلحقها«لا»فتنفيه لثبوت غيره.و الاسم بعدها مبتدأ،خبره واجب الحذف.

۶۵- وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ ...علمتم:عرفتم الذين اعتدوا:تجاوزوا حدود ما شـرع لهم من النهى عن صيد الأسماک يوم السبت.

و الذين اعتدوا فى موضع نصب مفعول به لعلمتم أمّا أمر أصـحاب السبت فمسطور فى التوراه و سائر کتب الأولين.و لذا خاطبهم سبحانه فقال:لقد

علمتم من خالف الأمر و لم يمتنع عن صيد الحيتان فى ذلك اليوم.و كان ذلك فى عهد داود عليه السلام كما فى بعض التفاسير المعتمده حيث شرعوا بالمخالفه فى قريه كانت على ساحل البحر فجعلوا فيها أحواضا و شرعوا لها جداول تدخلها الحيتان فى النهار أثناء المدّ الذى يصيب البحر،ثم لا تستطيع الخروج منها حيث يكون للبحر جزر فى الليل،فيأخذونها صباح كل يوم أحد بعد أن يستحلّوا اصطيادها يوم السبت.لذلك غضب اللّه تعالى عليهم و قال: كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ فجعلهم-بالمسخ-قرده مبعدين عن رحمته فى الدنيا و الآخره.فابتلوا بخزى المسخ و خزى الخسوء.و فى هذا إخبار عن سرعه فعله ذلك بهم،لا أنه أمر اصطلاحىّ بل معناه سرعه الفعل كقوله جلّ و علا: فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ ،حالا.فلم يكن هناك أمر،أى قول،و إنما هو إخبار عن سهوله الفعل عليه تعالى.و لا بدّ أن نحمل الأمر-فيما نحن فيه-على الإخبار،لأن متعلّق الأمر لا بدّ و أن يكون مقدورا للمأمور،و هاهنا ليس المأمور به تحت قدره المأمورين بمقتضى الطبيعه البشريه.قال ابن عباس:فمسخهم اللّه عقوبه لهم.و بقوا ثلاثه أيام لم يأكلوا و لم يشربوا،و لم يتناسلوا فأهلكهم اللّه.و جاءت ريح فهبّت بهم و ألقتهم فى الماء.و ما مسخ اللّه أمّه إلاّ أهلكها.و القرده و الخنازير المعروفه ليست نسل هؤلاء.بل هم أنفسهم مسخوا على صورتها.و إجماع المسلمين أنه ليس فى القرده و الخنازير من هو من أولاد آدم و العياذ باللّه من ذلك.

فمنذ قوله تعالى: يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ...-بعد قصه خلق آدم-حتى هذه الآيه الشريفه،نجد قوله تعالى كلّه احتجاجات منه على اليهود بنعمه المترادفه التى قابلوها بالعناد للرّسل،و لا سيما موسى بن عمران عليه السلام،و بالكفران و العصيان رغم ظهور الآيات و المعجزات الدالّه على صدق الرّسل و الدعوات،فعل سبحانه ذلك كلّه تعزيه لنبيّنا(ص)،و تثبيتا لقلبه

الشریف،و تسلیه عمّا کان یقاسیه من مخالفه الیهود و جحودهم،و لیکون ذلک تنبیها لهم و حجّه علیهم تدمغ إخلادهم إلی الضلاله و بقاءهم علی الإلحاد بأوامر اللّه،و تحذیرا لهم من أن یحلّ بهم ما حلّ بأسلافهم.

۶۶- فَجَعَلْناها نَکالاً لِما بَیْنَ یَدَیْها :الضمیر فی جعلنا یعود إلی الأمه التی مسخت قرده.

و هم أهل أیله،القریه التی علی شاطئ البحر کما هو المرویّ عن أبی جعفر الباقر علیه السلام . و قیل إنه قصد المسخ و القردیّه نَکالاً عقوبه لِما بَیْنَ یَدَیْها لمن حضرها و شاهدها وَ ما خَلْفَها و لمن یأتی بعدها من الأمم و من ذوی العقول-بقرینه المقام-فإن قضیه المسخ کانت و ما زالت عبره لکل معتبر من الأوّلین و الآخرین وَ مَوْعِظَهً لِلْمُتَّقِینَ أی أنها نصح و تذکیر لمن کان متّقیا منهم أو من غیرهم.

سوره البقره (۲): الآیات ۶۷ الی ۷۱

وَ إِذْ قالَ مُوسی لِقَوْمِهِ إِنَّ اَللّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَهً قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَکُونَ مِنَ اَلْجاهِلِینَ (۶۷) قالُوا اُدْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما هِیَ قالَ إِنَّهُ یَقُولُ إِنَّها بَقَرَهٌ لا فارِضٌ وَ لا بِکْرٌ عَوانٌ بَیْنَ ذلِکَ فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ (۶۸) قالُوا اُدْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما لَوْنُها قالَ إِنَّهُ یَقُولُ إِنَّها بَقَرَهٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ اَلنّاظِرِینَ (۶۹) قالُوا اُدْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما هِیَ إِنَّ اَلْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَیْنا وَ إِنّا إِنْ شاءَ اَللّهُ لَمُهْتَدُونَ (۷۰) قالَ إِنَّهُ یَقُولُ إِنَّها بَقَرَهٌ لا ذَلُولٌ تُثِیرُ اَلْأَرْضَ وَ لا تَسْقِی اَلْحَرْثَ مُسَلَّمَهٌ لا شِیَهَ فِیها قالُوا اَلْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوها وَ ما کادُوا یَفْعَلُونَ (۷۱)

۶۷- وَ إِذْ قالَ مُوسی لِقَوْمِهِ ...اذکروا-یا بنی إسرائیل-یوم قال موسی لیهود عصره: إِنَّ اللّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً و سبب الأمر بذبحها کما

رواه العیاشی مرفوعا إلی الرضا علیه السلام: أن رجلا من بنی إسرائیل قتل قرابه له، ثم أخذه و طرحه علی طریق أفضل سبط من أسباط بنی إسرائیل،ثم جاء یطلب بدمه.فقالوا لموسی:سبط آل فلان قتل فأخبرنا من قتله.فقال علیه السلام:

إِنَّ اللّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ائتونی ببقره، قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً أی تستهزی و تسخر منّا؟. قالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَکُونَ مِنَ الْجاهِلِینَ استعاذ به تعالی من أن یسخر و یستهزئ.و لو أنهم عمدوا إلی بقره أجزأهم،و لکن شدّدوا فشدّد اللّه علیهم.

۶۸- قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ ...سل ربّک لأجلنا یُبَیِّنْ لَنا ما هِیَ و ما صفتها لنمتثل أمره قالَ إِنَّهُ یَقُولُ بعد ما سألته إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَ لا بِکْرٌ عَوانٌ بَیْنَ ذلِکَ أی أنها لا مسنّه و لا فتیّه بل هی وسط بینهما.و

فی تفسیر الإمام(ع) أنها لا کبیره و لا صغیره. فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ فنفّذوا ما أمرکم اللّه تعالی به.

۶۹- قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما لَوْنُها ...سألوا عن لونها قالَ إِنَّهُ یَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها صفراء شدیده الصّفره حتی قرنها و ظلفها تَسُرُّ النّاظِرِینَ ترتاح نفس الناظرین إلیها.فعن الصادق علیه السلام:من لبس نعلا صفراء لم یزل مسرورا حتی یبلیها.

۶۹- قـالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما لَوْنُها ...سألوا عن لونها قالَ إِنَّهُ یَقُولُ إِنَّها بَقَرَهٌ صَـ فْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها صـفراء شدیـده الصّـ فره حتی قرنها و ظلفها تَسُرُّ النّاظِرِینَ ترتاح نفس الناظرین إلیها.فعن الصادق علیه السلام:من لبس نعلا صفراء لم یزل مسرورا حتی یبلیها.

۷۰- قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ ...سألوه أن یسأل ربه یُبَیِّنْ لَنا ما هِیَ تکریرا لزیاده الاستیضاح و بیانا لکثره لجاجهم و شـده خصومتهم مع نبیّهم(ع) و تمـادیهم فی غیّهم الـذی بلغوا فیه مـداه،و عنـادهم و إلحـاحهم فی المخـالفه، فقالوا: إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَیْنا أی اشـتبهت صفته التی أمر اللّه بها،فإذا تمّ وصفها الدقیق سنأتی بها للذبح وَ إِنّا إِنْ شاءَ اللّهُ لَمُهْتَدُونَ إلی صفتها بتعریف اللّه.

۷۱- قـالَ إِنَّهُ یَقُولُ إِنَّهـا بَقَرَهٌ ...أجـاب موسـی(ع)أن اللّه تعـالی یقول إنهـا لاـ ذَلُولٌ تُثِیرُ الْأَرْضَ لم تـذلّل بحراثه الأـرض و قلبها بالفلاحه و بأظلافها وَ لا تَسْقِی الْحَرْثَ و لیست من النواضح التی تدیر النواعیر فتسقی الزرع و الفعلان صفتان لذلول،فکأنّه قال:لا ذلول مثیره و ساقیه.لا،الأولی:نافیه.

و الثانیه:مزیـده لتوکیـد الأولی.و البقره الموصوفه مُسَـلَّمَهٌ لا شِـیَهَ فِیها سـلیمه من العیوب،لا وضح فیها و لا لون یخالط لونها. قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ أی ظهرت حقیقه صفاتها.

و البقره قد طلبوها من أول الأمر فوجدوها عند فتی من بنی إسرائیل قال:

لا أبیعها إلّا بملء مسکها ذهبا.فوجدوا ثمنها باهظا فأخذوا یتردّدون فی السؤال،و ضیّقوا علی أنفسهم فضیّق اللّه تعالی علیهم.و

قـد سـئل رسول اللّه(ص):إنّ هـذه البقره مـا شأنها؟.فقال:إن فتی من بنی إسـرائیل کان بارّا بأبیه،و إنّه اشتری سـلعه فجاء إلی أبیه فوجده نائما و الإقلید تحت رأسه فکره أن یوقظه،فترک ذلک.و استیقظ أبوه فأخبره،فقال له:أحسنت،خذ هذه البقره

فإنها لک عوض لما فاتک.فقال رسول اللّه(ص):انظروا إلى البرّ ما بلغ بأهله.

أما القتيل فقال عنه ابن عباس:کان شيخا مثريا،قتله بنو أخيه و ألقوه على باب غيرهم کما مرّ فسألوا موسى و أمروا بذبح البقره ليضرب القتيل ببعضها فيعود إلى الحياه و يخبر عن قاتله..

فلمّا تمّت صفات البقره اشتروها فَذَبَحُوها وَ ما کادُوا يَفْعَلُونَ أى فعلوا ذلک ببطء و کانوا يريدون أن لا يفعلوا ذلک:إمّا لغلاء ثمنها.و إمّا خوف فضيحه القاتل،و إمّا لجاجا فى العناد کما هى عادتهم.

سوره البقره (٢): الآيات ٧٢ الى ٧۴

وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّارَأْتُمْ فِيها وَ اَللّهُ مُخْرِجٌ ما کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنا اِضْرِبُوهُ بِبَعْضِها کَذلِکَ يُحْيِ اَللّهُ اَلْمَوْتى وَ يُرِيکُمْ آياتِهِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُکُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ فَهِيَ کَالْحِجارَهِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَهً وَ إِنَّ مِنَ اَلْحِجارَهِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ اَلْأَنْهارُ وَ إِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ اَلْماءُ وَ إِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَهِ اَللّهِ وَ مَا اَللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ (٧۴)

٧٢- وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً ...خوطب الجميع لوجود القتل فيهم أو لمداهنه غير المباشرين معهم،الکاشفه عن رضاهم بفعلهم،لکون القاتل معلوما عند أکثرهم من القرائن،غير أن المصلحه اقتضت إظهاره بهذه الکيفيه. فَادّارَأْتُمْ فِيها أى اختلفتم و تخاصمتم،و أصل الفعل تدارأتم فأدغمت التاء بالدال

و وصلت الهمزه بالمدغم لاستحاله النّطق بالساكن،أى تدافعتم فدفع كلّ متّهم التّهمه عن نفسه وَ اللّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ أى مظهره و مبرزه، و كاشف عمّا تسرّون فى أنفسكم من كتمان المعلومات.

۷۳- فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها ...أى خذوا جزءا من البقره التى ذبحتموها،كذنبها أو فخذها أو لسانها،ثم اضربوا القتيل به فإنه يحيا و يخبر بقاتله.و هكذا فعلوا،فإنهم لما ضربوه قام بإذن اللّه و أوداجه تشخب دما و قال:قتلنى ابن عمى،ثم قبض و عاد إلى نومته. كَذٰلِكَ يُحْيِ اللّهُ الْمَوْتى أى يعيد لهم الحياه،كما أحيا ميّتا بملاقاه ميّت آخر فى الدنيا،و كما يبعث الحياه فى مخلوق يتلاقى فيه ماء صلب الرجل بماء ترائب المرأه،و كما يلبس ثوب الحياه لكل مخلوق بنفس الطريقه،و يخرج منه مثل نوعه و وفق نظام دقيق عجيب.أما فى الآخره فإن اللّه سبحانه ينزّل-بين نفختى الصور-من دوين السماء مطرا على الأرض-لعلّ فيه أرواح الموتى-فتنبت أجساد الخلائق و يعودون إلى الحياه للحساب.و قوله تعالى: كَذٰلِكَ يُحْيِ اللّهُ الْمَوْتى ، خطاب من سبحانه لمشركى قريش و غيرهم يبيّن فيه سهوله البعث. وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ دلائل قدرته و أعلام الدلاله على صدق محمّد(ص) لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ تفكّرون و تستعملون عقولكم كيلا تكونوا كمن لا عقل له.

و لو قيل:لم لم يحى اللّه القتيل ابتداء و بدون هذه الوسيله؟.قلنا:

المصالح تخفى حقيقتها،و إن كان ظهر منها:المعجزه النبويّه التى تتجلّى فيها قدره اللّه جلّ و علا،و نفع الولد البارّ بأبيه،و إظهار الحق بعد ظهور العناد، و إحراز توبه المكابرين،و جعل هذه القصه عبره للمعتبرين بآيات اللّه من بنى إسرائيل و من المسلمين.

۷۴- ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ...ثم:لاستبعاد القسوه التى هى الصلابه و ذهاب اللين و الرحمه مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ أى بعد إحياء القتيل،و بعد تلك الآيه

الموجبه للّين،فعادت قلوبكم بعدها بقليل إلى القسوه فَهِيَ كَالْحِجارَهِ فى صلابتها و عدم لينها أَوْ أَشَدُّ قَسْوَهً من الحجاره و لم يقل سبحانه:أقسى،بل قال:أشد لأنها أبلغ فى إظهار القسوه،و قد بيّن تلك الأشديّه بقوله: وَ إِنَّ مِنَ الْحِجارَهِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ أى من الحجاره ما هو أنفع للناس منكم لأنفسكم.

فمن الحجاره ما ينبع منه الماء و تفيض العيون كحجر موسى(ع)و حجاره الجبال. وَ إِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَهِ اللّهِ يهبط:ينزل و يتردّى من أعالى الجبال خشيه و انقيادا و خضوعا و خوفا فى اللّه و قلوبكم يا معشر اليهود لا تنفعل و لا تتأثّر بشىء و لا تنقاد لأوامر اللّه و لا تخشاه وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ أيّها المكذّبون بآياتى،الجاحدون لنبوّه خاتم رسلى محمد(ص).

فإن قيل:لم قال سبحانه: مِنَ الْحِجارَهِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ.وَ إِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ... و كلاهما بمعنى واحد.فما فائده الثانى بوجود الأول؟.قلنا:التفجّر يدلّ على الكثره و القوه فى الدفع،و الخروج فى الثانى يدلّ على القلّه و الجريان بالسّح.فهما متغايران،يرمزان إلى القلوب التى تكون مره عامره بالايمان و الإخلاص و الرحمه،و مره فيها شىء من الإيمان على الأقل،فى حين أن قلوب هؤلاء لا من هذا الصنف و لا من ذاك.

سوره البقره (٢): الآيات ٧٥ الى ٧٨

أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اَللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَ إِذا لَقُوا اَلَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا وَ إِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قالُوا أَ تُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اَللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَ وَ لا يَعْلَمُونَ أَنَّ اَللّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ (٧٧) وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ اَلْكِتابَ إِلاّ أَمانِيَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ (٧٨)

۷۵- أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ...الخطاب للنبيّ(ص)،و لصحبه.

يعنى:هل أنتم تحرصون و ترغبون بأن يؤمن لكم هؤلاء اليهود،و يصدّقوا بالنبيّ و كتابه و يقبلوا ما فيه وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللّهِ أى فى حال أن فريقا:فئه،منهم-أسلافهم-كانوا يسمعون كلام اللّه تعالى على لسان نبيّه موسى(ع)فى طور سيناء،و كانوا يفهمون أوامره و نواهيه و جميع مواعظه و نصائحه، ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ يغيّرونه و يحوّلونه عن حقيقته،و يؤوّلونه وفق ميولهم،و ينقلون إلى من يليهم من بنى إسرائيل قولا محرّفا.فإن موسى(ع) كان قد اختار سبعين من صلحاء قومه،و اجتبى الأخيار منهم ليحضروا نزول التوراه و يكونوا شهداء على الحق لدى قومهم،ثم كان منهم التحريف و التأويل و التغيير و التبديل،مع أنهم ذوو العقول و الأفهام،بل هم المقدّمون،فكيف تطمعون-و الحاله هذه-بهؤلاء السفله الجهال من اليهود الذين يعاصرونكم و يقفون من الوحى موقف الإنكار وَ هُمْ يَعْلَمُونَ علما وجدانيّا أنهم مفترون كذبه فيما ينقلونه لأصحابهم من صفات محمّد(ص) و موعد بعثته.فإذا حرّف هؤلاء الخلف،فقد حرّف من قبلهم سلفهم المعاند لآيات اللّه تعالى.

ص: ۹۷

۷۶- وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ...كسلمان و أبى ذرّ و المقداد و نظرائهم قالُوا أى قال هؤلاء المنافقون: آمَنّا صدّقنا بأن محمدا(ص)على الحق و أنّه المبشّر به فى التوراه،و أنه هو المعرّف فيها بنعوته الخاصه وَ إِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ جمعتهم خلوه مع أقرانهم من منافقى اليهود-بعيدا عنكم- قال المنافقون لأندادهم ممّن قابلوا المؤمنين:لم حدّثتم المؤمنين بمحمّد بما بيّن اللّه لكم فى التّوراه من صفاته؟.و لم أخبرتموهم بذلك و فتحتم لهم باب الاحتجاج عليكم و علينا-اليوم و فى يوم القيامه-حين أظهرتم لهم ما نطق به كتابكم أَ فَلا تَعْقِلُونَ و تدركون أن الذى اعترفتم به لهم،صار حجه فى يدهم علينا جميعا عند ربّنا!.فانظر إلى عناد اليهود و كفرهم،فقد رأوا-بجهلهم- أنهم إن لم يحدّثوا المؤمنين بما فى التوراه من أوصاف النبىّ(ص)لا يكون لدى المؤمنين حجه أخرى غيرها،أو أنه لا يحدّثهم بذلك غيرهم،أو أنّ ما فى التوراه يخفى عليهم!.و نسوا أنّ اللّه سبحانه قد أخبر نبيّه بما فى التوراه و بما فى غيرها من الكتب السّماويه من أوصافه و علاماته،و أنه لم يكن عند أصحاب الكتب أىّ شك فى أنه هو النبىّ الموعود،و أنه خاتم النّبيين و المرسلين.

۷۷- أَ وَ لا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ...أ فلا يعرف اليهود القائلون لإخوانهم:أ تحدّثونهم بالحقّ ليحاجّوكم به أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ يعرف ما يُسِرُّونَ ما تحكونه فى سرّكم،و ما تضمرونه من عداوه محمّد وَ ما يُعْلِنُونَ من إيمانكم الكاذب لأنكم تظهرون الإيمان و تبطنون الكفر...و الاستفهام تقريرىّ،أى:

نعم إنه يعلم جميع ذلك.

۷۸- وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ...جاهلون للقراءه و الكتابه (۱)لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ أى التوراه إِلاّ أَمانِيَّ جمع:أمنيه،و هى التعليل بالكذب،فهم لا

******

(۱) لعلّ وجه التسميه بالأمىّ تعنى النسبه للأم،أى أنه كنايه عن أنه لا يزال كما خرج من بطن أمّه لا يقرأ و لا يكتب.

یعرفون من التوراه إلاّ أکاذیب أحبارهم المختلقه،و لا یفهمون النّصوص-حین یسمعونها منهم-و یتّبعون قولهم و لو کان علی خلاف ما فی التوراه وَ إِنْ هُمْ إِلاّ یَظُنُّونَ بما یقلّدون به رؤساءهم،مع أنه یحرم علیهم تقلیدهم.

قال رجل للصادق علیه السلام:إذا کان عوامّ الیهود لا یعرفون الکتاب إلاّ بما یسمعونه من علمائهم،لا سبیل لهم إلی غیره،فکیف ذمّهم بتقلیدهم و القبول من علمائهم، و هل عوامّ الیهود إلاّ کعوامّنا یقلدون علماءهم؟،فإن لم یجز لأولئک القبول من علمائهم لم یجز لهؤلاء.فقال علیه السلام:بین علمائنا و عوامّنا و بین عوامّ الیهود و علمائهم فرق من جهه،و تسویه من جهه،أما من حیث استووا فإنّ اللّه قد ذمّ عوامّنا بتقلیدهم علماءهم کما قد ذمّ عوامّهم.و أما من حیث افترقوا فلا..قال:بیّن لی ذلک یا ابن رسول اللّه(ص).قال:إن عوامّ الیهود کانوا قد عرفوا علماءهم بالکذب الصّریح و أکل الحرام و الرّشی،و بتغییر الأحکام عن واجبها بالشفاعات و العنایات و المصانعات.و عرفوهم بالتعصّب الشدید الذی یفارقون به أدیانهم،و أنّهم إذا تعصّبوا أزالوا حقوق من تعصّبوا علیه، و أعطوا ما لا یستحقّه من تعصّبوا له من أموال غیرهم و ظلموهم من أجلهم.

و عرفوهم یقارفون المحرّمات،و اضطرّوا بمعارف قلوبهم إلی أنّ من فعل ما یفعلونه فهو فاسق لا یجوز أن یصدّق علی اللّه و لا علی الوسائط بین الخلق و بین اللّه.فلذلک ذمّهم لمّا قلّدوا من قد عرفوا و من قد علموا أنه لا یجوز قبول خبره، و لا تصدیقه فی حکایته،و لا العمل بما یؤدّیه إلیهم عمّن لم یشاهدوه. و وجب علیهم النظر بأنفسهم فی أمر رسول اللّه(ص)،إذ کانت دلائله أوضح من أن یخفی،و أشهر من أن لا یظهر لهم.و کذلک عوامّنا إذا عرفوا عن فقهائهم الفسق الظاهر،و العصبیه الشدیده،و التکالب علی حطام الدّنیا و حرامها و إهلاک من تعصّبوا علیه.إلی أن

قال علیه السلام: فمن قلّد من عوامّنا مثل هؤلاء الفقهاء،فهم مثل الیهود الذین ذمّهم اللّه بالتقلید.. و فی آخر الروایه

قال عليه السلام:

فأمّا من كان من الفقهاء صائنا لنفسه،حافظا لدينه،مخالفا لهواه، مطيعا لأمر مولاه،فللعوامّ أن يقلّدوه. و ذلك لا يكون إلاّ عند بعض فقهاء الشيعه لا جميعهم.

سوره البقره (٢): الآيات ٧٩ الى ٨٢

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ اَلْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اَللّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمّا يَكْسِبُونَ (٧٩) وَ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا اَلنّارُ إِلاّ أَيّاماً مَعْدُودَهً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اَللّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اَللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اَللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَهً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ اَلنّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٨١) وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ أُولئِكَ أَصْحابُ اَلْجَنَّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٨٢)

٧٩- فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ اَلْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ...الويل:حلول الشّر.

و الهلاك.و أدنى و أسوأ بقاع جهنم،أو شده العذاب فيها.و كلمه تلهّف و تحسّر.و هو مصدر لا فعل له.و هو هنا مبتدأ نكره،لأنه دعاء،و لا بأس به فيها.و المراد بالذين يكتبون الكتاب:اليهود.أى الذين يكتبون التوراه المحرّفه،بأيديهم-تأكيدا،كما يقال:رآه بعينه،و سمعه بأذنه.فهذه

التأكيدات مصطلح وارد فى كل اللغات و اللّهجات،و قد نزل القرآن عليها ترغيبا فيه.و يمكن أن يجاب عن ذكر الأيدى بأن فى ذكرها فائده تدلّ على بيان مباشرتهم ذلك التحريف بأنفسهم،مما يزيد فى تقبيح عملهم،فإنه قد يقال:كتب فلان كذا،و إن لم يباشر الكتابه بنفسه كمن يكون عند كاتب.

فهؤلاء كانوا يحرّفون أحكام التوراه ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللّهِ و ذلك أنهم كتبوا صفات النبى(ص)عن التوراه بعد ما حرّفوها،ثم نسبوها إلى التوراه المنزله،كقولهم للمستضعفين:إنه يظهر فى آخر الزمان،و أنه طويل القامه،ضخم الجثه،بطين،أصهب الشّعر أشقره.و نحو ذلك من الصفات الكاذبه التى ليس فيه(ص)واحده منها لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً- أى ليعتاضوا بما يأخذونه من أعراض الدنيا.كالهدايا و الرّشى و الوجاهه،و غير ذلك مما هو قليل زائل مهما كان جليلا. وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمّا يَكْسِبُونَ من الحرام،و المعاصى بإزاء هذه المقالات الكاذبه.

٨٠- وَ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النّارُ ...هذا جوابهم لذوى أرحامهم حين سألوهم:لم تفعلون هذا النفاق مع أنكم تنالون غضب اللّه و سخطه و ستخلدون فى النار؟.فأجابوا قائلين:ليس الأمر كما تزعمون،و لن يعذّبنا اللّه بالنار إِلاّ أَيّاماً مَعْدُودَةً كمقدار ما عبدنا العجل-أربعين يوما-ثم نصير إلى الجنان.و المسّ هو اتصال الشىء ببشره الجسم حيث يتمّ الإحساس.

قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّهِ عَهْداً أى:يا محمّد قل لهؤلاء المنافقين:بأى برهان تستدلّون على دعواكم الباطله؟.هل عقدتم مع اللّه سبحانه عهدا بأن لا يعذّبكم إلاّ بمقدار ما عبدتم العجل؟. أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ أم تدّعون الكذب و تفترون على اللّه؟.أى بأىّ الأمرين تقولون،فأنتم كاذبون.همزه أم عديله،و يمكن أن تكون منقطعه،بمعنى:بل تقولون على اللّه ما ليس لكم به علم.

۸۱- بَلی مَنْ کَسَبَ سَیِّئَهً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِیئَتُهُ ...بلی:إثبات لما یتفوّه به.و هی ردّ علیهم،أی:نعم قد تمسّکم النار،أنتم و کل مَنْ کَسَبَ سَیِّئَهً عمل عملا قبیحا و فعلا شنیعا وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِیئَتُهُ طوّقته من جمع نواحیه.

و ذلک کمن أشرک باللّه أو أنکر وجوده عزّ و جلّ،فإنه لیس بعد الکفر ذنب کما یقال،فالآیه الشریفه تشیر إلی عظم الخطیئه التی من شأنها أن تحیط بمرتکبیها کإنکار الصانع و العیاذ باللّه فَأُولئِکَ أی المرتکبون للسیئات،الذین تحیط بهم خطایاهم،هم أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ

ففی الکافی،ورد فی ذیل هذه الآیه أن الصادق علیه السلام قال: لأنّ نیّاتهم فی الدنیا أن لو خلّدوا فیها أن یعصوا اللّه أبدا،فبالبیّنات خلّدوا. و

فی التوحید،عن الکاظم علیه السلام قوله: لا یخلّد اللّه فی النار إلاّ أهل الکفر و الجحود و الضّلال و الشّرک. و هذه الروایه تؤیّد ما قلناه من أن السیّئه الموجبه للخلود فی النار هی الکفر.و

فی تفسیر الإمام علیه السلام: السیئه المحیطه هی الشّرک باللّه تعالی،و الکفر به.

و

فی الکافی عن أحدهما(ع)قال: إذا جحدوا إمامه أمیر المؤمنین(ع)فأولئک أصحاب النار هم فیها خالدون.

۸۲- وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ ...لما توعّد اللّه المسیئین الخاطئین بالنار،ثنّی بوعده الکریم لمن یعملون الأعمال الصالحه،أی یأتمرون بما أمر به و یترکون ما نهی عنه و قابل الوعید بالوعد لیری الناس ثوابه و یخشون عقابه،ثم عطف العمل علی الإیمان لإخراجه عنه و لتغایرهما، و قال:إن المؤمنین الذین یفعلون الواجبات و یلتزمون بالتّروک أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَنَّهِ هُمْ فِیها خالِدُونَ

سوره البقره (۲): الآیات ۸۳ الی ۸۶

وَ إِذْ أَخَذْنا مِیثاقَ بَنِی إِسْرائِیلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اَللّهَ وَ بِالْوالِدَیْنِ إِحْساناً وَ ذِی اَلْقُرْبی وَ اَلْیَتامی وَ اَلْمَساکِینِ وَ قُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً وَ أَقِیمُوا اَلصَّلاهَ وَ آتُوا اَلزَّکاهَ ثُمَّ تَوَلَّیْتُمْ إِلاّ قَلِیلاً مِنْکُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (۸۳) وَ إِذْ أَخَذْنا مِیثاقَکُمْ لا تَسْفِکُونَ دِماءَکُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَکُمْ مِنْ دِیارِکُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (۸۴) ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَکُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِیقاً مِنْکُمْ مِنْ دِیارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَیْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ اَلْعُدْوانِ وَ إِنْ یَأْتُوکُمْ أُساری تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَیْکُمْ إِخْراجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ اَلْکِتابِ وَ تَکْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ یَفْعَلُ ذلِکَ مِنْکُمْ إِلاّ خِزْیٌ فِی اَلْحَیاهِ اَلدُّنْیا وَ یَوْمَ اَلْقِیامَهِ یُرَدُّونَ إِلی أَشَدِّ اَلْعَذابِ وَ مَا اَللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ (۸۵) أُولئِکَ اَلَّذِینَ اشْتَرَوُا اَلْحَیاهَ اَلدُّنْیا بِالْآخِرَهِ فَلا یُخَفَّفُ عَنْهُمُ اَلْعَذابُ وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ (۸۶)

۸۳- وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِى إِسْرائِيلَ ...و اذكر يا محمد حيث ألزمناهم إلزاما مؤكدا لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللّهَ إخبار معناه النّهى،و هو أبلغ من صريحه فكأنّه قد سورع إلى امتثاله فأخبر عنه،و يؤيّده قراءه:لا تعبدوا وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً

أی تحسنون لهما إحسانا.

ففی الکافی أن الصادق علیه السلام سئل:ما هذا الإحسان؟.قال:أن تحسن صحبتهما،و أن لا تکلّفهما أن یسألاک شیئا مما یحتاجان إلیه،و إن کانا مستغنیین وَ ذِی الْقُرْبی أی بذی القربی،تصلونه و تحفظون قربه منکم وَ الْیَتامی أن ترأفوا بهم و تعطفوا علیهم و تعاملوهم بالشفقه وَ الْمَساکِینِ و أن تؤتوا المساکین حقوقهم المشروعه لهم.و المسکین بوزن مفعیل من السکون.فکأنّ الفقر أسکنهم فی بیوتهم أو قعد بهم عن الطّلب و أخجلهم وَ قُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً یعنی قولا حسنا،بأن تعاملوهم بالخلق الجمیل،و قد وصف القول بالمصدر مبالغه وَ أَقِیمُوا الصَّلاهَ فی أوائل أوقاتها لأنها فیها تکون موجبه لرضوان اللّه تعالی،و فی أواخرها تقتضی عفوه.و فی ذلک إیماء إلی عدم رضاه سبحانه لتأخیرها،غایه الأمر العدم الذی یعقبه العفو و التجاوز،و یتضمّن الأمر بإقامتها:إتیانها بجمیع شرائطها التی لها دخل فی صحتها و کمالها وَ آتُوا الزَّکاهَ التی هی کفء قرینه للصلاه فی الاهتمام بشأنها،لإخراجها و إیصالها إلی أهلها علی ما فرضه اللّه سبحانه فی کتابه ثُمَّ تَوَلَّیْتُمْ أعرضتم أیها الیهود عن الوفاء بالعهد إِلاّ قَلِیلاً مِنْکُمْ أی من أسلم منکم وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ منصرفون،مستمرّون فی الإعراض،و مستبدّون بعدم الوفاء!و قد قیل فی تعلیل ذلک:

فإن قلت:إن التولّی و الإعراض واحد،فما فائده الجمیع بینهما فی الآیه؟.قلنا:معناه أنکم تولّیتهم عن الوفاء بالعهد و المیثاق،و أنتم معرضون علی التفکیر و النظر فی عاقبه ذلک.و هو جواب لا بأس به.أما الخطاب فی الآیه الکریمه،فللموجودین منهم،من عهد رسول اللّه،و سلفهم-علی التغلیب-.

۸۴- وَ إِذْ أَخَذْنا مِیثاقَکُمْ ...أی:یا بنی إسرائیل اذکروا حین أخذ المیثاق علی أسلافکم و علی من یصل إلیه هذا الأمر من الإخلاف الذی أنتم

ص: ۱۰۴

فيه لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ أى لا يريق بعضكم دماء بعض وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكَمْ مِنْ دِيارِكُمْ فيه احتمالان:أحدهما:أن يكون المراد أن لا تفعلوا ما يبيح قتلكم و إخراجكم عن بلادكم و أوطانكم.و قد جعل غير الرجل نفسه لاتّصاله به أصلا أو دينا. ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ اعترفتم بذلك الميثاق كما اعترف به أسلافكم وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ على إقرار أسلافكم.

۸۵- ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ ...أيها المنافقون الناكثون المخاطبون تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ بفعلكم ما يكون سببا لقتلكم،أو أن المراد:قتل بعضهم بعضا وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ تظاهرون:تتظاهرون اى تتعاونون عليهم بما هو إثم:أى قبيح يستحقّ فاعله اللّوم عليه.و العدوان:هو الإفراط فى الظّلم و التعدّى،و ذلك محرّم وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ يعنى أن الذين تخرجونهم من ديارهم،و تتعاونون على ذلك و على ظلمهم و قتلهم،إن أسرهم أعداؤكم أو أعداؤهم تدفعون عنهم فديه للأعداء،من أموالكم،و تأخذونهم من أيديهم بكلّ قيمه و بكل وسيله كانتا وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ كرّر سبحانه تحريم إخراجهم من ديارهم لئلّا يتوهّم تحريم المفاداه.و الضمير فى قوله وَ هُوَ للشأن.هذا على قراءه مُحَرَّمٌ بصيغه اسم المفعول و رفع قوله إِخْراجُهُمْ .أما على قراءه مُحَرَّمٌ بصيغه اسم الفاعل،فالضمير راجع إلى اللّه تعالى بقرينه المقام و لا بدّ من نصب إِخْراجُهُمْ فى هذه الحاله.

أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فالذى أوجب المفاداه هو الذى حرّم القتل و إخراج العباد عن ديارهم.فما بالكم تطيعونه فى بعض و تعصونه فى الآخر؟. فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ أى يا معاشر اليهود:

ما قصاص من يعمل عملكم إِلاّ خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا أى ذلّ بضرب الجزيه عليهم،و قيل هو قتل بنى قريظه و أسرهم و إجلاء بنى النّضير.هذا و لمّا كان

دیدن الیهود-جنسا-هو العمل بآرائهم السخیفه و مخالفتهم لشرع الإسلام خلفا عن سلف،فلذا یمکن أن یقال إن المراد من الخزی هو الذلّ و الهوان الدائمان فی الدنیا بأن قدّر ذلک علیهم بلا اختصاص بعصر دون عصر و لا زمان دون زمان وَ یَوْمَ الْقِیامَهِ یُرَدُّونَ إِلی أَشَدِّ الْعَذابِ یرجعون إلی عذاب فی الآخره یتفاوت علی قدر مراتب معاصیهم و مخالفتهم له سبحانه و تعالی.و هو تأکید للوعید المذکور آنفا.

۸۶- أُولئِکَ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الْحَیاهَ الدُّنْیا بِالْآخِرَهِ :ابتاعوا حظّ الدنیا الفانیه و حطامها الزائل،بنعیم الآخره الباقیه الخالده فَلا یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ لأنّهم باعوا آخرتهم بدنیاهم،فما لهم فی الآخره إلّا النار وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ یعانون و یساعدون بدفع العذاب عنهم و رفع العقوبات.

سوره البقره (۲): الآیات ۸۷ الی ۸۹

وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی اَلْکِتابَ وَ قَفَّیْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَیْنا عِیسَی اِبْنَ مَرْیَمَ اَلْبَیِّناتِ وَ أَیَّدْناهُ بِرُوحِ اَلْقُدُسِ أَ فَکُلَّما جاءَکُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوی أَنْفُسُکُمُ اِسْتَکْبَرْتُمْ فَفَرِیقاً کَذَّبْتُمْ وَ فَرِیقاً تَقْتُلُونَ (۸۷) وَ قالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اَللّهُ بِکُفْرِهِمْ فَقَلِیلاً ما یُؤْمِنُونَ (۸۸) وَ لَمّا جاءَهُمْ کِتابٌ مِنْ عِنْدِ اَللّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ کانُوا مِنْ قَبْلُ یَسْتَفْتِحُونَ عَلَی اَلَّذِینَ کَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا کَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اَللّهِ عَلَی اَلْکافِرِینَ (۸۹)

ص: ۱۰۶

۸۷- وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ ...أى التوراه وَ قَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ قفّينا:أتبعنا به و أرسلنا على أثره الرّسل:الأنبياء،واحدا بعد واحد وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ أى المعجزات الواضحه:كإبراء الأكمه و الأبرص، و إحياء الموتى،و الإخبار بالمغيّبات.أو أن المراد بالبيّنات هو الإنجيل.

و عيسى بالسّريانيه هو(إبشوع)الذى معناه:المبارك.

و لعلّ لغته كانت السريانيه،و مريم معناه:العابده أو الخادمه،لأنها كانت متبتّله تشتغل فى العباده و خدمه الهيكل..ثم قال سبحانه عن عيسى وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أى قوّيناه به.و يقال إن روح القدس هو جبرائيل عليه السلام.و قيل إنه ملك موكّل بحراسه الأنبياء من الحوادث،و بحفظهم عن الشّبهات و تسديدهم و إلهامهم العلوم و المعارف،و الإفاضه عليهم بما يليق بشؤونهم الساميه آنا بعد آن اختصاصا من اللّه تعالى لهم،و لا يكون مع غيرهم.و قيل أيضا هو الاسم الأعظم الذى به يحيى الموتى و به يحصل تنفيذ سائر الأمور الخارقه للعاده كالمعاجز و غيرها.

و الروح القدس هو الذى رفع عيسى عليه السلام من روزنه داره إلى السماء،و ألقى شبهه على من وشى به و أراد قتله و صلبه،فقتل هو و صلب مكانه.و قيل إن الذى رفعه و ألقى شبهه على رجل آخر هو جبرائيل عليه السلام.و

عن الباقر عليه السلام: ألقى شبهه على رجل من خواصّه ليقتل

فيكون معه فى درجته. أَ فَكَلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ يا معشر اليهود:ما لكم كلّما أرسلنا نبّا لا يجيئكم بما تحبّون اِسْتَكْبَرْتُمْ أى:

أخذتكم الكبرياء عن اتّباعه و إطاعته فيما يأمر به أو ينهى عنه فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ كموسى و عيسى عليهما السلام وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ كما فعل أسلافهم،مضافا إلى أن الحاضرين عهد محمّد(ص)راموا قتله و قتل وصيّه علىّ(ع)فخيّب اللّه سعيهم و قطع رجاءهم،كما فعلوا ليله العقبه و ليله المبيت.بل كانوا-فى الحرب-يترصّدون دائما قتله صلوات اللّه و سلامه عليه.

٨٨- وَ قالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ (١)...أى مغشاه بأغطيه تحول دون وصول ما تقوله يا محمّد لنا،و لا نعرف لك فضلا مذكورا فى كتب اللّه،و لا على لسان أىّ نبىّ من أنبيائه.فردّ اللّه تعالى عليهم بقوله: بَلْ لَعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ أى أبعدهم من الخير و الرّحمه،و أخزاهم لكفرهم،إذ ليست قلوبهم غلفا بطبيعه خلقها فيصير تعذيب اللّه سبحانه لهم ظلما حيث لم يصدّقوا بمحمّد(ص)و لا عرفوه،بل هى كقلوب سائر العباد مخلوقه على الفطره،قابله لمعرفه كلّ شىء،و لكنّ الأمر هو غير ذلك،فقد لعنهم اللّه بسبب كفرهم فَقَلِيلاً ما يُؤْمِنُونَ فإيمانهم:تصديقهم فى غايه القلّه بدليل أنهم يؤمنون ببعض الكتاب و يكفرون ببعض...أما كلمه ما فمزيده،و فائدتها التأكيد لما تدخل عليه.

٨٩- وَ لَمّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ ...أراد بالكتاب القرآن المقدّس مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ أى:التوراه،فإنّ القرآن يصدّق بأنها كتاب سماوىّ نزل من عند ربّ العالمين وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ أى قبل ظهور محمّد(ص)بالرساله و الدّعوه،كانوا يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أى يطلبون الفتح و الظّفر و النّصر على المشركين و يقولون:أللّهم انصرنا بالنّبىّ المبعوث فى آخر

****

(١) الغلف:بفتح الألف و سكون اللام،معناه:الغشاء.

الزمان،الذی نجد وصفه و نعته فی التّوراه،و کان اللّه تعالی یفتح علیهم و ینصرهم علی أعدائهم من مشرکی العرب بفضل محمّد(ص)و کرامته فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا أی:حین أتاهم ما عرفوا من الحقّ المذکور فی کتابهم،و هو نعت محمد(ص)و أوصافه الدّاله علیه و علی نبوّته کَفَرُوا بِهِ أنکروه و جحدوه عنادا و کفرا و طلبا لبقاء رئاستهم فَلَعْنَهُ اللّهِ عَلَی الْکافِرِینَ المنکرین الذین صاروا ملعونین:مطرودین من رحمه اللّه و مرضاته بإنکارهم و بغیهم لعنا أبدیّا.و قد کانت الفصاحه تقضی بأن یقول:فلعنه اللّه علیهم.لکن جیء بالظّاهر لیدلّ علی أنهم لعنوا لکفرهم.فاللام للعهد،و هذا یجعل النّص القرآنیّ أبلغ.و قیل بل اللام للجنس فاللعن یشملهم لعمومه.

سوره البقره (۲): الآیات ۹۰ الی ۹۱

بِئْسَمَا اِشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ یَکْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اَللّهُ بَغْیاً أَنْ یُنَزِّلَ اَللّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلی مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلی غَضَبٍ وَ لِلْکافِرِینَ عَذابٌ مُهِینٌ (۹۰) وَ إِذا قِیلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اَللّهُ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَیْنا وَ یَکْفُرُونَ بِما وَراءَهُ وَ هُوَ اَلْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِیاءَ اَللّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ (۹۱)

۹۰- بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ...أی بئس شیئا باعوا به أنفسهم.و«ما» فی بئسما:نکره موصوفه بجمله ما بعدها،و مفسّره لفاعل بئس المستکنّ

ص: ۱۰۹

فیها.أی بئس الشیء أَنْ یَکْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللّهُ الجمله بیان ل(ما)الموصولیه التی فی بِئْسَمَا و هذه هی المخصوصه بالذّم.فاللّه سبحانه ذمّ الیهود و عابهم لکفرهم بما أنزل علی موسی بن عمران(ع)من التوراه التی تصدّق محمدا(ص) و تبیّن أوصافه و علاماته،و الیهود قد عرفوا ذلک و جحدوه بَغْیاً أی عدولا عن الحق و الحقیقه و میلا لظلم النبیّ(ص)و حسدا أَنْ یُنَزِّلَ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلی مَنْ یَشاءُ أی لأن ینزّل القرآن علی محمّد(ص)حیث أبان فیه نبوّته،و أظهر فیه، أو به،آیته التی هی معجزته الباقیه إلی الأبد.و

فی الکافی عن الباقر علیه السلام،قال: بما أنزل اللّه فی علیّ بغیا فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلی غَضَبٍ أی رجعوا خائبین مستحقّین لغضب فوق غضب،الأول حین کذّبوا بعیسی علیه السلام فجعلهم قرده خاسئین،و الثانی غضب مرادف لکفرهم بمحمّد(ص)و بغیهم علیه بعد تکذیب سلفه،فسلّط علیهم السیف،أی سیوف أصحاب محمّد (ص).. وَ لِلْکافِرِینَ عَذابٌ مُهِینٌ أی مذلّ.أقیم الظاهر مقام الضمیر أی علیهم،لیدلّ أنهم لعنوا بکفرهم الذی هو السبب الوحید لذلک.و الإتیان بالظاهر فی المقام ینبئ عن السبب،و هذا له نظائر کثیره فی القرآن الکریم.

۹۱- وَ إِذا قِیلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللّهُ ...أی صدّقوا بما أنزل علی محمد(ص)أو بکل کتاب أنزله علی الرّسل.و الظاهر من الشریفه العموم قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَیْنا أی التوراه وَ یَکْفُرُونَ بِما وَراءَهُ ینکرون ما دونه من الکتب السماویه کالإنجیل و القرآن وَ هُوَ الْحَقُّ الصادق الثابت الناسخ لما قبله.و جمله:یکفرون بما وراءه،حال من فاعل قالوا.و الضمیر فی قوله:

و هو الحقّ؛راجع إلی الموصول:بما وراءه مع أن القرآن الذی جاء وراء کتابهم جاء مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ و مصدقا:حال مؤکده من مرجع الضمیر فی:

و هو الحق،و ردّ لمقالتهم،لأنّ کفرهم بما یوافق التوراه و یصدّقها-أی القرآن-کفر بها أیضا.و وجه الملازمه أن القرآن لا یصدّق التوراه إلاّ بعد أن

تکون فیها أوصاف نبیّنا و شمائله و علائم نبوّته.فإذا أنکروا القرآن و من أنزل علیه نستکشف أنهم ینکرون التوراه،و أنهم کاذبون فی مقالتهم الفاسده.

قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِیاءَ اللّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ أی قل یا محمّد للیهود:لو کنتم مؤمنین بالتوراه و بما فیها،لما کنتم فی مقالکم تقلّدون أسلافکم و ترضون بأفعالهم کما تأخذون بأقوالهم..فلم تقتلون أنبیاء اللّه فی الأعصار الماضیه مع أن صریح التوراه حرّم قتل النّفس المحترمه فکیف بالنفوس المقدّسه،کنفوس النبیّین صلوات اللّه علیهم أجمعین؟.فقد أسند القتل إلیهم لرضاهم به و لرؤیتهم أنه صواب.فهم منهم،و هم کاذبون فی قولهم:نؤمن بما أنزل علینا.بل لیسوا بمؤمنین بالتوراه بالجهتین المذکورتین آنفا،و لا بما وراء ذلک.

سوره البقره (٢): الآیات ٩٢ الی ٩٣

وَ لَقَدْ جاءَکُمْ مُوسی بِالْبَیِّناتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ (٩٢) وَ إِذْ أَخَذْنا مِیثاقَکُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَکُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَیْناکُمْ بِقُوَّهٍ وَ اسْمَعُوا قالُوا سَمِعْنا وَ عَصَیْنا وَ أُشْرِبُوا فِی قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِکُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَما یَأْمُرُکُمْ بِهِ إِیمانُکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ (٩٣)

ص: ١١١

۹۲- وَ لَقَدْ جاءَكُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ ...البيّنات هى الآيات التّسع التى من أعظمها جعل العصا حيّه،و اليد البيضاء.جاءكم بهذه الآيات الواضحات ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ أى جعلتم العجل إلها بعد انطلاقه و صعود جبل الطور ليأتيكم بالتوراه و يأخذ الألواح من عند ربّه وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ لأنفسكم بعباده العجل.و الجمله اعتراضيه:أى أنتم-معشر اليهود-عادتكم الظّلم و سجيّتكم البغى و العناد.

۹۳- وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ ...أى:ألزمناكم بالعهد على أن تفوا به و لا تعبدوا إلاّ اللّه و لا تشركوا به شيئا.يعنى أن اللّه تعالى أمر محمدا(ص)أن يقول لليهود:قد أخذ اللّه عليكم العهد أن لا تشركوا به وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ :

هذه الجمله حكايه خطاب اللّه سبحانه لأسلافهم،و فيها بيان لأمر اللّه الشديد،و لسمعهم و عصيانهم لما أمروا به،لأن عباده العجل جرت فى قلوبهم مجرى الماء و الدماء.و فائده ذكرها لهؤلاء أنها تشملهم حيث كانوا مقلّدين لأسلافهم،فما يتوجّه على أسلافهم من التهديد و الوعيد يتوجّه عليهم خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ أى قلنا لهم:خذوا ما آتيناكم من الدين و أحكامه و فروضه بعزم و ثبات،و بلا شك و لا ريب وَ اسْمَعُوا ما أمرتم به سماع طاعه قالُوا سَمِعْنا وَ عَصَيْنا أى سمعنا ما دعانا إليه محمّد(ص)و ما أطعناه.و يستشمّ من قولهم سَمِعْنا أنهم قالوا ذلك استهزاء و هتكا لمقامه السامى،و لو لا ذلك لسكتوا.و هذا التجرّؤ هو من صلفهم و عنادهم وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ أى دخل حبّ العجل فى أعماقهم كما يدخل الصبغ الثوب فيتخلّله بكافه أجزائه،و تغلغل فى قلوبهم كتغلغل الشّراب فى جوف الظمآن بِكُفْرِهِمْ.

يعنى أن الإشراب كان بسبب كفرهم،و لذلك ترسّخ فى أحشائهم.و أىّ كفر هو أعظم من أن يجسّد الإنسان اللّه،ثم يتمثّله فى عجل حقير قذر؟.

خصوصا و إن كفرهم هذا قد حملهم على إنكار رساله النبىّ(ص)بل أنكروه

بشخصه و زعموا أنه ليس هو المبشّر به فى التوراه،و لا الموصوف فى الكتب السماويه مع علمهم بأنه هو الموعود المنتظر؟.فهم أكفر الكفره و أفسق الفسقه.

و فى العيّاشى عن الباقر عليه السلام،قال: لما ناجى موسى ربّه أوحى اللّه تعالى إليه:أن يا موسى قد فتنت قومك.قال:بماذا يا رب؟.قال:

بالسامرىّ.قال:و ما السامرىّ؟.قال:قد صاغ لهم من حليّهم عجلا.

قال:يا رب إن حليّهم لا يحتمل أن يصاغ منها غزال أو تمثال أو عجل.فكيف فتنتهم؟.قال:إنه صاغ لهم عجلا فخار.قال:يا رب و من أخاره؟.

قال:أنا.فقال عندها موسى:إن هى إلاّ فتنتك،تضلّ بها من تشاء،و تهدى من تشاء.قال فلمّا انتهى موسى إلى قومه و رآهم يعبدون العجل ألقى الألواح من يده فكسرت.قال أبو جعفر عليه السلام:كان ينبغى أن يكون ذلك عند إخبار اللّه تعالى إياه.قال:فعمد موسى فبرد العجل من أنفه إلى طرف ذنبه، ثم أحرقه بالنار فذرّه فى اليم.قال:فكان أحدهم ليقع فى الماء و ما به إليه من حاجه،فيتعرّض لذلك الرماد فيشربه.قال:و هو قول اللّه:فأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم!. قُلْ بِئْسَمٰا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمٰانُكُمْ أى التوراه فإنها ليس فيها عباده عجول و لا أمر بالكفر باللّه إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بموسى و كتابه كما تزعمون..و التعبير بالجمله الشرطيه يعنى التشكيك بإيمانهم و يقدح فى دعواهم،قاتلهم اللّه!.

سوره البقره (٢): الآيات ٩۴ الى ٩۶

قُلْ إِنْ كٰانَتْ لَكُمُ اَلدّٰارُ اَلْآخِرَةُ عِنْدَ اَللّٰهِ خٰالِصَةً مِنْ دُونِ اَلنّٰاسِ فَتَمَنَّوُا اَلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ (٩۴) وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّٰالِمِينَ (٩۵) وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ اَلنّٰاسِ عَلىٰ حَيٰاةٍ وَ مِنَ اَلَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَ مٰا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ اَلْعَذٰابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَ اَللّٰهُ بَصِيرٌ بِمٰا يَعْمَلُونَ (٩۶)

۹۴- قُلْ إِنْ كانَتْ لَكَمُ الدّارُ الْآخِرَهُ ...أى الجنّه و نعيمها عِنْدَ اللّهِ خالِصَهً أى مختصه بكم كما زعمتم.و اللفظه حال من الدار مِنْ دُونِ النّاسِ أى ليست لأحد غيركم من الناس.و اللام للعهد،و هم المسلمون،أو للجنس فتشمل النصارى و غيرهم من سائر الأمم السابقه و اللاحقه،لأنهم قالوا:لن يدخل الجنه إلاّ من كان هودا أو نصارى.و لعل ذكر النصارى كان من باب إسكاتهم و جعلهم غير تابعين للمسلمين،لا- من باب اعتقاد اليهود بأنهم من أهل الجنّه.إن كنتم تعتقدون ذلك فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إن كنتم فى دعواكم صادِقِينَ فإنّ من أيقن أنه من أهل الجنّه يأنس و يشتاق إليها أكثر من أىّ شىء و يتمنّى الموت آنا بعد آن ليخلص من دار العناء و الفناء،و يصير إلى دار النّعيم و البقاء.

قال أمير الموحّدين عليه السلام: و اللّه لابن أبى طالب آنس بالموت من الطّفل بثدى أمّه!. فقد جل اللّه سبحانه و تعالى اختيارهم بتمنّيهم الموت،لأنهم ادّعوا أنهم أولياء اللّه و أحبّاؤه كذبا و بهتانا.ففى التوراه مكتوب:إنّ أولياء اللّه يتمنّون الموت و لا يرهبونه.

ص: ۱۱۴

۹۵- وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً ...جمله نفى و تأبيد.فهم لا يتمنّونه إلى الأبد بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ أى بما أسلفوا من المعاصى و أسباب دخول النار حتما، بتحريف التوراه،و تكذيب القرآن،و عدم تصديق محمّد(ص).و إسناد فعل القلب و النفس إلى اليد هو أنها مصدر عامّه الصنائع و الأعمال الظاهريه،فكأن الأفعال القلبيه تصدر عنها كما فى قوله سبحانه: ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النّاسِ ،مع أن أكثر موجبات الفساد لا ربط لها باليد خاصه دون غيرها:كالكذب،و الخيانه،و الغيبه و أمثالها.و الجمله إخبار بالغيب.و هو كما أخبر تعالى،عنه صلوات اللّه عليه:لو تمنّوا الموت لغصّ كلّ إنسان-أى يهودى-بريقه فمات مكانه و ما بقى على وجه الأرض يهودى.. وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ :هذه جمله تضمّنت الوعيد لهم لكونهم من الطاغين لما فى دعواهم مما ليس لهم.و الكاذب ظالم لنفسه و لغيره.

۹۶- وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النّاسِ عَلى حَياةٍ ...أى:يا محمّد إنهم- مضافا إلى أنهم لن يتمنّوا الموت-هم حريصون على حياه متطاوله.و تنكير الحياه لإراده حياه مخصوصه طويله عريضه فى المقام بقرينه الحكم و الموضوع.و اللام فى الناس للعهد،و المراد غيرهم من الفرق أو الحرصه على الحياه كالعصاه و الكفره الذين يئسوا من الجنه و نعيمها.. وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إذا قيل فيها:ما فائده قوله تعالى: وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ،و هم جمله من الناس؟.قلنا:إنما خصّوا بالذّكر بعد العموم لأن حرصهم على الحياه أشد من غيرهم،لأنهم لا يؤمنون بالغيب،و يكفرون بالبعث،و لا يرون غير الدنيا دارا أخرى ففيها توبيخ شديد لليهود خاصه لأنّهم يدّعون الإقرار بالجزاء.فحرصهم أشدّ من حرص المنكرين،فهو إذا يدل على علمهم بأن مصيرهم إلى النار!. يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ أى أنّ منهم من يحب أن يعيش ألف سنه.و فى ذلك تلويح بكذبهم فى قولهم إن الجنّه لليهود،فإنّ

تمنّی الموت فی دار الـدنیا الملوءه بالعنـاء و الآلام،المحفوفه بالمکاره ینافی علمهم أنهم من أهل الجنّه و أنّها لهم خاصه.و لکن التعمیر ألف سنه لا ینجی الکافر وَ ما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ لیس بمبعده عنه أَنْ یُعَمَّرَ یعیش کثیرا وَ اللّهُ بَصِیرٌ بِما یَعْمَلُونَ یراهم و یطّلع علی أعمالهم،و سیجزیهم طبق آثامهم و هو لا یظلم مثقال ذرّه.

سوره البقره (٢): الآیات ٩٧ الی ١٠٠

قُلْ مَنْ کانَ عَدُوًّا لِجِبْرِیلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلی قَلْبِکَ بِإِذْنِ اَللّهِ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ وَ هُدیً وَ بُشْری لِلْمُؤْمِنِینَ (٩٧) مَنْ کانَ عَدُوًّا لِلّهِ وَ مَلائِکَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِیلَ وَ مِیکالَ فَإِنَّ اَللّهَ عَدُوٌّ لِلْکافِرِینَ (٩٨) وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ آیاتٍ بَیِّناتٍ وَ ما یَکْفُرُ بِها إِلاَّ اَلْفاسِقُونَ (٩٩) أَ وَ کُلَّما عاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِیقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لا یُؤْمِنُونَ (١٠٠)

٩٧- قُلْ مَنْ کانَ عَدُوًّا لِجِبْرِیلَ ...جبرائیل،کسلسبیل.و قرئ بکسر الجیم و تسکین الباء و کسر الرّاء و سکون الیاء مع حذف الهمزه، کقندیل.و هو الأمین علی الوحی لجمیع رسل اللّه صلوات اللّه علیهم.نزلت حینما قال الیهود-أو واحد منهم قیل إنه عبد اللّه بن صوریا-لو کان الذی یأتیک میکائیل آمنّا بک فإنه ملک الرحمه.أمّا جبرائیل فملک العذاب،و هو عدوّنا، فلا نؤمن بک.و الحاصل أنه تعالی یأمر نبیّه أن یقول للیهود الذین عادوا

جبرائیل أنهم ظالمون لأنه علیه السلام هو الذی أنزل القرآن علی قلبک بِإِذْنِ اللّهِ و من عنده مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ أی أن القرآن یصدّق ما قبله من الکتب السماویه و منها کتابهم التوراه.و قد کان ینبغی للیهود أن یحبّوا جبرائیل(ع) و یمدحوه لأنه حمل کتابا یصدّق کتابهم،لا أن یذمّوه و یعادوه.فقوله:

فإنه..إلی آخرها:جواب للموصول بإقحام ما هو الجواب حقیقه بین الفاء و مدخوله،و هو غیر متّصف بقرینه المقام و مدخول الفاء.أی أن جمله:

نزّله،تقع فی مورد التعلیل:لأنه نزّله...

و من المحتمل کون الموصول استفهاما،تهدیدیّا،و جمله:فإنه نزّله:حالیّه و بیان لعظمه جبرائیل(ع)و اللّه أعلم.. هُدیً وَ بُشْری لِلْمُؤْمِنِینَ هدی من الضلاله،و مبشّرا بمحمّد(ص).و هما حالان من مفعول نزّله.و قد قلنا:إن جمله:نزّله فی مورد الحال و جزاء ظاهرا للشرط، فحذف الجزاء الواقعی و أقیمت علّته مقامه.

۹۸- مَنْ کانَ عَدُوًّا لِلّهِ وَ مَلائِکَتِهِ ...المراد بالعداوه للّه مخالفه أوامره و نواهیه،و العناد فی إنعامه علی المقرّبین من عباده.أمّا الملائکه فلعلّهم ملائکه النّصر المبعوثون لنصره أولیاء اللّه و إعانتهم فی موارد الحاجه وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِیلَ وَ مِیکالَ أفردا بالذکر مع دخولهما فی الملائکه لفضلهما،فکأنّهما من جنس آخر،أو لأن النزاع کان فیهما.فإذا کنتم أیها الیهود أعداء لهؤلاء فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِلْکافِرِینَ أتی بالمظهر موضع الضمیر لیفید أنه تعالی عاداهم لکفرهم،و سیفعل بهم ما یفعله العدوّ بالعدو.

۹۹- وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ آیاتٍ بَیِّناتٍ ...

فی المجمع،عن ابن عباس أنه قال: جاء عبد اللّه بن صوریا و جماعه من الیهود إلی النبیّ(ص)-و کان ابن صوریا من علماء یهود فدک-فقالوا:یا محمّد،ما جئتنا بشیء تطمئنّ به قلوبنا

بأنک الذی أخبرتنا التوراه بظهوره فی آخر الزمان،و ما عرفنا هذا الأمر بعلامه و لا برهان جئتنا بهما،و ما أنزل علیک من آیه فنتّبعک،فنزلت هذه الآیه الکریمه: وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا ..الآیه) فقل یا محمّد لحبر یهود فدک و جماعه الذین یقولون هذا القول:قد أنزل اللّه آیات بیّنات،واضحات من حیث الدلاله علی صدق دعوای بأنی نبی مرسل إلیکم من عند اللّه،و هی هذا القرآن الذی یحتوی علی ما کان من قصص الأنبیاء و أممهم الماضیه،و کیفیه دعوتهم و عدم إجابه أکثر الناس،و کیفیه العذاب الذی نزل علیهم،فانظروا فی هذه الآیات وَ ما یَکْفُرُ بِها إِلاَّ الْفاسِقُونَ المتمرّدون الخارجون عن دین اللّه و طاعته طلبا للریاسه فی الدنیا:کالیهود،و کأشباههم ممن یکونون فی أمّتی من المرتدّین الذین یکونون مثلهم حذو النّعل بالنّعل و القذه بالقذه،فإنّهم-و إیّاهم-الفاسقون الذین یکفرون بهذه الآیات.

۱۰۰- أَ وَ کُلَّما عاهَدُوا عَهْداً ...الهمزه للاستفهام الإنکاریّ.و الواو عاطفه علی مقدّره،أی:اکفروا بالآیات و انبذوا العهود و لیکوننّ لمحمد(ص) سامعین و مطیعین.فما بالهم کلّما واثقوا میثاقا نَبَذَهُ فَرِیقٌ مِنْهُمْ طرحوه و ألقوه.و قد قال«منهم»لأن بعضهم لم ینقض العهد بَلْ أَکْثَرُهُمْ لا یُؤْمِنُونَ یعنی لا یؤمنون بالتوراه و ما جاء فیها،و لا یبالون بنقض العهود فی آتیهم و مستقبل أیامهم.

سوره البقره (۲): الآیات ۱۰۱ الی ۱۰۳

وَ لَمّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اَللّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِیقٌ مِنَ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتابَ کِتابَ اَللّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ کَأَنَّهُمْ لا یَعْلَمُونَ (۱۰۱) وَ اِتَّبَعُوا ما تَتْلُوا اَلشَّیاطِینُ عَلی مُلْکِ سُلَیْمانَ وَ ما کَفَرَ سُلَیْمانُ وَ لکِنَّ اَلشَّیاطِینَ کَفَرُوا یُعَلِّمُونَ اَلنّاسَ اَلسِّحْرَ وَ ما أُنْزِلَ عَلَی اَلْمَلَکَیْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَ مارُوتَ وَ ما یُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتّی یَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَهٌ فَلا تَکْفُرْ فَیَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما یُفَرِّقُونَ بِهِ بَیْنَ اَلْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ ما هُمْ بِضارِّینَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّ بِإِذْنِ اَللّهِ وَ یَتَعَلَّمُونَ ما یَضُرُّهُمْ وَ لا یَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اِشْتَراهُ ما لَهُ فِی اَلْآخِرَهِ مِنْ خَلاقٍ وَ لَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ کانُوا یَعْلَمُونَ (۱۰۲) وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اِتَّقَوْا لَمَثُوبَهٌ مِنْ عِنْدِ اَللّهِ خَیْرٌ لَوْ کانُوا یَعْلَمُونَ (۱۰۳)

١٠١- وَ لَمّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ ...أى جاء إلى اليهود.

و الرسول هو محمّد(ص)الذى صدّق التوراه و من جاء بها.و قيل:هو الكتاب- أى القرآن-المرسل من عند اللّه تصديقا للتوراه و نبوّه موسى عليه السلام.

و يقوّى هذا القول قوله سبحانه:نبذ فريق كتاب اللّه وراء ظهورهم،مع أنه مُصَدِّقٌ لما معهم من التوراه،و مع ذلك نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ و الفريق يقال لجماعه أكثر من الفرقه،و يطلق على الطائفه.و المراد به هنا جماعه اليهود الذين طرحوا القرآن وراء ظهورهم و لم

يقبلوه و لا عملوا به.و بما أنهم نبذوا المصدّق لتوراتهم فقد نبذوا التوراه معه.

و لذا قال بعض المفسرين:الكتاب المنبوذ هو التوراه.

و أما وجه عدم قبول القرآن،و نبذه،فقد كان حسدا لمحمّد(ص)و طلبا للرئاسه الباطله المضلّله.و النّبذ وراء الظّهر معناه التّرك و عدم الاعتناء كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ أى بحيث يتراءى لمن يلاحظهم أنهم لا يعرفون أن هذا الكتاب كتاب اللّه،مع أنهم علموا ذلک و عاندوه،بل عاندوا رسول اللّه و رفضوا دعوته و كتابه.

۱۰۲- وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ ...هذا عطف على:نبذوا.و المراد ب ما الموصوله:كتب السّحره و الكهنه التى كانت تقرأها الشياطين فى عهد سليمان النبى(ع)و زمان سلطانه.و على:بمعنى فى،كما فى قوله تعالى: وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ(عَلى)حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها .فاليهود قد زعموا أن سليمان(ع)نال ما نال بالسّحر و الكهانه،فقالوا نحن أيضا نتعلّمها و نسخّر الناس بأن نسحرهم و نجعلهم ينقادون لنا فنستغنى عن الانقياد لمحمد(ص)و طاعته هو و أصحابه.بل زعموا أن سليمان(ع)كان كافرا، و ساحرا ماهرا استطاع أن يسخّر بسحره الإنس و الجنّ و الهواء و الطير،و كان ملكا عليهم،متسلّطا بحيث لا يستطيع أحد أن يعصى أمره أو يخرج من سلطانه،بل يعملون وفق أمره و نهيه.و

فى القمّى و العياشى عن الباقر(ع):

لما هلک سليمان عليه السلام وضع إبليس السّحر،ثم كتبه فى كتاب فطواه و كتب على ظهره:هذا ما وضع آصف بن برخيا للملک سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم.من أراد كذا،فليفعل كذا و كذا.ثم دفنه تحت السرير، ثم استثاره لهم،فقرأه فقال الكافرون:ما كان يغلبنا سليمان إلاّ بهذا.و قال المؤمنون:بل هو عبد اللّه و نبيّه.فقال اللّه تعالى فى كتابه:و اتّبعوا ما تتلو

الشياطين وَ ما كَفَرَ سُلَيْمانُ كما ادّعى اليهود الذين قالوا:إنّ محمدا يسمّى سليمان نبيّا مع أنه كان ساحرا يركب الريح و يسخّر الجنّ بسحره،فنفى اللّه سبحانه قولهم و كذّبه و قال: وَ لكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا بما كتبوه من السّحر و بما زادوا فى تدوينه من الشعوذه التى علّموها للناس.و يحتمل أن تكون الآيه الكريمه قد عنت شياطين الإنس و الجنّ الذين كانوا يُعَلِّمُونَ النّاسَ السِّحْرَ و الجمله حال من الواو فى:كفروا و يمكن أن تكون عله لكفرهم،أى:

كفروا بتعليمهم الناس السّحر.و المراد بالسحر هو ما يستعان به على التقرّب إلى الشياطين ليطلعوا الناس على بعض ما يخفى من أسباب مظاهر الحياه وَ ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ عطف على السحر أو على ما تتلو الشياطين.و هذان الملكان أهبطا إلى الأرض ليعلّما الناس السحر إظهارا للفرق بينه و بين المعجزه،و ليعلموا أنّ ملك سليمان،و ما كان فيه من مظاهر العظمه و الخوارق الطبيعيه و السلطان العجيب لدى الإنس و مرده الجنّ،لم يكن قائما على السّحر و الشعوذه،بل على كرامات و مواهب ربّانيّه.و ما كان سليمان ساحرا بل كان رسولا نبيّا عظيما مكرّما،و إلاّ فأين السحر من تكليم الطير، و فهم لغه النمل،و تسخير الهواء و الماء و سائر الجمادات؟.و من يعرف السحر يعرف الفرق بين هذه المواهب الرّبانيه و بين السحر،تماما كما عرف سحره فرعون أن عصا موسى لم تكن سحرا،بل أمرا خارقا للعاده البشريه، و مخالفا لمقتضى ما عرفوا من الشعوذه و السحر،و أن جميع أعماله الإعجازيه ذات حقيقه من عند من هو فوق الطبع و الطبيعه،و لذا أنزل اللّه الملكين لبطلا سحر السحره،لا ليسحر الناس،أنزلهما اللّه تعالى بِبابِلَ و هما هارُوتَ وَ مارُوتَ .و قوله:ببابل،ظرف للملكين.و هى مدينه تقع فى سواد الكوفه.و تسميتها عطف بيان للملكين،و قد منعت من الصرف للعلميه و العجمه.

قال الصادق عليه السلام: كان بعد نوح قد كثر السحره

و المموّهون،فبعث اللّه تعالى ملكين إلى نبيّ ذلك الزمان بذكر ما يسحر به السحره،و ذكر ما يبطل به سحرهم و يردّ به كيدهم،فتلقّاه النبيّ عن الملكين و أدّاه إلى عباد اللّه بأمر اللّه عزّ و جلّ،و أمرهم أن يقفوا به على السحر و أن يبطلوه،و نهاهم أن يسحروا به الناس. و ذلك كمن يدلّ على السّم ما هو، و يدلّ على ما يدفع غائلته،ثم يقال له:إياك أن تقتل أحدا بالسّم..قال:

و ذلك النبيّ أمر الملكين أن يظهرا للناس بصوره بشرين و يعلّماهم ما علّمهما اللّه من ذلك،و يعظاهم.فشرعا فى التعليم و الوعظ و النّصح كما أخبر اللّه عن ذلك وَ ما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتّى يَقُولا:إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فينصحان من يعلّمانه و يخبرانه أنهما ابتلاء من اللّه و اختبار،ثم ينهيانه عن التعلّم إذا كان يريد أن يعمل بما تعلّمه و يقع فى الامتحان و الاختبار.

و لمّا كان اللّه قد أنزل علم السحر على الملكين،فإننا نستكشف عدم حرمه تعلّمه،و المحرّم هو العمل به حين يستعان فى تحصيله على التقرب من الشياطين و تسخير الجنّ،و استعمال الحيل و المكر و إتيان الباطل و إظهاره بصوره الحق مخادعه للناس و تمويها عليهم،و إبرازا له بشكل المعجزه التى تغيّر الواقع شعوذه و خيالا.و الحاصل أن تعلّم السحر كتعلّم كتب الضلال.

فإن تعلّمها و شراءها و بيعها لا يحلّ إلا فى فى حاله واحده تتلخّص فى فهمها و الردّ عليها و دحض مطالبها.

فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما مما تتلو الشياطين و مما أنزل على الملكين ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ أى سحرا يكون سببا للتفريق بينهما،كأن يدفن كتاب فى مكان كذا و كذا،أو يوضع تحت عتبه باب الرجل«مثلا»كتاب يؤدى مفعوله إلى الفراق بينه و بين زوجه،أو على العكس. وَ ما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ أى أن الذين يفعلون ذلك لا يلحقون ضررا بأحد إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ أى بأمره و مشيئته و رخصته.و إنه«تعالت قدرته»لو شاء لمنع حدوث ذلك قهرا و جبرا،

و لو شاء لخلّى بين ذلك و بين حدوث الفعل و وقوع الضّراء بتقديره و قدرته وَ يَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ لأنهم يقصدون به الشرّ،و الشّرّ ليس بنافع لهم وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ أى أن اليهود علموا أن من استبدل السحر بدينه أو بكتاب اللّه،و رهن عقيدته الدينيه بالسحر ما لَهُ فِي الْآخِرَهِ مِنْ خَلاقٍ ليس له فى الآخره من حظ و لا نصيب وَ لَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أى باعوها بالحقير لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ أنهم قايضوا الدين بالسحر،و الآخره بالدنيا!.

فإن قيل:فى قوله سبحانه: وَ لَقَدْ عَلِمُوا ...إلى قوله:لا يعلمون..

كيف أثبت لهم العلم أولا مؤكدا بلام القسم،ثم نفاه عنهم حين قال:لو كانوا يعلمون؟.فيقال فى الجواب:المثبت لهم أنهم علموا علما إجماليّا أن من اختار السحر ما له فى الآخره من نصيب.لكنّ المنفىّ عنهم هو أنهم لا يعلمون علما عن تفكّر و تدبّر فالمنفىّ غير المثبت،و لا تنافى بينهما كما أنه لا تنافى بين الإجمال و التفصيل.

١٠٣- وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا ...أى اليهود أو السحره،لو أنهم آمنوا بمحمد(ص)،و بكتابه المنزل عليه،و تجنّبوا المعاصى التى يرتكبونها كتاب اللّه،و اتّباع السحره،و تكذيب الرسول،لو فعلوا ذلك لَمَثُوبَهٌ،مِنْ عِنْدِ اللّهِ خَيْرٌ من السّحر.و إنما كان يستقيم أن يقال:خير من ذلك،إذا كان فى كل واحد من ذلك خير و لا خير فى السّحر،و لكن اللّه تعالى خاطبهم على اعتقادهم أن فى تعلّم السّحر خيرا،نظرا منهم إلى حصول مقاصدهم الدنيويه حين يعملون بالسحر..و جواب لو:أى لو فعلوا لأثيبوا مثوبه و قد أتى بالجمله الاسميه للإشاره إلى الدوام و الثبات الذى هو شأنها.و حذف الفعل للقرينه المقاميه أو المثوبه.و تنكير المثوبه رمز إلى عظيم الثواب الذى ينال من عند رب العالمين،و رمز للاهتمام بشأنه عند أرباب العلم،لما اختصّه سبحانه و علّقه بقوله خَيْرٌ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ يدركون حقيقه الأمر.

سوره البقره (۲): الآیات ۱۰۴ الی ۱۰۷

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا راعِنا وَ قُولُوا اُنْظُرْنا وَ اِسْمَعُوا وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ (۱۰۴) ما يَوَدُّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ اَلْكِتابِ وَ لاَ اَلْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ اَللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اَللّهُ ذُو اَلْفَضْلِ اَلْعَظِيمِ (۱۰۵) ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اَللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۰۶) أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اَللّهَ لَهُ مُلْكُ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اَللّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (۱۰۷)

۱۰۴- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاـ تَقُولُوا راعِنا ...خاطب سبحانه المؤمنين بقوله لاـ تَقُولُوا راعِنا إذ كانوا عند ما يعلّمهم رسول اللّه(ص)شيئا يقولون:

راع أحوالنا و تلطف بضعف إدراكنا حتى نفهم ما تقول و تأمرنا به.فقلّدهم اليهود و خاطبوا النبيّ بقولهم:راعنا،و اللفظه بلغتهم العبرانيه(راعينا)تعنى سبّا و شتما،ففطن لذلك سعد بن معاذ الأنصارى فلعنهم و أوعدهم بضرب أعناقهم إن هم أعادوها و سمعت منهم.و لذلك نهى المؤمنون عن قولها و استبدلت بقول اُنْظُرْنا أى أمهلنا و انتظرنا.ثم أمرهم سبحانه بقوله وَ اسْمَعُوا حين يأمركم رسول اللّه بأمر و أطيعوه،سماع طاعه لا كسماع اليهود الذين قالوا سمعنا و عصينا وَ لِلْكافِرِينَ المتهاونين بالنبيّ،الشاتمين له عَذابٌ أَلِيمٌ أى:شديد الألم و الوجع لا يتحمّله الإنسان العادى.

۱۰۵- ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ... ودّ:أحبّ.أى لا يحبّ الكفّار و لا أهل الكتاب يعنى أتباع التوراه و الإنجيل،لأنهما الكتابان الوحيدان الموجودان فى عصر الفتره إلى ظهور النبىّ الأكرم(ص)،فلا يحبّ هؤلاء الكفار من أهل الكتاب وَ لاَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ حسدا منهم وكيدا.و«لا»فى قوله: وَ لاَ الْمُشْرِكِينَ لتأكيد النفى.و جمله أن ينزل عليكم،فى محل نصب مفعول ليودّ.و المراد من الخير هو الوحى أو القرآن.و«من»للتبيّن،و تفيد الاستغراق فيشمل كذلك الحجج و المعجزات الدالّه على النبوّه وَ اللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ من النبوّه و التوفيق و الهدايه لدين الإسلام وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ يختار لرسالته بالرحمه و الهدايه و التوفيق من يشاء.و هذا من أعظم الفضائل و أحسنها كما يدل قوله عزّ و علا،و ليس بعد قوله قول.

۱۰۶- ما نَنْسَخْ مِنْ آيَهٍ أَوْ نُنْسِها ...النسخ هو الإلغاء.و هذه الشريفه جاءت فى مقام الردّ على اليهود حيث طعنوا فى أن النبىّ يقول بنسخ شريعته لكل شريعه سبقتها.فاللّه تعالى يصدّق قول رسوله(ص)،و تصديقه رد لاعتراضهم.و«ما»مفعول لننسخ و قد جزمته شرطا.و قد قرأ ابن عامر بضمّ النون و كسر السين:ما ننسخ من باب إفعال أى:أمرنا جبرائيل(ع)بالنسخ.

و قوله ننسها،إما من النّسء بالهمز،أى التأخير،أو من الإنساء(مصدر أنسى:ينسى)بمعنى إذهابها عن القلوب و محوها منها.و نسخ الآيه يكون إمّا برفع التقيّد بقراءتها،أو برفع الحكم المستفاد منها،أو هما معا.

فالمتحصّل أن كلّ آيه نرفع حكمها أو نمحوها من الأذهان بحيث كأنها لم تكن نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها للعباد فى أمور دينهم و دنياهم أَوْ مِثْلِها فلا يفوتهم شىء بسبب النسخ أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و الخطاب هنا للنبىّ(ص) و المراد به الأمه.أى اعلموا أنه تعالى يقدر على النسخ و التبديل و الإتيان بما هو

خیر مما کان لمصالح العباد و منافعهم.

۱۰۷- أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ ...الخطاب للنبیّ (ص)و الأمه لقوله سبحانه:و ما لکم.و لا یخفی أنه لا فرق بین هذه الآیه و سابقتها،و القول فیهما واحد.و التعلیل بلکم هنا أن الخطاب للنبیّ و الأمه علیل کما لا یخفی،فلذا جزنا عن الفرق.و مفاد الشریفه بناء علی کون الاستفهام للتقریر:لا بدّ أن تعلموا أنّ اللّه سبحانه یملک أمورکم،و یجریها علی ما فیه صلاح دینکم و دنیاکم من النسخ و غیره،کما أنه تعالی مالک السماوات و الأرض و مدبّر أمرهما و أمور من فیهما و ما فیهما بأجمعهما؛و لا مؤثر فی الوجود إلا هو عزّ و جلّ.یؤیّد هذا و یؤکّده ما یستفاد من الکریمتین،قوله بعدهما وَ ما لَکُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ وَلِیٍّ أی أن من یتولّی أمورکم و یقوم بإصلاحها و دفع مضارّها و مفاسدها هو من أزمّه الأمور طرّا بیده،و کلّها مستمدّه من مدّه و عونه وَ لا نَصِیرٍ أی لا ناصر قویّا ینصرکم فی الشدائد و یعینکم فی المهالک و ینجیکم من الحوادث،قادرا علی ذلک کله،غیر اللّه تعالی.

سوره البقره (۲): الآیات ۱۰۸ الی ۱۱۳

أَمْ تُرِیدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَکُمْ کَما سُئِلَ مُوسی مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ یَتَبَدَّلِ اَلْکُفْرَ بِالْإِیمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ اَلسَّبِیلِ (۱۰۸) وَدَّ کَثِیرٌ مِنْ أَهْلِ اَلْکِتابِ لَوْ یَرُدُّونَکُمْ مِنْ بَعْدِ إِیمانِکُمْ کُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُمُ اَلْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اِصْفَحُوا حَتّی یَأْتِیَ اَللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اَللّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۱۰۹) وَ أَقِیمُوا اَلصَّلاهَ وَ آتُوا اَلزَّکاهَ وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِکُمْ مِنْ خَیْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اَللّهِ إِنَّ اَللّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ (۱۱۰) وَ قالُوا لَنْ یَدْخُلَ اَلْجَنَّهَ إِلاّ مَنْ کانَ هُوداً أَوْ نَصاری تِلْکَ أَمانِیُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (۱۱۱) بَلی مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ (۱۱۲) وَ قالَتِ اَلْیَهُودُ لَیْسَتِ اَلنَّصاری عَلی شَیْءٍ وَ قالَتِ اَلنَّصاری لَیْسَتِ اَلْیَهُودُ عَلی شَیْءٍ وَ هُمْ یَتْلُونَ اَلْکِتابَ کَذلِکَ قالَ اَلَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ اَلْقِیامَهِ فِیما کانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ (۱۱۳)

۱۰۸- أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ ...أم:منقطعه،بمعنى:

بل،و لذا لا بد و أن تكون بعد كلام،يقال:إنها لإبل أم شاه،فيجاب بل شاه.و أم المتصله بمنزلتها أو لتفريق ما جمع،فيقال:اضرب أيّهم شئت زيدا أم بكرا أم عمرا،كما يقال:زيدا أو بكرا أو عمرا.فالمعنىّ بقوله أم تريدون:بل تريدون،أى تقصدون أن تطلبوا من النبىّ اقتراحاتكم و مختلقاتكم المستحيله أيها الكفار و اليهود المعاندون، كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ أى كما طلب يهود عصره و اقترحوا عليه من عند أنفسهم أشياء مستحيله كرؤيه اللّه جهره و أمثالها وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ أى من ترك النظر فيما أقامه اللّه سبحانه من الحجج و البراهين الساطعه الداله على نبوّه محمد(ص)فى القرآن و فى التوراه،و جحدها عنادا و أنكرها طلبا لحطام الدنيا،فإنه قد تبدّل الكفر بالإيمان و ضل و وقع فى تيه الخسران و انحرف عن طريق الحق الموصله إلى رضوان اللّه و جنانه،و صار أمره إلى النار و بئس المصير.

بل،و لذا لا بد و أن تكون بعد كلام،يقال:إنها لإبل أم شاه،فيجاب بل شاه.و أم المتصله بمنزلتها أو لتفريق ما جمع،فيقال:اضرب أيّهم شئت زيدا أم بكرا أم عمرا،كما يقال:زيدا أو بكرا أو عمرا.فالمعنیّ بقوله أم تريدون:بل تريدون،أی تقصدون أن تطلبوا من النبیّ اقتراحاتكم و مختلقاتكم المستحيله أيها الكفار و اليهود المعاندون، كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ أی كما طلب يهود عصره و اقترحوا عليه من عند أنفسهم أشياء مستحيله كرؤيه اللّه جهره و أمثالها وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ أی من ترك النظر فيما أقامه اللّه سبحانه من الحجج و البراهين الساطعه الداله على نبوّه محمد(ص)فی القرآن و فی التوراه،و جحدها عنادا و أنكرها طلبا لحطام الدنيا،فإنه قد تبدّل الكفر بالإيمان و ضل و وقع فی تيه الخسران و انحرف عن طريق الحق الموصله إلى رضوان اللّه و جنانه،و صار أمره إلى النار و بئس المصير.

۱۰۹- وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ ...ودّ:أحب كثير منهم،كمثل يحيى بن أخطب،و عبد اللّه بن صوريّا و من أشبههما من أحبارهم لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفّاراً .رغبوا فی إرجاعكم إلى الكفر من بعد الإيمان حَسَداً لكم و رغبه فی زوال هذه النعمه عنكم.لو:هنا حرف مصدری بمنزله:أن،إلا أنها لا تنصب.و هی تقع أكثر ما تقع بعد:ودّ،يود.

و كفارا:نصب بناء على أن مفعول ثان ليردونكم.

فهؤلاء المعاندون من أهل الكتاب يحبون أن تضلّوا كما ضلّوا حسدا لكم مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ أی منبعثا عن أنفسهم الضاله،لا من جهه ميلهم إلى الحق أو من جهه تديّنهم،لأنهم يتمنون لكم ذلك مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ أی أنهم عرفوا أنكم على الحق و أنهم على الباطل فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا و اسلكوا معهم سبيل العفو و ترك العقوبه أو الملامه أو التقبيح لما كان من جهلهم و عداوتهم، حَتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ من قتل بنی قريظه،وراء جلاء بنی النضير،و إذلال من سواهم من اليهود،و كضرب الجزيه عليهم و على سائر أهل الكتاب إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فهو مؤكدا-قادر على الانتقام منهم عاجلا كما أنه قادر على كل الأمور.

۱۱۰- وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ ...عطف على قوله:و اعفوا

و اصفحوا.و لما كان العفو و الصفح عن اليهود أمرين شاقّين على النبىّ (ص)،و شاقّين على أصحابه مع ما بيّن من سوء سجيّه اليهود و فساد أخلاقهم،فقد عقّبه بقوله:أقيموا الصلاه..للاستعانه على مشقه الأمر بالعفو و الصفح،كما قال و استعينوا بالصبر و الصلاه. وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ أى من صلاه أو صدقه أو فعل حسن تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّهِ أى تجدون ثوابه عند اللّه سبحانه إِنَّ اللّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لا يخفى عليه شىء لأنه يرى الأعمال،فلا يضيع عنده شىء.و يستفاد من هذه الآيات الشريفه أنه تعالى يريد أن يسلى قلب نبيّه عن صعوبه الصبر على العفو و مشقّه الصفح عن اليهود.و فى ذيل الآيه بشّره تلويحا بانتقامه عزّ و جلّ من اليهود بقوله: حَتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ ،أى حتى ينزل قضاؤه فيهم.و تقدّموا،و تجدوه:مجزومان ب:ما.

۱۱۱- وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّهَ ...عطف على قوله: وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ : إِلاّ مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى هود:جمع هائد من هاد يهود هودا:

أى تاب و رجع إلى اللّه تعالى،فهو هائد كعائد و عود.و قيل معناه إلا من كان يهودا و حذفت الياء الزائده.و الضمير فى قالوا عائد لأهل الكتاب:أى قالت اليهود:لن يدخل الجنه إلا من كان هودا،و قالت النصارى:لن يدخل الجنه إلاّ من كان نصارى،لكن تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ تلك إشاره إلى الأمانى المذكوره:

من أن لا ينزّل عليكم خيرا،و أن يردّوكم كفارا،و أن لا يدخل الجنه غيرهم، و هى أمانى:جمع أمنيه و آمال باطله.و الجمله معترضه قُلْ يا محمد لهؤلاء هاتُوا بُرْهانَكُمْ حجتكم على مقالتكم الفاسده من اختصاصكم بالجنه إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى دعواكم و قولكم،إذا ما لا دليل عليه فهو باطل.

۱۱۲- بَلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ ...بلى:كلمه تصديق تختص بالإيجاب سواء أوقعت بعد نفى أو إثبات.و فى المقام جاءت لإثبات ما نفاه

اليهود من عدم دخول غيرهم إلى الجنه.و المعنى:نعم سيدخلها من أسلم و أخلص نفسه للّه حينما سمع الحق فلم يشرك به غيره وَ هُوَ مُحْسِنٌ فى عمله، يقابل نعم اللّه تعالى بالإحسان حين يقابلها غيره بالإساءه فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ أى ثوابه الذى يستحقّه بحسب أعماله الطّيّبه التى تقتضى الثواب.و يجوز أن يكون:من أسلم مبتدأ،و من تتضمّن معنى الشرط،و جوابه:فله أجره، معطوفا على:يدخلها. وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ليس عليهم خشيه و لا وحشه حينما يخاف الكافرون مما يشاهدونه يوم الفزع الأكبر من العذاب و العقوبات الشديده المعدّه للعصاه، وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ بل يفرحون لأنهم مبشّرون عند موتهم بالجنه قد أتتهم بالبشاره ملائكه الرّحمه ففرحوا بها و برؤيه المبشّرين بها فرحا عظيما،بخلاف الكفار الذين تأتيهم ملائكه العذاب عند نزع أرواحهم و تستقبلهم بوجوه لو لم يكن لهم عذاب إلاّ رؤيتها لكفتهم عند فراق الدنيا، فكيف بأحوالهم يوم يبعثون و فى النار يسجرون؟.

١١٣- قالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ ...أى ليسوا على عقيده يعتدّ بها و يعتنى بشأنها،فكيف بادّعائهم أنهم أهل دين أو كتاب أو شريعه، و فى هذا القول مبالغه عظيمه وَ قالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَيْءٍ نزلت هذه الآيه الشريفه حين قدم وفد نجران على الرسول(ص)،و من بعض الطّرق أن أحبار اليهود أتوهم و تقاولوا بذلك (١)عنده(ص).فاللّه سبحانه يحكى

****

(١) قال الحسن السّبط عليه السلام: إنما نزلت لأن قوما من اليهود و قوما من النصارى جاؤا إلى رسول اللّه(ص)فقالوا:يا محمد اقض بيننا.فقال عليه السلام:قصّوا قصتكم عليّ.فقالت اليهود:نحن المؤمنون باللّه الواحد الحكيم و أولياؤه.و ليست النصارى على شيء من الدين و الحق.و قالت النصارى:بل نحن المؤمنون باللّه الواحد الحكيم و أولياؤه،و ليست اليهود على شيء من الحق و الدين.فقال رسول اللّه(ص):كلّكم مخطئون مبطلون فاسقون كافرون بدين اللّه و أمره.فقالت اليهود:كيف نكون كافرين و فينا كتاب اللّه التوراه نقرأه؟.و قالت النصارى:و كيف نكون كافرين و فينا كتاب اللّه

مقاولتهم فی کتابه الکریم حتی یعرف العالم بإقرار کل واحد من هذین الصّنفین علی الآخر بأنه لا دین له و لا مذهب و لا شرع.فإذا نفی المسلمون الدین و الشریعه عن الصنفین فلا یکون ذلک أمرا مبتدعا یتعجّبون منه و ینکرونه وَ هُمْ یَتْلُونَ الْکِتابَ أی یقرءون هذا الکتاب أو الکتب السماویه مطلقا.و الجمله حالیّه،و اللام-فی الکتاب-للجنس،أی قالوا ذلک و الحال أنهم من أهل العلم و القراءه للکتب السماویه بحسب ظنّهم و زعمهم کَذلِکَ أی مثل ذلک الذی سمعت من تقاول الفریقین،و علی منهاج قول أهل الکتاب و التلاوه، قال الجهله الذین لا علم عندهم و لا کتاب:کعبده الأصنام و الدّهریّین،قالوا لأهل کل دین:لیسوا علی شیء!.و لا یخفی أن فی هذه الآیه الشریفه تلویحا بتوبیخ أهل الکتاب خاصه،لأنهم نظموا أنفسهم فی سلک الجهله و فی سلک من لا یعلم قراءه و لیس له کتاب فَاللّهُ یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ فِیما کانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ أی:یحکم بین الهود و النصاری-یوم الفصل و القضاء-و یریهم الحق و الحقیقه،و یبیّن لهم من یدخل الجنه و من یدخل النار.

سوره البقره (٢): الآیات ١١۴ الی ١١۵

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اَللّهِ أَنْ یُذْکَرَ فِیهَا اِسْمُهُ وَ سَعی فِی خَرابِها أُولئِکَ ما کانَ لَهُمْ أَنْ یَدْخُلُوها إِلاّ خائِفِینَ لَهُمْ فِی اَلدُّنْیا خِزْیٌ وَ لَهُمْ فِی اَلْآخِرَهِ عَذابٌ عَظِیمٌ (١١۴) وَ لِلّهِ اَلْمَشْرِقُ وَ اَلْمَغْرِبُ فَأَیْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّهِ إِنَّ اَللّهَ واسِعٌ عَلِیمٌ (١١۵)

****

(١) الإنجیل نقرأه؟.فقال رسول اللّه(ص):إنکم خالفتم أیها الیهود و النصاری کتاب اللّه و لم تعملوا به،فلو کنتم عاملین بالکتابین لما کفّر بعضکم بعضا بغیر حجه،لأن کتب اللّه أنزلها اللّه شفاء من العمی و بیانا من الضلاله،یهدی العالمین بها إلی صراط مستقیم.و کتاب اللّه إذا لم تعملوا به کان وبالا علیکم.و حجه اللّه إذا لم تنقادوا لها لکنتم و اللّه عاصین و لسخطه متعرّضین.

۱۱۴- وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اللّهِ ...قيل إن موردها الروميّون لما غزوا بيت المقدس و خرّبوه و قتلوا أهله و أحرقوا التوراه،و قيل إنها نزلت فى المشركين.و

فى المجمع عن الصادق عليه السلام،و القمّى: أنهم قريش، منعوا رسول اللّه(ص)دخول مكه و المسجد الحرام. و على التقديرين فليست الآيه الكريمه بمختصّه بمورد معيّن،بل هى عامه من جهه الحكم،كل مسجد منع ظالم ذكر اللّه تعالى فيه أو سعى بخرابه و هدمه أُولئِكَ أى المانعون ما كانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوها إِلاّ خائِفِينَ من المؤمنين أن يبطشوا بهم و يفتكوا بهم،و يأخذونهم بشده و صوله فى مقابل منعهم.و

قد روى أن رسول اللّه (ص)أمر أن ينادى:ألا لا يحجّنّ بعد هذا العام مشرك،و لا يطوفنّ بالبيت عريان. فالمعنى بهذا الكلام أن أولئك المانعين ما كان لهم فى حكم اللّه أن يدخلوا مساجد اللّه إلا خائفين لأن اللّه تعالى قد حكم و كتب فى اللوح أن يعزّ الدين و ينصر المؤمنين.و الكافرون لَهُمْ فِى الدُّنْيا خِزْيٌ أى قتل و سبى و إبعاد أو ذلّه بضرب الجزيه عليهم وَ لَهُمْ فِى الْآخِرَهِ عَذابٌ عَظِيمٌ فى نار جهنم بكفرهم و ظلمهم.

۱۱۵- وَ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ ...أى ناحيتا الأرض حيث يبدو شروق الشمس و حيث يبدو غروبها.و ليس المراد بها بذلك هذين المكانين فحسب

بـل جميع أطراف الكره الأرضـيه،و جميع الكرات التى تحت الشـمس و التى تشـرق الشـمس عليها و تغرب.و هـذا المعنى أقرب للمراد مـن القـول الكريـم كمـا لاـ يخفى على أولى الأفهـام فَأَيْنَمـا تُـوَلُّوا فَثَمَّ وَجْـهُ اللّهِ فلمـا منـع المشـركون من قريش دخـول النـبى(ص)إلى مكه و الـبيت الحرام،صـعب ذلـك عليه و على المؤمنين-و لعـل ذلـك قـد كـان فى عـام الحـديبيه-فنزلت الآـيه الكريمه تسلّيهم و تقول:إذا منعتم أن تصلّوا فى المسجد الحرام فقـد جعلت لكم الأرض مسـجدا فصلّوا فى أيه بقعه من بقاعها شئتم،و ولّوا وجوهكم شـطر القبله بدليل قوله تعالى: فَوَلِّ وَجْهَكَ شَـطْرَ الْمَسْـجِدِ الْحَرامِ إِنَّ اللّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ يريد التوسـعه و اليسر على عباده و لا يريد بهم العسـر و التضـييق،لأنه عالم بمصالحهم بجميع جهاتها.و قوله:عليم،يدل بصيغته على كثره علمه بذلك و بغيره.

و قد قيل إن هذه الآيه نزلت فى الصلوات النّفليه للمسافر على الراحله، و قيل إنها فى صلاه التطوّع مطلقا و لا تختص بمسافر و لا براكب.و على القولين،دلّت الروايات،و على الحمل على التطوّع لا يشترط التوليه لجهه القبله

لأنه عليه السلام قال: تومئ إيماء أينما توجّهت دابتك و سفينتك. و

فى التوحيد،عن سلمان رضوان اللّه تعالى عليه: سأل الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل منها أنه قال:أخبرنى عن وجه الرّب تبارک و تعالى.

فـدعا علىّ عليه السـلام بنار و حطب فأضـرمه.فلما اشـتعلت قال علىّ عليه السـلام:أين وجه هذه النار؟.قال النصرانىّ:هى وجه من جميع حـدودها قـال علىّ عليه السـلام:هـذه النـار مـدبّره مصنوعه لا يعرف وجهها.و خالقها لا يشـبهها،و تلا الآيه الكريمه: وَ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ إلى قوله: فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ...

سوره البقره (۲): الآيات ۱۱۶ الى ۱۱۸

وَ قـالُوا اِتَّخَذَ اَللّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ لَهُ ما فِی اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ کُلٌّ لَهُ قانِتُونَ (۱۱۶) بَدِیعُ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ إِذا قَضـی أَمْراً فَإِنَّما یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (۱۱۷) وَ قـالَ اَلَّذِینَ لاٰ یَعْلَمُونَ لَوْ لاٰ یُکَلِّمُنَا اَللّهُ أَوْ تَأْتِینا آیَهٌ کَذٰلِکَ قالَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَیَّنَّا اَلْآیاتِ لِقَوْمٍ یُوقِنُونَ (۱۱۸)

۱۱۶- وَ قـالُوا اتَّخَذَ اللّهُ وَلَـداً ...نزلـت حیـن قـال النصـاری:المسـیح ابـن اللّه،و قـالت الیهـود:عزیر ابـن اللّه،و قـال مشـرکو العرب:الملائکه بنات اللّه سُبْحانَهُ تقـدیسا له و تنزیها،و هو تعالی یتعجّب من قولهم:اتّخـذ ولـدا، و ینزّه ذاته المقـدّسه عمّا یقول السـفهاء و یردّهم بعنف قائلاـ:سـبحانه.فهو منزّه عن التولّد و الولاـده التی هی من لوازم و شأن الممکنات و الجسـمانیات اللاّتی تحتـاج إلی ذلـک و لاـ تکون بغیره،و هو تبـارک و تعـالی غنیّ عمّا سواه بَلْ لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و هو عزّ و جلّ مالک ذلـک کلّه،و هو مختص به تعـالی اختصـاص المملوک لمـالکه،و من جمله مـا فی السـموات الملاـئکه لأن الموصول عام،و من جمله ما فی الأرض المسیح و عزیر.و المولود لا یکون مملوکا لوالده.فلا بد للیهود و النصاری من إنکار مالکیه الحق سبحانه إما رأسـا و إمـا اختصاصـا و یسـألون من هو المالـک و الخـالق للسـماوات و الأـرض و مـا فیهن غیره تعـالی أو أن یلتزموا بمملوکیه المولود لوالده!.و کلا الأمرین لیس عندهم علیه جواب،بل هم مقرّون بخالقیه اللّه عزّ و علا و مالکیته.و إنّ ولد المملوک

مملوک لمالک والده،و ولد الحر حرّ بالتبعیه له،و الوالد لا یملک من ولده إلا بعض فوائده الحاصله منه فی موارد قلیله.فالسماوات و الأرض و من فیهن کُلٌّ لَهُ قانِتُونَ مطیعون متواضعون أذلاّء أمام عظمته،تکوینا و تشریعا بالإضافه إلی ذوی العقول من المتشرّعه الذین یوجبون شکر المنعم.

۱۱۷- بَدِیعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ ...أی منشئهنّ لا من شیء وَ إِذا قَضی أَمْراً قدّره و حتمه فَإِنَّما یَقُولُ لَهُ:کُنْ فَیَکُونُ بعد أن یریده و یقصد إحداثه.و هذا کقوله تعالی: فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ ،أی إذا أردت أن تشرع فی قراءته فاستعذ باللّه.و قوله سبحانه: فَإِنَّما یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ ،جاء لتمثیل حصول ما تعلّقت به إرادته،بلا مهله فی الخارج بطاعه المأمور و بلا توقّف،لا أنّها کانت هناک حقیقه أمر و امتثال لأن خطاب المعدوم غیر معقول، لأن المعدوم لا یصحّ أن یؤمر.و الحاصل أن المراد بالقضاء هو إرادته سبحانه و هی فعله خارجا،بلا لفظ و لا نطق بلسان و لا همّه و لا تفکّر سابق علیه.

۱۱۸- وَ قالَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ ...أی جهله المشرکین و متجاهلو أهل الکتاب لَوْ لا یُکَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِینا آیَهٌ و هذه المقاله منهم تشبه مقالتهم التی یحکی عنها فی سوره المدّثر حین یقول عزّ من قائل:یرید کلّ امرئ منهم أن یؤتی صحفا منشّره.و المقصود:هلاّ یکلّمنا اللّه کما کلّم موسی(ع)أو یوحی إلینا أنک رسوله.و قد قالوا ذلک استکبارا و عنادا بل طلبوا أن تأتیهم آیه تدل علی صدقک فی دعوی أنک رسول من عند اللّه کالتی جاء بها موسی(ع):

کالعصا،و یده البیضاء،و کما جاء عیسی:بإحیاء الموتی و شفاء الأبرص و الأعمی،قالوها جحودا و استهانه بما جاءهم من الآیات،و استخفافا بما أخبر موسی و عیسی(ع)فی کتابیهما من العلامات و الأوصاف الدّاله علی صدقه فی جمیع ما یدّعیه و یتحدث به عن نبوّته کَذلِکَ قالَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فی الأیام الماضیه،قالوا مثل قولهم و طلبوا أن یکلّمهم اللّه أو أن تأتیهم آیه،بل قال

اليهود لنبيّهم موسى(ع):أرنـا اللّه جهره!.و قال النصارى للمسـيح(ع):هل يسـتطيع ربّك أن ينزّل علينا مائـده من السـماء؟.لـذلك تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ أى أنّ قلوب اللاحقين أشبهت قلوب السابقين فى العمى و الضلاله و عدم قبول الحق قَدْ بَيَّنَّا الْآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ أى أظهرناها و جعلناها غايه فى الوضوع لأرباب اليقين،و لمن يصدّق و لا يعاند الحقائق.

سوره البقره (٢): الآيات ١١٩ الى ١٢٣

إِنّا أَرْسَلْناکَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ اَلْجَحِيمِ (١١٩) وَ لَنْ تَرْضى عَنْکَ اَلْيَهُودُ وَ لاَ اَلنَّصارى حَتّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اَللّهِ هُوَ اَلْهُدى وَ لَئِنِ اِتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ اَلَّذِی جاءَکَ مِنَ اَلْعِلْمِ ما لَکَ مِنَ اَللّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (١٢٠) اَلَّذِينَ آتَيْناهُمُ اَلْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِکَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولئِکَ هُمُ اَلْخاسِرُونَ (١٢١) يا بَنِی إِسْرائِيلَ اُذْكُرُوا نِعْمَتِیَ اَلَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّی فَضَّلْتُكُمْ عَلَى اَلْعالَمِينَ (١٢٢) وَ اِتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ (١٢٣)

١١٩- إِنّا أَرْسَلْناکَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً ...أى:يـا محمـد أنت فى كـلّ حال متلبّس بالحق،و أنت مع الحقّ و الحقّ معك،و قد بعثناك بوظيفه تبشير للمؤمنين السامعين المطيعين،و إنذار و تحذير لمن عصاك من المخالفين

ص: ١٣٦

و العاصين.و ليس عليك أن تجبرهم على الإيمان و دين الإسلام،و لا تحزن إن هم أصرّوا على الكفر و الجحد و الاستكبار وَ لا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ أى لا تتحمل مسئوليه أحد منهم يوم القيامه و لا يقال لك:لم لم يؤمن هؤلاء بدعوتك بعد تبليغك،فإنهم من أهل النار المحرقه و هم يتحمّلون مسئوليه أنفسهم.و فى الآيه المباركه تسليه للنبىّ الأكرم(ص)،إذ كان يغتمّ لإصرارهم على الكفر و يتأذى من نفاقهم بمقتضى كونه نبىّ الرحمه و لا يرضى لأحد أن يعذّب بالنار و يكون من أهلها.

۱۲۰- وَ لَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لاَ النَّصارى ...أى أنّ أهل الكتاب من الملّتين لا يقبلون منك دعوه ما زلت متديّنا بدين الإسلام و لا يرضون عنك حَتّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ فتترك عقيدتك و تلتحق بدينهم.و فى هذا إقناط له(ص) منهم و من إيمانهم به،و مبالغه فى عنادهم و بعدهم عن الحق،من أجل أن يقطع كلّ أمل بإسلامهم و يرتاح و لا يغتمّ بعد ذلك.و فى هذا بيان لأمرهم حكاه اللّه تعالى عن لسان حالهم أو عن إسرارهم فيما بينهم،و لذلك قال له:

قُلْ مجيبا لهم: إِنَّ هُدَى اللّهِ أى دلالته إلى الطريق المستقيم الذى هو الإسلام هُوَ الْهُدى و هو الصراط القويم الموصل إلى الحق و الحقيقه،لا ما تقولون بألسنتكم الكاذبه،و لا ما تضمرون بقلوبهم الكافره المتحجره،و لا ما تسرّون بأنفسكم الخبيثه بلا برهان و لا حجه وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ فإذا اتّبعت ميولهم النفسيه الفاسده المرموز إليها بالأهواء التى هى بدع من عند أنفسهم (۱)بَعْدَ الَّذِي جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ بعد دين الحق الذى علمت صحته و كونه

****

(۱) نستفيد من هذه الآيه الشريفه أن التكليف قبل التعليم،أى قبل الإرشاء و الهدايه بالحجه،غير جائز.و جعل البالغ الرشيد مسئولا غير صحيح و ليس بموجّه..و لعلّ الحقّ معهم فى الاستفاده،لأن الآيه ظاهره فى تعليق نفى الولايه و النّصره لا على التبعيه المطلقه كيفما اتّفقت،بل على التبعيه بعد العلم بحقّانيه الإسلام و أنه دين الحق الذى

حقا بالدلائل و البراهين الواضحه،لئن فعلت ذلك و العياذ باللّه ما لَکَ مِنَ اللّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِیرٍ أی لا یکون لک ولیّ أمر یحفظک و یحرسک،و لا معین یساعدک فی دفع العقاب عنک إذا شاءه اللّه و العیاذ به.و هذا من باب إیاک أعنی و اسمعی یا جاره.

۱۲۱- اَلَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ ...أی المؤمنون من أهل الکتاب یَتْلُونَهُ یقرءونه و یرتّلونه حَقَّ تِلاوَتِهِ أی الوقوف عند ذکر الجنه و النار لیسألوا الفوز بالأولی،و لیستعیذوا باللّه من الأخری.أو أنّ المراد بحق تلاوته،أنهم لا یحرّفونه و لا یغیّرون ما فیه من نعت رسول اللّه(ص)و الدلائل عل نبوّته وَ مَنْ یَکْفُرْ بِهِ بالکتاب أو بما فیه من النعت و الدلائل فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ لأنهم اشتروا الضلاله بالهدی و الدنیا بالآخره،و أیه خساره أعظم من هذه؟.

۱۲۲- یا بَنِی إِسْرائِیلَ اذْکُرُوا نِعْمَتِیَ ...قد تقدّم تفسیرها فی الآیه رقم ۴۷ و لکنه لمّا بعد ما بین الکلامین فإلفات النظر مفید فی حسن التبلیغ و التّنبیه و الاحتجاج،و فیه تأکید للتذکیر.مضافا إلی أنّ اللّه تعالی کان سابقا فی مقام الوعظ و النّصح و تأدیب عامه عباده بآدابه المسنونه المشروعه،کإقامه الصلاه و إیتاء الزکاه و الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،و لکنه تعالی-هنا-یتوعّد و یهدّد و یوبّخ بنی إسرائیل علی أقوالهم الواهیه و بدعهم الفاسده-کمقالتهم أنه سبحانه اتّخذ ولدا،و کاختصاصهم بالجنه،و کترقّبهم دخول النبیّ الأکرم فی ملتهم و نحو ذلک مما ذکره عزّ و جلّ-فبهذه الاعتبارات و اختلاف المقامات کرّر بعض الآیات الکریمات تکرارا غیر مستهجن یذمّ فاعله کما یجری فی محاوراتنا،فقد اقتضی التکرار مورد التهدید و الوعید و التوبیخ کما قلنا.

****

(۱) ینبغی أن یتّبع فی عصره(ص)..أقول:هذه الجمله من الجمل التی تقال فی مقام تهییج إحساسات الناس،و إلاّ فلا یتوّهم أحد بأنه(ص)یتّبع دین الیهود أو النصاری مع علمه بأن دینهم البدع و الأهواء.

۱۲۳- وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ ...مرّ تفسيرها فی الرقم ۴۸ سابقا.

سوره البقره (۲): الآيات ۱۲۴ الی ۱۲۹

وَ إِذِ ابْتَلی إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِی قالَ لا يَنالُ عَهْدِی اَلظّالِمِينَ (۱۲۴) وَ إِذْ جَعَلْنَا اَلْبَيْتَ مَثابَةً لِلنّاسِ وَ أَمْناً وَ اِتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّی وَ عَهِدْنا إِلی إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِیَ لِلطّائِفِينَ وَ اَلْعاكِفِينَ وَ اَلرُّكَّعِ اَلسُّجُودِ (۱۲۵) وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اِجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَ اُرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ اَلثَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ قالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلی عَذابِ اَلنّارِ وَ بِئْسَ اَلْمَصِيرُ (۱۲۶) وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ اَلْقَواعِدَ مِنَ اَلْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنّا إِنَّکَ أَنْتَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۱۲۷) رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَکَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَکَ وَ أَرِنا مَناسِكَنا وَ تُبْ عَلَيْنا إِنَّکَ أَنْتَ اَلتَّوّابُ اَلرَّحِيمُ (۱۲۸) رَبَّنا وَ اِبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِکَ وَ يُعَلِّمُهُمُ اَلْكِتابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّکَ أَنْتَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۱۲۹)

ص: ۱۳۹

۱۲۴- وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ ...فسّر بعض الأكابر ابتلاءه بذبح ولده و الإتمام بتسليمه و عزمه على الذبح،فلمّا عزم و هيأ نفسه لما أمره اللّه،قال تبارك و تعالى: إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً أى قدوه و سيدا يأتمّ بك الناس و يتابعونك فى راسخ إيمانك قالَ إبراهيم وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي أى و من تجعل من ذرّيتى أئمه؟. قالَ سبحانه و تعالى: لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ فإن ميثاقى هذا لا أضعه فى عهده ظالم لنفسه و لغيره لأنه أسمى و أرفع من أن يحمله الظالمون..أقول:و هذا التعليل لا يكاد ينطبق على المقام لصعوبه الرّبط بين هذا المعنى و بين الكلمات،فإن لفظه بِكَلِماتٍ تعلّقت بابتلى كما هو ظاهر.

و فى الخصال عن الصادق عليه السلام قال: هى الكلمات التى تلقّاها آدم من ربه فتاب عليه،و هو أنه قال:يا رب أسألك بحق محمد و علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين صلوات اللّه عليهم إلاّ تبت علىّ،فتاب عليه،إنه هو التوّاب الرّحيم.فقيل له:يا ابن رسول اللّه(ص)،فما يعنى بقوله عزّ و جلّ:

فأتمّهن؟.قال:يعنى أتمّهن إلى القائم.اثنا عشر إماما:تسعه من ولد الحسين عليه السلام. و أقوال المفسّرين بشأن«الكلمات»فى غايه الاختلاف و نهايه التشويش،و من شاء فليراجع،فإننا ذكرنا الثابت عندنا،و اللّه أعلم..

و العامل فى:إذ،مضمر،نحو:أذكر يا محمد إذ ابتلى إبراهيم:أى اختبره ربّه بكلمات:أى بأوامر و نواه.و اختبار اللّه عبده هو تمكينه من اختيار أحد الأمرين:ما يريده اللّه،أو ما يشتهيه العبد،كأنّه يمتحنه ليرى أيّهما يختار العبد،حتى يجازيه على حسب ذلك.و قوله فَأَتَمَّهُنَّ أى أكملهنّ.

فإن رجع الضمير فى الفعل إلى إبراهيم(ع)فلعل المراد بالإتمام هو قيامه بهنّ حقّ القيام و الإتيان بهنّ حقّ الإتيان من غير تفريط و تقصير.أما إذا رجع الضمير إلى اللّه تعالى فيحتمل أن يكون المراد بإتمامهنّ هو بيانهنّ و تفسيرهنّ. قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً بعد أن ابتلاه ربّه بكلماته أى بتكليفه ببعض الأوامر

و النواهى،و لا سيّما التكليف الشاق على كل واحد كذبح ولده إسماعيل الذى كان رشيدا يتمتع بأوصاف كماليه تجعله يحتلّ مرتبه تهيّؤه للنبوّه و الإمامه،فقام بامتثالها بلا فتور و لا تردّد و لا تقصير،فلمّا أتمّها و أدّى امتحانه ناداه ربّه:يا إبراهيم قد أدّيت ما عليك إذ صدّقت الرؤيا،و صرت قابلا لأن أجعلك من الآن إماما لعبادى فى بلادى.فسرّ إبراهيم بذلك و عرف أن ربّه راض عنه غايه الرّضا؛فلذا طلب منه أن يجعل الإمامه فى نسله جيلا بعد جيل،فأجابه تعالى:أمّا من كانت له أهليّه لها فنعم،و أما من كان ظالما فلا ينال عهدى الذى عاهدتك-أى مقام الإمامه و الولايه المطلقه-.و من هذا ظهر أن الشرط فى الإمام و خليفه المسلمين أن يكون معصوما من أول زمان تكليفه إلى أن يفارق الدنيا،إن لم نقل بشرطيه العصمه فيه من حين تمييزه،لأنه إن كان قبل تكليفه ظالما فانه يصدق عليه أن يقال بعده كان ظالما،و الآيه الكريمه تعنى ذلك،حتى و لو أن الظالم تاب و علمنا بتوبته.

فلا يجوز أن ينصّب أو أن يرشّح نفسه للخلافه و الإمامه.مضافا إلى أن الإمامه أمانه اللّه و أنها منصب سام لا يجوز أن يتلبّس به من ظلم،تاب أو لم يتب،إذ لا بد أن يكون الإمام و الخليفه منزّها عن ارتكاب الصغائر.لأنه بناء على القول بأنه لا صغيره إلّا بالإضافه إلى ما هو أكبر منها يعنى أن كل الذنوب بالإضافه إليه تعالى كبيره و ما أردنا بيانه صار واضحا.

أما بالنسبه إلى الإمام و الخليفه فنحن نقول بأن لا صغيره له إلّا و تعدّ كبيره بالإضافه إليه عليه السلام و إلى اللّه عزّ و جل.لأنه إذا كانت حسناتنا سيّئات الأبرار،و حسنات الأبرار كانت سيّئات المقرّبين،فهل يتصوّر أولا أن يصدر عن الإمام ذنب و لو كان صغيرا؟.و على فرض صدوره فهل يتصوّر أن يكون ذنب الإمام صغيرا؟.حاشا ثم حاشا..فلو وجد قائل به فإنه يكشف عن عدم معرفته بالنبىّ و الإمام،و عدم معرفتهما ليس أمرا بدعا حتى يستغربه الإنسان

بل العارفون بهما قليلون من قديم الزمان إلى حديثه،و هم أندر من الكبريت الأحمر (۱).فالإمام يجب أن يكون معصوما بحكم الآيه الشريفه.و لا ينال مرتبه الإمامه ظالم،و ويل لمن أشرك و لم تثبت توبته و تحمّل أعباء الخلافه و حمل مقاليد الإمامه،و تكلّفهما بالقهر و الافتراء!.

۱۲۵- وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً ...عطف على قوله: وَ إِذِ ابْتَلى ،و ذاک معطوف على قوله: يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ .و البيت هو بيت اللّه الحرام-الكعبه أعزّها اللّه-و

روى فى وجه تسميته بالبيت الحرام، أنه حرّم على المشركين أن يدخلوه و سمّيت الكعبه هكذا لأن من معانيها:المربّع.

و بيت اللّه مربّع فلذا سمّى:الكعبه.و قد صارت مربّعه لأنها بحذاء البيت المعمور،و هو مربّع بحذاء العرش الذى هو مربع.و قد صار العرش مربّعا لأن الكلمات التى بنى عليها الإسلام أربع،و هى:سبحان اللّه،و الحمد للّه،و لا إله إلاّ اللّه،و اللّه أكبر.فهذا البيت المحرّم،المقدّس،جعله اللّه مَثابَةً لِلنّاسِ أى مجمعا يحجّون إليه و يرجعون عند التوبه و اللّجأ إلى اللّه،و يثابون بحجّهم فى كل مره يوفّقون للتشرّف به (۲)،و قد جعله اللّه تعالى أيضا أَمْناً أى موضع أمن،كقوله:حرما آمنا.و

فى الكافى عن الصادق عليه السلام: أنّ من دخل الحرم من الناس مستجيرا به فهو آمن من سخط اللّه عزّ و جل.. و البيت قد جعل اللّه له فى نفوس العرب تعظيما،و قد كانوا لا يتعرّضون لمن فيه،حتى أنّ الرجل منهم-قبل الإسلام-كان يرى قاتل أبيه فى الحرم فلا يتعرّض له بسوء.

و هذا شىء توارثوه من دين إسماعيل عليه السلام و بقوا عليه إلى عصر نبيّنا

****

(۱) قال النبىّ(ص): يا علىّ،لا يعرفك إلاّ اللّه و أنا..الحديث.

(۲) عن ابن عباس،و قد ورد فى الخبر:أنّ من رجع من مكه و هو ينوى الحجّ من قابل،زيد فى عمره،و من خرج من مكه و هو لا ينوى العود إليها فقد اقترب أجله.

(ص)،ثم أمضاه نبيّنا(ص)و لم ينسخه بأمر من اللّه تعالى الذى كرّس حرمته مكرّرا.

وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى قرئ بكسر الخاء بتقدير:قلنا لهم و أمرناهم:اتّخذوا.و قرئ بجمله خبريّه،أى أن الناس اتّخذوا لهم مصلىّ فى مقام إبراهيم عليه السلام،يعنى مكان صلاه تبركا بالمقام و موقعه و تبركا بصاحب المقام..و كلمه:من،يحتمل أن تكون زائده،و أن تكون تبعيضيه بناء على سعه مقام إبراهيم و استيعابه لأكثر من مصلّ فى موضع عبادته و مقامه عليه السلام.و المقام،أيضا،يحتمل أن يكون مكان قيام إبراهيم(ع)لعباده أعمّ من الصلاه،و يحتمل أن يكون موضع الحجر الذى قام عليه حين ندائه و دعوته الناس للحج على ما روى،أو حين بنى البيت عند ما أمر هو و ابنه ببنائه و رفع قواعده،كما أنه يحتمل أن يكون حجر النداء و البناء واحدا،و هو الذى تأثّر من قدمه الشريف فبقى رسمه عليه إلى الآن.و فى ذلك معجزه ظاهره داله على نبوّه إبراهيم عليه السلام.فإن اللّه تعالى جعل الحجر تحت قدميه كالطين حتى أثّرت قدمه الشريفه فيه.و

عن أبى جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: نزلت ثلاثه أحجار من الجنه،مقام إبراهيم-الحجر الذى قام عليه-و حجر بنى إسرائيل،و الحجر الأسود استودعه اللّه إبراهيم حجرا أبيض،و كان أشدّ بياضا من القراطيس،فاسودّ من خطايا بنى آدم..إلخ...

و فى موضوع المصلّى هنا أقوال.و

المروىّ عن أئمتنا(ع) أنه موضع صلاه فريضه الطواف ،و هى واجبه مثله لأن اللّه تعالى أمر بها.و قد قال بعض الأكابر من الأعلام:هذا لا خلاف فيه. وَ عَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطّائِفِينَ وَ الْعاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ و المراد بالتطهير هنا هو اختصاص البيت بهذه الطوائف الثلاث،أى جعله للطائفين و العاكفين و المصلّين،و تنحيه المشركين عنه و إبعادهم منه أشدّ إبعاد.و ليس المراد بالتطهير تنظيفه عن الأخباث الظاهره فقط،كما يظن،بل التطهير يعنى تخصيصه بالأنفس الطاهره الزكيه من

الأبرار،فی قبال الأنفس الخبیثه القذوه من المشرکین و الکفار!.و قیل إن المراد بالتطهیر تطهیره عن الأصنام التی کانت معلّقه علی باب الکعبه و فی جوفها،و هذا بعید،لأن ذکر الطوائف الثلاث فی الآیه الکریمه،قرینه علی صحه ما قلناه و بعد غیره من الاحتمالات لأن الأصنام-مثلا-وضعت بعد بناء البیت و بعد مضیّ إبراهیم و إسماعیل بزمن طویل..و الطائفون:هم الذین یطوفون حول البیت و یدورون سبعه أشواط تعبّدا،و العاکفون:هم المعتکفون فیه،أی المقیمون لیلا و نهارا للعباده و تلاوه کتاب اللّه،و الرّکّع السجود:هم المصلّون، و اللفظتان جمع راکع و ساجد.و لفظه:عهدنا،لعل المراد بالعهد هو أمرهما بتطهیر البیت الحرام عمّن ذکر،أو معناه:شرطنا علیهما تطهیر البیت من الأدناس و وکلنا ذلک إلیهما لیبعدا عنه دنس الشّرک و الکفر..و الدلیل علی التعمیم هو ما

فی العلل و العیاشی عن الصادق علیه السلام أنه سئل:أ یغتسل النساء إذا أتین البیت؟.قال:نعم،إن اللّه یقول: طَهِّرا بَیْتِیَ لِلطّائِفِینَ وَ الْعاکِفِینَ وَ الرُّکَّعِ السُّجُودِ ،فینبغی للعبد أن لا یدخل إلا و هو طاهر.. و ورود مثله فی کتاب الکافی الشریف.

۱۲۶- وَ إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ ...کلمه:إذ،متعلقه بالمقدّر أی:اذکر إذ.

و لعل صدور هذا القول و هذه الدعوه کان بعد إتمامه علیه السلام بناء البیت و عمارته،فقال رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً هذا:إشاره للبیت الحرام باعتباره و ما حوله،سأل ربّه أن یجعله موضع أمن و أمان لکلّ من دخله فعل ما فعل أو قال ما قال.لکن لو کان دخوله استعاذه و التجاء به،یحتمل أن یکون آمنا مما ذکر من سخط الربّ لأن دخوله حطّه للذنوب أیضا،و لا بعد فی ذلک حیث إن شأن هذا البیت و فضله عند ربّه أجلّ و أعظم مما یتصوّر.و الروایات ناطقه بذلک و بأن زیارته کفّاره للذنوب.فقد قال إبراهیم علیه السلام هنا: رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً ،و قال فی سوره إبراهیم علیه الصلاه و السلام علی ما حکی اللّه تعالی:

رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً ،فجاء بلفظ«البلد»معرّفا.لذا يمكن أن يقال:إنه فی الدعوه الأولی كانت حول البيت أمكنه قفرا فطلب من ربّه أن يجعله بلدا معمورا و آمنا لمن دخله من كل ذی حياه ناميه حتی النبات فلا يجوز قلعه و حصاده لأشخاص معيّنين كالحجاج و المعتمرين فی حال الإحرام،أو لعلّ المسأله خلافيه و لسنا فی مقام فقه الآيه الشريفه علی كل حال..أما فی الدعوه الثانيه فكان بلدا معمورا بالأهالی غير آمن كليّه،فعرّفه و أشار بتعريفه إليه،و طلب له الأمن و ربما كانت الدعوه الثانيه قد صدرت فی الوقت الذی كانت قبيله جرهم تسكن حول البيت،فدعا و لو كان البلد أثناء ذلك آمنا-فرضا-فلا عجب إذا دعا مكرّرا لثبات الأمن و دوامه...و أما القول بأن الدعوه الأولی كانت فی السور المدنيه،و الثانی فی المكيّه،فلا ينافی ما ذكرنا،لأن الواقع الصادر عن إبراهيم عليه السلام بلغته،كان علی الترتيب الذی قلناه.مضافا إلی أنه ليست كل أيه مكيّه متقدّمه كما أنه ليست كل آيه مدنيّه متأخّره.بيان ذلك أن بعض الآيات المكيه نزل قبل الهجره فالمدنيّه متأخّره عنه،و لكن من الآيات ما نزل-بعد فتح مكه و بعد الهجره-فی مكه،فيكون المدنیّ متقدّما عليها،فلا قاعده ثابته بين الآيات المكيّه و المدنيه فی التقدّم و التأخّر.. وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ أی:أنعم عليهم بها.و

فی العلل عن الرضا عليه السلام: لمّا دعا إبراهيم ربّه أن يرزق أهله من الثمرات أمر بقطعه من(الأردنّ)فسارت بثمارها حتی طافت بالبيت، ثم أمرها أن تنصرف إلی الموضع المسمّی(الطائف)و لذلک سمیّ طائفا. فإبراهيم (ع)دعاه أن يرزق من أهل مكه مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ :و

فی العياشی عن السجّاد عليه السّلام: إيّانا عنی بذلک،و أولياءه و شيعه وصيّه ،قال اللّه تعالی وَ مَنْ كَفَرَ أرزقه أيضا،كما هو لطفه المعهود بعباده،فقد نبّه تعالی إلی أن الرزق يعمّ المؤمن و الكافر.أو أنّ:و من كفر،مبتدأ يتضمّن معنی الشرط، و خبره فَأُمَتِّعُهُ أحييه زمانا،أو أهبه متاعا و نعيما(قليلا)مقصورا علی أيام قلائل

فی الدنیا،و ما له فی الآخره من خلاق،کما قال فی مورد آخر:قل متاع الدنیا قلیل ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلی عَذابِ النّارِ أی ألزمه به و أسوقه إلیه عنفا لاستحقاقه له وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ لأنه مصیر سّیء قبیح و عذاب لا ینقطع.

قال السّجاد علیه السلام: عنی بذلک من جحد وصیّه و لم یتّبعه من أمّته،کذلک و اللّه هذه الأمه.

۱۲۷- وَ إِذْ یَرْفَعُ إِبْراهِیمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَیْتِ ...القواعد:جمع القاعده،و هی من البیت أساسه الذی یبنی علیه.و قاعده التمثال ما یقوم علیها.و فیما نحن فیه یراد به الأساس الذی کانت علیه القبه،أی البقعه التی نزلت بها علی آدم علیه السلام،و کانت لا تزال قائمه إلی أیام الطوفان أیام نوح علیه السلام،فلما غرقت الأرض رفع اللّه تعالی تلک القبه و بقی موضعها لم یغرق.و لهذا سمّی البیت البیت العتیق لأنه أعتق من الغرق.و قد بعث اللّه یومئذ جبرائیل علیه السلام فخطّ موضع القبه المرفوعه و عرّفها لإبراهیم و حدّ البیت طولا و عرضا و ارتفاعا فی الفضاء تسعه اذرع.ثم إنه دلّه علیه السلام علی موضع الحجر الأسود فاستخرجه إبراهیم علیه السلام و وضعه فی موضعه الذی هو فیه الآن.و قد جعل إبراهیم(ع)للبیت بابا إلی المشرق و بابا إلی المغرب، و المغربیّ یسمّی المستجار.و جمیع ما ذکرناه فی شرح هذه الآیه الکریمه استفدناه من الروایات.و فی بعضها

قال أبو جعفر الباقر علیه السلام: فنادی أبو قبیس إبراهیم:إنّ لک عندی أمانه-ودیعه،فأعطاه الحجر فوضعه موضعه. فلا یبعد أن تکون الملائکه قد نقلته إلی جبل أبی قبیس حین الطوفان و استودعته هناک حین رفعت القبه الشریفه من طریق الماء و لا منافاه بین هذه الروایات و بین ما ذکرناه سابقا من أن جبرائیل(ع)دلّه علی کونه فی أبی قبیس أو فی محل وجوده...و البیت الحرام بحیال القبه المرفوعه إلی السماء،و القبه هی المسماه بالبیت المعمور،و هی مطاف الملائکه و مزارهم فی السماء..و قوله: مِنَ الْبَیْتِ بیان للقواعد.

و أبهمت القواعد أولا ثم أضيفت للبيت لأن فی التّبيين بعد الإبهام تفخيما و إجلالا لشأن المبيّن كما لا يخفی علی من له دربه و حذاقه بصناعه اللغه.. رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنّا :يستفاد من طلب القبول إعطاء الأجر و الثواب لا علی ما بنياه من الكعبه أعزّها اللّه مسجدا لا مسكنا،و إنما الأجر و الثواب علی الطاعات إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ السميع لدعائنا العليم بجميع أمورنا ظاهره و باطنه.

۱۲۸- رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ...أی:صيّرنا خالصين لك مصفّيين من كل ما تكرهه و لا ترضاه وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ أی:اجعل بعض نسلنا-أنا و ابنی إسماعيل-مخلصين لك.و قد جاء بلفظه:من،لأنه إنما خصّ البعض،لأنه تعالی عرّفه بأن الظّلمه من نسلهما لا ينالون عهد اللّه و لا يفوزون بميثاقه،فدعا للبعض من الذّريه بالتوفيق لمرضاه اللّه و الطاعه و خلوص النيه و حسن العمل و التنزّه عن الشّرك و الضلال وَ أَرِنا مَناسِكَنا أی عرّفنا مناسك الحج و عباداته الموظّفه المقرّره فی الأماكن المعهوده فی الشرع الإلهی،و عرّفها لكل نبیّ فی عصره بحسب شرعه.و قد صار إكمال المناسك كلّها فی عصر خاتم الأنبياء سيدنا و نبيّنا محمد(ص).فبعد أن دعا إبراهيم عليه السلام أن يعرّفه الشارع الأقدس وظائف الحج و أمكنتها قال: وَ تُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ أی اقبل توبتنا و ندمنا علی ما قد يحصل منّا من قصور أو تسامح فی الوظائف،فاعف عنّا.ذلك أن المقرّبين يعدّون قصورهم ذنبا عند ربهم و تسامحا،حتی و لو حصل الأمر سهوا فإنهم يعتبرونه تعمدا و أنهم مؤاخذون عليه و مسئولون عنه.فطلب التوبه فی محلّه لأنه يعنی-علی الأقل-توبه تعبّد يقتدی بها المؤمنون التائبون.

و قيل إن طلب التوبه كان لذريّتهما و هو احتمال علی خلاف الظاهر.و تكرار ضمير الخطاب تأكيد و مبالغه،و التوّاب كثير القبول لتوبه التائبين،و كثير الرحمه بهم، و كثير التجاوز عنهم و عن سائر عباده،و الرحيم مبالغه فی صفه رحمته الواسعه، فإنه تعالی يغفر يوم القيامه و يفتح باب الرحمه بحيث لا يبقی مشرك و لا كافر إلاّ

و یطمع بالرحمه-بل قیل إن إبلیس لیمدّ إلیها عنقه،لمغفره اللّه الواسعه و رأفته بعباده،سبحانه فقد وعدنا بقوله: إِنَّ اللّهَ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِیعاً..

۱۲۹- رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولاً ...فبعد بناء الکعبه،و إحیاء ما اندرس من معالم البیت،و بعد أمر اللّه بتطهیره لعباده المنقادین المطیعین، و اطلاعه علی معالم المناسک،وقف إبراهیم(ع)یدعو لنفسه و لذرّیته و أمّته، و تمنّی علی ربّه أن لا یقطع نعمه الهدایه عن الأجیال القادمه فی ذریّته،ثم طلب إلیه أن یبعث-یرسل-رسولا:نبیّا مرشدا،کیلا تنقطع عنهم هذه النعمه العظمی من النبوّه یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِکَ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ أی یقرأ علیهم دلائل التوحید و یعلّمهم کتبک السماویّه.و قیل إن الکتاب أرید به الجنس، و قیل إنه القرآن-علی ما أخذ به بعض المفسّرین-و هو قریب إلی الصواب بناء علی أن إبراهیم کان یعلم أنه لا یبعث من نسله إلاّ محمد(ص)،و هو صاحب القرآن،یدل علی ذلک-أیضا-أنه

قال صلوات اللّه علیه: أنا دعوه إبراهیم و بشری عیسی.. وَ یُزَکِّیهِمْ و یطهّرهم من دنس الشّرک و من العقائد الباطله و الأخلاق الرذیله و الأفعال الفاسده إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ العزیز:المنیع الذی لا یغلب علی ما یرید،و لا یقهر علی ما یراد به،و الحکیم الذی یحکم ما یعمل،و یفعل طبق المصالح و نظام النوع،أی یضع الأشیاء علی ما ینبغی..

سوره البقره (۲): الآیات ۱۳۰ الی ۱۳۴

وَ مَنْ یَرْغَبُ عَنْ مِلَّهِ إِبْراهِیمَ إِلاّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَ لَقَدِ اصْطَفَیْناهُ فِی الدُّنْیا وَ إِنَّهُ فِی الْآخِرَهِ لَمِنَ الصّالِحِینَ (۱۳۰) إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِینَ (۱۳۱) وَ وَصّی بِها إِبْراهِیمُ بَنِیهِ وَ یَعْقُوبُ یا بَنِیَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفی لَکُمُ الدِّینَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۳۲) أَمْ کُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ یَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِیهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی قالُوا نَعْبُدُ إِلهَکَ وَ إِلهَ آبائِکَ إِبْراهِیمَ وَ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۱۳۳) تِلْکَ أُمَّهٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما کَسَبَتْ وَ لَکُمْ ما کَسَبْتُمْ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمّا کانُوا یَعْمَلُونَ (۱۳۴)

۱۳۰- وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّهِ إِبْراهِيمَ ...كلمه:من،،للاستفهام الإنكارى،أى:لا يرغب عن مله-دين و طريقه و شريعه-إبراهيم إلا السفهاء،لأن ملّته هى الحنيفيه السمحه السهله التى أخذ منها الإسلام عشر خصال كريمه.فلا يعرض عنها إِلاّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ أى كان فى عقله خفّه و فساد.و

فى المحاسن عن السّجاد عليه السلام: ما أحد على ملّه إبراهيم إلا نحن و شيعتنا،و سائر الناس منها براء. وَ لَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِي الدُّنْيا اخترناه فى الدنيا للرساله و النبوّه و هدايه الخلق وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَهِ لَمِنَ الصّالِحِينَ القائمين بما عليهم من الحقوق التى شرعها اللّه تعالى،المبادرين إلى امتثال جميع أوامره و نواهيه،المطهّرين المقرّبين.فهو من الفائزين مع آبائه و أبنائه من الرّسل الكرام.فى هذه الآيه الشريفه بيان لكون الشريعه التى كان عليها إبراهيم عليه السلام جديره بأن يؤخذ بها،بدليل ثناء اللّه تعالى عليها و على حاملها و مبلّغها و القائم بها:أبى الأنبياء صلوات اللّه و سلامه عليه.و قد مدحه اللّه تعالى بأعظم

مدح إذ أمرنا فی أعلی و أعظم مظاهر عبادتنا-أی الصلاه التی هی عماد دیننا-بأن نسلّم علی عباده الصالحین بعد أن نصلی علی خیر خلقه و خاتم رسله،مما یدل علی أن مقام الصالحین هو قرین لمقام المقرّبین أو هو أعظم.و من قال بغیر ذلک فقد توهّم..

۱۳۱- إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ،قالَ أَسْلَمْتُ ...إذ:ظرف متعلق بقوله:

اصطفیناه،و محلّه نصب بتقدیر:أذکر ذلک الزمان لتعلم أنه المصطفی الصالح الذی بادر إلی ما أمره اللّه تعالی به من الإسلام،و قبله و أظهر الرغبه فیه عاجلا-و بدون استمهال،فأسلم لِرَبِّ الْعالَمِینَ بارئ المخلوقین و رازقهم و مالک أمرهم.و اختلف فی أنه:متی قیل له ذلک؟.و قیل إنه کان حین أفول الشمس،فإنه حین رأی إبراهیم تلک الآیات و تلک الدلائل علی التوحید،کان ذلک طریقا لهدایته إلی وحدانیه اللّه تبارک و تعالی،فقال:یا قوم إنی بریء مما تشرکون،إنی وجّهت..الآیه..و أنه أسلم حینئذ..و هذا یدل علی أن ذلک کان قبل نبوّته و بعثته،و أنه کان إلهاما حین دعی إلی الإسلام فأسلم و أذعن فورا لمّا وضح له طریق الاستدلال بما رأی من الآیات،و لا-یصح أن یوحی اللّه إلیه قبل إسلامه،لأن النبوّه حاله إجلال و إعظام و لا تنال رتبتها قبل الإسلام..قال ابن عباس:إنما قال ذلک إبراهیم حین خرج من السرّب-و لعل المراد بالسّرب، الجماعه الذین خرجوا یوم عیدهم.أو أنه السّرب:أی الغار معتزلا فیه.و خرج یتأمّل آیات اللّه و دلائل عظمته-و قیل إنما کان ذلک بعد النبوّه،و معنی:أسلم:

أخلص دینک و استقم علی الإسلام و اثبت علی التوحید.

۱۳۲- وَ وَصّی بِها إِبْراهِیمُ بَنِیهِ ...أی وصّی بملّته الشریفه الحنیفیه أبناءه الأربعه:إسماعیل،و إسحاق،و مدین،و مدان.و أصل التوصیه الوصل، کأنّ الموصی یصل أموره بالوصیّ وَ یَعْقُوبُ أی:و وصّی بها یعقوب بنیه الاثنی عشر و هم الأسباط المعروفون،وصاهم بالملّه کما وصّی إبراهیم بها

بنيه حين قال: يا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ بل قالا جميعا بهذه المقاله لبنيهما.و لقائل أن يقول:إن الموت ليس تحت مقدور الإنسان،و لا فى وسعه أن يختار الشكل الذى يكون عليه،فكيف يصح الأمر بأن يكون على صفه معيّنه،و النهى بأن يكون على غيرها،فجاز القول:و لا تموتنّ إلاّ و أنتم مسلمون؟.و الجواب أن معنى ذلك:اثبتوا على دين الإسلام إلى آخر رمق من الحياه،و داوموا عليه دواما لا يتطرّق إليه زوال بحال من الأحوال.و

قيل إن اليهود قالوا لرسول اللّه(ص):أليس تعلم بأن يعقوب أوصى بنيه باليهوديه يوم مات؟.فنزل قول اللّه تعالى:

١٣٣- أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ...و:أم:منقطعه بمعنى بل،و همزه الاستفهام هنا للجحد و الإنكار،أى:أبل كنتم؟.فاللّه سبحانه خاطب أهل الكتاب فقال:أم كنتم شهداء:حاضرين ناظرين،إذ:

حين،حضر يعقوب الموت:جاءه و نزل به.أى:ما كنتم حضورا إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي فيا أهل الكتاب:إنكم بشهاده وجدانكم لم تكونوا حاضرين فى ذينك الزمنين فمن أين تدّعون على أنبيائى و رسلى هذه الأباطيل؟.فحين سأل يعقوب بنيه قالُوا:نَعْبُدُ إِلهَكَ وَ إِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ و قد عدّوا إسماعيل عليه السلام من آبائه لأن العرب تسمّى العمّ أبا كما تسمّى الجدّ أبا أيضا لوجوب تعظيمها كتعظيم الأب.و

جاء فى الحديث: عمّ الرجل صنو أبيه. و الصّنو الأخ الشقيق.و جاء بمعنى العم، و بمعنى الابن.و

قد قال النبيّ(ص): ردّوا عليّ أبى ،يعنى العباس عمّه و قد قال بنو يعقوب نعبد إلهك إِلهاً واحِداً،وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ أى نعبد اللّه الواحد الأحد و نحن له مذعنون مقرّون بالعبوديه،أو أنه يراد بقولهم أنهم خاضعون منقادون لأوامره و نواهيه و داخلون فى الإسلام الذى يشمل كل ذلك.

و هذا يدلّ على أن الدين عند اللّه الإسلام كما ورد فى آيات كثيره من القرآن

الكريم تدل-صراحه-على إعلان كل نبىّ أنه مسلم و أن رسالته هى الإسلام، أى التسليم للّه تعالى.

١٣٤- تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ...تلك:اسم إشاره،يشير بها تعالى إلى إبراهيم و يعقوب و بينهما،فهم أمّه أى جماعه قد خلت:مضت إلى سبيل ربها و ماتت و لحقت برحمته تعالى.و يمكن أن يقال باستفاده الفرق ما بين التّخليه و المضىّ من موارد الاستعمال.بيان ذلك أننا نرى الفصحاء إذا أرادوا أن ينسبوا الارتحال إلى أشخاص كانوا من أعاظم رجال الدين و الإلهيين، فإنهم يستعملون لفظه خلوا،و لا ـ سيّما إذا كان ارتحالهم إلى عالم البقاء،و قد قال تعالى فى كتابه الكريم:قد خلت من قبله الرّسل،و نظائر ذلك كثيره فى الكتاب و السنه و الخطب الصادره عن الفصحاء.و يقال قد خلت القرون و مضت الأجيال.و المراد بالأمه التى خلت هو إبراهيم و يعقوب و أبناؤهما من الأنبياء و الصلحاء و هم كثيرون عظيمون كمّا و كيفا،باعتبار كثره الرّسل عليهم السلام و باعتبار سموّ مقاماتهم.

أما المضىّ فإنه إمّا أنهم لا يستعملونه فى الموارد المذكوره،أو أنّ استعماله من أهل الفصاحه نادر،و من أراد التّتبع فالمجال أمامه مفتوح..

تلك الأمّه الصالحه لَها ما كَسَبَتْ وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ أى لكلّ أجر عمله إن خيرا فخير و إن شرا فشرّ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ أى:يا معشر اليهود لا تؤاخذون بالأعمال السيئه الصادره عن غيركم و لا تستفيدون من الأعمال الحسنه الصادره عن الغير..

سوره البقره (۲): الآيات ۱۳۵ الى ۱۴۱

وَ قالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ (۱۳۵) قُولُوا آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ اَلْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ ما أُوتِيَ اَلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۱۳۶) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اِهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اَللّهُ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۱۳۷) صِبْغَةَ اَللّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اَللّهِ صِبْغَةً وَ نَحْنُ لَهُ عابِدُونَ (۱۳۸) قُلْ أَ تُحَاجُّونَنا فِي اَللّهِ وَ هُوَ رَبُّنا وَ رَبُّكُمْ وَ لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (۱۳۹) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ اَلْأَسْباطَ كانُوا هُوداً أَوْ نَصارى قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اَللّهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اَللّهِ وَ مَا اَللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ (۱۴۰) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۴۱)

۱۳۵- وَ قالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى ...أى قالت اليهود:كونوا هودا،و قالت النصارى:كونوا نصارى،تهتدوا. قُلْ يا محمد: بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً بل نتّبع ملّه:عقيده،الحنيفيه السهله التى جاء بها إبراهيم عليه

السلام حتى نهتدى إلى الحق.و حنيفا:حال من إبراهيم،أى مائلا عن الباطل إلى الحق.

قال الصادق عليه السلام: الحنيفيه هى الإسلام الذى كان إبراهيم بموجبه حنيفا وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ باللّه يشرك معه غيره جلّت قدرته أبدا منذ بدء خلقه،فان اللّه سبحانه نزّهه من الشّرك كذلك بمقتضى قوله:ما كان،فهو-ينفى الشّرك عنه أزلا و بالفحوى أبدا.أى كان هكذا منذ كان، فدينه أولى بالأخذ و الاتّباع.و ذيل الآيه ردّ على اليهود و النصارى و سائر المشركين.و تعريض بأديانهم الباطله.فقد بهتهم اللّه،و حصر دينه الحقّ بملّه إبراهيم(ع)التى هى الحنيفيه و الإسلام.

۱۳۶- قُولُوا آمَنّا بِاللّهِ ...خطاب للمسلمين بأن يجهروا بعقيدتهم و يظهروا ما تديّنوا به.و قد بدأ أولا بالإيمان باللّه لأن الإيمان بوحدانيته أول أصول العقائد و الواجبات الدينيه، وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ ثمّ ثنّى بالإيمان بالقرآن و سائر الكتب السماويه و الصّحف النازله من عند اللّه عزّ و جل على هؤلاء الأنبياء عليهم السلام.أمّا الأسباط فهم حفده يعقوب عليه السلام و ذرارى أبنائه الاثنى عشر.

و مفرد اللفظه:سبط و هو الحفيد من البنت كالحسن و الحسين عليهما السلام فإنهما سبطا الرسول(ص).و

بمقتضى بعض الروايات: ما كان فى الأسباط نبىّ و لا كتاب منزل.

ففى العياشى عن الباقر عليه السلام أنه سئل:هل كان ولد يعقوب أنبياء؟.قال:لا،و لكنهم كانوا أسباطا،أولاد أنبياء،و لم يكونوا فارقوا الدنيا إلّا سعداء.تابوا و تذكّروا ما صنعوا،أى ندموا على ما فعلوا ثم تابوا.. فقولوا أيها المسلمون:آمنّا بذلك كله وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى أى التوراه و الإنجيل،فإنهما كتابان من عند اللّه وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ المرسلون من المذكورين فى الآيه الكريمه أو غيرهم.و خصّ موسى و عيسى عليهما السلام بالذكر لأن الاحتجاج موجّه على أهل الكتابين.و نحن لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ و لا نؤمن ببعض و نكفر ببعض كأصحاب الكتابين.و قد أضيف لفظ:بين إلى لفظ:أحد،لعمومه فى سياق النفى وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ خاضعون للّه تعالى مطيعون منقادون لأوامره.

ففى العياشى عن الباقر عليه السلام أنه سئل:هل كان ولد يعقوب أنبياء؟.قال:لا،و لكنهم كانوا أسباطا،أولاد أنبياء،و لم يكونوا فارقوا الدنيا إلاّ سعداء.تابوا و تذكّروا ما صنعوا،أى ندموا على ما فعلوا ثم تابوا.. فقولوا أيها المسلمون:آمنّا بذلك كله وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى أى التوراه و الإنجيل،فإنهما كتابان من عند اللّه وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ المرسلون من المذكورين فى الآيه الكريمه أو غيرهم.و خصّ موسى و عيسى عليهما السلام بالذكر لأن الاحتجاج موجّه على أهل الكتابين.و نحن لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ و لا نؤمن ببعض و نكفر ببعض كأصحاب الكتابين.و قد أضيف لفظ:بين إلى لفظ:أحد،لعمومه فى سياق النفى وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ خاضعون للّه تعالى مطيعون منقادون لأوامره.

۱۳۷- فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ ...فإذا آمن و سلّم هؤلاء الكفره و المشركون مثل إيمانكم و تصديقكم باللّه و رسله و كتبه فَقَدِ اهْتَدَوْا سلكوا طريق الهدى و الرشاد و نجوا من الضلاله و العناد.و الباء زائده فى:بمثل،كما فى قوله سبحانه: وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَهِ :أى هزّى جذعها.و ما:

مصدريه.فان قيل إنه أريد به الموصول هنا،أى آمنوا بمثل الذى آمنتم به، فالجواب أن اللّه تعالى لا مثل له،و الإسلام لا مثل له كذلك لأن دين الحق واحد و لا نظير له.و مثل:هنا زائده كما فى قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ أى:و إن أعرضوا و انصرفوا فإنما هم فى خلاف للحق و عداوه للمسلمين،و لا تخف يا محمد فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ سيردّ كيدهم و يكفيك أمرهم،فلا تهتمّ بشأنهم و لا تخش أذاهم.و فى هذا تسليه للنبىّ(ص)،و تسكين لمخاوف المسلمين جاء من عند اللّه عزّ و علا وَ هُوَ السَّمِيعُ لدعائك اَلْعَلِيمُ بنيّتك و ما يخطر ببالك من خلوص النيّه للدعوه.

۱۳۸- صِبْغَهَ اللّهِ ...صبغه:مصدر مؤكّد لآمنّا باللّه،التى تقدّمت.

و هو منصوب بمقدّر،أى:صبغنا اللّه بالإيمان صبغه.و هى من صبغ،على وزن فعله،كجلسه من جلس.و هى الحاله التى يقع عليها الصبغ.و شأن نزول هذه الصّبغه بهذا النّص أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمّونه ماء المعموديه و يقولون:إنه تطهير لهم و رسم و وسم بالنّصرانيه،فأمر المسلمون أن يقولوا آمنّا و صبغنا اللّه بالإيمان صبغه لا مثل صبغتكم،و طهّرنا به لا مثل تطهيركم،بل جبلنا عليه و وسمنا هو تعالى به و فطرنا على دين الإسلام الذى هو الفطره التى فطر الناس عليها. وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَهً أى لا

صبغه أحسن من صبغه اللّه وَ نَحْنُ لَهُ عابِدُونَ مطيعون و سامعون و منفّذون.

و الجمله عطف على آمنّا باللّه،و هى أيضا جمله مؤكده.

۱۳۹- قُلْ أَ تُحَاجُّونَنَا فِي اللّهِ ...يعنى أ تناقشونا و تجادلوننا فى أمر اللّه عزّ و جلّ و اصطفائه؟.فقد قال أهل الكتاب:إن الأنبياء كلهم منّا لا من العرب عبده الأوثان،فلست بنبيّ.فنزل قوله تعالى ردّا و توبيخا لاعتراضهم على مشيئته فكيف تجادلون فى تقديره وَ هُوَ رَبُّنا وَ رَبُّكُمْ لا اختصاص له بقوم دون قوم،و هو-وحده-يختار رسوله من أيه عشيره كانت و كيف شاء،فاذهبوا أى مذهب شئتم وَ لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ و سينال كلّ منّا جزاء عمله إن خيرا فخير و إن شرا فشر وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ و نحن موحّدون للّه نخلص له فى الإيمان و الإيقان،بل إيماننا منحصر به وحده..

۱۴۰- أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْراهِيمَ ...إلى قوله:و الأسباط..القراءه المشهوره:أم تقولون،بالتاء و أم:يمكن أن تكون منقطعه،و يمكن أن تكون متّصله عديله همزه ما قبلها.و هى هنا منقطعه بمعنى:بل،أى:بل أ تقولون.و الاستفهام للإنكار.و على قراءه:أم يقولون،بالياء،لا تكون أيضا إلا منقطعه و همزتها للإنكار.و معنى ذلك:كيف تقولون،يا أهل الكتاب كانُوا هُوداً أَوْ نَصارى فإن اليهود كانوا يدّعون كون هؤلاء الرّسل يهودا،و النصارى كانوا يدّعون أنهم نصارى.فيا محمد قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بأحوال هؤلاء و حقيقه أمرهم أَمِ اللّهُ الذى خلقهم و أرسلهم إليكم.و هذا يعنى أنه سبحانه شهد لهم بملّه الإسلام و نفى عنهم اليهوديّه و النصرانيّه بما هما فيه، يشهد أيضا قوله تعالى: ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً ،كما مرّ آنفا.. وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللّهِ أى لا أحد أظلم من أهل الكتاب حيث كتموا:أخفوا و ستروا أمرا ثابتا،محقّقا عندهم، و هى شهاده اللّه سبحانه و تعالى لإبراهيم(ع)بالحنيفيه و الإسلام،و تنزيهه عن

اليهوديه و النصرانيه.أما:من،فى قوله تعالى:من اللّه،فمثلها كمثل قولك:هذه شهاده منّى لفلان إذا شهد له بشيء فيه اختلاف وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ و هذه وعيد لهم،لأن اللّه تعالى مطّلع على ما يفعلونه من الكيد لرسول اللّه(ص)،و هو غير غافل عنهم،و جلّ و عزّ عن أن تأخذه سنه أو نوم.

و الباء فى:بغافل زائده.و التقدير:و ما اللّه غافلا عن عملكم.

۱۴۱- تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ...مرّ تفسيرها فى الآيه ۱۳۴ من هذه السوره.و قد كرّرت تأكيدا للزّجر عن الاتّكال على فضائل الآباء و الماضين، أو أريد بالأمه فى الآيه السابقه الأنبياء،و أريد هنا أسلاف أهل الكتاب.أو أن الخطاب كان هناك موجها إلى طائفه.و هو هنا موجّه إلى طائفه أخرى.و على كل حال فالقرآن لا اختصاص له بطائفه دون أخرى،و الآيه التى تنزل فى طائفه أو عشيره ربّما أعيدت فيها أو فى غيرها من الطوائف حين يأتى الموجب لذلك،فلا عجب من مثل هذا التكرار فى القرآن الكريم لأن المواضيع المتشابهه كثيره و أسباب النزول منوطه بالمواضيع.

سوره البقره (۲): الآيات ۱۴۲ الى ۱۴۵

سَيَقُولُ اَلسُّفَهاءُ مِنَ اَلنّاسِ ما وَلاّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ اَلَّتِي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلّهِ اَلْمَشْرِقُ وَ اَلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۱۴۲) وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى اَلنّاسِ وَ يَكُونَ اَلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَ ما جَعَلْنَا اَلْقِبْلَةَ اَلَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ اَلرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاّ عَلَى اَلَّذِينَ هَدَى اَللّهُ وَ ما كانَ اَللّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اَللّهَ بِالنّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (۱۴۳) قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي اَلسَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ إِنَّ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اَللّهُ بِغافِلٍ عَمّا يَعْمَلُونَ (۱۴۴) وَ لَئِنْ أَتَيْتَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لَئِنِ اِتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ اَلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ اَلظّالِمِينَ (۱۴۵)

۱۴۲- سَیَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النّاسِ ...السفهاء:خفاف الحلوم و العقول،المنکرون لتغییر القبله من منافقی الیهود و النصاری و سائر المشرکین.و هی جمع:سفیه.و قد قدّم الجمله الإخباریه توطینا للنفس و إعدادا للجواب.فسیقول هؤلاء: ما وَلاّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِی کانُوا عَلَیْها أی:ما صرفهم و جعلهم یعرضون عن قبله بیت المقدس التی کانوا یتوجّهون إلیها فی عبادتهم،فما الذی حدا بهم لیتّجهوا نحو الکعبه؟.فیا محمد قُلْ:لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ و قد مرّ تفسیرها،فله الأرض کلّها و لا یختصّ به مکان دون آخر،و هو یَهْدِی مَنْ یَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ یدلّ من یرید علی

الطريق السّویّ حسبما توجبه حكمته من توجيه عباده مره نحو بيت المقدس و مره نحو الكعبه المعظّمه زادها اللّه شرفا.

۱۴۳- وَ كَذٰلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ...أمه وسطا:أی مقتصده فی الأمور جميعا،أو عدلا،أو خيارا.و

قد روی يزيد ابن معاويه العجلی عن الباقر عليه السلام أنه قال: نحن الأمّه الوسط.نحن شهداء اللّه على خلقه و حجته فی أرضه. و

روی الحسكانی فی شواهد التنزيل عن سليم بن قيس الهلالیّ عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ اللّه تعالى إيانا عنی بقوله: لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ .فرسول اللّه شاهد علينا،و نحن شهداء اللّه على خلقه، و حجته فی أرضه.و نحن الذين قال اللّه تعالى: كَذٰلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً.

و لعل المراد هو توسيطهم بين الرسول و الناس،و الخطاب يكون حينئذ للمعصومين سلام اللّه عليهم خاصه.

لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ فی أعمالهم المخالفه للحق،فی الدنيا و الآخره وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً بما عملتم من الأعمال الصالحه.

و الخطاب-بظاهره-يشمل جميع الأمّه من الإمام و غيره،و يحتمل أن يكون المراد منه الأئمه فقط لما ذكرنا،و لقراءه أهل البيت،فعن الباقر عليه السلام:

النبیّ(ص)يشهد للّه على الأئمه بأنّ اللّه أرسله إليهم،و أنّهم أطاعوه، و الأئمه يشهدون للّه على الأمم بأن اللّه أرسل النبیّ(ص)إليهم،و للنبیّ(ص) بأنه بلّغهم،و أنّ منهم من أطاعه و منهم من عصاه.و كذلك يشهد نبيّنا(ص) لسائر النبيّين على أممهم..إلخ... وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِی كُنْتَ عَلَيْها أی وجهه بيت المقدس،ما أمرناك باستقبالها أولا،و التولّی عنها أخيرا إِلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ أی لنمتحن الناس فنری التابع لك فی التوجه نحو الكعبه أثناء الصلاه،و لنميّز المطيع مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ أی ممن يرتدّ و يرجع إلى قبله آبائه تقليدا لهم،و معصيه لأمرنا،فكثير من أسلافهم قال:إنّا وجدنا آباءنا

على أمه و إنّا على آثارهم لمقتدون. وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً أى صلاتهم إلى الكعبه،فإنها صعبه عليهم،شاقّه على الذين يخالط إيمانهم الشّرك بدليل ارتداد قوم عن الإسلام استعظاما منهم لترك القبله الأولى،و جهلا منهم بحكمه اللّه جلّ و علا.و قيل إن المراد بمن انقلب على عقبيه،هم الذين استقاموا على كفرهم بعد تحويل القبله.و بالجمله فإن التحويل كان امتحانا صعبا،لأنّ جماعه من المسلمين ارتدّوا بعد تغيير القبله بعد أن كانوا يصلّون و يصومون، فالدار دار امتحان و اختبار على كل حال،فنسأل اللّه أن يثبتنا على دينه الذى ارتضى.

و إن قيل:كيف قال سبحانه: وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ.. إلى قوله: إِلاّ لِنَعْلَمَ ،مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك؟قلنا:إن المراد بالعلم هنا هو معرفه العباد و تفهّمهم.لأن من المعلوم عند كل أحد-حتى المشركين-أنه تعالى لم يزل عالما بجميع الكائنات و لا يزال كذلك..و هذا البيان قسم من الدعوه و المقاله الحسنه و مما شاه الخصم حتى لا ينزجر من المخاطبه و التكلم،بل يمكن أن يؤثّر فيه المقال الليّن فيدخل فيما يدعوه المتكلّم إليه.و لذا

قال النبىّ (ص): و إنّا،أو إيّاكم،لعلى هدى،أو فى ضلال مبين. و هذه الكيفيه من الدعوه هى«التى أحسن»من طرق الجدال،و هى من تربيه اللّه تعالى لنبيّه (ص).و اللّه جلّ و علا أولى و أحقّ بأن يراعى فى مقام العمل هذه النكته اللطيفه.و لذلك قال:لنعلم-مع سابق علمه..

و قد يقال:إن المراد بالعلم هنا هو التمييز للعباد فيما بينهم،لا لزياده علم اللّه تعالى فيهم،كقوله جلّ و عزّ:ليميز اللّه الخبيث من الطيّب.و وجه تفسير العلم،و مناسبته،هو أن العلم إدراك الشىء بحقيقته،و التمييز بين الأشياء لا يحصل إلا ببيان ما يمتاز به الشىء عما عداه،أى ببيان حقيقه تستلزم العلم بواقعها من حيث هما،أو بإدراك حقيقتهما على ما هما عليه بأىّ كيفيه

حصل الإدراك.فإذا انكشف الواقع يحصل التميیز قهرا بین الحق و الباطل، و بین الصالح و الطالح و الزّین و الشّین.فترجع حقیقه التمییز إلی إدراك واقع الشیء،و إلا فلا یحصل التمییز بین الخبیث و الطیب،و الحسن و القبیح، و المؤمن و الکافر.فتبیّن أن بین العلم و التمییز کمال المناسبه،و التفسیر هکذا علی ما ینبغی.

هذا و الصلاه إلی الکعبه بعد هذا التحوّل کبیره إِلاّ عَلَی الَّذِینَ هَدَی اللّهُ من الذین دلّهم إلی حکمه و أرشدهم إلی المصلحه فی تحویل القبله،و وفّقهم لاتّباع الرسول(ص)و التسلیم له وَ ما کانَ اللّهُ لِیُضِیعَ إِیمانَکُمْ أیها المطیعون إنه سبحانه لا یبطل تصدیقکم و تسلیمکم لرسوله بکل ما أمر به،بل یقبله و یثیبکم علیه بمقتضی لطفه ثوابا وافیا،و یجعل صلاتکم السابقه إلی القبله المنسوخه صحیحه مقبوله کالصلاه إلی القبله الناسخه،فإیمانکم بالقبلتین-السابقه و اللاّحقه-مصحّح للأعمال.و قد قیل إنه لما تحوّل المسلمون إلی الکعبه وقع جماعه فی کیت و کیت فقالوا:کیف بأعمالنا التی قبل التحویل؟.

کیف بمن مات قبل ذلك؟.و نحو ذلك من المقالات الکاشفه عن ضعف الإیمان و ضعف العقول،فنزلت الآیه تطمینا لهم و لطفا إِنَّ اللّهَ بِالنّاسِ لَرَؤُفٌ،رَحِیمٌ و الرأفه أشدّ الرّحمه،فهو سبحانه رحیم بعباده،أکّد رأفته الشدیده بلام التأکید لیکشف عن غایه لطفه بهم.

۱۴۴-قَدْ نَری تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِی السَّماءِ ...یؤکّد سبحانه أنه یری تقلّب:تحوّل وجه رسوله من جهه إلی جهه فی الآفاق،کأنه یترقّب نزول الوحی،أو یتأمّل فی ملکوته،أو ینتظر أن یحوّله فی الصلاه نحو الکعبه التی کانت قبله أبیه إبراهیم(ع)و أقدم الکعبتین،و أقرب إلی دعوه العرب للإیمان فإن عدم الرغبه فی الصلاه إلی بیت المقدس تکمن فی نفوسهم لأنها قبله الیهود المعاندین للإسلام المکایدین له،فکأنّ الرسول(ص)کان یرغب فی ذلك

و ینتظره فنزل علیه فَلَنُوَلِّیَنَّکَ قِبْلَهً تَرْضاها أی فلنحوّلنّک نحو قبله تقنع بها لأنک تحبّها و ترغب فیها لمصالح دینیّه و وفقا لحکمتنا و مشیئتنا.و الآیه الشریفه کانت بمثابه بشری للنبیّ الأعظم بعد طول تقلّب وجهه الکریم فی السماء،فقال له اللّه تعالی: فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ حوّله فی صلاتک نحو الکعبه المشرّفه مع سائر مقادیم بدنک.و قد استعمل لفظ الوجه لیکنّی عما هو موسوم فی المحاورات العامه و النّطق الرائج بین الناس،فحین یقال:تواجه الرجلان یکون المقصود أنهما تقابلا- کلّ بجمیع بدنه لا- بالوجه فقط،و قد اختص الوجه بذلک لأن من یقابل بالوجه لازم مقابلته التفات جمیع البدن لصعوبه التحوّل بالوجه وحده.و الشطر:هو الجهه و الناحیه و التّلقاء،و التعبیر به یرمز إلی أنه یکفی قصد الجهه-أی لمن هم خارج مکه و بادون عنها-بمقابل الحاضرین فیها الذین تکون قبلتهم المسجد بل نفس البیت علی ما هو المستفاد من روایات الباب و أقوال العلماء الذین یجیزون للبعید استقبال الجهه و لو کان خطّ الاتّجاه یخرج فی الواقع و نفس الأمر بعض الشیء عن البیت.و سمیّ البیت الحرام هکذا،کما سبق و قلنا،لأنه محرّم فیه القتال،و ممنوع عن تعرّض الظّلمه،و لأنه آمن بدعوه بانیه،خلیل اللّه إبراهیم علیه السلام.

أما وقت نزول آیه التحویل هذه فقد کان،و النبیّ(ص)یصلّی فی مسجد بنی سلمه،و قد صلّی من الظّهر رکعتین،فأتاه جبرائیل(ع)و أخذ بعضدیه و حوّله إلی الکعبه و أنزل علیه الآیه من عنده سبحانه فتحوّل الرجال مکان النساء و بالعکس،فأتمّ الصلاه و سمّی مسجد بنی سلمه مسجد القبلتین.و التحویل هذا من علائم نبوّته(ص)عند الیهود و هی معدوده و موعوده عندهم فی التوراه لنبیّ آخر الزمان الذی هو خاتم الأنبیاء الذی وصف بأنه یصلّی إلی القبلتین.و علماء الیهود کانوا یحتجّون قبل التحویل بأنه لیس بالنبیّ الموعود لأنه لم یزل یصلّی إلی قبلتهم.فحینما نزلت الآیه و تحوّلت

القبله إلى الكعبه تمّت الحجه عليهم و لم يعودوا يستطيعون القول بأن التحويل جاء من عند نفس الرسول(ص)لا من عند ربّه.ذلك أن هذا التحوّل لو كان من عند غير اللّه،فلا داعى لأن يصبر النبىّ هذا الوقت الطويل (۱)مع تعيير اليهود للمسلمين بأنهم لا قبله لهم تخصّهم فاحتاجوا للتوجه إلى قبله اليهود أولا..و ثانيا أن مقتضى الطبيعه و العاده أن يحوّل القبله من أول صلاه لو كان التحويل باختياره،بل لو كان ذلك لحوّلها من أول الصلاه التى تمّ التحوّل فيها حين نزول الآيه لا فى أثنائها و أثناء الوقوف بين يدى اللّه تعالى فى منتصف الفرض من الصلاه حيث لا يجوز التحوّل بسائر البدن!ألا إن هاتين الكيفيتين تحكمان بأن التحويل بحد ذاته،و بكيفيته و واقعه،حجتان على اليهود تدعمان نبوّه محمد(ص)بحكم التوراه التى تنصّ على ذلك و هى بين أيديهم.

فإنه سبحانه بعد أن قال:قد نرى تقلّب وجهك فى السماء،و بعد قوله: فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها ،خاطب رسوله الكريم بالآيه الكريمه و عنى المسلمين معه فى مكه،مختصّا إيّاه بالذّكر لشرفه و عظم شأنه،و جوابا على رغبته(ص).أما قوله: وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ فقد عمّم التصريح بعموم حكم التحويل لجميع الأمّه و سائر أهل الآفاق،مشيرا إلى أن ذلك معلوم لدى اليهود و النصارى بقوله: وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ فتحويل القبله مذكور عندهم،و هو حق ثابت لديهم من عند اللّه تعالى،بل هو علامه منه على صدق أوصافك لأنّك تصلّى إلى القبلتين.فإذا جحدوه و أنكروه فلا يكون ذلك إلا عنادا و ظلما،و لذلك يتوعّدهم عزّ و علا بقوله: وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا يَعْمَلُونَ و هو حاضر ناظر لما يفعلونه.و قد قرئ

****

(۱) صلّى المسلمون متّجهين إلى بيت المقدس ثلاثه عشر شهرا:سته بمكه،و سبعه بالمدينه.

«تعملون»بالتاء خطابا لأهل الكتابين،و يَعْمَلُونَ للحزبين من المسلمين و الكافرين.

۱۴۵- وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَهٍ ...اللام فى:لئن، موطّئه للقسم المقدّر:أى و اللّه إن جئت بأى برهان و حجه قاطعه لدعواک فى تحويل القبله إلى الكعبه ما تَبِعُوا قِبْلَتَکَ ما امتثلوا و لا تحوّلوا إلى قبلتک.

و الجمله جواب القسم و قد سدّ مسدّ جواب الشرط.و وجه ذلک أن عدم قبولهم الحجج بصدق التحوّل إلى قبلتک ليس لشبهه تزيلها الحجه و يرفعها البرهان، بل هو العناد و المكابره اللذان لا يزيلهما إلا السيف. وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ بعد تحوّلک من قبل اللّه تعالى،لأنک مأمور بالتحوّل حسما لأطماعهم السخيفه إذ قالوا:لو ثبت محمد على قبلتنا لكنّا نرجو و نطمع أن يرجع إلى ديننا وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَهَ بَعْضٍ لأنهم-و لو اتّفقوا على مخالفتک-هم مختلفون فيما بينهم بشأن القبله،لأن اليهود يستقبلون بيت المقدس،و النصارى يتّجهون نحو مطلع الشمس (۱)و كلّ منهم ثابت على قبلته،و لا يرجى توافقهم كما لا ترجى موافقتهم لک،لتصلبّ كلّ طائفه فيما هى عليه وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ أى بعد ما جاءک من الحق فى أمر قبلتک.

و اللام موطّئه للقسم المقدّر الذى جوابه سدّ مسدّ جزاء الشرط بقوله تعالى:

إِنَّکَ إِذاً لَمِنَ الظّالِمِينَ و قد حمل أرباب التفسير هذه الآيه المباركه على سبيل الفرض و التقدير،أو على باب إياک أعنى و اسمعى يا جاره،و على وجوه أخر.

لكنه يمكن أن يقال إنّ لها وجها آخر غير ما ذكروا،و هو أن هذا التعبير نظائره

******

(۱) هذه القبله من مخترعات(بولس القسيس)قال بعد مضىّ المسيح عليه السلام:أنا رأيت المسيح و قال لى:أحبّ الشمس لأنها كلّ يوم تبلغ سلامى إلى الناس.فقل أنت لأمتى أن تجعلها قبله عند العباده.فتبعه من تبعه من المسيحيين و جعلوا قبلتهم الشمس،أى مكان طلوعها.

فی کتاب اللّه کثیره قد صارت موجبه لوقوعهم فیما وقعوا فیه.و أحسن ما یقال فیها هو أنه تعالی یرید أن یذکّر کل إنسان و ینبّهه إلی أنه فی کلّ مرتبه أو مقام سام کان من المراتب و المقامات الإمکانیه-لا بدّ أن یتوجّه و یلتفت إلی نفسه، و أن له شأنیّه التحوّل و التغیّر لأنهما من لوازم ذاته الإمکانیه،فلا یغرّنّ بمقامه السامی الذی أعطاه اللّه إیاه،و یقع فی زلّات و مزالق مهلکه،و خطرات موبقه، و أن الحق الثابت،الذی لا تتطرّق إلیه النقائض أزلا و أبدا،هو ذاته تعالی، الواجب الوجود بالذات.أما الذّوات الإمکانیه کلّها،فهی فی معرض الحوادث و التغیّر و التبدل و فی حال التعرّض للزلّات إلاّ أن یعصمهم اللّه منها فیخرجون من صفّ غیرهم بالامتیاز.فهذه التنبیهات و التذکیرات و الخطابات المخوفه کلّها ألطاف إلهیّه للأنبیاء و لمن لهم الأهلیه لها،و لذا فإن استعاذات المعصومین،و بکاءاتهم و استغاثاتهم لیست کلها فی مقام تعلیم الأمّه فقط،بل هم یرون أنفسهم محتاجین إلی الإفاضات الإلهیه فی کل آن،فلا یزالون مستعیذین به سبحانه سائلین منه العصمه و الحفظ.و لذا کان العارفون باللّه فی خطر عظیم،لأن قصورهم یعد بنظرهم تقصیرا،لأن علیهم تکالیف غیر تکالیف الجهله،و حسابهم غیر حساب القاصرین،و إنما یجزی الإنسان علی قدر معرفته و عمله بما عرف.

و الحاصل أنّ حمل تلک الآیات علی خلاف ظاهرها حمل بلا وجه،بل لعل التفسیر لا یرضی عنه صاحبه،و لکن لا ینافی حملها علی ظاهرها لمقام العصمه علی ما بیّنا،لأن مرحله الثبوت غیر مرحله الإثبات،حیث إنهم فی مرحله الإثبات معصومون بألطافه جلّ و علا.بل حتی فی مرحله عالم الظاهر قد تصدر عنهم بعض الأمور قصورا فی بعض الأوقات بحیث یقعون فی معرض الخطاب الاعتراضیّ لمصلحه اقتضت وقوعهم فیه،و بعد الخطاب ینتبهون إلی ما صدر منهم فیندمون علیه.و قد قال أرباب تاریخ الأنبیاء:إن موسی بن

عمران(ع)لما نزلت عليه الألواح خطر بباله أنّه ليس فی الأرض أعلم منه.

فابتلاه اللّه باتّباع الخضر و سؤاله عن تفسير أحداث و وقائع قام بها الخضر و خفی وجه حكمتها علی موسی عليهما السلام كما تری فی سوره الكهف فيما يلی.

أمّا يوسف عليه السلام فقال:و إلاّ تصرف عنّی كيدهنّ أصب إليهنّ:يعنی بمقتضی طبيعتی البشريه.أما إذا شملتنی الإفاضات العاصمه الحافظه لی من ميول الطبع البشریّ الإمكانیّ،فأنا فی حصن العصمه من الزلل،و الأمن من كل سوء.فهو مع كونه نبيّا استعان باللّه و استعصمه حين رأی نفسه فی ضيق المزلقه يخشی الوقوع فی بيداء الهلكه بوجوده الإمكانیّ البشری لو لا أن ينجيه ربّه..و بحكم اتّحاد الملاک فی الأنبياء نحكم بأنهم جميعا هكذا.فالآيات المذكورات بهذا الشأن تدلّنا علی سرّ من أسراره،و ترشدنا إلی كثير من ألطافه بعباده،حيث يتبّههم و يذكّرهم بما فيه الهلاک ليحترزوا منه..فقد صرف اللّه عن يوسف كيد النساء،و عصمه من الزّلل فی عالم الإثبات..

نعم،إن مراتب الأنبياء مختلفه،فيمكن أن يقال:إن بعضهم فی عالم الثبوت متنعّمون بنعمه العصمه كنبيّنا(ص)،أو أنّنا نعمّ بهذا لحكم أولی العزم من الرّسل.لكن ليس لنا دليل غير الاحتمال.لكن ثبتت هذه النسبه إلی خاتم الأنبياء(ص)لأنه

قال: كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين ،فقولنا فيه محقّق ظاهرا لأنه أشار إلی عالم غير عالمنا الذی نعبّر عنه بعالم الإثبات و بتعبيرنا نسمّيه بعالم الثبوت.فلا يمكن أن يكون نبيّا و غير معصوم!.و أما فی غيره فليس عندنا دليل إلا الاحتمال العقلی.و العصمه الموهوبه حتی فی عالم الثبوت لا تنافی ما قلناه من أنهم من حيث البشريه و الإمكانيه سواء (١)فی صدور

****

(١) نشير بهذه المناسبه إلی ما صدر عن نبيّنا صلوات اللّه عليه من قضيه تحريم العسل علی نفسه الشريفه حين تآمرت عليه المرأتان-زوجتاه-و ادّعتا بأنهما تشمّان من فمه الشريف ريح المغافير لأنه شرب عسلا من عند زوجته التی تكرهانها،فحرّم العسل علی نفسه مع

ترک الأولی عنهم.الذی یعدّونه عندهم معصیه لربّهم لمقام معرفتهم له سبحانه،و لذا یستغفرونه فیخافون منه حقیقه و واقعا..و التنبیهات التوعّدیه المعلّقه علی أشیاء غیر مرضیه للّه تعالی لیست أمرا مخالفا للعقل حتی تعدّ من المستبعدات العقلیه بحیث نحتاج إلی التأویلات غیر المعلومه التی هی علی خلاف الظاهر و المراد،و اللّه أعلم.

و الحاصل أن اللّه تعالی أکّد الوعید لنبیّنا صلوات اللّه علیه لطفا به و بالأمه السامعه المطیعه،و تحذیرا لنا من اتّباع الهوی،و تحریضا لنا علی الثبات علی الحق فی مناسبه الصلاه إلی الکعبه المشرّفه.

سوره البقره (۲): الآیات ۱۴۶ الی ۱۵۲

اَلَّذِینَ آتَیْناهُمُ اَلْکِتابَ یَعْرِفُونَهُ کَما یَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنْهُمْ لَیَکْتُمُونَ اَلْحَقَّ وَ هُمْ یَعْلَمُونَ (۱۴۶) اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِینَ (۱۴۷) وَ لِکُلٍّ وِجْهَهٌ هُوَ مُوَلِّیها فَاسْتَبِقُوا اَلْخَیْراتِ أَیْنَ ما تَکُونُوا یَأْتِ بِکُمُ اَللّهُ جَمِیعاً إِنَّ اَللّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۱۴۸) وَ مِنْ حَیْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرامِ وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ وَ مَا اَللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ (۱۴۹) وَ مِنْ حَیْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرامِ وَ حَیْثُ ما کُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَکُمْ شَطْرَهُ لِئَلاّ یَکُونَ لِلنّاسِ عَلَیْکُمْ حُجَّهٌ إِلاَّ اَلَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِی وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِی عَلَیْکُمْ وَ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ (۱۵۰) کَما أَرْسَلْنا فِیکُمْ رَسُولاً مِنْکُمْ یَتْلُوا عَلَیْکُمْ آیاتِنا وَ یُزَکِّیکُمْ وَ یُعَلِّمُکُمُ اَلْکِتابَ وَ اَلْحِکْمَهَ وَ یُعَلِّمُکُمْ ما لَمْ تَکُونُوا تَعْلَمُونَ (۱۵۱) فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ وَ اُشْکُرُوا لِی وَ لا تَکْفُرُونِ (۱۵۲)

****

(۱) أن أفواه الأنبیاء جمیعا دائما معطّره طیّبه الرائحه لأنهم یخاطبون الناس بها،حتی نزل فی ذلک وحی من اللّه فضح فیه المؤامره و عاتب فیه النبیّ عتاب الحبیب.

۱۴۶- اَلَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ ...من الیهود و النصاری،و بالأخصّ الفریقین یَعْرِفُونَهُ کَما یَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ أی یعرفون خاتم الأنبیاء کمعرفتهم لأولادهم.أو هل یشتبه علی الإنسان أولاده أو صدیقه الذی یعیش معه لیلا و نهارا؟..فمعرفه الرسول الأکرم(ص)هکذا،بل أکثر و أظهر من الشمس المنیره فی رابعه نهارها وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنْهُمْ أی من أهل الکتاب،و المعاندین منهم لَیَکْتُمُونَ الْحَقَّ یجعلون الحق سرّا فیما بینهم و لا یظهرون معرفه محمد (ص)و لا ینشرون صفاته المذکوره فی التوراه وَ هُمْ یَعْلَمُونَ أی مع علمهم بها حیث قرءوها فی کتبهم النازله علی نبیّهم.

۱۴۷- اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ ...الحقّ مبتدأ،و خبره:من ربّک.أی الذی

یکتمونه-و هو الحق-کان من ربک،یعنی من عنده أو من أمره.فبکتمانهم لا- یخفی و لا یکتم،بل یظهر و یکشف کالنّار علی المنار.یریدون أن یطفئوا نور اللّه بأفواههم،و لکن هیهات من ذلک فاللّه متمّ نوره فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِینَ أی الشاکّین فیما تکون علیه من دینک و کتابک و قبلتک،قبلوا منک و اتّبعوک أم لا.فاثبت أنت علی ما أنت علیه فإنه الحق و خلافه الباطل.

۱۴۸- وَ لِکُلٍّ وِجْهَهٌ هُوَ مُوَلِّیها ...أی لکلّ أهل شرعه من الأنبیاء،أو لکل قوم من المسلمین جهه من القبله.منهم من کان وراء القبله،و من کان قدّامها أو عن یمینها أو عن شمالها.و الضمیر(هو)مرجعه إلی اللّه،أی أنهم مأمورون بأمره بالتوجّه إلی تلک الجهه فَاسْتَبِقُوا الْخَیْراتِ یعنی:اسبقوا غیرکم من أهل الکتاب و سائر الفرق الذین عندهم خیرات من الطاعات التی منها التوجّه إلی الکعبه فی الصلاه.و

فی الکافی عن الباقر علیه السلام:

الخیرات:الولایه أَیْنَ ما تَکُونُوا یَأْتِ بِکُمُ اللّهُ جَمِیعاً أی فی أیّ موضع یدرککم الموت یحشرکم اللّه إلیه یوم الجمع بأجمعکم.و

عنهم علیهم السلام: أن الآیه فی أصحاب القائم(ع)یفتقدون من فرشهم لیلا فیصبحون بمکه إِنَّ اللّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ قادر علی کل شیء،و منه جمعکم یوم القیامه.

۱۴۹- وَ مِنْ حَیْثُ خَرَجْتَ ...أی أثناء السفر فی البلاد فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فعرّض وجهک و أدره نحوه،إلی ناحیه الکعبه،فی صلاتک وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ أی التوجّه إلی الکعبه هو الأمر الثابت من عنده تعالی،و المقرّر لک حینما تصلّی و أینما تصلّی وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ و فی هذا الکلام تهدید و وعید بالعقوبه کقوله: إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصادِ.

۱۵۰- وَ مِنْ حَیْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ ...قیل:کرّر تأکیدا لأمر القبله و تثبیتا

للقلوب عن فتنه النّسخ ثانيا،حيث إنّ بعض المؤمنين و عدّه من أهل الكتابين لم يكونوا مطمئنّين بأنه(ص)ستبقى الكعبه قبلته،بل يحتملون النّسخ و الرجوع إلى الصخره فى بيت المقدس.و يمكن أن يوجّه التكرار على الاختلاف بحسب المواطن و الأوقات التى نحتاج إلى هذا المعنى فيها، فنقول:إن الأولى نزلت فى النبىّ(ص)و أهل المدينه،و الثانيه نزلت لبيان أن هذا الحكم ليس بمقصور عليهم بل يعمّ أهل الآفاق فى مختلف الجهات..

أبو الفتوح،عن براء بن العازب،قال: كنا نصلّى على بيت المقدس صلاه الظّهر،و كنّا فى ركوعها،فتحوّل النبىّ(ص)عنها إلى الكعبه،فنحن اتّبعناه. ثم نادى المنادى من قبل الرسول(ص)فى رساتيق المدينه و شوارعها و أسواقها بالتحوّل إلى الكعبه،بحيث وصل الحكم إلى أهل المدينه بأجمعهم.ثم نزلت الآيه ثانيه لبيان الحكم لجميع الناس فى أى جهه كانوا،و فى أى ناحيه من النواحى..فعلى هذا يكون التكرار ليس بمستهجن، بل صدر من أهله و وقع فى محلّه،و القصور من فهم القاصرين لا- من بيان الصادرين.فالخطاب فى أولى الحالتين موجّه للنبىّ(ص)تشريفا و تكريما له،و فى الثانيه هو موجّه لأهل المدينه خاصه و للأمه عامه،و هى قوله: وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ و لا يخفى أن التحويل علّل بعلل أربع:

الأولى تعظيم الرسول طلبا لمرضاته.

و الثانيه جرى العاده و السنّه الإلهيه على أن يولّى أهل كل ملّه،و صاحب كل دعوه حقه وجهه يستقبلها و يتميّز بها، و الثالثه دفع حجج المخالفين كما يأتى قريبا فى قوله تعالى: لِئَلّا يَكُونَ الآيه...

و الرابعه رفع أطماع أهل الكتابين بدخوله(ص)فى ملّتهم،و دفع غائله المخالفين من المشركين و المفسدين الآخرين،حيث كانوا يتكلمون عنه(ص)بأنه

یخالف ملّتهم و یوافق قبلتهم،فیرجی أن یدخل فی منهاجهم و دینهم..

و علی کل حال فقد کان التکرار لِئَلاّ یَکُونَ لِلنّاسِ عَلَیْکُمْ حُجَّهٌ و بهذا یردّ احتجاج الیهود بأن المنعوت فی التوراه تکون قبلته الکعبه،ثم تردّ مقاله المشرکین بأنه یخالف قبله إبراهیم(ع)أو یدّعی أنه علی ملّته،فیطعنون بذلک علیه و یستهزئون إِلاَّ الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ و ظاهر الاستثناء أنه من الناس فیکون متّصلا.و معناه أن التحوّل لیس بأمر من اللّه تعالی بل برأی المسلمین و من عند أنفسهم تعصّبا عربیّا وطنیّا!.

و إنما سمّی قولهم حجه-مع أن الظالم لا یکون له حجه-لأن ما یوردونه هو باعتقادهم حجه و إن کانت باطله،کما قال تعالی: حُجَّتُهُمْ داحِضَهٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ،أی لیست بحجه عنده سبحانه.بل حجه عندهم باعتقادهم الفاسد.

و إطلاق الحجه علی ما یورد الخصم الظالم هو نوع من المماشاه حتی یسمع قول داعی الحق فلعلّه یتأثّر به..أما الظالمون فَلا تَخْشَوْهُمْ،وَ اخْشَوْنِی فلا-لا-تخافوهم فإنّ مطاعن الظّلمه لا تضرّکم أبدا،و أقوالهم تردّ علیهم،و خافونی و لا تخالفوا أوامری و نواهیّ إن کنتم مؤمنین حقّا وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِی عَلَیْکُمْ عطف علی:

لئلّا یکون.فإن فی تولیه الوجوه نحو الکعبه فوائد کثیره،منها ردّ غائله الناس، و نفی حجتهم،کما أن منها إتمام النعمه فإن الصلاه إلی الکعبه أفضل من غیرها،و إلاّ لما وقع التحوّل،أو أنه یحوّل تبعیضا زمانیا حتی یجمع بین دفع قائله أهل الکتابین و الآخرین من الذین یشارکونهم فی حججهم الداحصه.

فانحصار القبله بالکعبه أقوی دلیل علی الأفضلیه التی تتم بها النعمه.

أمّا التأخیر فی التّولیه نحو الکعبه ثلاثه عشر شهرا(سته فی مکه و سبعه فی المدینه)فلمصالح عدیده قد أشرنا إلی بعض منها،کقول المشرکین أن التحوّل من رأیه لا من ربّه وَ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ إلی أن التحویل إتمام للنعمه،فلا بدّ من شکر المنعم بإطاعته فیما أراد منکم.و

عن النبیّ(ص): تمام النعمه دخول

الجنه. و

عن علیّ(ع) ،تمام النعمه الموت علی الإسلام. و لا منافاه بین الخبرین،کما أنه لا تنافی بینهما و بین ما ذکرناه فتدبّروا..

۱۵۱- کَما أَرْسَلْنا فِیکُمْ رَسُولاً مِنْکُمْ ...أی کما أتممت علیکم نعمتی بتحویل قبلتکم،کذلک أتممتها علیکم بإرسال رسول منکم إلیکم.کیف لا، و هو رسول لا مثل له و لا نظیر-کما أنه سبحانه لا مثل له و لا ندّ و لا شبیه-فهو، لعظم شأنه ختمت النبوّه به(ص)و هذه من أجلّ صفاته لأنها من خصائصه (ص)و لا شبیه له فیها.و من أوصافه(ص)أنه یَتْلُوا عَلَیْکُمْ آیاتِنا یقرأها لکم و یفسّرها وَ یُزَکِّیکُمْ أی یطهّرکم من أدناس الجاهلیه و یصلح أمورکم و یعرّفکم ما تکونون به أزکیاء وَ یُعَلِّمُکُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ و الکتاب هو القرآن الکریم، و الحکمه هی الوحی الذی هو السنّه الشریفه.أما تقدیم التزکیه علی التعلیم، مع أنها متفرعه عنه،فباعتبار القصد،و کذلک تأخیر التعلیم کان باعتبار الفعل.و بعباره أخری:إن التزکیه عله غائیّه مقدّمه فی التصوّر و مؤخّره فی الوجود.فمن حیث کونها متصوّره قبل وجودها قدّمت. وَ یُعَلِّمُکُمْ ما لَمْ تَکُونُوا تَعْلَمُونَ أی الذی لا سبیل لکم إلی العلم به إلاّ من طریق الوحی.و لا یفیدکم إعمال الفکر فیه و لا إمعان النظر فإنهما لا یتطرّقان إلیه،و تکریر الفعل للدلاله علی تخالف الجنس..

فإن قیل:ما المراد بالموصول الذی یعلّمنا إیاه النبیّ الأکرم(ص)؟قلنا:

یحتمل أن یکون المراد به الأحکام التی لا تستفاد من ظاهر الکتاب،أو کیفیّاتها التی لا یتکفّلها القرآن.أو یکون المراد به الأخبار الغیبیّه التی لم ترد فی القرآن أو لا تصل إلیها أفهامنا لأنها قاصره عن فهمها منه لتدرکها عقولنا.و یمکن أن یقال:إن المراد به هو الآیه التی عقّبها بقوله سبحانه: فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ ، بتقدیر القول:یا محمد قل لأمتک:قال اللّه:اذکرونی أذکرکم.و هذه المقاله لا یتطرّق إلیها فهم البشر حتی تنحلّ من طریق الفکر و إعمال النظر،بل ینحصر کشفها بطریق السمع عمّن یوحی إلیه صلوات اللّه علیه و آله.و هذا الذی قلناه

ليس أمرا مبتدعا حتى يكون بعيدا،فإن تفسير بعض الآيات لبعض المجملات من الآيات أمر متعارف مستفاد من الروايات..

١٥٢- فَاذْكُرُونِی أَذْكُرْكُمْ ...عن عبد اللّه المبارک قال:سنه من السنوات كنت ماشيا إلى حج بيت اللّه،فرأيت فی الطريق غلاما مراهقا لبس ثيابا مخفّفه،لا زاد معه و لا راحله و لا أنيس.فلما قرب منی سألته:يا غلام أ منقطع عن الرفقه مثلی،أم كنت وحيدا من ابتداء سفرک؟..قال:ما كان لی رفقه من أول حركتی.قلت:أين زادک و شرابک و طعامک و راحلتک؟..فأشار إلى السماء.فأردت أن أمتحنه فقلت:أنا عطشان.فرفع يده إلى السماء فإذا بقدح مملوء من الماء المثلّج،فأعطانی،فتعجّبت و قلت:يا غلام من أين حصّلت هذا المقام؟..قال:أذكره فی الخلوات يذكرنی فی الفلوات..

و عن كعب الأحبار،قال:ناجى موسى(ع)ربّه:أ قريب أنت من عبادک حتى يناجوک سرّا،أم بعيد حتى ينادوک جهرا؟..فأجيب:يا موسى أنا مع من يذكرنی.قال الكليم:يا رب أنا فی حاله لا أحبّ أن أذكرک.يعنی حاله التخلّی أو الجنابه)-فقال سبحانه:اذكرنی على كل حال.

و فی تفسير البرهان عن العياشی عن جابر عن الباقر عليه السلام عن رسول اللّه(ص)أنه قال: إن فی كلّ صباح و مساء ينزل ملک و معه قائمه يكتب فيها أعمال الناس.فاعملوا أول النهار و آخره عملا حسنا حتى يعفو اللّه عنكم عما صدر عنكم غفله،لأنه سبحانه قال:اذكرونی أذكركم.. فلا ينبغی أن ينسى الإنسان ذكر ربّه فی كل حال،لأن ذكره حسن على كل حال.و ذكره تعالى:طاعته و تحصيل مراضيه.و

فی الكافی عن الصادق عليه السلام: أن اللّه لم يذكره أحد من عباده المؤمنين إلاّ ذكره بخير،فأعطوا اللّه من أنفسكم الاجتهاد فی طاعته. و ذكره سبحانه لنا هو عطفه و شفقته و رحمته بنا و غفرانه لنا وَ اشْكُرُوا لِی أی على نعمائی و آلائی التی أنعمت بها عليكم.و

عن السجّاد عليه

السلام: من قال:الحمد للّه،فقد أدّى شكر كل نعمه.. و

العیاشی عن الصادق علیه السلام: أنه سئل:هل للشکر حدّ إذا فعله الرجل کان شاکرا؟..قال:نعم.قال:و ما هو؟..قال:الحمد للّه علی کلّ نعمه أنعمها علیّ،الحدیث..

و قد قال اللّه سبحانه:و اشکروا لی،و ما قال:و اشکرونی،لأن الأول هو الشکر علی النّعم،و هذا شکر أصحاب الهدایه و أهل الظاهر.أما الثانی فهو شکر علی مشاهده الذات إلی حدّ الإمکان،فإنّ معرفته عزّ و جلّ بکنه ذاته غیر مقدوره لأحد من الممکنات،و هذا الشکر خاصّ بأرباب الغیب و الشهود و أهل النهایه.و لمّا کان هذا الشکر غیر میسور لمعظم العباد،فقد أمرهم بما هو المیسور،و عفا عن المعسور فقال:و اشکروا لی. وَ لا تَکْفُرُونِ قیل:ما فائده قوله تعالی:و لا تکفرون،بعد قوله:و اشکروا لی،و الشکر نقیض الکفر، و متی وجد الشکر انتفی الکفر؟..و الجواب أن الأول أمر به،و الثانی أمر بالثبات علیه.و بعباره أخری:الأمر عله محدثه،و النهی عله مبقیه یؤوّل بالأمر بإثباته.

سوره البقره (۲): الآیات ۱۵۳ الی ۱۵۷

یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اِسْتَعِینُوا بِالصَّبْرِ وَ اَلصَّلاهِ إِنَّ اَللّهَ مَعَ اَلصّابِرِینَ (۱۵۳) وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ یُقْتَلُ فِی سَبِیلِ اَللّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْیاءٌ وَ لکِنْ لا تَشْعُرُونَ (۱۵۴) وَ لَنَبْلُوَنَّکُمْ بِشَیْءٍ مِنَ اَلْخَوْفِ وَ اَلْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ اَلْأَمْوالِ وَ اَلْأَنْفُسِ وَ اَلثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ اَلصّابِرِینَ (۱۵۵) اَلَّذِینَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِیبَهٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَیْهِ راجِعُونَ (۱۵۶) أُولئِکَ عَلَیْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَهٌ وَ أُولئِکَ هُمُ اَلْمُهْتَدُونَ (۱۵۷)

ص: ۱۷۴

۱۵۳- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا.. على المجاهدات النفسانيه فى تحصيل حظوظها بِالصَّبْرِ عن الشهوات،أى بالتجلّد الذى هو صبر مع كلفه و مشقّه.أو أن المراد به الصيام إذ يقال شهر الصّبر،أى شهر الصوم،فإن الصيام من أعظم العبادات،و هو قرين الصلاه فى الرّفعه وَ الصَّلاةِ و هى أمّ العبادات و معراج المؤمن،و مقام مناجاه العبد مع مولاه إذ يصير بها كليم اللّه تعالى إِنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ أى أنه معهم بالنصر و التوفيق.

۱۵۴- وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتٌ ...أى أنهم ماتوا و فاتوا بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ يعنى أنهم أحياء وَ لكِنْ لا تَشْعُرُونَ لا تدركون ذلك،و لا تفهمون كيف تكون حياتهم.و قيل إن الشهداء أحياء عند اللّه تعرض أرزاقهم على أرواحهم،فيصل إليهم الرّوح و الفرح،كما تعرض النار على أرواح آل فرعون فيصل إليهم الألم و الوجع.و

عن الصادق عليه السلام:

أن أرواح المؤمنين فى الجنّه على صور أبدانهم،فلو رأيته لقلت فلان. و

عنه (ع): أنها تصير فى مثل قوالبهم و يعرفون القادم عليهم بصورته. و على هذا

فتخصیص الشهداء بالحیاه لمزید قربهم منه تعالی.و کلما کان العبد أقرب إلی سیّده و مولاه،کلما کشف ذلک عن قربه المعنوی:فحظّه و لذّته أکثر،و درجته أرفع.و الآیه الشریفه نزلت فی شهداء بدر و کان عددهم أربعه عشر رضوان اللّه تعالی علیهم.

۱۵۵- وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ ...لما بینّ سبحانه ما کلّف به عباده من العبادات،عقّبه ببیان ما امتحنهم به من المشقّات فقال:و لنبلونّکم،أی لنختبرنّکم فنعاملکم معامله المختبر حتی یظهر المعلوم لدینا منکم.و الخطاب و إن کان ظاهرا مع النبیّ(ص)و أصحابه،لکنّ المراد به جمیع البشر لعموم العله،أو لاشتراکهم فیها جمیعا بشیء قلیل من خوف السلطان بل مطلق الظّلمه أو مطلق ما یخاف منه کالزلازل و الصواعق و نحوهما من سائر الآیات المخوفه وَ الْجُوعِ الذی کان ینشأ من ناحیه تشاغلهم بالجهاد و عدم اکتسابهم المعاش،أو الذی یتولّد من القحط أو الجدب،أو أن المراد به جوع الصوم وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ بإخراج الزّکاه و دفع سائر الحقوق من الفرض و النّدب أو التلف من الحوادث السماویه و الأرضیه وَ الْأَنْفُسِ بالأمراض العارضه و الموت الذریع وَ الثَّمَراتِ التی قد یکون المقصود بنقصانها النقص الوارد علیها من ناحیه الحوادث أو عدم نزول الأمطار و ذهاب ما یزرع الناس و قلّه الأثمار.و قیل:

نقص الثمرات موت الأولاد لأن الولد ثمره القلب.و الشاهد علی هذا القول وقوع لفظه الثمرات عقب لفظه الأنفس،و لو کان المقصود منها غیر هذا المعنی لکان الأنسب وقوعها بعد لفظه الأموال کما لا یخفی علی ذوی الإدراک لأسرار و رموز أقوال الفصحاء،و قوله عزّ و علا أفصح قول وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ الذین یتحمّلون تلک المشاقّ و الشدائد الکریهه علی الطّباع البشریه.و قد أخبرهم بما لهم من الأجر الجزیل و المثوبه الجمیله و العاقبه الجلیله.و الخطاب مع النبیّ(ص) و کلّ من له الأهلیه و یصدق أن یبشرّ..

۱۵۶- اَلَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ ...فی الأثر:کلّ شیء یؤذی المؤمن فهو له مصیبه،أی نکبه.فالمؤمنون إذا أصابتهم أیّه بلیّه قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ و الجمله هذه إقرار من العبد بوجود الصانع تعالی:و اعترف له بالمالکیه،و اعتراف بالبعث و الحشر للجزاء فی یوم القیامه.و هذا الاعتراف یدل علی إیمانهم بأنهم مبعوثون کما کانوا قبل الموت،لا کما یقول الطّبیعیون من أن الإنسان إذا مات فات و انعدم کالنّبات الذی یذهب بعد یباسه و لا یکون له حشر و لا نشر و لا سؤال و لا جواب،لأن هؤلاء یقولون:و ما یهلکنا إلاّ الدهر کما کان قد أحیانا!! و لا یخفی أن الدهریّین إذا کانوا یعتقدون أن للدهر و الطبیعه هذه القوّه و القدره،بحیث تخلق الإنسان و تحییه و تمیته،و توجد موجودات أخری:من ذوی الحیاه علی اختلافها،و من الجمادات مع اختلاف آثارها و خواصّها،و تمیّز کل واحد من هذه الأجناس و الأنواع،و تتکفّل بالأرزاق و تنبت و تتلف،و تخلق و تعدم،و تحیی الإنسان و تهلکه،نقول إذا کان للطبیعه أو الدهر هذا الإدراک و هذا التنظیم و هذه القدره،فإن هذه الطبیعه أو هذا الدهر،هو اللّه تعالی باصطلاحنا.و الفرق بیننا و بینهم لا یأتی إلا من ناحیه الاسم لا فی المسمّی، فهم قائلون بوجود الصانع من حیث لا یشعرون،و منکرون للبعث و المعاد کنظرائهم من الوثنّیین و الفلاسفه الملحدین،و غیرهم من أرباب الأدیان الذین یعترفون بالصانع و ینکرون المعاد مع کونهم موحّدین علی ما هو مسطور فی کتب أرباب الکلام و الفلسفه الماورائیه..و قضیه إبراهیم علیه السلام-علی ما حکاها اللّه تعالی-شاهد صدق علی ما قلناه من أن الکثیرین من الناس موحّدون و مع ذلک أشکل علیهم أمر المعاد أو أنهم أنکروه.لأن إبراهیم علیه السلام علی ما هو علیه من الإیمان-إذا لم یکن قلبه مطمئنا،فلا عجب إذا شکّک غیره أو ضلّ،حاشا رسل اللّه صلوات اللّه و سلامه علیهم.

و فی الخصال و العیاشی عن الباقر علیه السلام عن النبیّ(ص)أنه قال:

أربع خصال من کنّ فیه کان فی نور اللّه الأعظم:

من کانت عصمه أمره شهاده أن لا إله إلاّ اللّه و أنّی رسول اللّه، و من إذا أصابته مصیبه قال:إنّا للّه و إنّا إلیه راجعون، و من إذا أصاب خیرا قال:الحمد للّه، و من إذا أصابته خطیئه قال:أستغفر اللّه و أتوب إلیه.

۱۵۷- أُولئِکَ عَلَیْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ ...أی من کانوا علی تلک الحال فإن لهم من ربّهم مغفره و ثناء جمیلا-و تفید هذه الشریفه أن الصلاه لیست من خصوصیات النبیّ(ص)فیجوز أن یصلّی علی غیره بانفراد،و علی آله بطریق أولی.فالذین خسروا أنفسهم بترک الصلاه علی آله(ص)و القول باختصاص النبیّ(ص)بها،قول بلا وجه،و هو مردود بقوله سبحانه و تعالی إذ أجاز علی هؤلاء صلوات وَ رَحْمَهٌ أی لطف و إحسان،و قال عنهم وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ أی المصیبون طریق الحق أو طریق الجنه فی الاسترجاع.

سوره البقره (۲): الآیات ۱۵۸ الی ۱۶۳

إِنَّ اَلصَّفا وَ اَلْمَرْوَهَ مِنْ شَعائِرِ اَللّهِ فَمَنْ حَجَّ اَلْبَیْتَ أَوِ اِعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَیْهِ أَنْ یَطَّوَّفَ بِهِما وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَیْراً فَإِنَّ اَللّهَ شاکِرٌ عَلِیمٌ (۱۵۸) إِنَّ اَلَّذِینَ یَکْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ اَلْبَیِّناتِ وَ اَلْهُدی مِنْ بَعْدِ ما بَیَّنّاهُ لِلنّاسِ فِی اَلْکِتابِ أُولئِکَ یَلْعَنُهُمُ اَللّهُ وَ یَلْعَنُهُمُ اَللاّعِنُونَ (۱۵۹) إِلاَّ اَلَّذِینَ تابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَیَّنُوا فَأُولئِکَ أَتُوبُ عَلَیْهِمْ وَ أَنَا اَلتَّوّابُ اَلرَّحِیمُ (۱۶۰) إِنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا وَ ماتُوا وَ هُمْ کُفّارٌ أُولئِکَ عَلَیْهِمْ لَعْنَهُ اَللّهِ وَ اَلْمَلائِکَهِ وَ اَلنّاسِ أَجْمَعِینَ (۱۶۱) خالِدِینَ فِیها لا یُخَفَّفُ عَنْهُمُ اَلْعَذابُ وَ لا هُمْ یُنْظَرُونَ (۱۶۲) وَ إِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ اَلرَّحْمنُ اَلرَّحِیمُ (۱۶۳)

۱۵۸- إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَهَ مِنْ شَعائِرِ اللّهِ ...الصّفا و المروه مرتفعان بمکه بجانب المسجد الحرام یجری بینهما عمل و هو السّعی بکیفیه خاصه مسطوره فی الفقه.و شعائر،مفردها:شعیره،و هی العلامه.و المراد من شعائر اللّه هنا شعائر الحج،أی مناسکه و أعماله و معالمه.أو أن المراد بالشعائر أعلام مناسکه و معالمه التی جعلها اللّه مواطن العباده،و کل معلم یکون لعباده خاصه به من دعاء أو صلاه أو ذکر.فالصّفا و المروه معلمان للعباده المخصوصه بهما.و

فی الکافی و العیاشی عن الصادق علیه السلام: أنه سئل عن الصّفا و المروه فریضه أم سنّه؟..فقال:فریضه.قیل:أو لیس قال اللّه عزّ و جلّ: فَلا جُناحَ عَلَیْهِ أَنْ یَطَّوَّفَ بِهِما ؟قال:کان ذلک فی عمره القضاء..الحدیث. فیظهر من هذا الخبر العمل المتعلّق بهما فرض، فإنهما من مواطن العباده فَمَنْ حَجَّ الْبَیْتَ أَوِ اعْتَمَرَ أی قصد زیاره بیت اللّه،سواء أقصده بأعمال مخصوصه تسمّی حجّا أو بأعمال أخری تسمّی عمره.و الحجّ لغه هو القصد،و الاعتمار هو الزیاره،فغلّبا شرعا علی قصد البیت و زیارته

ص: ۱۷۹

على الوجهين المخصوصين فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما أى لا حرج عليه أن يسعى بينهما.

قال الصادق عليه السلام: كان المسلمون يرون أن الصّفا و المروه مما ابتدع أهل الجاهليه فأنزل اللّه هذه الآيه. و إنما قال لا جناح عليه مع أن السعى واجب-و على قول على خلاف فيه-لأنه كان على المرتفعين ضمنان يمسحها المشركون إذا سعوا،فتحرّج المسلمون عن الطواف بهما لأجل الصّنمين فنزلت الآيه.و مرجع رفع الجناح عن الطواف بهما جاء من ناحيه التحرّج لأجل ذينك الصّنمين،لا من جهه أصل الطواف حتى ينافى بظاهره القول بالوجوب،كما لو كان الإنسان يصلّى فى حجره متجها إلى بابها و هى مفتوحه،أو أنه كان مواجها لإنسان،فيقال له:لا جناح عليك فى الصلاه فى هذا المكان.فإنّ رفع الجناح لا يرجع إلى عين الصلاه لأنها واجبه،و إنما يرجع إلى التوجّه فيها و مقابله ما يكره التوجّه إليه،كالباب المفتوح؛أو الإنسان المواجه للمصلّى.هذا مضافا إلى ما ذكرناه من رفع الجناح نظرا إلى عمره القضاء على ما روى عن الصادق عليه السلام. وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً أى تبرّع بزياده على الواجب بعد إتمامه،أو من تطوّع بالحجّ و العمره بعد أداء الواجب منهما،أو من تطوّع بالخيرات و أنواع الطاعات.

و عند من قال بعدم وجوب السعى،قال:معناه من تبرّع بالسعى بين الصّفا و المروه فَإِنَّ اللّهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ أى أنه سبحانه مجاز على ذلك و مثيب عليه، و عليم بما يفعلونه إذا لا يخفى عليه شىء.

۱۵۹- إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا ...يعنى أحبار اليهود و رهبان النصارى،فإنهم علموا أنّ محمدا و وصيّه على الحق،و كتموا ذلك طلبا للرئاسه،و قد يكون المراد أعمّ من أهل الكتاب،بحيث يشمل كلّ من كتم شيئا مِنَ الْبَيِّناتِ أى الدلائل و البراهين الكاشفه لأمر محمد(ص)،أو الأعمّ من ذلك وَ الْهُدى قيل:البيّنات هى الحجج المنزله فى الكتب،و الهدى هى

الدلائل.فالأول هو الأدلّه الثابته فى الشرع،و الثانى هو الأدلّه العقليه، فالوعيد يعمّ الجميع.و قيل:الأول ما دلّ على نبوّته،و الثانى ما يؤدّيه إلى الأمّه من الأحكام و سائر الشرائع.و لعله أريد بهما شىء واحد و الاختلاف فى اللفظ جاء تفنّنا كما هو الموسوم فى الألسن،و المشاهد فى المقالات و الخطب من أهل الفصاحه و الكلام،و القرآن قد نزل على لسان قومه مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنّاهُ لِلنّاسِ أى بعد إيضاحه لهم إتماما للحجه فِى الْكِتابِ اللام للجنس،فيشمل الكتب السماويه،أو يحتمل أن يكون المراد بقوله: ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الْهُدى ،فى الكتب المتقدّمه،و يكون المراد بالكتاب هو القرآن فتكون اللام للعهد أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ أى يبعدهم اللّه عن رحمته و غفرانه،فإن اللّعن من اللّه هو الإبعاد من الرحمه و إيجاب العقوبه،و من غيره ممّن يتأتّى منه اللعن عليهم و يتأهّل لأن يلعن.من الملائكه و الثّقلين:الإنس و الجن،يكون معنى اللعن:الدّعاء عليهم باللعن.

۱۶۰- إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا ...أى أقلعوا عن كتمان ما أنزل اللّه،و عن المعاصى وَ أَصْلَحُوا أى صحّحوا ما أفسدوا،بأن أظهروا أنّ هذا الذى يدّعى أنّه هو الذى بشّر موسى و عيسى(ع)بظهوره فى آخر الزمان،و هو صادق فى دعواه و مصدّق بشهاده التوراه و الإنجيل،و أن كتابه صدق،و نحن نؤمن به و بكتابه فإذا أعلنوا هذا و استنّوا بسنّته و اتّبعوا شريعته و ساروا على منهاجه، و تركوا ما كانوا عليه،فهذا توبتهم و إصلاح ما أفسدوا بهذه الكيفيه من التدارك وَ بَيَّنُوا أى أوضحوا ما بيّناه.و هذه الجمله فى الواقع بيان لما قبلها من قوله:

أصلحوا،كما أن جمله:و أصلحوا بيان لتوبتهم فى الجمله،لأن التوبه قائمه بأمرين:أحدهما الندم على ما وقع و صدر،و الثانى العزم على عدم الإتيان بما هو نادم عليه من العصيان،و إصلاح مفاسد ما صدر عنه بما هو المقدور..فلو عملوا بما قلناه لأنه ضدّ ما عرّفوا به النّبى(ص)فى أول دعوته و بعثته إذ أنكروه

و كذّبوه..إذا فعلوا ذلك كاملا فَأُولئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ و أقبل منهم و أعفو عمّا قد سلف منهم وَ أَنَا التَّوّابُ الرَّحِيمُ أى البالغ فى العفو و الإحسان غايه العفو و الإحسان.

۱۶۱- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ...وجه كفرهم هو ردّ نبوّه محمد(ص)فكفروا ماتوا بلا توبه وَ هُمْ كُفّارٌ و لم يؤمنوا بما آمن به الناس.و الجمله حاليّه تبيّن وصفهم الذى كانوا عليه و ماتوا عليه أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَهُ اللّهِ وَ الْمَلائِكَهِ وَ النّاسِ أَجْمَعِينَ فإن قيل:إن أهل ملّتهم و دينهم لا يلعنونهم إذا ماتوا على دينهم «فالناس»بعمومه لا يصحّ..قلنا:إن المراد به هو من يتأتّى منه اللّعن و يقبل منه بقرينه المقام.أو يحتمل أن يكون المقصود بالناس أعمّ،بحيث أن أهل دينه يلعنونه فى الآخره لأنه ضلّ و أضلّ غيره.قال اللّه تعالى: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَهِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ،كما أن فى القرآن الكريم آيات أخر تشهد بذلك.و اللعن الأول فى الآيه ۱۵۹ راجع إلى الكاتمين للشهاده على ما أنزل اللّه من البيّنات و الهدى.و اللعن الثانى هو للكفره الذين ماتوا على الكفر بلا توبه،سواء كانوا من الكاتمين أم لا.و الأول لعن ينالهم أحياء، و الثانى هو لعن لهم و هم أموات..و الإتيان بالجمله الاسميّه فى الجمله الثانيه،و بالفعليه فى الجمله الأولى،أقوى شاهد على ما قلناه،لأن الاسميّه-أعنى فى خبر الجمله الأولى-داله على الدوام و الاستقرار،فهو يناسب عالم الآخره،بخلاف عالم الدنيا حيث إن عمرها قصير و إن كان أملها طويلا،و لذا جىء بالجمله الفعليه التى لا دوام لها،و التى تناسب القصر فى اللعن.

۱۶۲- خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ ...أى باقون أبدا و مخلّدون فى جهنّم،بقرينه المقام،و قيل فى اللّعنه التى ترافقهم،و هذا من باب الجمود على ظاهر اللفظ و يأباه الطبع السليم بدليل أنه لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ فيكون على وتيره واحده أو يشتدّو وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ أى أنهم لا يمهلون لكى يتعذروا،و قد قال سبحانه: وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ،يعنى لا يؤخّر عنهم العذاب و لو بمقدار وقت يسع الاعتذار.

ص: ۱۸۲

۱۶۲- خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ ...أی باقون أبدا و مخلّدون فی جهنّم،بقرینه المقام،و قیل فی اللّعنه التی ترافقهم،و هذا من باب الجمود علی ظاهر اللفظ و یأباه الطبع السلیم بدلیل أنه لا یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ فیکون علی وتیره واحده أو یشتدّو وَ لا هُمْ یُنْظَرُونَ أی أنهم لا یمهلون لکی یتعذروا،و قد قال سبحانه: وَ لا یُؤْذَنُ لَهُمْ فَیَعْتَذِرُونَ ،یعنی لا یؤخّر عنهم العذاب و لو بمقدار وقت یسع الاعتذار.

۱۶۳- وَ إِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ ...عن ابن عباس أن کفّار قریش قالوا:یا محمد صف لنا ربّک و بیّن لنا نسبه،فأنزل اللّه هذه الآیه و سوره الإخلاص..

أما هذه الآیه فللدّلاله علی انحصار الألوهیه فیه،و أنه لا إله غیره و لا مثل له و لا ندّ فی صفه الألوهیه.بل إنه واحد فی جمیع صفاته التی یستحقها،لنفسه کالقدیم و القدیر و الخالق و الرازق،التی هی مختصه به سبحانه و لا یشارکه فیها أحد،و لا تطلق علی أحد إلاّ بالعنایه،فإن قدره کل قادر،و رزق کل رازق، لیس إلاّ من ناحیته و ألطافه.و لو لا فیضه الخاصّ علی العباد فی کل آن،بل فیضه العامّ علی جمیع الکائنات لأطبقت السماء بأهلها،و اندکّت الأرض بعمّارها،فأزمّه الأمور کلها بیده و طوع قدرته.

و یستفاد من الآیه ما یستفاد من کلمه التوحید التی هی:لا إله إلاّ اللّه.

و لا یخفی أن الآیه الکریمه و الکلمه المبارکه تدلاّن علی التوحید فی مرحله الصفات کما قلنا آنفا.و أما التوحید فی مقام ذاته تعالی فلا یستفاد منهما،و لا ملازمه بینهما،لأنّ ربّ کل شیء یکون واحدا فی صفاته،لکنّه ذاتا ذو أبعاض کثیره،کزید الذی یمکن أن یکون فردا واحدا فی صفه خاصه به،لکنّه فی ذاته قابل لأن یقال:رأس،و ید،و رجل،و بطن،و ظهر،إلی غیر ذلک من أجزائه.فالواحده فی مکان الصفه،أی لا یکون له شریک فی هذه الصفه و تسمّی الوحده العددیّه و لا تلازم الوحده الذاتیه و أنه بسیط ذاتا.

ففی ما نحن فیه،حتی و لو کنّا لا تکفینا هذه الآیه الکریمه و لا کلمه التوحید فی القول بأنه تعالی واحد فی صفاته الخاصه و فی ذاته،بحیث لیس بذی أبعاض،و لا یجوز علیه الانقسام،و لا یحتمل علیه التجزئه،فقد قلنا فی

مقام شأن نزول الآیه الشریفه إنها نزلت و سوره الإخلاص لتدلّ الآیه علی التوحید الصفاتیّ،و لتدلّ الإخلاص علی الوحده الذاتیه..بیان ذلک أنه فرق بین الواحد و الأحد،حیث إن الأول یدل علی الوحده العددیّه إذ یقال:لزید ولد واحد،أی لیس له ثان،أو زید واحد فی تحصیله،أی فرد لا ثانی له و لا نظیر،و لکن لا یقال زید أحد،أی فرد فی ذاته و لا یتطرّق إلیه التبعیض و لا التجزئه و لا التقسیم.و بعباره اصطلاحیه من الفلاسفه و تابعیهم:هو سبحانه بسیط من کلّ ما یتصوّر فی غیره من مخلوق من جمیع الجهات.و هم یعبّرون عنه بقولهم:بسیط الحقیقه.و قد سمّیت السوره سوره الإخلاص لأنها تدل علی تنزیهه تعالی عن شوائب الأوهام کلّها فی مقام ذاته من أول السوره إلی آخرها..و العمده هو قوله عزّ و جلّ: اَللّٰهِ أَحَدٌ ،و ما قال:اللّه واحد،لما ذکرنا من الفرق.حتی أن السائلین لو اختصروا فی مقام السؤال علی قولهم:صف لنا ربّک،أی حقیقته ما هی؟أمن ذهب أم من فضه أو من غیرهما من الفلزّات و الأحجار الکریمیه لکان تعالی یجیبهم:اللّه أحد،أی منزّه و متعال عن أن یکون مما یتصوّرون،فهو حقیقه بسیطه،لا یعرف بکنه ذاته..لکنهم لمّا قالوا:صف لنا ربّک و بیّن لنا نسبه،جاء جوابهم:لم یلد و لم یولد،إلی آخرها..و کلّ هذه المذکورات کانت مطویّه فی:أحد،إلاّ أنهم لا یفتهمون ذلک و لا یفقهونه و لا یقبلون من النبیّ(ص)إذا فسّر لهم،فلا بد من الصراحه و التفصیل فی الجواب منه سبحانه.فسوره الإخلاص إنما سیقت لإثبات أحدیّته فی ذاته و نفی ما یقوله النصاری من أنه واحد و الأقانیم، أی الأصول ثلاثه،کما أن زیدا واحد،و أعضاؤه متعدّده.

و قیل فی جواب من سأل أنه:ما فائده قوله تعالی:إله،فی:و إلهکم إله واحد،مع أن عباره:إلهکم واحد،کانت أخصر و أوجز:

إذا قیل:إلهکم واحد،کان ظاهره إخبارا عن کونه واحدا فی

الألوهيه،أى لا إله إلّا هو،و لم يكن إخبارا عن توحّـده فى ذاته.بخلاف ما إذا كرّر ذكر الإله،فإن إلها يـدل على أحـديّه الذات و الصفه.و هذا الجواب يساعدنا و يؤيدنا فى مقولتنا بأن الآيه لا تدل على أحديّته الذاتيّه،بل هى إخبار عن وحدته الصفاتيّه.نعم هو يـدّعى بأن تكرار الإله يتكفّل للوحـده فى مقام الـذات أيضا.و نحن لا نقبل منه هـذه الـدعوى،فإنّ تكرار الإله للمبالغه فى إثبات وحدته فى الألوهيه و نفى الشريك،و التأكيد فى التوحيد الصفاتىّ.

نعم قيل بأن الواحـد يطلق و يسـتعمل بمعنى الأحـد كما جاء فى اللغه،و كـذا العكس،لكنه قول غير مربوط بمقامنا فإنّا فى مرحله بيان الفرق بين معنيى اللفظتين بحسب الواقع،لا فى مقام الاسـتعمال و الإطلاق فإنهما أعمّ من الحقيقه،و المجاز و قول اللّغوىّ بما هو،ليس بحجه.و الحقّ ما عليه المحقّقون من الأعلام مما ذكرناه.. لا إِلهَ إِلاّ هُوَ هو تثبيت لصفه الألوهيه المستفاد من قوله: إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ ،و إزاحه شبهه أنّ فى الوجود إلها آخر.

فـإن الظـاهر من الخطـاب هـو الاختصـاص فلـذا يتمشـى هـذا التوهّم فيحتـاج إلى دفعه،و هو اَلرَّحْمنُ الرَّحِيمُ أى المتصف بصـفه الرحمـانيّه جزئيه و كليّه، أصولا ـ و فروعـا،و لا ـ يكون فى عـالم الوجود سواه،لأ ـنّ كلّ ما سواه إمّا أن يكون نعمه،و إمّا أن يكون منعما عليه..و

قـد روى أنه كان للمشـركين حول الكعبه ثلاثمئه و سـتون صـنما ،فلمّا سـمعوا هذه الآيه وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ قالوا:إن كنت صادقا فأت بآيه نعرف صدقك،فنزلت الآيات الكريمه التاليه:

سوره البقره (٢): الآيات ١۶۴ الی ١۶٧

إِنَّ فِی خَلْقِ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اِخْتِلافِ اَللَّیْلِ وَ اَلنَّهارِ وَ اَلْفُلْکِ اَلَّتِی تَجْرِی فِی اَلْبَحْرِ بِما یَنْفَعُ اَلنّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اَللّهُ مِنَ اَلسَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْیا بِهِ اَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دابَّهٍ وَ تَصْرِیفِ اَلرِّیاحِ وَ اَلسَّحابِ اَلْمُسَخَّرِ بَیْنَ اَلسَّماءِ وَ اَلْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (١۶۴) وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ یَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اَللّهِ أَنْداداً یُحِبُّونَهُمْ کَحُبِّ اَللّهِ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّهِ وَ لَوْ یَرَی اَلَّذِینَ ظَلَمُوا إِذْ یَرَوْنَ اَلْعَذابَ أَنَّ اَلْقُوَّهَ لِلّهِ جَمِیعاً وَ أَنَّ اَللّهَ شَدِیدُ اَلْعَذابِ (١۶۵) إِذْ تَبَرَّأَ اَلَّذِینَ اُتُّبِعُوا مِنَ اَلَّذِینَ اِتَّبَعُوا وَ رَأَوُا اَلْعَذابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ اَلْأَسْبابُ (١۶۶) وَ قالَ اَلَّذِینَ اِتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا کَرَّهً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ کَما تَبَرَّؤُا مِنّا کَذلِکَ یُرِیهِمُ اَللّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَیْهِمْ وَ ما هُمْ بِخارِجِینَ مِنَ اَلنّارِ (١۶٧)

١۶۴- إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ ...الآیه الأولی کانت فی توحید الصفات،و هذه الآیه فی توحید الأفعال،و قد کانت الأولی مقدّمه رتبه

ص: ١٨۶

على الثانيه،كما أن ما يدل على توحيد الذات مقدّم عليهما رتبه.

و لمّا كان فهم توحيد الذات و الصفات مشكلا على نوع البشر،فقد جاء سبحانه بوسيله توحيد الأفعال ليسهل أمرهما..أما بيان أنّ خلق السموات و الأرض كيف يدل على وحده الإله؟..فذلك أنّ الموجودات السماويه لها أشكال مختلفه،و لكل واحد منها نظام خاصّ و حركه مخصوصه به،حيث لا يوجد فى نظامه و طريقته نقص و لا عيب،و لا يضادّ نظام كل واحد منها نظام الآخر،و يترتّب على حركاتها و نظامها آثارها و خواصّها فى عالم الوجود من الأزل إلى الأبد،فمن هذه الأنظمه البديعه الدقيقه،و الطّرق المخترعه العجيبه التى لا تتغيّر و لا تتبدّل ندرك و نستكشف بأنها صادره عن إراده المريد الفرد و عن خالق واحد بلا شريك.

و بنظير هذا الاستدلال نقول عمّا فى الكره الأرضيه من هذا الطراز العجيب و النّمط الغريب،فى خلقها ببرّها و بحرها،و إيجاد ما فيها من عجائب الصنع و بدائع التدبير،فى مخلوقاتها و مختلف موجوداتها حيوانا و نباتا و جمادا،مع ما فى كل واحد منها من المنافع و المصالح المترتبه عليه و المستفاده منه بكيفيّاتها المخصوصه بلا اختلاف و لا تغيير،فهذه تدل على إيجادها من لدن موجد واحد و خالق فرد و صاحب رأى حكيم..

قال بعض المفسرين:إن عامه المؤمنين:بالنظر إلى المصنوعات:

يعرفون الصانع.و خواصّهم يعرفون اللّه بالنظر إلى الصفات،فيعرفون الموصوف و الأنبياء.و خاصّ الخاصّ ينظرون إليه تعالى فيعرفونه به،كما قال تعالى مشيرا إلى هذا المعنى:ألم تر إلى ربّك كيف مدّ الظّل،و ما قال:أنظر إلى الظّل فتعرفنى،بل قال:أنظر إلىّ فتعرف صنعى و قدرتى كيف أمدّ الظّل و كيف أبسطه،و كيف أطويه و أجزره وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ و هو يعقّب بهذه

الآـيه العجيبه لآـيه خلق السـماوات و الأرض لإفهامنا أنّ هـذا الاختلاف من آثار تقابل الشـمس مع الأرض و حركتها بمحاذاتهـا،ليرى وجه التماثـل أو التخـالف بينهمـا،و تترتّب آثارهمـا على التقابـل و المواجهه التامّه أو الناقصه كإحداث اللّيل و النّهار،و طولهما و قصرهما،و تشكيل الفصول الأربعه و ترتيب آثارها العرفيّه عليها،و كإيجاد أمور أخر من المنافع و المضارّ إلى غايه النهايه من الأمور الغريبه و الصنائع البديعه التى تحيّرت بها عقول ذوى الأفهام،و بهتت أفكار المفكّرين العظام،و تحيّر ذوو الألباب بإحداث هـذه الآثار و غيرها،و ترتّب بعضـها على بعض وفق نظام واحد يدلّنا على مبدع لا مثيل له و لا شريك،لأنه لو كان له فى تلك الأمور مشارك لاختلّ نظامها و لفسدت السماوات و الأرض و ما فيهن..فمن بقاء نظامهما أزلا و أبدا نستكشف وحده الصانع و موجد العالم وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النّاسَ هى أيضا تدل على وحدانيته يعنى السفن التى تمخر عباب البحار-فهى تدل على ذلك من ناحيتين:

الأولى:هو الاهتداء إلى كيفيه صنعها و إعطائها شكلها.فإن الفلك إذا صنعت مدوّره لا تصلح،مع أنه ثبت فى علم الهندسه أن الشكل التدويرى هو أحسن الأشياء.و هى بغير شكلها البيضىّ لا تعطى الفائده التامه من حيث حفظ التوازن فى الركوب و حمل الأثقال.فإنه تعالى لمّا أمر نوحا عليه السلام بأن يعمل السفينه ألهمه اصطناعها بالشكل البيضىّ لا بالشكل التدويرى.و قد صرنا ندرك بالوجدان أنّ المراكب المائيّه لا بدّ و أن تكون بأجمعها على ذلك الشكل و وفق النمط الخاص،سواء أ كانت سفنا تجاريّه أم سفنا حربيه،فإنها لا غنى لها عن سكّان تشقّ به الماء لتسرع فى السير،و لا بدّ أن يلاحظ طولها و عرضها و عمقها فى البحر،و أن تلاحظ نقطه ارتكاز الثقل فيها و غير ذلك من الأمور الفنّيه المتعلقه بصناعه السفن.

و الثانيه:هى جهه إجرائها فى البحار مع مختلف شؤونها الكبرى

و الصغری،طولا و عرضا و عمقا و جزرا و قدا،لیلا و نهارا،فی الظّلمه و فی الضیاء،فی حرکه البحر و فی سکونه،بالتجذیف أو بالشراع الهوائی أو بالبخار أو المحرّک الکهربائی،و غیر ذلک مما یعرفه قباطنه السفن و أرباب الغوص الذین یهتدون بالشمس مره و بالنجوم ثانیه،و بالبوصله أو إبره الملاّحین مره أخری..و الآیه العجیبه فی ذلک أن تلک السفن لم تخضع فی شکلها لتغییر و لا لتبدیل،بل بقیت علی وتیره واحده آلاف السنین،إذ لم یتیسّر لصنّاعها أحسن و لا أتمّ مما هو علیه!.فوحده الصناعه،و وحده الأجزاء، و وحده القواعد الثابته التی تسیر السفن بموجبها،هذه کلّها تدلّ علی وحده ملهمها بلا إشکال لأنه هکذا ألهمها لعباده لتجری فی البحر بِما یَنْفَعُ النّاسَ أی بالذی یفیدهم من السفر و التجاره و الصید و غیر ذلک مما یذهب إلیه السامع بنفعها وَ ما أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ ذکر الماء،مع أنه ینزل من السماء کثیرا مما یفید أو یهلک،لأن المطر لعلّه أنفعها إذ به یحیی الأرض و ما فیها و ما علیها.قال تعالی: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ.

و المطر بأقسامه من الآیات الباهرات الداله علی التوحید،وابلا کان أم طلاّ،رذادا أم هطلا،فهو بنفسه دالّ علی حکمه حکیم،و بکیفیه نزوله یبرهن علی عظمه عظیم،یجعل طلّه أجزاء صغیره تکاد لا تری،و یجعل وابله نقطا تکاد تکون بحجم واحد،و یجعل هطله متدفقا کأنه ینصبّ من أفواه القرب، فقد لا ینزل دفعه واحده لئلاّ یضرّ بالمزروعات و یغرق الأرض،و قد یهطل و یتفرّق حتی یعمّ و یشمل الأمکنه العالیه و السافله،و قد یسیر مع الریح الغربیه أو الشرقیه أو القبلیه،و قد یختصّ ببلد دون بلد،و قد یزید هنا و ینقص هناک.

فهل یکون کذلک إلا بأمر مدبّر منظّم واحد بغیر شریک؟.فإنه لذلک من قدیم الأزمنه إلی حدیثها و إلی الأبد بالقیاس إلی ما سبق من وحده الملاک،و إن العلّه المحدثه مبقیه،و المعلول باق ببقاء علّته أو کما شئت فقل فی وصف هذه الآیه

الربّـانيّه و النعمه السـماويه...فقد قـدّر سـبحانه لعبـاده نزول هـذا المـاء فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِها و ذلك بإخراج نباتاتها و تثمير أشـجارها،و تفجير أنهارهـا، و انشـقاق عيونها و قنواتها،فكل ذلك بنتيجه الأمطار و الثلوج و ما ينزل من السـماء من هـذه الآيات السـماويه حسب ذلك الإحكام و ذلك التقـدير و الإتقان، على نسق واحـد يـدلّ على قـدره وحيده لقادر واحد،فعل ذلك لخير الأرض وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ أى نشـر و فرّق كل نوع من الـدوابّ،أى الكائن الذى يدبّ و يتحرّك على وجه الأرض أو فوقها أو تحتهـا.و لكـلّ من الـدوابّ الـتى بثّهـا فيهـا،خواصّ و آثـار،بعضـها نعرفه،و البعض الآـخر لم نعرفه إلى الآـن و لاـ أدركنـا سـرّ وجوده،فهو سـبحانه لم يخلق خلقـا عبثـا،و لا برأ شـيئا من الموجودات بلا تقـدير حتى فى عالم الجماد فكيف بـذوات الأرواح وَ تَصْـرِيفِ الرِّياحِ أى تسـييرها و تحويلها من جهه إلى جهه،و دفعها من وجه إلى آخر للمصالـح و مقتضـياتها نفعا و انتفاعا للكثير الكثير من المخلوقات،و لا سـيّما الرياح اللّواقـح التى لها آثار غريبه بالنسـبه للأشـجار المثمره.فهل هـذا إلّا صـنع عالم قادر وحيد حكيم فى كلّ ما قدّر؟..عميت عين لا تراه،و صـمّت أذن لا يدخلها صوت الحق،بل زاغ قلب لم تصله أصوات جميع الممكنات التى تنادى على نفسـها بنفسـها أنها لا تكون بلا إله و لا توجد بلا خالق،تعالى اللّه فى سـلطانه،فانّ له فى كل شىء آيه تدلّ على أنه واحد.

أمـا تخصيص هـذه الأـمور بالـذكر فى هـذه الآـيه الكريمه،فلأنها براهين ساطعه لكل عاقل مـدرك مكلّف.و من هـذه الشـريفه استنبطنا أن مسأله التقليـد فى وجود الصانع جلّ و علا غير جائزه مطلقا فى أصول العقائـد.و لا تقبل من أحد من المكلّفين،بل لا بد لكل واحد من تحصـيل العلم،و الوصول إلى المعرفه،بواسـطه الآيات التكوينيه الطبيعيّه.و قد نبّه اللّه سبحانه و تعالى إلى ذلك فى كتابه الكريم-فى هذه الآيه و فى غيرها-كما أن

قوله صلّى اللّه عليه

و آله: عليكم بدين العجائز ،فيه إشاره إلى ما ذكرنا من تحصيل المعرفه عن طريق مطالعه حقائق هذه الموجودات و فطرتها،للتوصل إلى معرفه صانعها و مدبّرها..ثم كرّر سبحانه عظمه هذه الآيه بقوله: وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ ليشير فى هذه الآيه الكبرى إلى أن ذلك مسخّر و مأمور،أى متذلّل خاضع للنواميس التى أبدعها له اللّه،سواء كان واقفا أو متحرّكا،فليس له اختيار فى وقوفه و لا فى حركته،و لا فى حمل الماء من منابعه التى أمره اللّه سبحانه أن يأخذ منها و يحمله إلى أرجاء المعموره،كما أنه لا شأن له فى اختيار الأمكنه،و لا بالكميّه و لا بالكيفيّه و لا فى غير ذلك من الجهات المرتبطه به.هذا،و ليس السحاب وحده مسخّرا بحسب جبلته التكوينيّه،بل جميع آياته عزّ و علا- بين يدى قدرته فيما هو راجع لها،لأنها بذاتها مفطوره من لدنه على ذلك.فهذه الجهه الدقيقه فى تسخير السحاب بين السماء و الأرض حسب مشيئه الصانع،هى أدلّ دليل على الصانع و توحيده،و أعظم حجه على وجوده،فتعالى اللّه عما يقول الجهله الظالمون عليهم لعائن اللّه،فإن فى ذلك لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ أى أنها كلّها دلائل واضحه و براهين ساطعه على صانع وحيد،لكنها ليست كذلك لجميع البشر،بل لطائفه خاصه و قوم موفّقين للتعقّل و التأمّل فى الكون و الكائنات،فإنهم وحدهم يعرفون الصانع الخالق،و هذا ما يسمّى بالدليل اللّمىّ.

١۶۵- وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ ...من،هنا للتبعيض،أى أن بعض الناس يتّخذ غير اللّه أمثالا- له من الأصنام و الرؤساء الضالّين المضلّين فيتّبعونهم،بدلاله قوله تعالى فى الآيه اللاحقه: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا .و

قال الباقر عليه السلام: هم أئمه الظّلمه و أشياعهم يُحِبُّونَهُمْ يوادّونهم و يعظّمونهم و يخضعون لهم و ينقادون لأوامرهم،و حبّهم لهم كَحُبِّ اللّهِ أى كما يحبّ اللّه،و قد استغنى عن ذكر الفاعل لكونه معلوما.

و قیل:معنی کحبّهم اللّه،أی أنهم لا یفرّقون بینه و بینهم فی محبّتهم.و هذا بناء علی کونهم یقولون:هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه،و غیرهم لا یقول بذلک.

و فی العیاشی عن الصادق علیه السلام: هم و اللّه أولیاء فلان و فلان،اتّخذوهم أئمه من دون الإمام الذی جعله اللّه للناس إماما. فلذلک قال:و لو یری الذین ظلموا..الآیه.ثم قال:و اللّه هم أئمه الظّلم و أشیاعهم.

وَ الَّذِینَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ أی أن المؤمنین أشد حبّا للّه من متّخذی الأنداد مع اللّه،لأن المؤمنین لا یعدلون عنه إلی غیره بخلاف المشرکین فإنهم لا یعدلون عن أندادهم إلی اللّه تعالی إلا عند الشدائد.فمحبّه المؤمنین خالصه له سبحانه.و

العیاشی عن الباقر و الصادق علیهما السلام: هم آل محمد علیهم السلام،أی الذین آمنوا.. وَ لَوْ یَرَی الَّذِینَ ظَلَمُوا ظلموا أنفسهم و ظلموا غیرهم بالشّرک و ترویج الکفر إِذْ یَرَوْنَ الْعَذابَ حینما یبصرونه یوم القیامه و یرون أَنَّ الْقُوَّهَ لِلّٰهِ جَمِیعاً فیعلمون أن القدره له تعالی.و جواب لو، محذوف،أی:لو رأوا ذلک لندموا أیّ ندم إذ لا مفرّ لهم من العذاب وَ أَنَّ اللّٰهَ شَدِیدُ الْعَذابِ نعوذ باللّه من شده عذابه للکافرین و العصاه.و الجمله وقعت علی الاستئناف،أو بتقدیر یعلمون..

۱۶۶- إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِینَ اتُّبِعُوا ...هذه الجمله بدل من:إذ یرون العذاب، و قد مضت آنفا.أی إذ تبرّأ المتبوعون،-و هم الرؤساء-من أتباعهم،أی مِنَ الَّذِینَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذابَ الواو حالیه،أی:إذ تبرّأوا من أتباعهم حال رؤیتهم العذاب وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ عطف علی تبرأ.و الأسباب هی الوصل و الروابط التی کانت بینهم،یتواصلون بها کالأرحام فیما بینهم و کغیر ذلک من روابط الحب و الصداقه.و الحاصل أنه یزول من بینهم کلّ سبب یصل القریب بقریبه و الحبیب بحبیبه فلا ینتفعون بشیء،من ذلک.

۱۶۷- وَ قالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا.. أی الأتباع،تحسّروا و قالوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً يا ليت لنا رجعه إلى الدنيا فَنَتَبَرَّأَ فى الدنيا منهم كَما تَبَرَّؤُا مِنّا فى الآخره!..و مجمل الكلام أن التابعين على الضلال،يتمنّون الرجوع إلى الدنيا مع المتبوعين،لينتقموا منهم بعدم الاعتناء بشأنهم،و بالتبرّؤ منهم جزاء تبرؤ التابعين حين رؤيه العذاب كَذٰلِكَ أى مثل ذلك يكون شأنهم يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ يعنى أن أعمالهم فى الدنيا تنقلب عليهم ندامات فى الآخره،فالحسرات بدل الحسنات،و النّدامه فى الآخره نتيجتها النار، كما قال سبحانه وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النّارِ ندموا أم لم يندموا،إذ لا تنالهم شفاعه نبىّ و لا توسّل وحىّ و لا وساطه أحد من الأخيار الأبرار.و

فى الكافى و العياشى عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى: يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ... :هو الرجل يدع ماله لا ينفقه فى طاعه اللّه بخلا،ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعه اللّه أو معصيه اللّه. فإن عمل به فى طاعه اللّه رآه- صاحبه الذى تركه-فى ميزان غيره حسره و قد كان المال له،و إن كان عمل به فى معصيه اللّه عزّ و جلّ قوّاه بذلك المال حتى عمل به فى معصيته عزّ و جلّ.

سوره البقره (۲): الآيات ۱۶۸ الى ۱۷۱

يا أَيُّهَا النّاسُ كُلُوا مِمّا فِى الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (۱۶۸) إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۱۶۹) وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ (۱۷۰) وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلاّ دُعاءً وَ نِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ (۱۷۱)

ص: ۱۹۳

۱۶۸- يا أَيُّهَا النّاسُ كُلُوا مِمّا فِي الْأَرْضِ ...لما قدّم سبحانه ذكر التوحيد و أهله،و الشّرك و أهله،أتبع ذلك بذكر ما تتابع منه تعالى على الفريقين من النّعم و الإحسان،ثم نهاهم عن اتّباع الشيطان لما فى ذلك من جحود النّعمه و الكفران بالفضل،فقال سبحانه يخاطبهم جميعا:كلوا ممّا فى الأرض..و الخطاب عامّ لجميع المكلّفين من الإنس و الجنّ.و كلوا:لفظه أمر،و معناها الإباحه.و لفظه«من»للتبعيض،لأنه ليس جميع ما فى الأرض قابلا-للأكل إمّا خلقه و إمّا شرعا،كلوه حَلالاً طَيِّباً لا مانع منه،هنيئا لكم إذا أطعتم ربّكم.حلالا:مباحا،و طيّبا لذيذا أو طاهرا من الشّبه وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ و اتّباع الخطى هو الاقتداء به و الاستنان بسنّته،و لعلّه هنا كنايه عن الاقتداء به فى وساوسه،فكأنّه فى كل وسوسه يقود الإنسان نحو معصيه فيترسّم الإنسان خطاه و يتّبع أوامره و ما يزيّن له إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ فالشيطان واضح العداوه للإنسان منذ نفخ اللّه تعالى الروح فيه.و هذه الجمله

هی علّه النّهی عن اتّباعه و الاقتداء به،لأن الإنسان إذا اقتدی به،اقتدی بأعدی عدوّ له،فالشیطان أول عدوّ للإنسان و لا یترقّب منه إلاّ الشرّ ۱۶۹- إِنَّما یَأْمُرُکُمْ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشاءِ ...هذه الشریفه بیان لوجوب الکفّ عن اتّباع الشیطان و ظهور عدواته،فهو لا یأمرکم بخیر قط،و إنّما یأمرکم بالسوء:أی الأمر القبیح،و بالفحشاء،و هی ما تجاوز الحدّ فی القّبح.و قیل العکس،أی أن السوء ما لا حدّ فیه،و الفحشاء ما فیه الحدّ فی القباحه.بهذا یأمرکم الشیطان و بغیره من الموبقات وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَی اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ کأن یقول للإنسان:هذا حلال،و هذا حرام،من دون علم بهما.

و فی الآیه الکریمه دلاله علی المنع من اتّباع الظّن فی المسائل الدّینیه رأسا،بل الطریق منحصر فیها بالعلم.فإن القول فی الأمور الدینیه بلا علم یحسب فی عداد السوء و الفحشاء،و کما أن الشیطان یأمر بالفحشاء و السوء فکذلک القول بلا علم..و

فی الکافی عن الصادق علیه السلام: إیّاک و خصلتین ففیهما هلک من هلک.إیاک أن تفتی الناس برأیک،و تدین بما لا تعلم. و

عن الباقر علیه السلام أنه سئل عن حق اللّه تعالی علی العباد،قال:أن یقولوا ما یعلمون، و یقفوا عند ما لا یعلمون. فوا حسره علی بعض العباد یوم المعاد کیف یلقون وجه اللّه،و بما ذا یجیبون لو سئلوا عن حقه علیهم و قد الّفوا رسائل عملیه بوجود من هو أعلم منهم و أفتوا الناس بما لم یتوصلوا إلیه عن دلیل قطعیّ،مع أن الأعلم به کفایه؟..

۱۷۰- وَ إِذا قِیلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللّهُ ...الضمیر فی لَهُمُ راجع إلی الناس.و المراد بما الموصولیه هو الکتاب الذی أنزله اللّه تعالی و العدول عن مخاطبتهم إلی الغیبه لبیان ضلالتهم و کفرهم و لیبیّن عدم قابلیتهم للتوجه و الالتفات إلیهم،و لا سیّما للمقلّدین منهم فإنه لا ضالّ أضلّ منهم.فمفاد الآیه

الکریمه أنه إذا قیل لهؤلاء المشرکین:أطیعوا کتاب اللّه و اسمعوا قول النبیّ محمد(ص)و اتّبعوه فیما یدعوکم إلیه من الهدی قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَیْنا عَلَیْهِ آباءَنا أی نحن نقلّد آباءنا فیما وجدناهم علیه من الدین فإنهم أبصر منّا و أرسخ إیمانا،و لو کان دینهم فاسدا و طریقتهم باطله ما استقاموا علی ذلک طول الزمان بلا مانع یمنعهم.فوبّخهم اللّه جلّ و علا بقوله أَ وَ لَوْ کانَ آباؤُهُمْ لا یَعْقِلُونَ شَیْئاً وَ لا یَهْتَدُونَ و الهمزه للردّ و التعجّب،و الواو للحال،و حاصل معنی الجمله الکریمه:أن هؤلاء الحمقی لا یرجعون عن دین آبائهم،و الحال أن آباءهم کانوا فاقدین للعقل الممیّز الحقّ من الباطل و الصحیح من الفاسد، و إلاّ لما خضع أشرف المخلوقات-و هو الإنسان-لأدون الجمادات من الأصنام التی صنعوها بأیدیهم!...فمن عبد الجماد الفاقد للعقل،کان أفقد منه للعقل و أجمد منه علی الباطل.فآباؤهم عبده أصنام لا تسمع و لا تعقل،و هم مقیمون علی عبادتها و تقدیسها،و هؤلاء یعتقدون بهم و یقلّدونهم فی طریقتهم،و یصمّون آذانهم عن أن یستشمّوا روح الحق و الصواب من الدین الحنیف الذی جاء به محمد بن عبد اللّه(ص).و یستشعر من هذه الکریمه أنه لا بد للإنسان من إعمال عقله و فکره و نظره لیتعمّق فی البحث عن مقلّده فلا یقلّده إلا بناء علی بصیره نافذه و رویّه تامّه بعد أن یراه أهلا للتقلید و جامعا لکل الشرائط المعتبره.

۱۷۱- وَ مَثَلُ الَّذِینَ کَفَرُوا ...الآیه...أی مثل داعی الذین کفروا کَمَثَلِ الَّذِی یَنْعِقُ بِما لا یَسْمَعُ فهم فی ادّعائهم کمثل الناعق من البهائم التی لا تسمع إلاّ تصویتها و لا تفهم مرادها و لا معنی نعیقها،فهم صُمٌّ بُکْمٌ عُمْیٌ لا یسمعون و لا یتکلّمون و لا یرون الهدی و طریق الحق.و الألفاظ الثلاثه إمّا أنها خبر لمبتدأ محذوف-أی هم صمّ بکمّ عمی-و إمّا أنها مبتدأ لخبر محذوف و قد فسّرناه فَهُمْ لا یَعْقِلُونَ لعلامات التوحید و البراهین الساطعه علی وجود الصانع

تعالی و الحجج علی النبوّه لترکهم النظر فیها بتاتا

سوره البقره (۲): الآیات ۱۷۲ الی ۱۷۶

یـا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ ما رَزَقْناکُمْ وَ اُشْکُرُوا لِلّهِ إِنْ کُنْتُمْ إِیّاهُ تَعْبُدُونَ (۱۷۲) إِنَّما حَرَّمَ عَلَیْکُمُ اَلْمَیْتَهَ وَ اَلدَّمَ وَ لَحْمَ اَلْخِنْزِیرِ وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَیْرِ اَللّهِ فَمَنِ اُضْطُرَّ غَیْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَلا إِثْمَ عَلَیْهِ إِنَّ اَللّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۷۳) إِنَّ اَلَّذِینَ یَکْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اَللّهُ مِنَ اَلْکِتابِ وَ یَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِیلاً أُولئِکَ ما یَأْکُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ إِلاَّ اَلنّارَ وَ لا یُکَلِّمُهُمُ اَللّهُ یَوْمَ اَلْقِیامَهِ وَ لا یُزَکِّیهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ (۱۷۴) أُولئِکَ اَلَّذِینَ اِشْتَرَوُا اَلضَّلالَهَ بِالْهُدی وَ اَلْعَذابَ بِالْمَغْفِرَهِ فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَی اَلنّارِ (۱۷۵) ذلِکَ بِأَنَّ اَللّهَ نَزَّلَ اَلْکِتابَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ اَلَّذِینَ اِخْتَلَفُوا فِی اَلْکِتابِ لَفِی شِقاقٍ بَعِیدٍ (۱۷۶)

۱۷۲- یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ :مستلذّات ما رَزَقْناکُمْ من النّعم الطیبه السائغه غیر الخبیثه.فإن الأمر بأکل الطیب للاحتراز عن الخبیث لا عن الحرام،لأن ما رزقه اللّه لیس بحرام،و الحرام هنا قد خرج بقوله تعالی:ممّا رزقناکم.و أمّا التقید بالطّیبات فلإخراج ضدّها-و هی الخبائث-و الخبائث

تطلق على کل نجس،و على کلّ ردیء و کلّ مستکره،أی عمّا ینفر منه الطبع بالفطره،و على الفاسد و کلّ حرام بنظر الشّرع.فکلوا الطّیبات فقط وَ اشْکُرُوا لِلّهِ احمدوه على ما رزقکم من نعمه الطیبه إِنْ کُنْتُمْ إِیّاهُ تَعْبُدُونَ قدّم المفعول-إیاه-و فصله لإفاده الحصر،کما فی قوله: إِیّاکَ نَعْبُدُ وَ إِیّاکَ نَسْتَعِینُ .و معنى ذلک إن کنتم تخصّون اللّه بالعباده و تقرّون بأنه المنعم الحقیقی فأتمّوا عبادتکم له بأداء الشّکر الذی لا یحصل تمامها إلا به.

۱۷۳- إِنَّما حَرَّمَ عَلَیْکُمُ الْمَیْتَهَ ...أی التی تموت بلا ذباحه حسب إذن الشارع المقدّس،فإنها حرام أکلها،حرّمها هی وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِیرِ وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَیْرِ اللّهِ أی ما ذکر اسم الصنم أو أیّ اسم آخر غیر اسم اللّه علیه عند الذّبح کالّذی تتقرّب به الکفار من أسامی أندادهم... فَمَنِ اضْطُرَّ دفعت به الحاجه فی مخمصه أو مجاعه إلى أکل شیء من هذه المحرّمات

غَیْرَ باغٍ وَ لا عادٍ غیر عاص و ظالم لإمام المسلمین و غیر معتد بالمعصیه على طریق المحققّین و هو المرویّ عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیهما السلام ،و یحتمل أن یکون غیر ظالم و لا جان على أحد من المسلمین،و غیر متجاوز لحدود الشّرع فَلا إِثْمَ عَلَیْهِ أی لا حرج فی أکل تلک المحرّمات،فی تلک الحال فقط إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ متجاوز عن معاصی عباده،فکیف فیما رخّص به هو لعباده، فهو رحیم بالتوسعه على العباد،و رفع الحرج عنهم عند الاضطرار.و بهذه المناسبه نورد بعض الروایات التی تناسب المقام.

ففی الکافی عن الصادق علیه السلام: الباغی:الذی یخرج على الإمام،و العادی:الذی یقطع الطریق،لا یحلّ أکل المیته، و

العیاشی عنه علیه السلام: الباغی:

الظالم،و العادی:الغاصب. و

فی التهذیب و العیاشی عنه علیه السلام:

الباغی:باغی الصید،و العادی:السارق،لیس لهما أن یأکلا المیته إذا اضطرّا هی حرام علیهما لیس هی علیهما کما هی على المسلمین و

فی روایه عبد

العظيم عن الجواد علیه السلام: هی حرام علیهما فی حال الاضطرار،کما هی حرام علیهما فی حال الاختیار. و لیس لهما أن یقصّرا فی صلاه أو صیام.و

فی سفر الحدیث فی الفقه عن الصادق علیه السلام: من اضطرّ إلی المیته و الدم و لحم الخنزیر فلم یأکل شیئا من ذلک حتی یموت فهو کافر. و لعلّه من حیث أنه لم یعتن برخصه الشارع من أجل حفظ نفسه،و فی عدم الاعتناء،بترخیص الشارع المقدّس و هن لحکم الشارع تعالی،و هن الحکم و هن للحاکم و العیاذ باللّه...

۱۷۴- إِنَّ الَّذِینَ یَکْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللّهُ :المراد بهم الیهود فإنهم کتموا ما أنزل اللّه تعالی علی موسی(ع) مِنَ الْکِتابِ أی التوراه التی فیها أوصاف محمد(ص)و علائمه و دلائل نبوّته،بحیث أیقنوا أنه هو الذی أخبر به موسی بن عمران و عیسی بن مریم علیهما السلام،و کتموه و أخذوا فی مقابل کتمانهم ثمنا قلیلا کما أخبر به اللّه تعالی فی کتابه إذ قال وَ یَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِیلاً من حطام الدنیا أو رئاساتها الزائله بعد أیام قلائل أُولئِکَ ما یَأْکُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ إِلاَّ النّارَ أی الکاتمون لنعوت محمد(ص)الذی أخذوا عوضا من المال و أکلوا به لقاء الکتم،فإن أکلهم لها یوجب النار،فهو نار تجری فی بطونهم وَ لا یُکَلِّمُهُمُ اللّهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ لأنهم غیر أهل لکلامه بلا واسطه،و هذا متضمّن لغایه غضبه علیهم وَ لا یُزَکِّیهِمْ و لا یطهّرهم من ذنوبهم بالمغفره لأنهم لا یستحقونها،و لا یثنی علیهم و یمدحهم لأنهم عصاه وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ موجع لا یطاق ألمه..و لا منافاه بین قوله: وَ لا یُکَلِّمُهُمُ اللّهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ ،و قوله فی سوره الحجر: فَوَ رَبِّکَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ عَمّا کانُوا یَعْمَلُونَ ،أولا لما أشرنا إلیه من أن الأول-أی المنفی-هو التکلیم بلا واسطه و المثبت مع الواسطه کما هو الظاهر فی المقامین.أما الثانی فإن المنفیّ ربما یکون المراد به کلام التلطّف و الإکرام،و المثبت سوء التوبیخ و الإهانه.

۱۷۵- أُولئِکَ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الضَّلالَهَ :الإشاره لعلماء الیهود

و النّصارى،أو مطلق أهل الضلال الذين كانوا من رؤسائهم،لأنهم المقدّمون لاختيار الضلاله و اشترائها بِالْهُدى أى اشتراؤهم الكفر بالإيمان لحفظ رئاساتهم و حطام الدنيا الفانيه وَ الْعَذابَ بِالْمَغْفِرَهِ أيضا اشتروه بكتمان الحق لأغراض فاسده باطله،كأخذ الرّشى و جمع الأموال من أى طريق و لو بقتل النبىّ أو الوصى،و غير ذلك من موبقاتهم،عليهم لعائن اللّه فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النّارِ أى ما أشد صبرهم على عمل يصيّرهم لا محاله إلى النار و يجرّهم إليها.

۱۷۶- ذلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ :أى أن تصييرهم و جرّهم إلى النار بسبب أنه تعالى نزّل إليهم كتابا حقا ثابتا فرفضوه و كذّبوه و كتموا ما فيه جحدا للحق و عنادا للنبىّ محمد(ص) وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتابِ أى القرآن فقالوا عنه سحرا مره،و رموه بالتكذيب و الابتداع مره ثانيه،و وصفوه بأنه تعليم بشر مره ثالثه،و بأنه أساطير الأوّلين و غير ذلك.أو أن المراد بالكتاب الجنس، أى كتب اللّه التى آمنوا منها ببعض و كفروا ببعض.فعلى كل حال إن هؤلاء لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ أى فى خلاف بعيد عن(الحق و الحقيقه،لأنّ من أوقع نفسه فى الطّرق المختلفه مع وضوح الطريق الموصله إلى المقصود،يبعد طبعا عن المقصد و يزيغ عن طريق الحق.

سوره البقره (۲): الآيات ۱۷۷ الى ۱۷۹

لَيْسَ اَلْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ اَلْمَشْرِقِ وَ اَلْمَغْرِبِ وَ لكِنَّ اَلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ اَلْمَلائِكَهِ وَ اَلْكِتابِ وَ اَلنَّبِيِّينَ وَ آتَى اَلْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي اَلْقُرْبى وَ اَلْيَتامى وَ اَلْمَساكِينَ وَ اِبْنَ اَلسَّبِيلِ وَ اَلسّائِلِينَ وَ فِي اَلرِّقابِ وَ أَقامَ اَلصَّلاهَ وَ آتَى اَلزَّكاهَ وَ اَلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَ اَلصّابِرِينَ فِي اَلْبَأْساءِ وَ اَلضَّرّاءِ وَ حِينَ اَلْبَأْسِ أُولئِكَ اَلَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولئِكَ هُمُ اَلْمُتَّقُونَ (۱۷۷) يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ اَلْقِصاصُ فِي اَلْقَتْلَى اَلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ اَلْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ اَلْأُنْثى بِالْأُنْثى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّباعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَداءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسانٍ ذلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَهٌ فَمَنِ اِعْتَدى بَعْدَ ذلِكَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ (۱۷۸) وَ لَكُمْ فِي اَلْقِصاصِ حَياهٌ يا أُولِي اَلْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (۱۷۹)

ص: ۲۰۰

۱۷۷- لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ :أى ليس الفعل المرضىّ و العمل الحسن أن تتوجّهوا قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ فى الصلاه-و الخطاب لأهل الكتاب الذين خاضوا كثيرا فى تغيير القبله-قال تعالى لهم:ليس البر منحصرا فى الصلاه نحو الشرق كما هو ديدن النصارى؛أو نحو الغرب كما هى طريقه اليهود-أى نحو بيت المقدس-.فما هذا هو البرّ و الطاعه التامه و العمل الحسن المقبول..

ذلك أنه تعالى لمّا بينّ دلائل التوحيد،و أوضح الطريق إلى معرفته تعالى،و أقام البراهين على صدق قول النبىّ(ص)المبعوث من عنده عزّ و جل إلى البشر كافه، و بعد أن أظهر غضبه على الجاحدين و المنكرين-بقوله: وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ -عيّر أحبار اليهود و رهبان النصارى و وبّخهم بقوله:ليس البرّ كله بالصلاه إلى هذه الجهه أو تلك وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ أى أن البرّ هو برّ من آمن باللّه و استمع له و أطاعه.و هذا كما يقال:السخاء حاتم:أى سخاء حاتم:أو الفقاهه زيد:أى فقاهه زيد.و يمكن أن يكون البرّ بمعنى البارّ أو بتقدير ذو البر من آمن باللّه أى صدّقه،فتصديقه ملازم لجميع ما لا تتم معرفته إلاّ به،كمعرفه حدوث العالم مثلا،و معرفه ما يستحيل عليه-كصفاته السلبيّه-و كعدله

و حکمته و سائر صفاته الثّبوتيّه..فهذا هو البرّ و التصديق به وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ لأن فيه الاعتراف بالبعث و الحساب و الأجر و العقاب وَ الْمَلائِكَهِ و فيه التصديق بوجودهم و أنهم عباد مکرمون ينزّهون اللّه و يسبّحونه وَ الْكِتابِ أى جنسه، يعنى الكتب السماويه بأجمعها،أو القرآن خاصه وَ النَّبِيِّينَ و فيه الاعتراف بصدق الأنبياء و عصمتهم عن جميع المعاصى،فقولهم صدق و لا بدّ من قبوله و اتّباعه، و منه إخبارهم بأنّ سيّدهم و خاتمهم هو محمد صلّى اللّه عليه و آله.فالبرّ هو عمل من آمن بذلک كله وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ أى أنفق المال فى موارده الواجبه و المحلّله مع حبّ المال لأنه وسيله عيشه فى حياته،أو أنفقه على حبّ اللّه،أى لحبه سبحانه لأنه يكون قد أعطاه كإحسان،أو أنه أيضا على حبّ الإيتاء إذا كان الشخص سخيّا بالطبع و معتادا للإعطاء،و الأوسط أظهر فى النظر.و يكون الإيتاء إلى ذَوِي الْقُرْبى أى أقرباء المعطى و ذوو رحمه.

قال(ص): إيتاء الصدقه و الإحسان على الأقرباء له حسنان:صله الرّحم،و الصدقه. و

روى عن الصادقين عليهما السلام: المراد ذوو قربى(الرسول(ص) وَ الْيَتامى أى المحاويج ممن مات آباؤهم فإنهم اليتامى فى عرف العرب وَ الْمَساكِينَ الذين لا يجدون نفقه سنتهم و لا يسألون الناس و لا يطلبون لعفّه نفوسهم يحسبهم الجاهل أغنياء من التّعفّف،لا الذين يدورون البلدان و يلجون الدور و القصور، و يلحفون فى السؤال و يقضون حياتهم فى الطلب و السؤال وَ ابْنَ السَّبِيلِ أى المسافر المنقطع عن أهله إذا لم يبق معه نفقه و لم يجد طريقا لها،فهو الذى سمّى ابن السبيل لملازمته،و لانقطاعه عن متابعه طريق الرجوع،و قيل المراد به الضيف وَ السّائِلِينَ الذين ألجأهم الفقر إلى السؤال،و هؤلاء يعتبرون أعفّاء بحسب طبعهم،لكنّ الضروره اقتضت منهم السؤال،و لذا عدّ إعطاءهم من البر.

جاء أعرابىّ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأحسّ أنّ له حاجه،فقال عليه السلام:هل لک أن تخطّ؟قال:نعم.قال:خطّ حاجتک على الأرض حتى لا

نری ذلّ السؤال فی وجهک.فکتبها علیها،فقضاها سلام اللّه علیه. وَ فِی الرِّقابِ لعل المراد به العبید تحت الشده و الضیق و التعب،فیستحب أن یشتروا و یعتقوا.و قیل هم المکاتبون منهم،فیستحب أن یعانوا لیؤدّوا مال الکتابه فیعتقوا و یتخلّصوا من العبودیّه.و لا یبعد أن یکون الأعمّ مرادا وَ أَقامَ الصَّلاهَ صلاّها مستجمعه لجمیع شرائطها وَ آتَی الزَّکاهَ دفع الزکاه المفروضه-المالیه و البدنیه-بشرائطها کما و کیفا و مصرفا،علی ما هو المبیین فی محلّه وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا یحتمل أن یکون عطفا علی:من آمن،کما یجیء هذا الاحتمال فی موارد أخر من هذه الآیه،کقوله: وَ آتَی الْمالَ ،و قوله: وَ أَقامَ الصَّلاهَ و تالیه فی الجمل السابقه مسلّم و لکنه فی المقام احتمال.و یمکن القول بأنها مبتدأه، و خبرها:أولئک الذین..و ستجیء الآیه بتمامها.و قیل إن المراد بالعهد أعمّ من أن یکون مع اللّه أو مع النبیّ أو مع سائر الناس.و فی الجمله السابقه قد أتی بالجمله الفعلیه(نحو:آمن،و آتی،و أقام)،بلحاظ صلات الموصول.أمّا فی هذه الجمله فأتی بالاسمیّه لأنّ الإیمان و الصلاه و إعطاء المال أمور لا بد من التکرار فیها لأنها أمور حادثه تذکر عند وجود مقتضیاتها و تتجدّد و تحدث،بخلاف الوفاء بالعهد فإنه حاله ثابته دائمیّه، لأن الإنسان لا بد و أن یکون ثابت العزم جازما علی بقاء عهده و الوفاء به أبدا.لذا أتی بالجمله الاسمیّه الدّاله علی الدوام..و لکن الحق أن الایمان بمعناه الحقیقی من الأمور الثابته المستمره،لیس فیه تجدّد و تلوّن و لا تغییر و لا تبدیل،مثل الوفاء بالعهد،بل هو أثبت و أدوم و أتقن.و ما فیه تجدّد و تغییر هو الإسلام لا الإیمان علی ما أخبر به اللّه سبحانه بقوله: قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا، وَ لکِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا،وَ لَمّا یَدْخُلِ الْإِیمانُ فِی قُلُوبِکُمْ.

وَ الصّابِرِینَ فِی الْبَأْساءِ وَ الضَّرّاءِ الصابرین منصوب علی المدح، و البأساء:المجاهدات النفسانیّه،و الضرّاء:الفقر و الشدّه و المرض وَ حِینَ الْبَأْسِ أی عند شدّه القتال،و هی من أهمّ مراتب مجاهده النفس لحملها علی

الصبر على مراره الحرب و التعرّض للموت أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا فى إيمانهم باللّه و برسوله و بكتابه و ما فيه وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ الذين يعملون ما فرض اللّه عليهم،و ينتهون عمّا نهوا عنه،فتحلّوا بحليه التقوى و تزيّنوا بزينه الهدى، فهم الذين أخذوا بمبدإ التكامل البشرى.و الآيه الكريمه جامعه لشروط الكمالات الإنسانيه و تبليغ البشر أعلى مراتب البشريه الساميه.بيان ذلك أنها تدل على أمور ثلاثه فيها و بها يتم التكامل:

الأول صحه الاعتقاد،و قد أشار اليه سبحانه بقوله: مَنْ آمَنَ بِاللّهِ ،إلى قوله: وَ النَّبِيِّينَ..

و الثانى حسن المعاشره،و أشار إليه عزّ و جلّ بقوله: وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ إلى قوله: وَ فِی الرِّقابِ.

و الثالث تهذيب النفس و قد أشار إليه بقوله جلّ و علا: وَ أَقامَ الصَّلاةَ إلى آخر الشريفه فمن استجمع هذه الأوصاف الفاضله فهو ممّن ينبغى أن يوصف بالصدق و التقوى.و إليه أشار

النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بقوله: من عمل بهذه الآيه فقد استكمل الإيمان. ..و قال أصحابنا رضوان اللّه عليهم:المعنىّ بالآيه هو أمير المؤمنين عليه آلاف صلوات المصلّين،إذ لم يجمع هذه الخصال غيره إجماعا.

۱۷۸- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ :أى فرض عليكم التعويض فِی الْقَتْلی أى المقتولين،و هو جمع مقتول و ذلك بأن يفعل بالقاتل ما فعل بالمقتول إذا كان القتل عن عمد.و ليس للقاتل الامتناع لو اختار ولىّ المقتول ذلك.فجواز أخذ الدّيه أو العفو بلا شىء ينافى القصاص لولىّ الدم.

و قد روى أنه كان فى الجاهليه بين حيّين دماء،و كان لأحدهما طول على الآخر- و الطّول هو الترفّع و السياده-فأقسموا:و لنقتلنّ الحرّ منكم بالعبد،و الذكر بالأنثى..فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فنزلت هذه

الآیه الشریفه فأمرهم أن یتکافئوا اَلْحُرُّ بِالْحُرِّ أی یقتصّ للحر بحر وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثی بِالْأُنْثی أی لا بدّ من التساوی عند القصاص.و مفهومه نفی ما کان مرسوما فی الجاهلیه من الترفّعات و التطاولات،إذ کانوا یقتصّون للأنثی برجل و یقتلون بالعبد حرا.

و فی باب القصاص وردت أحادیث أخری تعضد مفهوم الوصف-و لو لم نقل بمفهومه-و أیضا یعضده سبب النزول کما قلناه قبیل أسطر.فهذه و غیرها من المعاضدات الأخر التی لسنا بصدد ذکرها طرّا هاهنا.فإن قیل:کیف قال تعالی: کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِصاصُ :أی فرض،مع أن القصاص لیس بفرض علی ولیّ الدم بل هو مخیّر فیه،بل المندوب ترکه بقرینه ذیل الآیه حیث جعل العفو إحسانا و عدلا له-و قد أشرنا إلی هذا الإشکال آنفا؟..و الجواب عنه:

أولا:أن القصاص هو جزاء الذّنب.فله حیثیّتان:أحدهما جهه الأخذ،و الثانیه جهه الإعطاء.و الجهه الأولی راجعه إلی أولیاء الدم،و الثانیه راجعه إلی القاتل.فلو طلب أولیاء الدم القصاص-أی جزاء الذنب الصادر عن القاتل-ففرض علی القاتل التمکین لهم من نفسه لیأخذوا جزاء ثأرهم و عوضه.

و معنی إعطاء القاتل الجزاء،أی التمکین و التسلیم.فیمکن أن یکون الکتب راجعا إلی القاتل،لأنه فی فرض المطالبه لا مفرّ له من تمکینهم من نفسه.

و الخطاب لا قصور له من شموله لولیّ الدم و للقاتل کما هو ظاهر هذا.

ثانیا:کتب،أعمّ من الواجب العینی و التخییری.فحمله علی التخییری لا محذور فیه.و هو جواب آخر عن الإشکال بأسره.نعم العدل فی القصاص واجب علی ولیّ الدم إذا اختاره.

و فی التهذیب،قال الصادق علیه السلام: لا یقتل حرّ بعبد، بل یضرب ضربا شدیدا،و یغرم دیه العبد. و

قال: إن قتل رجل امرأه فأراد أولیاء المقتول أن یقتلوه،أدوا نصف دیته الی أهل الرجل. و هذه هی حقیقه المساواه،فإن نفس المرأه لا تساوی نفس الرجل،بل هی علی النّصف منها.

فیجب إذا أخذت النفس

الكامله بالنفس الناقصه أن يردّ فضل ما بينهما. و كـذلك رواه الطبرى فى تفسيره عن على عليه السلام . .و قيل بجواز قتل العبد بالحر و الأنثى بالذكر إجماعا، و ليس فى الآيه ما يمنع عن ذلك،لأنه لم يقل:و لا تقتل الأنثى بالذكر،و لا العبد بالحر.فما تضمّنته الآيه معمول به،و ما قلناه مثبت بالإجماع،و بقوله سبحانه: اَلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ.. و أما القول بأن آيه القصاص مفسوخه فليس بثابت فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ أى الجانى الذى أعفاه ولىّ الدم.و التعبير بالأخ جاء به ليعطف عليه-أى على الجانى-بالعفو من القصاص،و أخذ الديه.

و المراد بالشيء:شيء من العفو،و هو العفو من القصاص فَاتِّباعٌ بِالْمَعْرُوفِ أى على العافى أن يتّبع المعروف بأن لا يشدّد فى طلبه الديه،و لا يظلم الجانى باستزاده تعنيفه،و فى ذلك توصيه للعافى وَ أَداءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسانٍ و هذه توصيه للجانى بأن لا يبخس حق الولىّ بأداء الديه،و لا يماطله،بل يشكره على عفوه و الرضا بالقود، و يحسن إلى العافى مهما أمكن و يقدّر عفوه بما هو مقدور له ذلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ أى أن تشريع هذا التخيير تسهيل فيه نفع كثير من ربّكم لكم جميعا فاشكروا آلاء اللّه و نعمه عليكم و لا تكفروها..فلينظر الإنسان إلى ألطاف اللّه و إحسانه إليه.فمن ذلك أن الإنسان حال كونه قاتلا و جانيا لا تكون له الأهليّه بالترحّم و العطف،و لا بدّ من تشريع القود و جعله واجبا عينيا عليه،و مع ذلك جعل الواجب تخييريا تسهيلا للقاتل العمدى،ثم أوصى العافى بأن يتّبع طريق المعروف معه فوا عجبا من هذا الكرم،و هذا الجود و هذا اللطف و تلك المنّه على العباد!..فيا من سبقت رحمته غضبه،إن هذا الوصف لا ينبغى لأحد غيرك لأنك الحليم الكريم المنّان...و

فى كتاب العوالى روى أن القصاص فى شرع موسى كان حتما،و الديه كانت حتما فى شرع عيسى عليهما السلام،فجاءت الحنيفيّه السّمحه بتسويغ الأمرين معا فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذلِكَ بأن يقبل الدّيه و العفو عن القود ثم يعتدى بالقتل أو التمثيل حين القتل فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ أى

نوع من العذاب شديد ألمه،موجع بحيث لا- يدرك و لا- يوصف بأزيد مما فى الآيه،و لذا أبهم،و اللّه وحده عالم بكميّاته و كيفيّاته.

۱۷۹- وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ :بيان ذلك أن من أيقن بأنه إذا قتل نفسا محترمه فى الإسلام بلا- جرم فإنه يقتل بجرم المقتول،فهو ينزجر طبعا و يندم عمّا عزم عليه،و ينصرف عن قصده،فحينئذ يسلم كلّ من الجانى و المجنى عليه، و يعيشان إلى أجلهما المسمّى،و فى ذلك حياه لكليهما.فقوله سبحانه واضح الصدق،و لكنه-وا أسفا-لا يعمل به فى أكثر الأحكام فى هذه الأيام مع ما فيه من مصالح النوع.و هذه الآيه الكريمه من أوجز الكلام و أفصحه و أبلغه. يا أُولِي الْأَلْبابِ أى يا ذوى العقول المفكّره.و قد نادى تعالى من له قابليّه التأمل و التدبّر فى حكم القصاص و فوائده و مصالحه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أى من أجل ان تتجنّبوا القتل مخافه القصاص.

سوره البقره (۲): الآيات ۱۸۰ الى ۱۸۲

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ اَلْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً اَلْوَصِيَّهُ لِلْوالِدَيْنِ وَ اَلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى اَلْمُتَّقِينَ (۱۸۰) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ ما سَمِعَهُ فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَى اَلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اَللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۱۸۱) فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اَللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۸۲)

۱۸۰- كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ... أى إذا قرب الموت و دنا منه،و ليس معناه إذا وقع و حصل،لأن معنى وقع عليه يعنى أنه مات فلا يبقى موضوع للوصيه.و لذا جاء بلفظ:حضر لما بينهما من الفرق الواضح،

فلا حاجه إلى تأويلّ حضر بظهور الأسباب و أمارات الموت فإنه خلاف معناه الوضعى.

إِنْ تَرَکَ خَيْراً أى مالا يعتنى به.و عبّرت عنه بعض الروايات بمال كثير.

ففى المجمع روى عن علىّ عليه السلام أنه دخل على مولىّ له فى مرضه و له سبعمائه درهم أو ستمائه فقال:ألا أوصى؟فقال عليه السلام:لاـإنما قال اللّه سبحانه:إن ترک خيرا،و ليس للّه كثير مال.. و قيل هو مطلق المال، و هو الموافق لعدم تقييد الأصحاب بالكثير.هذا و لكن الحق فى المقام ما فى الروايه.بيان ذلک أن التعبير فى الآيه إذا كان بلفظ المال فإن المال اسم جنس يصدق على القليل و الكثير،و لكنه سبحانه أتى بقول:«خيرا»و ليرمز إلى ما فى الروايه من أن المراد به هو المال الكثير دون القليل،لأنه لا خير فيه مثلاـ إذا ترک عشره دراهم أو أقل،مع أنه يصدق ترک المال لكن لا يصدق أنه ترک خيرا، حث لا ينفع بما تركه لا الورثه و لا الميّت نفسه.إذ أىّ خير يصل إلى الورثه بعد أن يعطى للميت ثلث ما له أى ثلاثه دراهم و ثلث كافى هذا المثال مع أن العلّه فى الوصيه هى استفاده الورثه و نفس الميت بماله؟و هذه العله لا تحصل إلا حين يكون له مال كثير،فيصدق أنه أوصى بخير و ترک خيرا،فقرينه المقاميّه تؤيد ما قلناه. اَلْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ و الوصيه رفعت بكتب،و هى متعلقه به،و أما وجه تذكير الفعل فقيل للفاصل و لأنها بمعنى أن يوصى،و فى الوجهين نظر.و الحق فى الجواب أن يقال إن التذكير و التأنيث فى الفعل اعتبارهما فيه إذا نسب الفعل إلى فاعله لاـ مطلقا.و فى ما نحن فيه:الفاعل هو اللّه سبحانه،و لكنه ظاهرا نسب إلى مفعول ناب عن الفاعل لنكته.و فى مثل تلک النّسب لاـ تلاحظ القواعد الأدبيه.و فى عطف الأقربين على الوالدين مع أنهما أقرب الأقربين إشكال.و هو أن العطف يقتضى المغايره و ليس هنا مغايره بين المعطوف و المعطوف عليه؟...و الجواب أولاـ أنهما بحسب المصطلح ليسا

من الأقربين،و لفظ الأقارب ينصرف عنهما اصطلاحا لأن القريب من ينتسب إلى غيره بواسطه كالأخ و الأخت و العم و الخال و أمثالهم.و ثانيا على فرض كونهما منهم لكان التخصيص بالذّكر تشريفا لهما كما فى غير هذا المورد و كذكر جبريل و ميكال بعد الملائكه.و الآيه الشريفه كأنّ ظاهرها الوجوب،لكنه قام الإجماع على عدمه.و أما القول بالنسخ بآيه المواريث فمردود لكونها لا تنافيها بل تؤكّدها لقوله تعالى: مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ .و ذكر فى المقام

أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: إنّ اللّه أعطى كلّ ذى حق حقّه،الا لا وصيه لوارث. و هذه الروايه على فرض صحتها فإن الآحاد لا تنسخ الكتاب،مضافا إلى أن النسخ راجع إلى ناحيه الوجوب و هو لا يلازم العدم،فالجواز باق.أو أننا نبقى الآيه على ظاهرها و نحمل الروايه على صوره تجاوز الثّلث.و يؤيد عدم النسخ

قول الباقر عليه السلام حين سئل:هل تجوز الوصيه للوارث؟فقال:نعم،و تلا الآيه.

و هذا السؤال و الجواب يكشفان عن أن المسأله كانت خلافيّه من عصر الأئمه (ع)إلى الآنّ،و لم تنحلّ بعد بِالْمَعْرُوفِ أى الوصيه بالكيفيه التى يعرفها أهل التمييز من العقلاء بأنه لا جور فيه و لا حيف من حيث قدر ما يوصى به.فإن صاحب المال الكثير إذا أوصى بدرهم لأحد أقاربه فقد جاد عليه،و قد يكون فى الأقربين من هو فى غايه الفقر،و الموصى إمّا أنه لا يوصى له بشىء أو أنه يوصى بأقل القليل مما لا يناسب شؤونه و لا يغنيه من جوع.و فى مقام الوصيه قد لا يكون الموصى من أهل تمييز المعروف فيجور على نفسه أو يظلم غيره فلا يوصى لبعض الأقارب مع شده حاجته،و يوصى لمن لا يحتاج إلى المال بكثير منه،فيضع المال فى غير موضعه و يحرم من هو فى مورده.و الحاصل أن الموصى لا بدّ من أن يعرف المعروف فى وصيته فلا يجور على نفسه و لا على غيره،بحيث لا يوصى لنفسه بأكثر من الثلث،و لا يغفل أحد الورثه،و لا يحرم المال من له استحقاق به.

ففى المجمع و العياشى عن الصادق عليه السلام،

عن أبيه عن آبائه عليهم السلام،عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من لم يوص عند موته لذوى قرابته ممّن لا يرث فقد ختم عمله بمعصيه.

۱۸۱- فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ ما سَمِعَهُ ...أى غيّر الإيصاء بعد ثبوته و تحققه،و هما المراد بقوله تعالى:بعد ما سمعه،فإن السماع علّه لكون الشىء المسموع محقّقا عند السامع بعد سماعه بنفسه،لأن حكايه الغير هى سماعه له بإخبار، و المحكىّ له يحتمل الصدق و التحقّق،لا أنه محقّق عنده.فقوله تعالى:

بعد ما سمعه،من باب ذكر العلّه كنايه عن إراده المعلول فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ أى لا يكون إثم التبديل إلّا على المبدّلين إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ سميع لمقاله الموصى من العدل أو الظّلم لبعض أقاربه فى الإيصاء،عليم بعمل الوصىّ من التغيير و التبديل أو العمل على طبق ما أوصى به الموصى.

نعم إذا أوصى الموصى جنفا على بعض الورثه،و عمل الوصىّ بالعدل لرفع الغائله و الفساد عن الورثه فلا بأس بهذا التبديل،فإنه من باب تغيير الباطل إلى الحق،و تبديل الإساءه بالإحسان.و فى عدّه من الأخبار أن الوصىّ يغرم المال إذا خالف الوصيه،و لكنها منصرفه عمّا قلناه.

۱۸۲- فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً ...أى الوصىّ الذى يخاف أن يقع من الموصى جنف،أى ميل عن الحق إلى الباطل خطأ أَوْ إِثْماً أى عدلا عن الحق متعمّدا.و هذا الفرق روى فى المجمع عن الباقر عليه السلام.و يحتمل أن يكون المراد بالخوف هو العلم،لأنه الوحشه فيما يعلم الإنسان بوقوعه.

و منه قوله تعالى: وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ ،و قوله تعالى:

إِلّا أَنْ يَخافا أَلاّ يُقِيما حُدُودَ اللّهِ .و أما إذا لم يعلم فلا يخاف،و لكن الحق فى المقام أن يقال إن الخشيه لا تختص بصوره العلم بل إذا ظنّ بما يخاف منه،أو يحتمله فيخافه.و هذا أمر وجدانىّ لا يحتاج إلى البرهان فإن الخوف هو الاضطراب القلبىّ الناشئ عمّا يخاف منه،و هو حاصل فى جميع حالات

الإنسان ما دام سبب الخوف باقيا إلى أن يعلم بارتفاعه فيرتاح القلب و تذهب الوحشه.و قوله:من موص يتعلّق بمحذوف و محلّه النّصب على الحال من جنف،و التقدير:فمن خاف جنفا كائنا من موص.و ذو الحال قوله جنفا.

فحاصل المعنى:لمّا تقدّم الوعيد منه سبحانه لمن بدّل الوصيه،بيّن فى هذه الآيه أن ذلك يلزم لمن غيّر حقّا بباطل،فأمّا من غيّر باطلا-بحق فهو محسن و لا-بأس عليه.و هل الخوف من الجنف ما إذا أوصى حال مرضه الذى يوشك أن يموت فيه أو الأعمّ؟..قيل بالأوّل.و معنى الوصيه جنفا هو أن يعطى بعضا و يضمر لبعض.فلا إثم على الوصىّ أن يشير عليه بالحق و يردّه إلى الصواب و يصلح بعمله بين الموصى و الورثه و الموصى له إذا كان من غير الورثه أو منهم فى حال كون الوصيه جنفا بحقه.و عمل الوصى هذا،هو الذى أراد سبحانه بقوله فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ أى فى التغيير و التصرف فى الوصيه،لأنه من تبديل الظلم و ردّه إلى العدل كما أشرنا سابقا فإن ذلك من باب إزاله المفسده، و قوله تعالى:فأصلحوا بين أخويكم بالعدل،مصداق لذلك.و المشهور بين المفسّرين هو أعمّ من أن يكون خوف الجنف حال مرض الموصى أو غيره إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ غفور للمذنب،رحيم به،فكيف لمصلح مستحقّ للأجر و الثواب العظيم؟و

فى القمّى عن الصادق عليه السلام: إذا أوصى الرجل بوصيه،فلا يحلّ للوصىّ أن يغيّر وصيته بل يمضيها على ما أوصى،إلا أن يوصى بغير ما أمر اللّه فيعصى فى الوصيه و يظلم ،فالموصى إليه جائز له أن يردّها إلى الحق.مثل رجل يكون له ورثه فيجعل المال كلّه لبعض ورثته و يحرم بعضهم،فالوصىّ جائز له أن يردّها إلى الحق،و هو قوله تعالى:جنفا أو إثما.فالجنف الميل إلى بعض ورثتك دون بعض،و الإثم أن تأمر بعماره بيوت النيران و اتّخاذ المسكر،فيحلّ للوصىّ أن لا يعمل بشىء من ذلك.

سوره البقره (٢): الآيات ١٨٣ الى ١٨٧

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ اَلصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيّاماً مَعْدُوداتٍ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ وَ عَلَى اَلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضانَ اَلَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ اَلْقُرْآنُ هُدىً لِلنّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ اَلْهُدى وَ اَلْفُرْقانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ اَلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اَللّهُ بِكُمُ اَلْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ اَلْعُسْرَ وَ لِتُكْمِلُوا اَلْعِدَّةَ وَ لِتُكَبِّرُوا اَللّهَ عَلى ما هَداكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ اَلدّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ اَلصِّيامِ اَلرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اَللّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ وَ عَفا عَنْكُمْ فَالْآنَ باشِرُوهُنَّ وَ اِبْتَغُوا ما كَتَبَ اَللّهُ لَكُمْ وَ كُلُوا وَ اِشْرَبُوا حَتّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ اَلْخَيْطُ اَلْأَبْيَضُ مِنَ اَلْخَيْطِ اَلْأَسْوَدِ مِنَ اَلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا اَلصِّيامَ إِلَى اَللَّيْلِ وَ لا تُباشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عاكِفُونَ فِي اَلْمَساجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اَللّهِ فَلا تَقْرَبُوها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اَللّهُ آياتِهِ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)

۱۸۳- یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُتِبَ عَلَیْکُمُ الصِّیامُ ...أی فرضه اللّه علیکم و ألزمکم علیه بحیث لو ترکتموه عمدا فی غیر موارد الإجازه و الرّخصه تعاقبکم علیه و آخذکم به.فاللّه تعالی قد فرض علی الذین آمنوا من الناس باللّه و رسوله فریضه أخری«غیر الصلاه»و هی الصوم.و قد عدل عن الغیبه إلی الخطاب لأن فی المخاطبه لذه یذهب بها خطب التکلیف و کلفته.و

قد روی عن الصادق علیه السلام أنه قال: لذّه ما فی النداء،أزال تعب العباده و العناء. و نقل عن أبی الفتوح أنه قال:لو نادی سید عبده باسم شخص حر،فهو فی مذهب الفقهاء حر.فاللّه تعالی نادانا باسم مخصوص لنا،فنرجو أن تکون علامه عتقنا من نار غضبه..و إنما خصّ المؤمنین بالخطاب تشریفا لهم،و ترغیبا للغیر بقبولهم الإسلام،و هو لا- ینافی وجوبه علی غیرهم کما أنه کذلک..و أما وجه قوله:

کَما کُتِبَ عَلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ ،ففیه أقوال،أحسنها علی ما هو الظاهر من الکریمه تشبیه فرض الصّوم علینا بفرض الصّوم علی من تقدّمنا من الأنبیاء علیهم السلام و أممهم من عهد آدم علیه السلام إلی عهدنا.و

روی عن أمیر المؤمنین علیه السلام أنه قال: أوّلهم آدم. یعنی أن الصوم عباده قدیمه ما أخلی اللّه أمّه من إیجابها علیهم.فاللّه تعالی لم یوجبها علیکم وحدکم،و فی ذلک ترغیب بالفعل و تسهیل علی النفس المنزجره عنه بطبعها.فإن الشیء إذا عمّ طاب.و هذا هو وجه تنظیر الصوم بصوم الأمم الماضیه.و فی المقام سؤال یقدّر،و هو أنه لماذا قال سبحانه: کَما کُتِبَ عَلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ ،مع عدم الحاجه إلی هذا التنظیر،فإن وجوب الصوم علینا لا یتوقّف علی وجوبه علی

الأمم السالفه كما هو الشأن فى بقيه أحكامنا التى لا تقتضى التشبيه بما كانت عليه أحكام غيرنا...و الجواب أن الصوم لمّا كان أمرا شديدا شاقّا لا تتحمّله النفوس بسهوله و لا تتفهّمه العقول بيسر،أراد اللّه تعالى من المؤمنين أن يعرفوا أنّ فرض الصوم ليس أمرا مبتدعا على المسلمين،بل كان كذلك عى الأمم السابقه،فيسهل على المؤمنين الأمر لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أى لعلكم تتجنّبون به المعاصى،فإنه يقمع الشهوه.و

قد قال عليه السلام فى روايه: من لم يستطع مقاومه الباه فليصم فإن الصوم له(أى قاطع له). و

قال صلّى اللّه عليه و آله:

خصاء أمّتى الصوم. هذا،مضافا إلى أن الصوم شعار الزهد و التقوى فى كل زمان.و يكفى فى عظمته أن اللّه تعالى قال:...أنا أجزى به(أى أثيب عليه)و ما سمع منه سبحانه هذا الكلام فى عباده حتى فى الصلاه التى هى عمود الدين!!.

۱۸۴- أَيّاماً مَعْدُوداتٍ ...موقّتات بعدد معلوم،أو قلائل كقوله تعالى:

دَراهِمَ مَعْدُودَهٍ ،و الأصل أن المال يقدّر بالعدد،و كذلك الأيام القليله تحدّد و تحصر.و الكثير يحثى حثيا،و الحثى ما غرف باليد من التراب و الأرزّ و نحوه،كنايه عن الكثره أى ما ليس له ضبط و حدّ معلوم لكثرته.و نصب أياما بالفعل المقدّر،يدل على ذلك قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ ،أى صوموا أياما.

و فى الطبرى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ بن جبل أنه قال: لمّا ورد النبىّ المدينه فصام عاشوراء و من كل شهر ثلاثه أيام..و اليهود يصومون يوم غرق فيه فرعون تبرّكا. لكن عبده يقول:يصوم اليهود يوم تخريب أورشليم أسبوعا ذكرى له.أما النصارى فأشهر أيام صيامهم الذى بقى لهم من قديم الأيام،و هو قبل عيد المسيح(ع).و يقولون إن موسى بن عمران صام فى هذا اليوم و كذا المسيح و الحواريون كان ديدنهم على صوم ذلك اليوم،و بعد ذلك الرؤساء و الأحبار عيّنوا أياما أخر كلّ على كيفه و لذا تراهم مختلفين فى صومهم، فإن بعضا عيّن شهر رمضان فلمّا رأى وقوعه فى حرّ شديد حوّله إلى الربيع و زاد

علیه عشرین یوما کفّاره للتحویل فصارت أیام صیامهم خمسین و بعض آخر یقول إن الصوم هو کفّ النفس عن أکل اللحوم مده،و بعضهم یخصّه بلحم السمک،و غیره بالکفّ عن أکل بیض الدجاج،و غیره ترک ذلک من نصف اللیل إلی نصف النهار.و الحاصل أن هذا الاختلاف بین الأحبار ناشئ عن تشریع الصوم من عند أنفسهم و قد ترکوا الصوم المشروع من لدن الشارع الأقدس.أما نحن،فبعد نزول الآیه و تعیین شهر رمضان،قد استرحنا و أخذ بالتشریع من یوم نزول الآیه إلی یوم ینفخ فی الصّور.

أمّا وجه أنه سبحانه أوجب الصوم أولا-فأجمله بقوله: کُتِبَ عَلَیْکُمُ الصِّیامُ ،و لم یبیّن أنه یوم أو یومان أو أکثر.ثم بیّن أنها أیام معلومات و أبهم، ثم بیّنه بقوله تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ .فیمکن أن یقال فیه:

إن الصوم تکلیف شاقّ علی غالب الناس،و هو أشدّ کلفه من الصلاه التی قال تعالی فی وصفها:و إنّها لکبیره إلاّ علی الخاشعین،حیث أن الصوم مانع عن المشتهیات،و قامع للشهوات و هو ریاضه جسمانیه و نفسانیه، و لا یقبله الناس حتی یهیئهم له تدریجا،و أحسن طرق تهیئتهم هی هذه الکیفیه التی استطرقها اللّه سبحانه.و یدل علی التوجیه المذکور أنه تعالی قبل تعیین وقت الصوم و قبل استقراره استثنی جماعه المرضی و المسافرین من الحکم حتی یسهّل علی الناس صعوبه الحکم،لأنه إذا کان واجبا فی الموردین کان أصعب فلا یتحمّلونه.

و أدلّ علی ما ذکرنا من الدلیل الأول،جعل التخییر فی بدء التشریع أی تشریع الصوم الذی یطیقونه بین الصوم و الإفطار بلا عذر مع الفدیه لکل یوم نصف صاع عند أهل العراق،و أما عندنا فمدّان إن کان قادرا و إلاّ فمدّ واحد لکل یوم.و قد کان التخییر لأنهم لم یتعوّدوا الصوم و کان شاقّا علیهم نشرع له التخییر لتسهیل الأمر و لتعویدهم علیه..و لمّا تعوّدوا نسخ التخییر بآیه:فمن شهد منکم الشهر فلیصمه... فَمَنْ کانَ مِنْکُمْ مَرِیضاً مرضا یضرّ به الصوم،أو أنه لا یطاق معه الصوم إلاّ بالمشقّه الشدیده و العسر المرتفع بقوله: وَ لا یُرِیدُ بِکُمُ الْعُسْرَ أَوْ عَلی سَفَرٍ عطف علی قوله:مریضا و المعطوف علیه اسم،

و المعطوف ظرف،و لا يعطف الظّرف على الاسم على ما ذكر فى محلّه،و مع ذلك عطف هنا لأن الظرف بمعنى الاسم،و التقدير:فمن كان منكم مريضا أو مسافرا،أو راكب سفر.و الإضافه اختصاصيه كغلام زيد.و الأحسن أن يقال:إنّ«على»من معانيها الظرفيه كونها بمعنى«فى».و فى المقام هى كذلك فلا نحتّاج إلى كلفه التقدير و لا التأويل.. فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ أى أن المفطر للمرض و السفر عليه صوم أيام فى غير رمضان توازى عدد الأيام التى أفطرها فيه،و هذا صريح فى وجوب القضاء،و أمّا القول بإضمار(فأفطر) و أخذ نتيجه الرّخصه،فالحقّ أنه خلاف الظاهر و لم يدل عليه دليل،بل الدليل على خلافه.و

عن أئمتنا عليهم السلام كثير بهذا المعنى حتى أنهم قالوا:

الصائم فى شهر رمضان فى السفر كالمفطر فيه فى الحضر. و

فى حديث الزهرىّ عن السجّاد عليه السلام: من صام فى السفر أو المرض فعليه القضاء،لأن اللّه تعالى يقول:فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدّه من أيام أخر. و

روى يوسف بن الحكم قال: سألت ابن عمر عن الصوم فى السفر فقال:أ رأيت لو تصدّقت على رجل صدقه فردّها عليك ألاّ تغضب؟فإنها صدقه من اللّه تصدّق بها عليكم. و عن ابن عباس أنه قال:الإفطار فى السفر عزيمه.و

عن الصادق عليه السلام أنه قال: لو أن رجلا مات صائما فى السفر لما صلّيت عليه. و

عنه عليه السلام: الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر. و

فى العياشى بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال: لم يكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يصوم فى السفر تطوّعا و لا فريضه حتى نزلت هذه الآيه بكراع الغميم عند صلاه الهجير«أى صلاه الظّهر»فأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بإناء فشرب و أمر الناس أن يفطروا.فقال قوم:قد توجّه النهار و لو تمّمنا يومنا هذا؟فسمّاهم رسول اللّه العصاه،فلم يزالوا يسمّون بذلك الاسم حتى قبض رسول اللّه!.. أقول:من هذا الحديث الشريف يستفاد أن رسول

اللّه بشخصه قد كانت سيرته أن يفطر فى السفر و لا يصوم فيه و لو تطوّعا،لكنّ الناس كانوا يصومون فى شهر رمضان سفرا كما فى الحضر إلى أن نزلت الآيه فأظهر(ص)عادته عملا،فأمر بإحضار الماء و شرب،و أشرب القوم إلاّ الجماعه الذين سمّاهم العصاه..

و سئل عن حدّ المرض الذى يجوز فيه الإفطار،فقال عليه السلام:إذا لم يستطع أن يتسحّر. و

فى الفقيه عنه عليه السلام: الصائم إذا خاف على عينيه من الرمد أفطر (١).. و أمّا حدّ السفر الذى يفطر فيه فقد حدّد و عيّن فى الكتب الفقهيه و ينبغى الرجوع إليها وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَهٌ طَعامُ مِسْكِينٍ أى على القادرين على الصوم،فلهم الخيار بين الصوم،و الفديه،لكل يوم مدّ،أو مدّان إذا كانوا قادرين على إعطاء المدّين،و قيل مدّ مطلقا قادرين كانوا أم لا.و هذا الحكم كان ثابتا للمطيقين بلا عذر و كان ذلك فى بدء الإسلام حينما لم يتعوّدوا فاشتدّ عليهم الصوم،فرخّصهم اللّه سبحانه بالإفطار امتنانا منه و كرامه و أمرهم بالفديه فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً أى زاد على مقدار الفديه فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ أى أن الزياده فى الفديه خير على خير وَ أَنْ تَصُومُوا أيها المطيقون للصوم فهو خَيْرٌ لَكُمْ يعنى أن الصيام خير من الفديه و التطوّع فيها إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فضيله الصوم و ما يترتّب عليه من الآثار الدنيويّه.من صحه البدن، و طيب رائحه الفم،و راحه الجسد و النفس و غير ذلك من الفوائد،إلى جانب الفوائد الأخرويّه و مما هو مذكور فى محلّه.ثم بعد اعتياد المسلمين على الصوم،و ذهاب وحشه الإمساك،نسخ حكم التخيير عن المطيقين بلا عذر و ثبت عليهم الإمساك فى شهر رمضان بقوله سبحانه: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ..

الآيه.و

قد روى أصحابنا عن أبى عبد اللّه عليه السلام أن معناها:و على الذين

****

(١) هذا لا خصوصيه فيه دون غيره من العلل،و إنما هو كنايه عن الضّرر مطلقا.

كانوا يطيقون الصوم ثم أصابهم كبر و عطاش أو شبه ذلك،فديه لكل يوم مد من الطعام. و على هذا فلا نسخ،و لكن ظاهر الآيه خلاف ما فى الروايه.

۱۸۵- شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي ...رمضان:مصدر:رمض،أى احترق من الرّمضاء،أضيف إليه الشهر و أصبح علما.و هو مبتدأ خبره:الذى أنزل فيه، أو هو خبر لمبتدأ محذوف يرجع إلى الأيام المعدودات.و الجمله عطف بيان على قوله أياما معدودات،أو بدل من الصيام فى قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ فى الشهر الذى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ جمله إلى السماء الدنيا،ثم نجوما إلى الأرض فى طول عشرين سنه (۱).أو ابتداء أنزل فيه،و كان ذلك فى ليله القدر.و القرآن هو هُدىً لِلنّاسِ نصب على الحال من القرآن،أى أنزل هاديا للناس إلى الحق وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى أى آيات واضحات مما يهدى إلى الطريق العدل السّوىّ الذى لا عوج فيه وَ الْفُرْقانِ أى مما هو فارق بين الحق و الباطل.

فإن قلت:ما فائده قوله تعالى: وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ ،بعد قوله: هُدىً لِلنّاسِ ؟...فيقال:ذكر سبحانه أولا أنه هدى،ثم ذكر أنه بيّنات أى حجج واضحه و هو من جمله ما يهدى به اللّه عباده إلى الحق و مما يفرّق بين الحق و الباطل أو بين المحكم و المتشابه من وحيه و كتبه السماويه الهاديه الفارقه بين الهدى و الضلال،فلا تكرار فيه..و يحتمل أن يكون المراد بالأول الهدى من الضلاله،و بالثانى الهدايه إلى الحلال و الحرام،فلا تكرار أيضا..

فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ أى حضره و كان غير مسافر و لا مريض،سواء كان

****

(۱) الثعلبى عن أبى ذرى الغفارى رضوان اللّه عليه عن النبىّ(ص)أنه قال؛ أنزلت صحف إبراهيم لثلاث مضين من شهر رمضان،و أنزلت توراه موسى لست مضين من شهر رمضان،و أنزل إنجيل عيسى لثلاث عشره ليله خلت من رمضان،و أنزل زبور داود لثمانى عشره من رمضان ،و أنزل الفرقان على محمد صلى اللّه عليه و آله لأربع و عشرين من شَهْرُ رَمَضانَ و فى بعض الروايات لثلاث و عشرين منه،و فى بعضها فى ليله القدر.

حضوره فی بعض الشهر أو کلّه. فَلْيَصُمْهُ أی فليصم فيه وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ أی فی سفر و علی غیر استقرار و إقامه فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ كرّر تأكيدا لوجوب الإفطار و القضاء،و أن الإفطار عزيمه،و قد مضى تفسيرها.

و لا يجب التتابع فی قضاء أيام المرض و السفر،بل هو على التوسّع عندنا،و إن كان الظاهر استحباب التتابع بمقتضى قوله تعالى: وَ سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ...

الآيه.أما مستمرّ المرض من رمضان إلى رمضان الآخر فيكفّر عن كل يوم بمدّ و لا قضاء عليه للأخبار المخصّصه للآيه الشريفه.فإن فرّط الذی يقضی الصوم فی القضاء حتى دخل رمضان آخر لزمه الفديه و القضاء يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ أی فی أكثر أموركم إن لم يكن فی جميعها،و من جمله ذلك ما أمركم بالإفطار فی المرض و السفر،و ما رخّص به للشيخ و الشيخه من الإفطار و لذوی العطاش كذلك،و نفی الحرج فی الدّين،و نفی الضرر فيه و أمثال ذلك من التسهيلات الكثيره بحيث سمّی ديننا بدين السمحه الحنيفيه وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ هذه الجمله علّه للأمر بمراعاه عدّه ما أفطر فی شهر رمضان من أيام المرض و السفر و قضائها بعد البرء و الإقامه وَ لِتُكَبِّرُوا اللّهَ عَلى ما هَداكُمْ يمكن أن تكون عله لتعليم كيفيه القضاء،أی لتعظّموه و تبجّلوه بالثناء عليه لهدايتكم إلى العلم بكيفيه العمل.أو تكون عله لما هداكم إليه من تكبير ليله الفطر عقيب أربع صلوات:المغرب و العشاء الآخره و الغداه و صلاه العيد على مذهب الخاصه وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعم اللّه،من إسقاط الصوم عن العجزه الذين ذكرناهم،و من إرادته اليسر عن عباده دون التكاليف العسره الشاقّه.

و من اليسر تنقيص صلاه المسافر مع أنه قادر على التمام بلا شك.

۱۸۶- وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِی عَنِّی ...

سأل أعرابیّ النبیّ صلّى اللّه عليه و آله:أ قريب ربّنا فنناجيه،أم بعيد فنناديه؟..فنزلت الآيه:و إذا سألك عبادی عنی فإنی قريب. و قربه كونه مع الإنسان،بل مع كل شیء.فلذا نقول

أنه قریب لکل شیء.قال سبحانه: وَ هُوَ مَعَکُمْ أَیْنَ ما کُنْتُمْ .فقربه لیس باجتماع کقرب بعضنا مع بعض.و بعده لیس بافتراق کبعدنا بالفرقه و البینونه.

و معیّته مع الأشیاء لیس بالممازجه أو المداخله،کما أن مفارقته لیس بمباینه و لا مزایله.و الحاصل أن معنی الآیه الشریفه:أنی قریب أسمع دعاءهم کما أن القریب یسمع من یناجیه(أُجِیبُ دَعْوَهَ الدّاعِ إِذا دَعانِ)و فی هذا تقریر للقرب و وعد للداعی بالإجابه و أثبت الیاء بشر و أبو عمرو،و فیهما وصل فَلْیَسْتَجِیبُوا لِی أی یجب أن یجیبونی فیما دعوتهم إلیه من الإیمان و الطاعه وَ لْیُؤْمِنُوا بِی هذه الجمله أمر بإحداث الإیمان و الثبات علیه،أو أمر بالتصدیق بقدرته تعالی علی إعطاء سؤلهم لَعَلَّهُمْ یَرْشُدُونَ أی:یهتدون إلی إصابه الحق و الدین المستقیم،و یعترفون بأنی مجیب لدعوتهم علی تقدیر صلاحهم فیما دعونی.

و فی الکافی عن الصادق علیه السلام أنّ: من سرّه أن تستجاب دعوته فلیطیّب مکسبه. و

عنه علیه السلام: إذا أراد أحدکم أن لا یسأل ربّه شیئا إلاّ أعطاه فلییأس من الناس کلّهم و لا یکون له رجاء إلاّ عند اللّه عزّ و جلّ،فإذا علم اللّه ذلک من قلبه لم یسأله شیئا إلاّ أعطاه. و

القمّی عن الصادق علیه السلام أنه قیل له:إن اللّه تعالی یقول:ادعونی استجب لکم،و إنّا ندعوه فلا یستجاب لنا.

فقال:لأنکم لا تفون بعهد اللّه،و إن اللّه یقول: أَوْفُوا بِعَهْدِی أُوفِ بِعَهْدِکُمْ .و اللّه لو وفیتم للّه لوفی لکم!! ۱۸۷- أُحِلَّ لَکُمْ لَیْلَهَ الصِّیامِ الرَّفَثُ إِلی نِسائِکُمْ ...الرّفث هو الإفصاح أی الإظهار و الإیضاح.و هو هنا کنایه عن الجماع بمعنی الوطء،لأنه قلّما تخلو المواقعه عن الإفصاح و ظهور ما یکنّی عنه بالرّفث.و أما شأن نزول هذه الآیه فهو ما

قاله الصادق علیه السلام من أن الأکل کان محرّما فی شهر رمضان باللیل بعد النوم،و کان النکاح حراما باللیل و النهار.و کان رجل من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقال له مطعم بن جبیر نام قبل أن یفطر،

و حضر حفر الخندق فأغمى عليه.و كان قوم من الشبّان ينكحون بالليل سرّا فى شهر رمضان،فنزلت الآيه الكريمه،فأحلّ النكاح بالليل،و الأكل بعد النوم..الحديث. فالآيه الشريفه فى مقام الامتنان على الأمّه و الإحسان إليها،و نعم الإحسان و المنّه منه عزّ و جلّ على العباد!.و

عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السلام كراهيه الجماع فى أول ليله من كل شهر،إلاّ أول ليله من شهر رمضان فإنه يستحبّ ذلك لمكان الآيه. و يحتمل أن يكون المراد به ليالى الشهر كله،فإن الليله اسم جنس يدل على الكثره،إلاّ أن هذا الاحتمال بعيد جدا لأنه شبيه بالاجتهاد فى مقابل النّص على ما بيّنّاه فى الروايه عن الإمامين عليهما السلام.

هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ،وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ أى هنّ سكن لكم،و أنتم سكن لهن.و المراد هو تسكين قلب كلّ واحد بالآخر من وحشه التجرّد و الفرديه،فإن الإنسان حيث إنه مدنىّ بالطبع،فهو طبعا استئناسىّ يحب أن يختار لنفسه أنيسا، و يكره و يتنفّر من الانفراد،و يستوحش من التوحّد.و الزوجه هى أحسن من كل أنيس للإنسان على ما يستظهر من الآيه الشريفه.بيان ذلك أنه سبحانه يبيّن سبب إحلال الرّفث فى شهر رمضان بسبب صعوبه الصبر عن النساء لشدّه الملابسه و المخالطه التى هى وجه تمثيل كلّ منهما باللباس لصاحبه.فإن الإنسان كما يستأنس بلباسه استئناس الحاجه إليه لحفظ شؤونه الفرديه و الاجتماعيه من ناحيه كرامته و شرفه،و من ناحيه دفع المضرّات و ما يحدث له من جرّاء الحراره و البروده و نحوهما مما يتّقيه باللباس و يدفعه به،فكذلك يحتاج الزوج إلى الزوجه للاستئناس بها و الملابسه و المخالطه معها،و للمحافظه على شؤونه من جميع نواحيه،و لا سيّما من ناحيه شهواته الجنسيه و دفع المضرّات التى تنشأ عن الكبت الجنسىّ،مضافا إلى أن الزوجه تعين الرجل على دفع وحشه الانفراد،و تقيم معه نظام العالم من ناحيه التوالد و التناسل.هذا و قد ثبت بالتجربه أن من لا يتأهّل(يتزوج)يعيش بذلّه و خذلان حتى من ناحيه أهله

و عشيرته،فلا يهتم أحد فى إصلاح أموره و لو كان له من الغنى ما كان،و لا سيّما إذا كان له من الورثه من يطمع فى الإرث،و كان هو يشارف على انقضاء العمر،فينتظر الوارث و الناس-حينئذ-موته و تصبح حياته تافهه،بل ربما مات وحيدا فى منزله،و إن كان يعتبر ميّتا يعيش فى الأحياء.و بذلك رمز إلى أنه تعالى ما أراد من خلقه التجرّد و الحياه الانفراديه،بل لا بدّ للناس من التناكح و التناسل حتى يحفظ كلّ نصيبه من ناحيه نظام عالم الدنيا المتوقّف على التناسل المتوقّف على التعيّل و تنظيم الأسره.

عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ لمّا حرّم اللّه الجماع فى شهر رمضان،و الأكل بعد النوم،و خالفوا فى ذلك نزلت الآيه تبيّن أنه سبحانه علم خيانتكم أنفسكم بالمعصيه المؤدّيه إلى العقاب و تنقيص الحظ من الثواب.

و الاختيان أبلغ من الخيانه كالاكتساب و الكسب فَتابَ عَلَيْكُمْ غفر لكم و عاد عليكم بفضله و إحسانه وَ عَفا عَنْكُمْ أى أزال تحريم ذلك عنكم.و ذلك عفو عن تحريمه عليكم أو محو أثره عنكم فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ أى بعد ذلك العفو، باشروهن فى المضاجع،و هو كنايه عن الجماع.و أصل المباشره إلصاق الجسم بالجسم.

أى البشره بالبشره و لذا عبّر سبحانه عنهنّ باللّباس فإنهن كاللّباس حين ذلك الإلصاق الجسدى.أما بعض المفسّرين فقال:هن لباس لكم:أى فراش لكم و أنتم لحاف لهنّ،و لعلّه تفسير ذوقىّ لا أنّه مروىّ،و هو نعم التفسير لو لا أنه بالرأى وَ ابْتَغُوا ما كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ أى فى أمر التناكح اطلبوا بغيتكم للتناسل لا لإطفاء ثائره الشهوه فقط،فإن إطفاء تلك الثائره قد يتم بممارسه رياضه معيّنه و ببعض الأدويه البارده بالطبع و المؤثّره لهذا الأثر بالخصوص و غير ذلك مما يثبته علم الطب،و لكن التناسل هو السبب الأهمّ فى الأمر بالمباشره التى يتمّ معها- قهرا-إطفاء الشهوه الجنسيه..و قيل:و ابتغوا ما كتب اللّه لكم من إباحه ما نهى عنه،فإنه تعالى يحب أن يؤخذ برخصه بعد حظره، كما يحب العكس لأنه الفعّال لما يشاء من مصلحه العباد،و لذا يريد أن يطيعوه و يأتمروا بجميع أوامره،و ينتهوا عن جميع

نواهيه،فينالوا مقام الصالحين الأبرار وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ فلمّا منّ اللّه سبحانه برفع الحظر عن المؤمنين بالنسبه لمباشره النساء،أراد أن يتم النعمه عليهم بامتداد رخصه فى تمام الليل فقال:و كلوا و اشربوا حتى يظهر و يتميّز لكم الفجر على التحقيق.و الخيط الأبيض يعنى هنا بياض النهار و تميّزه من الخيط الأسود أى سواد الليل،بحيث لا يشك فيه أحد من النّظّار.و التعبير بالخيط جاء للاحتراز عن توهّم اشتراط انتشار ضوء النهار،فإن القدر المحرّم للإفطار من البياض يشبه الخيط الأبيض الممتدّ على الأفق فى أول ظهور الفجر،فيزول بظهوره قهرا مثله من السواد.و من هذا يستفاد أنه لا يعتبر الانتشار للدلاله على الفجر.و قوله:من الفجر،يعنى البياض الواضح الذى يبدو صباحا.و قيل هو البياض المعترض فى الأفق الذى لا شك فيه.و هذه التعابير كلّها ترجع إلى أمر واحد و هو وضوح الفجر الصادق لكل ناظر إلى الأفق.و هذا هو معنى التبيّن.و حرف«من»الجارّ فيه يحتمل أن يكون للتبعيض،أى أن الخيط الأبيض الذى يبدو منه،و هو بعض الفجر لا الفجر كلّه حين انتشاره فى الأفق بتمامه.و يمكن أن يكون للتبيين،أى أن الخيط الأبيض هو الفجر لا كما

توهّمه عدىّ بن حاتم حين قال للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله:إنى وضعت خيطين من شعر:أبيض و أسود،فكنت أنظر فيهما فلا يتبيّن لى.فضحك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتى بدت نواجذه ثم قال:يا ابن حاتم،إنما ذلك بياض النهار و سواد الليل،فابتداء الصوم من هذا الوقت. و اكتفى ببيان الخيط الأبيض بقوله من الفجر،و عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه.و

فى الكافى عن الصادق عليه السلام عن رجلين قاما فى رمضان فقال أحدهما:هذا الفجر،و قال الآخر:ما أرى شيئا.قال عليه السّلام:

ليأكل الذى لم يستيقن الفجر،و قد حرم الأكل على الذى زعم أنه رأى الفجر،لأن اللّه تعالى يقول:كلوا و اشربوا حتى يتبيّن لكم..الآيه ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ و هذا بيان لختام الصوم بعد بيان بدئه.فقد جعل انتهاء رخصه فى الأكل و الشرب و مباشره النساء و كلّ ما ينافى الصوم الفجر الثانى الصادق،فليلزمه الإمساك عزيمه من ذلك الوقت كبدء للصوم.أما ختام الصوم فهو أول الليل،أى الغروب الشرعى (١).فالآيه الشريفه تنفى الوصال و صوم السكوت و نحوهما من الصيام الذى لم يثبت بدليل عندنا.

ليأكل الذى لم يستيقن الفجر،و قد حرم الأكل على الذى زعم أنه رأى الفجر،لأن اللّه تعالى يقول:كلوا و اشربوا حتى يتبيّن لكم..الآيه ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ و هذا بيان لختام الصوم بعد بيان بدئه.فقد جعل انتهاء رخصه فى الأكل و الشرب و مباشره النساء و كلّ ما ينافى الصوم الفجر الثانى الصادق،فليلزمه الإمساك عزيمه من ذلك الوقت كبدء للصوم.أما ختام الصوم فهو أول الليل،أى الغروب الشرعى (١).فالآيه الشريفه تنفى الوصال و صوم السكوت و نحوهما من الصيام الذى لم يثبت بدليل عندنا.

وَ لا تُبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عاكِفُونَ فِي الْمَساجِدِ قيل إن المراد بالمباشره هنا الجماع،و قيل هو ما دونه من الاستمتاعات.و نحن مع ظاهر الآيه و هو القول الأول إذ لا يستفاد العموم منه.نعم لو قال سبحانه: وَ لا تُبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عاكِفُونَ إلخ..لكان ذلك يؤيّد القول الثانى.أمّا الاعتكاف فهو حبس الإنسان نفسه فى المسجد للعباده مع الشرائط الأخر المذكوره فى الكتب الفقهيه.و أما مساجد الاعتكاف فقد قال عنها بعض الأعلام من مفسّرينا:هى المساجد الأربعه:المسجد الحرام،و مسجد النبى(ص)و مسجد الكوفه و مسجد البصره،و نسب القول إلى علماء الشيعه بقوله:عندنا، مع أنه لم يثبت الانحصار،و قيل:يجوز الاعتكاف فى كل مسجد جامع للبلد و قيل بجوازه فى كل مسجد إطلاقا،و كذا اختلف فى عدد أيامه.و الحقّ أنه ثلاثه أيام بلياليها.ثم اختلف فى كونه مشروطا بالصوم أم لا،و الحقّ أنه مشروط به تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ أى أحكامه التى ذكرت.و لمّا كانت الأحكام فى هذه الآيه الكريمه أكثرها منهيّات،لذا سمّيت حدودا و نهى عن القرب منها لأنه يوشك الوقوع فيها.و حدود اللّه هى حرمات اللّه و مناهيه فَلا تَقْرَبُوها بمخالفتها.

و النهى عن قربها مبالغه فى وجوب عدم التعدى و تجاوزها،فإن لكل ملك حمى

****

(١) و علامه الغروب الشرعىّ الدالّ على مغيب الشمس،هى ذهاب الحمره التى تبدو فى المشرق حين سقوط قرص الشمس و غيابها عن الأفق.و يبدو ذلك جليا فى آفاق الأرض المنبسطه التى لا يوارى المشرق فيها مانع من جبل أو ربوه أو غيرها،حيث تنتشر حمره قاتمه سرعان ما تتبدّد إذا غابت الشمس فعلا،و تزول فتظهر زرقه السماء من جديد.

و حمى اللّه تعالى محارمه فمن وقع حول الحمى يوشك أن يقع فى(كذلك)أى مثل ذلك البيان يُبَيِّنُ اللّهُ آياتِهِ لِلنّاسِ يوضح حججه و براهينه لعباده لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أى لكى يتجنّبوا التجاوز لحدوده و التّعدى على حقوقه.

سوره البقره (٢): الآيات ١٨٨ الى ١٨٩

وَ لاٰ تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَ تُدْلُوا بِها إِلَى اَلْحُكّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوالِ اَلنّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨) يَسْئَلُونَكَ عَنِ اَلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنّاسِ وَ اَلْحَجِّ وَ لَيْسَ اَلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا اَلْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لٰكِنَّ اَلْبِرَّ مَنِ اِتَّقى وَ أْتُوا اَلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَ اِتَّقُوا اَللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩)

١٨٨- وَ لاٰ تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ.. أى لاٰ تتصرّفوا فى مال الغير إلاّ بإذنه و رضاه.و الأكل هنا كنايه عن التصرّف و التقلّب.و المراد بالباطل هو عدم المجوّز الشرعى.و

فى الفقيه و العياشى عن الصادق عليه السلام أنه سئل:الرجل منّا يكون عنده الشىء يتبلّغ به-أى يعيش-و عليه الدّين،أ يطعمه عياله حتى يأتيه اللّه بميسره فيقضى دينه،أو يستقرض على ظهره فى خبث الزمان و شده المكاسبه،أو يقبل الصدقه؟.فقال عليه السلام:يقضى بما عنده دينه،و لا يأكل أموال الناس إلاّ و عنده ما يؤدّى إليهم.إنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:و لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وَ تُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكّامِ عطف على المنهيّ،أى و لاٰ تلقوا أمرها إلى الحكّام لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوالِ النّاسِ بِالْإِثْمِ لأنهم يأكلون حصه كامله من المال إثما و بلا مجوّز شرعىّ باسم التحاكم و الرشوه و شهاده الزور و اليمين الكاذب أو

الصلح مع علم القاضی بأن المقضی له ظالم،و غیرها من العناوین غیر المشروعه وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ تدرون بأنکم مبطلون فی دعواکم،و ارتکاب الإثم مع العلم به أقبح و أسوأ.-أو أن المراد بالحکّام أعمّ من الجائر، و النهی عن الذهاب إلیهم و المحاکمه عندهم هو المراد بالإدلاء،من باب أن الناس یجعلونهم وسیله لمحکومیّه مدّعیهم مع علمهم بأنهم علی الباطل و المدّعی علیهم علی الحق.فلذا نهی عن إلقاء الدعوی إلی القاضی لأکل مال الناس بحکم الحاکم،لأن المدّعی إذا لم یکن عنده شاهد مع أنه علی الحق فقد یحلف المنکر،و الحاکم یحکم بسقوط دعوی المدّعی طبق میزان الدعاوی،فیصیر المنکر حاکما مع أنه باطل فی إنکاره،و حلفه کذب، و الحاکم لیس فی حکمه آثما.هذا و لکنّ فی المقام روایه تدل علی الاحتمال الأول،

قال أبو عبد اللّه علیه السلام: علم اللّه أنه سیکون فی هذه الأمه حکّام یحکمون بخلاف الحق،فنهی تعالی المؤمنین أن یتحاکموا إلیهم و هم یعلمون أنهم لا یحکمون بالحق. فهذا الحدیث یدل علی أن الإقدام علی العصیان مع العلم أو مع التمکن من العلم أعظم حرمه،فیستفاد أن مقدّمه الحرام حرام.

۱۸۹- یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّهِ ...الظاهر بقرینه صیغه الجمع أن السؤال عن أحوال الهلال و الکیفیّات العارضه علیه من الکمال التدریجیّ و النقص،لا عن ماهیته و حقیقته بما هو هو،و إلاّ لکان بمقتضی الفصاحه أن یحکی اللّه تعالی عن سؤالهم بقوله:یسألونک عن الهلال أنه ما هو؟..فإن الاصطلاح جری علی أن السؤال عن الحقیقه یکون بما هو، أی بما الحقیقه.و علی هذا فإن الإتیان بصیغه الجمع جاءت بلحاظ الأحوال العارضه علیه و الإشاره و إلیها.أی عن کل حال من نقصه علی اختلاف منازله و کماله التدریجی بالنسبه لمنازله أیضا،و کیف یکون هلالا ثم کیف یکون لاحقا أو یصیر سابقا.و لو أتی بصیغه المفرد لکان حسنا و یحصل المقصود،إلاّ أنه لا یترتّب علیه ما ترتّب علی الجمع لکونه رمز إلی أشیاء لا تفیدها صیغه الإفراد.

أما نتيجه العوارض التی رمز إليها،فإنه ربما يعرف أيام الهلال بزيادته و نقيصته عند أهل البوادی و الصحاری الذين جرّبوه بتلک الاختلافات و علموا عدد أيامه و لياليه بها.و لو كان علی وتيره واحده لما ترتبت عليه تلک النتيجه و غيرها من المصالح و الحكم التی ذكرت فی نفس الآيه أو لم تذكر.و من المحتمل أن سؤال السائلين كان عن الهلال و حقيقته،و هل هو بسيط أم مركّب،و علی فرض التركيب،من أی أجزاء ركّب،إلاّ أن اللّه تعالی ما أجابهم عن سؤالهم و ترک جوابهم بمقتضی الحكمه.و بترک الجواب نحّاهم عن فكرتهم،لأن السؤال كان مما يكره سبحانه كشفه و إظهاره للخلق،و اختصّ علمه بذاته المقدّسه كثير من العلوم و المعارف، و اكتفی بذكر الآثار و الخواصّ لأن بيان الحقيقه كان خارجا عن وسعهم و فهمهم،إذ كانوا لا يستطيعون تصوّرها و تعقّلها،و اللّه تعالی أعلم.

و يحتمل احتمالا قويّا أن السؤال متوجّه إلی ناحيه عدد الأهلّه من حيث الزمان.أی ما فائده كون الشهور متعدّده أی اثنا عشر شهرا.و قد جاء الهلال هنا بمعنی الشهر فقوله: يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّهِ ،يعنی الشهور الإثنی عشر من المحرّم إلی ذی الحجه مثلا.و هنا جاء الجواب مطابقا للسؤال بلا حاجه إلی توجيه و لا تأويل.فقد سألوه تعالی:ما الحكمه فی التعدّد.و ما وجه التحديد بهذه الحدود الخاصه،فعلّمه تعالی الجواب بقوله:قل يا محمد هِیَ مَواقِيتُ لِلنّاسِ أی معالم و علائم لهم يوقتون بها ديونهم و مطالباتهم و عدد نسائهم،و صيامهم و فطرهم و صلاتهم للعيد،و معالم الحج بحيث يعرف وقته من أوله إلی آخره و جميع مناسكه.و أما وجه اعتباره بهذا الحد فذلک أنه سبحانه علم أن الزياده علی الحد المذكور غير محتاجه إليها،و النقيصه غير كافيه بأمورهم.و

قد روی أن معاذ بن جبل و ثعلبه بن غنم الأنصاری قالا:يا رسول اللّه،ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط،ثم يزيد حتی يمتلئ و يستوی،ثم لا يزال ينقص حتی يعود كما بدأ؟..ألا يكون علی حاله واحده؟..فنزلت الآيه الكريمه بالمواقيت.. فلو ثبت الخبر فهو

حاکم على الاحتمالين الآخرين،و إلّا فإن ما احتملناه لا يخلو من وجه و اللّه أعلم.

وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها

ففى المجمع عن الباقر عليه السلام: كانوا-أى أهل الجاهليه-إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها،و لكنهم كانوا ينقبون فى ظهور بيوتهم-أى مؤخرها-نقبا يدخلون و يخرجون منه،و كان هذا العمل سنّه و برّا عندهم ،فنهوا عن التديّن به فأمرهم تعالى بالتقوى بقوله وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقىٰ لا من اتّبع عادات آبائه وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها و باشروا الأمور على وجهها الذى ينبغى أن تباشر عليه،و من ذلك أخذ أحكام الدين من أهلها،أى من محمد و أوصيائه صلوات اللّه عليهم أجمعين،فهم أبواب اللّه و الوسيله إليه، و الدّعاه إلى الجنّه،و الأدلاّء عليها إلى يوم القيامه.و قد

قال النبىّ(ص):

أنا مدينه العلم و علىّ بابها،و لا تؤتى المدينه إلاّ من بابها.

و وجه اتّصال قوله عزّ و جلّ: لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها بقوله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّهِ ،أنه لمّا بيّن أنّ الأهلّه مواقيت للناس و الحج، و هو يعلم أنهم يقومون بأعمال تقليديه يزعمون أنها برا و سنّه حسنه،نزلت الآيه ردّا لبدعتهم و مخترعهم و بيانا أن البر يكون فى اتّقاء معاصى اللّه تعالى،و تجنّب غضبه،و العمل بطاعته.و لذلك كرر ذكر الاتّقاء فقال وَ اتَّقُوا اللّٰهَ فى جميع أموركم و أحوالكم و فى عدم تغيير أحكامه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ تنجحون فى الوصول الى ثوابه و نيل درجاته الرفيعه التى ضمنها للمتّقين و وعدهم بها،و تظفرون بالهدى و العمل لما يجعلكم صالحين مفلحين.

سوره البقره (٢): الآيات ١٩٠ الى ١٩٥

وَ قٰاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ اَلَّذِينَ يُقٰاتِلُونَكُمْ وَ لاٰ تَعْتَدُوا إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُحِبُّ اَلْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَ اُقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَ اَلْفِتْنَهُ أَشَدُّ مِنَ اَلْقَتْلِ وَ لاٰ تُقٰاتِلُوهُمْ عِنْدَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرٰامِ حَتّٰى يُقٰاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قٰاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذٰلِكَ جَزٰاءُ اَلْكٰافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ اِنْتَهَوْا فَإِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَ قٰاتِلُوهُمْ حَتّٰى لاٰ تَكُونَ فِتْنَهٌ وَ يَكُونَ اَلدِّينُ لِلّٰهِ فَإِنِ اِنْتَهَوْا فَلاٰ عُدْوٰانَ إِلاّٰ عَلَى اَلظّٰالِمِينَ (١٩٣) اَلشَّهْرُ اَلْحَرٰامُ بِالشَّهْرِ اَلْحَرٰامِ وَ اَلْحُرُمٰاتُ قِصٰاصٌ فَمَنِ اِعْتَدىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اِعْتَدىٰ عَلَيْكُمْ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ مَعَ اَلْمُتَّقِينَ (١٩٤) وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ وَ لاٰ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى اَلتَّهْلُكَهِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اَللّٰهَ يُحِبُّ اَلْمُحْسِنِينَ (١٩٥)

۱۹۰- وَ قـاتِلُوا فِی سَبِیـلِ اللّهِ ...قیـل إن هـذه الآیه أول آیه نزلت لبیان أمر الجهاد،فقال تعالی مخاطبا النبیّ(ص)و المؤمنین:قاتلوا الکفـار فی سبیـل ترویـج دین اللّه و تبلیغ أحکـامه.و التعبیر بالسبیل للـدلاله علی أن ذلک هو الطریق البیّنه للعباد الـذی یجب أن یسلکوه لیعملوا بمـا أمرهم به و ینتهوا عمّـا نهاهم عنه.و قیل نزلت فی صـلح الحـدیبیه و بیان ذلک ان مشـرکی قریش و تابعیهم صالحوا النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله علی أن یرجع عن الحج من عامه و یعود فی القابل،و هم یخلون له مکه ثلاثه أیام یطوف فی البیت و یفعل ما یشاء،فرجع الی المدینه.و لما کان العام المقبل تجهّز مع أصحابه لعمره القضاء و ساروا الی أن قاربوا مکه،فخافوا أن لا تفی قریش بوعدها، و أن یمنعوهم من الدخول الی بیت اللّه الحرام،و ینتهی الأمر الی المقاتله

ص: ۲۲۹

و كره رسول اللّه(ص)القتال فى الشهر الحرام و البيت الحرام لئلاـ تهتك حرمه بيت اللّه و احتراما للشهر الحرام،فنزلت الآيه و كانت إجازه و رخصه لهم فى جهاد الكفار إذا اعتدوا على المؤمنين و بادروهم بالحرب.ثم نبّههم جلّ و علا و قال وَ لا تَعْتَدُوا لا تتجاوزوا قتال من هو من أهل القتال إلى التعدّى على النساء و المتقاعدين من الرجال و الأطفال.و قيل معناه:لا تبدأوا بقتال من لم يبدأكم به إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ المتجاوزين حدوده المتعدّين على غيرهم.

۱۹۱- وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ...يعنى اقتلوهم إذا أدركتموهم و ظفرتم بهم.و قيل هذه الآيه ناسخه لقوله سبحانه: وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعْ أَذاهُمْ -كما فى المجمع عنهم عليهم السلام. وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ إشاره الى ما فعلوا بالنبىّ(ص)و المؤمنين فى بدء الإسلام من الأذى و التفسير و التهجير،بحيث خرج النبىّ(ص)من مكه خائفا يتكتّم،كما أخرجوا الكثيرين ممّن آمن به من أهل مكه الذين تركوها بعد مقاساه الظّلم و الاضطهاد و التعذيب.و لذا أمر سبحانه بأن يعامل النبىّ(ص)و المؤمنون الكفّار و المنافقين و كلّ من لا يؤمن باللّه بمثل ما فعلوا بهم.ثم قال سبحانه منّبها وَ الْفِتْنَهُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ فكأنّ قائلا يقول:لم أمر اللّه النبىّ(ص)بإخراج من لم يسلم و لم يأمره بقتله..فقال تعالى دفعا لهذا:إن بلاء الإخراج و التفسير أشدّ من القتل،و لا سيما حين يكون الإنسان فى بلده و من أشرافها و أعيانها،فإنه إذا قتل قد يستريح من همّ الدنيا و فضيحه التهجير و الإبعاد.لكنه إذا أخرج مع عائلته من وطنه،و دار فى البلدان غريبا بلاـ عشيره و بلاـ مأوى و لاـ إعاشه،أو وحيدا بلا أهل و لا عيال،فإن ذلك يكون أصعب عليه من القتل إذ ربما يتمنّى الموت فى كل يوم يمضى عليه فلا يجده وَ لا تُقاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أى لا تبادروهم بالقتال و لا تبدأ وا بحرب الكفره و هتك الحرم حَتّى يُقاتِلُوكُمْ فِيهِ أى حتى يفتتحوا هم القتال و يبدءوا به فَإِنْ قاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ و لا بأس عليكم حينئذ بالقتال بعد أن يهتكوا-هم حرمه البيت

(كذلك)أى مثل هذا العمل جَزاءُ الْكافِرِينَ عقابهم أن يفعل بهم كما فعلوا بكم.

۱۹۲- فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ :أى:فإن تركوا الشّرك و القتال و تابوا،فاللّه تعالى يغفر لهم و يرحمهم.و الرحمه هى العطف الذى يقتضى الغفران و الإحسان منه سبحانه على العباد.

۱۹۳- وَ قاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَهٌ ...أى شرك و فساد كما فى المجمع،فعن الباقر عليه السلام أنه فسّرها بالشّرك.و لعلّ ذلك بلحاظ أنّ بإفنائهم ينتفى الشّرك و الفساد بالملازمه وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ أى الإسلام خالصا عن الشّرك و الجحد له تعالى لانتفاء موضوعهما حينما يقتل المشركون و الجاحدون،نعم فَإِنِ انْتَهَوْا عن الشّرك و الفساد و الإفساد و أذعنوا للإسلام فَلا عُدْوانَ لا عقوبه قتل،و هم فى أمن و أمان بحكم شرع الإسلام إِلاّ عَلَى الظّالِمِينَ المستمرّين على الكفر و النّفاق.و قد سمّى القتل عدوانا لأنه عقوبه على العدوان و هو الظّلم من باب ازدواج الكلام.و المماثله فى قوله تعالى: فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ إلخ...و تقدير ما نحن فيه هو:فإن انتهوا عن العدوان فلا عدوان أى فلا عقوبه عليهم،و إما العقوبه على الكافرين فقط.

۱۹۴- اَلشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ ...أى لمّا كان صدّ المشركين إياكم،و أذاهم لكم،فى الشهر الحرام-ذى القعده فى عام الحديبيه-فإذا ذهبتم فى العام القابل لزياره البيت و صادف رواحكم فى الشّهر المذكور، ثم لم يفوا بعهدهم و قولهم فى السنه الماضيه بأن يخلوا البيت لكم ثلاثه أيام و لياليها،و بنوا على صدّكم و منعكم و مقاتلتكم،فاقتلوهم و لو كان الشهر حراما فيه القتال،لأن هذا الشهر بذاك الشهر السالف.فاللاّم فى قوله:

بالشهر،للعهد الذهنىّ.و الأشهر الحرم أربعه:ثلاثه منها سرد و هى:ذو القعده و ذو الحجه،و محرّم.و واحد فرد،و هو:رجب.و قد كانوا يحرّمون فيها القتال فى الجاهليه حتى لو ان رجلا لقى قاتل أبيه لا يتعرّض

له بسوء احتراما للشهر.و إنما سمى ذو القعده بهذا الاسم لقعودهم فيه عن القتال وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ يعنى أن لكل حرمه و هى ما يجب أن يحافظ عليها-فيها قصاص،أى يجرى فيها الجزاء.فلمّا كانوا قد هتكوا حرمه شهركم فى السنه السالفه،فافعلوا بهم مثلما فعلوا و لا تبالوا فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ فجازوه بمثل فعله.

و هذه جمله مؤكده لما قبلها وَ اتَّقُوا اللّهَ فى أوامره و نواهيه وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ يعينهم و يصونهم من جميع الحوادث و يصلح أمورهم الدنيويّه و الأخرويّه.و هذه الجهات هى المراد بمعيّته سبحانه و تعالى و كونه «مع»المتقين لا زمانيا و لا مكانيّا،و لا بمعنى أنه يجلس معهم و يقعد إليهم فى مكان أو زمان.و الحاصل أن قربه و معيته لا يكونان باجتماع و لا بممازجه؛كما أن بعده لا يكون بافتراق و لا بمباينه.و بذلك نشير الى معيّته تعالى إجمالا و ضدّها آثار بعده و بينونته.

۱۹۵- وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ ...الإنفاق إخراج الشيء عن ملكه إلى ملك غيره.و المراد هنا هو الإنفاق من المال الشخصى فى وجوه البرّ، و منها الجهاد و سائر أبواب الخير وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَهِ و فيها بيان للمنفىّ لا للنّفى.بيان ذلك أنكم إذا بخلتم و لم تصرفوا أموالكم فى تهيئه مقدّمات الحرب مع الكفره،كشراء أجهزه الجهاد من المراكب،و كإعداد الجنود،و كالبذل فى كل ما يعود على ترتيب الجيش فى العدّه و العدد،فإنّ أعداءكم يتسلّطون عليكم و تصبحون مغلوبين مقهورين،و مقتولين أو أسراء،و لا تنجيكم الندامه و لا التأسف من الهلكه و الهزيمه.فقوله جلّ و علا: وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ... فى غايه الربط مع سابقتها:و أنفقوا..

و الباء فى:بأيديكم،للتّعديه الى المفعول الثانى.و تقدير الكلام ظاهرا:

و لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلخ...فحينئذ لا تكون الباء زائده كما صدر عن بعض الأعلام من المفسّرين و اللّه سبحانه أعلم.و

فى المجالس،عن النبى صلّى اللّه عليه و آله،قال: طاعه السلطان واجبه،و من ترك طاعه

السلطان فقد ترک طاعه اللّه و دخل فی نهیه،إن اللّه یقول: وَ لا تُلْقُوا بِأَیْدِیکَمْ إِلَی التَّهْلُکَهِ.

و التهلکه:مصدر من هلک.و قیل:ما جاء فی المصادر علی وزن:

تفعله فهو بضمّ العین إلاّ هذا.و یجوز فی لامه الحرکات الثلاث.و لا یکون إلاّ فی:میته سوء..و الآیه تدلّنا علی تحریم الإقدام علی ما یخاف منه علی النفس،و علی جواز ترک الأمر بالمعروف عند الخوف و الخطر،بل ظاهرها الحرمه،لأنّ فیه الإلقاء إلی التهلکه المنهیّه.و تدل أیضا علی جواز الصّلح مع الکفار و العتاه المرده إذا کان یخاف الإمام علی نفسه أو علی المسلمین و بیضه الإسلام بناء علی ما فعله النبیّ(ص)عام الحدیبیه،و ما فعله أمیر المؤمنین(ع)بوقعه صفین مع طاغیه زمانه لما رأی تشتّت أمر جیشه و خاف علی نفسه و شیعته.

أما الحسین علیه السلام،حیث إنه قاتل وحده،فقد قال شیخ الأعلام و الأعاظم،شیخنا الطوسیّ إنّ أمره یحتمل وجهین:أحدهما أنه علیه السلام ظنّ أنهم لا یقتلونه لمکانه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و الآخر انه غلب علی ظنّه أنه لو ترک قتالهم قتله الملعون ابن زیاد صبرا کما فعل بابن عمّه مسلم.فکان القتل مع عزّ النفس و جهاد الظالمین أهون علیه...لکن مقالتنا فی نهضته-أرواحنا فداه-أن قضیته أمر سماویّ، و عقیدتنا أنه إمام مفترض الطاعه،عالم بما کان و ما یکون و ما هو کائن بمشیئه اللّه سبحانه و تعالی و تعلّمه(ع)منه عزّ و جلّ،فهو أعلم بما فعل، و الکلام حول نهضته خارج عن وظیفتنا هنا،و لا سیما مع شتات الروایات و مختلف الأقوال،فتفویض الأمر و علمه إلیهم-علیهم الصلاه و السلام- أحسن وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ هذه الشریفه یحتمل أن تکون محدّده للإنفاق المأمور به.و بیان ذلک أن الإنفاق یکون علی قسمین:فتاره یبسط الإنسان یده فی الإعطاء بحیث لا یبقی عنده شیء من المال لإعاشته و إعاشه عیالاته،و هذا مذموم شرعا لأن اللّه سبحانه نهی نبیّه صلّی اللّه علیه و آله عنه بقوله: وَ لا تَبْسُطْها کُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ،أی لا

تنفق جميع ما فى يدك،بل أحسن إلى المحتاجين و اقتصد فى الإعطاء، و تاره اخرى يكون بأن تعطى قدرا و تبقى قدرا آخر لنفسك و لعائلتك، و هذا معنى الإحسان فى المقام و يعبّر عنه بالعداله و الاقتصاد،و إنه تعالى يحب المقتصدين.

و فى الكافى و العيّاشى عن الصادق عليه السلام:قال: لو أن رجلا أنفق ما فى يديه فى سبيل من سبل اللّه ما كان أحسن و لا وفّق للخير.

أ ليس يقول اللّه:و أحسنوا إنّ اللّه يحب المحسنين،يعنى المقتصدين..

و عنه عليه السلام: فأحسنوا أعمالكم التى تعملونها لثواب اللّه. و المراد بالإحسان فى هذه الفقره من الروايه،هو كون العمل نقيّا من الدنس على ما بيّنه عليه السلام.و يمكن القول بأن النقىّ من الإنفاق الذى هو الإحسان،هو الاقتصاد و السير على طريق عدل.و أما الإحسان بتمام ما فى يديه فهو دنس بمعنى كونه مذموما لا يرغب فيه الشارع الأقدس.و هذا هو المعنى العام من الدنس،لأنه-لغه-تلطّخ الشىء بأمر مكروه أو بشىء قبيح.و الإحسان الذى لا يرغب فيه الشارع هو أمر ملطّخ بمكروه إن لم نقل إنه ملطّخ بالقبيح عنده تعالى.

سوره البقره (٢): الآيات ١٩٦ الى ٢٠٢

وَ أَتِمُّوا اَلْحَجَّ وَ اَلْعُمْرَهَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اِسْتَيْسَرَ مِنَ اَلْهَدْيِ وَ لا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتّى يَبْلُغَ اَلْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَهٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَهٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَهِ إِلَى اَلْحَجِّ فَمَا اِسْتَيْسَرَ مِنَ اَلْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَهِ أَيّامٍ فِي اَلْحَجِّ وَ سَبْعَهٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَهٌ كامِلَهٌ ذلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِي اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرامِ وَ اِتَّقُوا اَللّهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّهَ شَدِيدُ اَلْعِقابِ (١٩٦) اَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ اَلْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِي اَلْحَجِّ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اَللّهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ اَلزّادِ اَلتَّقْوى وَ اِتَّقُونِ يا أُولِي اَلْأَلْبابِ (١٩٧) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اَللّهَ عِنْدَ اَلْمَشْعَرِ اَلْحَرامِ وَ اُذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ اَلضّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ اَلنّاسُ وَ اِسْتَغْفِرُوا اَللّهَ إِنَّ اَللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩) فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اَللّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ اَلنّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي اَلدُّنْيا وَ ما لَهُ فِي اَلْآخِرَهِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠) وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي اَلدُّنْيا حَسَنَهً وَ فِي اَلْآخِرَهِ حَسَنَهً وَ قِنا عَذابَ اَلنّارِ (٢٠١) أُولئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمّا كَسَبُوا وَ اَللّهُ سَرِيعُ اَلْحِسابِ (٢٠٢)

۱۹۶- وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلّٰهِ ...أی إذا حججتم فتوقوا ما یحرم علیکم فی حجکم و عمرتکم،لأن کل عمل یعمله الإنسان للّه یجب أن یکون تاما کاملا من جمیع جهاته المشروعه و خصوصا حین یکون فرضا کالحج،لأن العمل لا یصلح أن یکون للّه إلاّ بالإتیان به هکذا،و لا یلیق به تعالی إلاّ کون العمل خالصا لوجهه.و الآیه الشریفه دالّه علی وجوب العمره کالحج.و

فی الکافی و العیاشی: سئل الصادق علیه السلام عن هذه الآیه فقال:هما مفروضان. و الروایات الدالّه علی وجوبها کثیره.و

فی الکافی عن الباقر علیه السلام،قال: تمام الحج لقاء الإمام. و

عن الصادق علیه السلام: إذا حجّ أحدکم فلیختم حجّه بزیارتنا لأن ذلک من تمام الحج. و یستفاد من بعض الأخبار أنّ فی عصر الغیبه تنوب عن زیارتهم زیاره قبورهم علیهم السلام.

و لمّا بیّن سبحانه فریضه الجهاد،و أمر بقتل الکفار و مشرکی مکه حتی لو وجدوا فی الحرم و فی الشهر الحرام،لتطهیر البیت و الحرم منهم،و لقطع مناشئ الفساد،عندها أمر بفریضه الحج و العمره و قطع دابر الکفره لطهاره البیت الحرام و جعله بلا مزاحم و لا مانع.ثم قال تعالی فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ أی منعتم و حبستم عن الذهاب الی الحج و أنتم محرمون بحجّ أو بعمره فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ یعنی قدّموا ما تیسّر من الهدی للذبح و النّحر.و

الهدی ثلاثه أنواع:إمّا جزور أو بقر،أو شاه.و أیسرها الشاه علی ما هو المرویّ عن علیّ علیه السلام . هذا إذا أردتم الإحلال من الإحرام وَ لا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتّٰى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ أی لا تتحلّلوا ما دام الهدی لم یصل الی محلّه لذبحه أو نحره.و محلّه علی مذهبنا فی المحصر بالمرض الحرم،أی منی یوم النّحر،و هذا للحاجّ.و أمّا المعتمر فیذبح فی مکه.و فی الممنوع بالعدوّ هو الموضع الذی یصدّ فیه،فإن النبی صلّی اللّه علیه و آله لما منع فی عام الحدیبیه من الحج،نحر فی محلّ الإحصار و أمر أصحابه ففعلوا مثل ذلک.. فَمَنْ كٰانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً مرضا محوجا للحلق أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ کقمل أو جراحه أو حلّ أو غیرها فَفِدْيَةٌ أی

فليحلق و تجب عليه حينئذ فديّه مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ و الصيام فى هذه الحاله ثلاثه أيام،و الصدقه على سته مساكين،و

روى أنها على عشره، نصف صاع لكلّ مسكين أَوْ نُسُكٍ جاء بمعنى الدّم الذى يهراق،و بمعنى الذبيحه جمع نسيكه و هى الذبيحه و الذبيحه هنا شاه أو جزر أو بقره،و الناسک مخير فيها و إن كان الجزور أفضل،و بعده البقره فَإِذا أَمِنْتُمْ من الصّيد الحصر فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَهِ أى استمتع بعد التحلّل من عمرته باستباحه ما كان حراما عليه إلى أن يحرم بالحج،أو انتفع بالتقرّب بها الى اللّه قبل انتفاعه بالتقرّب بالحج فى أشهره فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ أى فعليه ما تيسّر له من الهدى فإنه من فرضه أن يذبح بمنى يوم النحر.و

فى الكافى،عن الصادق عليه السلام شاه فَمَنْ لَمْ يَجِدْ الهدى و لا ثمنه فَصِيامُ ثَلاثَهِ أَيّامٍ فِي الْحَجِّ أى يوم السابع من ذى الحجه و الثامن و التاسع،فإن فاته فيها شىء فبعد أيام التشريق من ذى الحجه وَ سَبْعَهٍ إِذا رَجَعْتُمْ فإذا عدتم الى أوطانكم و بلدانكم فصوموا هناك هذا العدد،و هذا هو الصحيح عندنا.و قيل إذا رجعتم من منى فصوموا فى الطريق.فإن بدا له الإقامه بمكه فلينظر مقدم أهل بلاده فإذا ظنّ أنهم وصلوا فليشرع بصوم السّبعه فيها.هكذا ورد الخبر فى الكافى عنهم عليهم السلام تِلْكَ عَشَرَهٌ كامِلَهٌ أى لا تنقص عن الأضحيه الكامله إذا وقعت بدلا عنها فى استكمال الثواب.و فى التهذيب

عن الصادق عليه السلام أنه سأله سفيان الثّورى:أىّ شىء يعنى بكامله؟..قال:سبعه و ثلاثه.

قال عليه السلام: و يختلّ ذا على ذى حجى أن سبعه و ثلاثه عشر؟.قال فأى شىء أصلحك اللّه..قال:انظر.

قال:لا علم لى،فأىّ شىء أصلحك اللّه؟.قال الكامله كما لها كمال الأضحيه، سواء أتيت بها أو لم تأت بها.. و لا مجال لتوهّم ان الواو بمعنى أو كما فى قوله تعالى: فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ .نذكر ذلک لدفع اللّبس،و نلفت النظر إلى أن إثبات المعنى الأول بقوله عليه السلام لا ينفى غيره،لأن إثبات الشىء لا يلازم نفى غيره إذا لم يكن بينهما مضادّه و مانعه فى الجمع كالذى نحن فيه ذلِکَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أى أن ما ذكر من التمتّع بالعمره الى الحج للنائى.و هو من يكون بينه و بين مكه أكثر من اثنى عشر ميلا من تمام الجهات.و من كان دون ذلک فلا متعه له و لا عمره عليه،بل فرضه القران أو الإفراد وَ اتَّقُوا اللّهَ بالمحافظه على حدوده من أوامره و نواهيه سيّما الحج وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ لمن خالفه تعالى فى حدوده و لم يراعه فيها.

قال:لا علم لی،فأیّ شیء أصلحک اللّه؟.قال الکامله کما لها کمال الأضحیه، سواء أتیت بها أو لم تأت بها.. و لا مجال لتوهّم ان الواو بمعنی أو کما فی قوله تعالی: فَانْکِحُوا ما طابَ لَکُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنی وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ .نذکر ذلک لدفع اللّبس،و نلفت النظر إلی أن إثبات المعنی الأول بقوله علیه السلام لا ینفی غیره،لأن إثبات الشیء لا یلازم نفی غیره إذا لم یکن بینهما مضادّه و مانعه فی الجمع کالذی نحن فیه ذلِکَ لِمَنْ لَمْ یَکُنْ أَهْلُهُ حاضِرِی الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أی أن ما ذکر من التمتّع بالعمره الی الحج للنائی.و هو من یکون بینه و بین مکه أکثر من اثنی عشر میلا من تمام الجهات.و من کان دون ذلک فلا متعه له و لا عمره علیه،بل فرضه القران أو الإفراد وَ اتَّقُوا اللّهَ بالمحافظه علی حدوده من أوامره و نواهیه سیّما الحج وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِیدُ الْعِقابِ لمن خالفه تعالی فی حدوده و لم یراعه فیها.

-۱۹۷

اَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ ...أی أن وقته فی شهور معروفه لدی الشارع الأقدس،و هو شوّال،و ذو القعده،و ذو الحجه، کما عن الباقر و الصادق علیهما السلام. و من أحرم للحج فی غیر هذه الشهور فلا حجّ له فَمَنْ فَرَضَ فِیهِنَّ الْحَجَّ و المراد بفرض الحج علی ما

فی الکافی و العیاشی عن الصادق علیه السلام،هو أنه قال: الفرض التّلبیه و الإشعار و التقلید،فأیّ ذلک فعل فقد فرض الحج. و المعنی أن من أوجب علی نفسه الحج بأن البّ أو أتی بأحد أخویه المذکورین آنفا فی الأشهر المذکوره فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِی الْحَجِّ

فی الکافی و العیاشی عن الصادق علیه السلام: الرفث:الجماع،و الفسوق:الکذب و السّباب، و الجدال:قول الرجل لا و اللّه،و بلی و اللّه. هذا و لعلّ نظر الإمام علیه السلام فی هذا التفسیر هو بیان أحد مصادیق کیفیه الجدال،و الاّ فإن الجدال هو التخاصم و التنازع،و هو أعمّ من هذا،و اللّه أعلم.و المراد بنفی الثلاثه هو النّهی و الاّ یلزم کذبها إذ بالوجدان هذه الثلاثه موجوده فی الأشهر الثلاثه فی الموسم:أی فی وقت الحج بین الحجیج.و أمّا اختصاص الحج بالنّهی عنها مع کون بعضها حرّا لا مطلقا،فإنه فی الحج أقبح و أسمج کما أن لبس المغصوب قبیح مطلقا و هو فی الصّلاه أقبح.و لو فعلها الحاجّ فعلیه فی الرّفث فساد الحج،و فی الفسوق بقره،و فی الجدال شاه و کل ذلک فی حال العمد وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ یَعْلَمْهُ اللّهُ فلا یضیعه بل یثیب علیه.و الآیه الشریفه حاثّه علی البر فی الأمور العادیّه و الاتفاقیه وَ تَزَوَّدُوا أی حصّلوا الزاد لآخرتکم بتقوی اللّه و الأعمال الصالحه

الأخرى فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى هذه الجمله علّه لكون التزوّد للآخره يكون بتقوى اللّه.و قيل إن أهل اليمن لا يحملون معهم الزاد، و يقولون:نحن المتوكّلون،و يكونون كلاّ و ثقلا على الناس فنزلت فيهم وَ اتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ يا أصحاب العقول تجنّبوا غضبى.و قد اختصّ ذوى العقول بتقواه لأن اقتضاء العقل هو الخشيه و تجنّب المعاصى.

۱۹۸- لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ... أى ليس عليكم بأس و لا أىّ مانع من أن تطلبوا رزقا من اللّه فى زمن حجّكم.و

فى العياشى عن الصادق عليه السلام: فضلا من ربكم:يعنى الرزق، إذا أحلّ الرجل من إحرامه و قضى نسكه فليشتر و ليبع فى الموسم فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ أى اندفعتم من جبل عرفات بعد الموقف و سرتم نحو المشعر بكثره و تفرّقتم فَاذْكُرُوا اللّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ يعنى إذا خرجتم من عرفات إلى المزدلفه و هى المشعر الحرام.و سمّى مكان المزدلفه بالمشعر لأن جبرائيل(ع)قال لإبراهيم سلام اللّه عليه و هو بعرفات:ازدلف إلى المشعر الحرام،أى تقدّم منه و تقرّب إليه،فسمّى مزدلفه،و سمّى المشعر جمعا،لأنه يجمع به بين صلاتى المغرب و العشاء الآخره بأذان واحد و إقامتين.كما أن منى سمّى منى لأن إبراهيم عليه السلام تمنّى هناك أن يجعل اللّه مكان ابنه كبشا يأمره بذبحه فديه له.و لعلّ المراد بتمنّيه هو لسان الحال لا المقال،لأنه ليس فى أخبارنا شىء ظاهر يدلّ على أنه تمنّى ذلك من ربه و سأله بمقالته.و الحاصل من الآيه الكريمه:فإذا نزلتم من عرفات (۱)فاذكروا اللّه عند وصولكم للمزدلفه و الذكر هو الثناء و الشكر على نعمه الهدايه و النجاه من الضلاله و هذا الذكر واجب للأمر به،و ظاهر الأمر هو الوجوب.و الذكر فيه يلازم الكون فيه،و لذا يقول علماؤنا الأكابر:إن الوقوف فيه واجب...فمجمل القول صار:انفروا للمشعر

****

(۱) عرفات اسم مفرد لمكان معيّن،و هو فى لفظ الجمع فلا يجمع معرفه لأن الأماكن لا تزول فصارت كالشىء الواحد.

الحرام و كونوا فيه بعد عرفات و احمدوا اللّه وَ اذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ أى على هدايته إياكم.و لا يخفى أن الكاف فى كما ليست للتشبيه،بل المراد به تعليل الطّلب به أى بمدخوله،أى اذكروه لهدايته إياكم وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضّالِّينَ كلمه:إن،مخفّفه من:إنّ الثقيله.أى و إنه كنتم قبل الهدى على طريقه غير مستقيمه،على دين الجهله،لا تعرفون كيف تذكرونه و لا كيف تعبدونه.و بعد أن شملتكم نعمه الهدايه إلى دين الإسلام عرفتم طرق العباده و كيفيه الذّكر حقّ المعرفه.

١٩٩- ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النّاسُ ...و الخطاب لقريش.

أى يا معشر قريش أفيضوا من الجهه التى أفاض الناس.و حيث:ظرف مكان مبنىّ على الضمّ،و ترد للزمان أيضا.و الإفاضه:هى الاندفاع بشدّه.

و كانت قريش و حلفاؤها من الحمس (١)يقفون بجمع أى المزدلفه و لا يقفون مع سائر الناس بعرفات ترفعا عليهم،فأمروا بمساواتهم و مشاركتهم فى الخروج الى عرفات أولا،و منها الى المشعر الحرام،و منه الى منى.و قد كانوا يخرجون الى المشعر كما أسلفنا و يقفون فيه كراهه أن يجتمعوا مع العرب استعلاء عليهم،و منه كانوا يخرجون الى منى فيتركون بذلك موقف عرفات أو يأتون به بعد مناسكهم فى منى على خلاف الترتيب،فأمرهم اللّه تعالى بمتابعه سائر النّاس كما تقدّم.

و أما لفظه:ثمّ،فلتفاوت ما بين الوقوفين إذ الوقوف بجمع حرام و فى عرفات واجب،فالترتيب فى الرّتبه فى غير وقته.و

فى المجمع عن الباقر عليه السلام: كانت قريش و حلفاؤهم لا يقفون مع الناس بعرفات،و لا يفيضون منها.و يقولون:نحن أهل حرم اللّه تعالى فلا نخرج من الحرم، فيقفون فى المشعر و يفيضون منه الى منى،فأمرهم اللّه بأن يقفوا بعرفات أو لا

****

(١) الحمس:جمع:أحمس،و هو الرجل الشجاع،و لعلّ المراد بالحمس:الرجال الأقوياء،أو هو اسم طائفه من الناس.و جمع اسم غير منصرف لأن فيه التعريف و التأنيث و تنوينه للمقابله.و منع الصّرف إنما يذهب بالتنوين لا مطلقا.

لأنها من الحرم،و أن يفيضوا منهما الى جمع. و

عن الصادق عليه السلام:

يعنى«بالناس»:إبراهيم و إسماعيل و إسحاق،و من بعدهم ممّن أفاض من عرفات. وَ اسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ اطلبوا المغفره منه تعالى يا معشر قريش لما كان يصدر منكم فى عصر الجاهليه من التغيير و التبديل فى مناسككم،أو من ذنوبكم طرّا إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر ذنوب التائبين و يرحمهم، حيث انه يحب التائب من الذّنب.

۲۰۰- فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ ...إذا أدّيتم فرضكم و فرغتم من أعمال الحج.و المناسك مفردها:منسك؛و هو موضع النّسك،أى موضع العباده،أو نفس العباده،و لذا يقال:مناسك الحج:عباداته المقرّره فى الشرع للحجاج. فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أى فأكثروا ذكر اللّه كما كنتم تفعلون فى ذكر آبائكم و تعداد مناقبهم و مفاخرهم فى جاهليتهم أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً أى بالغوا فى ذكره و شكره سبحانه و زيدوا فى ذكر آلائه و شكر نعمائه.و قد كانوا قديما إذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد الجبل المعروف هناك،يعدّدون فضائل آبائهم،و يذكرون مفاخرهم،و يعدّون أيامهم،فنّبههم إلى ذكره عزّ و علا و قال: فَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا مذكّرا لنا بأن المخلوقّ البشرىّ بين مقلّ لا يطلب من اللّه تعالى مده حياته إلاّ الدنيا،و بين مكثر يطلب بذكر اللّه خير الدارين.فاللّه تعالى يحب أن نكون من المكثرين لأن المقلّين ليس لهم فى الآخره من نصيب،أمّا المقلّ فقد يعطيه اللّه الدنيا وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَهِ مِنْ خَلاقٍ بخلاف المكثر الذى يحوز حظّ الدنيا و الآخره كما قال سبحانه فى الآيه التاليه:و منهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنه الآيه...و الخلاق،كسحاب هو النّصيب الوافر من الخير.

۲۰۱- وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ...و هو قول الطائفه الثانيه التى ذكرناها فى الآيه السابقه،منهم يسألونه تعالى الحسنتين و يقولون رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَهً وَ فِي الْآخِرَهِ حَسَنَهً وَ قِنا عَذابَ النّارِ فهؤلاء لا يقصرون مطلوبهم على حظوظ الدنيا الفانيه،و لا يحرموا أنفسهم من طلب النّعيم الباقى.

و اللّه تعالی یقول:إنّی أنا اللّه الرّحمن الرّحیم،أحبّ أن یطلب عبادی رحمتی.و لعلّ المراد بالحسنه الدّینویّه الصّحه و الأمن وسعه الرزق و حسن الخلق.أما الحسنه الأخرویّه فهی رضوان اللّه تعالی.و

عن مولانا علیّ علیه السلام کما فی المجمع: هی فی الدنیا الزوجه الصالحه،و فی العقبی الآخره الحوراء. و عذاب النار امرأه السّوء.

۲۰۲- أُولئِکَ لَهُمْ نَصِیبٌ ...إشاره إلی الداعین بطلب الحسنتین.

و یجوز أن تکون الإشاره للطرفین،فلکلّ نصیب مِمّا کَسَبُوا أی من سنخ ما طلبوه قولا أو عملا.و إنّما سمّی الدّعاء هنا کسبا لأنه من الأعمال و الأعمال موصوفه بالکسب

وَ اللّهُ سَرِیعُ الْحِسابِ قادر علی محاسبه الناس فی قدر لمحه عین کما ورد فی الخبر . بل قیل:یوشک أن تقوم القیامه و حساب المحشر مفروغ منه،إذ یعطی کل واحد کتابه فیری أعماله فیه بلا زیاده و لا نقصان،فیقال للناس:إنما هی أعمالکم تردّ إلیکم فلا یقدر أحد أن ینطق بشطر کلمه لأن الملائکه کانوا ینسخون ما یعمل کلّ واحد و یسجّلونه فی کتابه.و یعضد هذا الاحتمال معنی آخر لسرعه الحساب و هو أنه تعالی یحاسب العبد فی الدنیا،فی کل آن و لحظه، فیجزیه علی عمله فی کل حرکه و سکون،و یکافئ طاعاته بالتوفیقات، و یجازی معاصیه بالخذلانات،فالخیر یجرّ الخیر،و الشّر یجلب الشرّ و یدعو إلیه.و من حاسب نفسه عرف هذا المعنی،و لهذا

قال أمیر المؤمنین علیه السلام: حاسبوا أنفسکم قبل أن تحاسبوا.

سوره البقره (۲): الآیات ۲۰۳ الی ۲۰۷

وَ اُذْکُرُوا اَللّهَ فِی أَیّامٍ مَعْدُوداتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِی یَوْمَیْنِ فَلا إِثْمَ عَلَیْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَیْهِ لِمَنِ اِتَّقی وَ اِتَّقُوا اَللّهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّکُمْ إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ (۲۰۳) وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ یُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی اَلْحَیاهِ اَلدُّنْیا وَ یُشْهِدُ اَللّهَ عَلی ما فِی قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ اَلْخِصامِ (۲۰۴) وَ إِذا تَوَلّی سَعی فِی اَلْأَرْضِ لِیُفْسِدَ فِیها وَ یُهْلِکَ اَلْحَرْثَ وَ اَلنَّسْلَ وَ اَللّهُ لا یُحِبُّ اَلْفَسادَ (۲۰۵) وَ إِذا قِیلَ لَهُ اِتَّقِ اَللّهَ أَخَذَتْهُ اَلْعِزَّهُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ اَلْمِهادُ (۲۰۶) وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ اِبْتِغاءَ مَرْضاتِ اَللّهِ وَ اَللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ (۲۰۷)

۲۰۳- وَ اذْكُرُوا اللّهَ فِى أَيّامٍ مَعْدُوداتٍ ...يعنى أيّام التّشريق.

و المراد بالذّكر هو التكبيرات و التّهليلات و غيرهما من الأدعيه و الاذكار التى ذكرت كيفيّتها كتب الفقه.و هذا الذكر عقب خمس عشره صلاه فى منى و عشر فى غيرها.أولها مطلقا يوم النّحر.و المشهور عندنا هو الاستحباب و بعض منّا قال بالوجوب فَمَنْ تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ أى أسرع فى الخروج من منى بعد يوم النّحر،فى ثانى أيّام التّشريق بعد فراغه من رمى الجمار فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ،وَ مَنْ تَأَخَّرَ و بقى حتى رمى فى اليوم الثالث من أيّام التّشريق فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ و لو قيل:كيف قال اللّه تعالى: فَمَنْ تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ،وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ،مع أن المتعجّل تارك لبعض الأعمال و هو رمى اليوم الثالث.فإذا لم يكن آثما فبالأولى أن يكون من أتى بالرّمى كاملا لا إثم عليه فلا يحتاج إلى ذكره؟.

و الجواب أن أهل الجاهليّه كانوا بين فريقين:فمنهم من جعل المتعجّل آثما لتركه الرّمى يوم الثالث،و منهم من عدّ المتأخّر آثما لأنه ترك الرّخصه بعقيدتهم،مع أن اللّه سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يجب أن تؤتى عزائمه.لذا أخبر اللّه تعالى بعدم الإثم فى كلا الأمرين.فالنتيجه هى التّخيير بينهما كما هو الظاهر من الآيه الشريفه،أو معناه أن انتفاء الإثم

عنهما موقوف على التقوى لا على مجرّد الرّخصه أو العزيمه فى الرّمى...

فهل المراد هو اتّقاء المعاصى فى الحج،أو بعد الحج فى بقيّه العمر،أو كلاهما،أو مطلق المعاصى كما يعطيه النظر فى ظاهر الآيه لِمَنِ اتَّقى ؟.

ففى الفقيه عن الباقر عليه السلام: لمن اتّقى اللّه. و هذا التفسير يؤيّد ما استفدناه من ظاهرها،و هو أن التخيير فى التعجيل و التأخّر لمن اتّقى اللّه و تجنّب معاصيه و هو الحاجّ على الحقيقه.. وَ اتَّقُوا اللّهَ أمر ثان بتجنّبه فى مجامع الأمور،جاء بعد قوله سبحانه:لمن اتّقى،لبيان زياده الاهتمام بأمر التقوى بمقابل تسهيلاته و أفضاله و كرمه على العباد وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ اعرفوا و تيقّنوا انكم تجمعون إلى ربكم يوم القيامه للحساب و الثّواب و العقاب.

۲۰۴- وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ ...نزلت فى المرائى،أو فى أخنس بن شريف الذى كان حسن المنطق،و يدّعى الإسلام و محبّه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله،و كان كاذبا منافقا.و قيل هى فى المنافقين مطلقا.و

فى العياشى عن الصادق عليه السلام هى فى اثنتين معروفين. و لا منافاه بين شمول الآيه لعامّه المنافقين و بين نزولها خاصّه لكون من نزلت فيه رأس النفاق.

فإن الملاک موجود فى الكلّ.فقد قال سبحانه عن المرائى أنه يعجب قَوْلُهُ فِي الْحَياهِ الدُّنْيا و تبهر السامع حلاوه منطقه و فصاحه لسانه،مظهرا اعتناقه للدّين الحنيف،و متظاهرا بتقديسه فى حضرتک يا محمد،و متصنّعا الورع و التقوى وَ يُشْهِدُ اللّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ يستشهد به و يحلف به أنه صادق فى دعاواه،و أن لسانه و قلبه واحد،فيعجبک منطقه و قد تتصوّره صادقا فيما يقوله و تستبعد أن يكون مدلّسا فى مقالته وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ و أعدى الأعداء.و هذا إخبار من اللّه تعالى عمّا فى قلبه من أنه شديد الخصومه للدين.هذا بناء على أن الخصام:جمع خصم،أما إذا اعتبرت اللفظه مصدرا فيكون المعنى:شديد المخاصمه و الجدال.و الأول أصح و اللّه أعلم.

۲۰۵- وَ إِذا تَوَلّى سَعى فِي الْأَرْضِ ...أى إذا انصرف من

عنـدک و بعد عنک،أو صار واليا و ملک الأمر فعل بظلمه و سوء سـيرته ما يفعله ولاه السوء و الجور و سار فی الأرض بسـيرتهم لِيُفْسِـدَ فِيهـا يبغی و يظلم وَ يُهْلِـکَ الْحَرْثَ وَ النَّسْـلَ بحيث يقتل و يخرب حتی يمنع اللّه بسوء أعماله قطر السـماء و تمنع الأرض برکاتها فيحدث القحط و الغلاء و هذا نوع آخر من إهلاک الحرث و النّسل.و

فی المجمع و القمّی عن الصادق عليه السلام: الحرث فی هذا الموضع:الدّين،و النسل:

الناس. وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ فهو منزّه عن أن يرضـی بأعمال المفسـدين بين عباده،بل هو يأمر بقمع مناشـئ الفساد و مصادره بناء علی ما فی الروايات،و معنی قوله: لا يُحِبُّ الْفَسادَ :أنه يبغضه و يمقته مقتا شديدا.

٢٠۶- وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ ...أی إذا قيل له:تجنّب غضب اللّه و سـخطه ودع صـنيعتک التی يتولّد و ينشأ منها الفساد أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ اسـتولت عليه أنفته و کبرياؤه و عصبيّته الجاهليّه،و حملته علی ارتکاب اللّجاج فی مضاعفه فساده،مما يزيد فی إثمه و يزيد فی عـذابه يوم القيـامه و لـذا قـال سـبحانه: فَحَسْـبُهُ جَهَنَّمُ أی کفته عقوبه و أغنته عن کـل عـذاب و جزاء علی سوء عمله وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ و جهنم بئس الفراش المهّـد له، المبسوط لإقامته فيها.و المهاد بالحقيقه هو فراش الطفل الـذی ينام فيه و يستريح و يترفّه.و قد ذکره اللّه تعالی هنا تهکما و استهزاء بالمفسد.

٢٠٧- وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِی نَفْسَهُ ...أی يبعها طلبـا لمراضـی اللّه تعـالی.نزلت فی علیّ عليه السـلام حين نـام علی فراش النبیّ الأکرم صلّی اللّه عليه و آله و سلّم،يوم هرب من المشرکين الذين تآمروا علی قتله، و صار الی الغار الذی حجبه اللّه فيه عن أعين الکفره،و بـات علیّ مکـانه و فـداه بنفسه فی تلک الليله المهوله،و تلقّی فيها الحصب و ضـربات الحجاره غير مبال بـذلک ما دام فيهـا نجـاه محمـد صـلّی اللّه عليه و آله. اِبْتِغـاءَ مَرْضاتِ اللّهِ أی طلبا لتحصـيل رضاه و حفظا لنبيّه.و لـذا قام جبرائيل عنـد رأسه و ميکائيل عنـد رجليه يحرسانه،و نادی جبرائيل:بخ بخ.من مثلک يا علیّ بن أبی طالب،يباهی اللّه الملائکه بک وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ رحيم

بهم.و هذا الجمله مترتّبه على صدر الآيه،فإن العبد إذا كان بتلك الصفه فاللّه تعالى كان و لا يزال رؤفا به.و قد أتى بالجمله الاسميّه لكونها تقضى الثبوت و الدوام.و الرأفه هى المرتبه الشديده من الرحمه،و لذا آثر الرأفه فى هذه الآيه الكريمه.

سوره البقره (۲): الآيات ۲۰۸ الى ۲۱۰

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اُدْخُلُوا فِي اَلسِّلْمِ كَافَّةً وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ اَلشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (۲۰۸) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْكُمُ اَلْبَيِّناتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اَللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲۰۹) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اَللّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ اَلْغَمامِ وَ اَلْمَلائِكَةُ وَ قُضِيَ اَلْأَمْرُ وَ إِلَى اَللّهِ تُرْجَعُ اَلْأُمُورُ (۲۱۰)

۲۰۸- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ ...أى فى المسالمه لدين الإسلام.و

فى العياشى عن الصادق عليه السلام: الدخول فى السلم:ولايه علىّ عليه السلام و الأوصياء من بعده،و خطوات الشيطان ولايه أعدائه و هناك روايه عيّنت بعضهم. و فى بعض التفاسير:

السلم:الاستسلام و هو الصّلح،أى اجتنبوا البغضاء و الشحناء،و ادخلوا فى ذلك كَافَّةً بأجمعكم وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ و لا تسلكوا طريقه إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ظاهر العداوه و الخصومه.

۲۰۹- فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْكُمُ الْبَيِّناتُ.. أى إذا انزلقتم و انحرفتم عن الحق و طريق الصواب؛أى السّلم الذى أمر به اللّه بعد أن ظهرت

لکم البیّنات:الدلائل الواضحه و البراهین علی أن الدخول فی السّلم صلاح لکم،و خلافه مفسده فَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ غالب لا یعجزه الانتقام منکم،و حکیم لا یبطش إلا بالحق و لا ینتقم إلاّ بالعدل.

۲۱۰- هَلْ یَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ یَأْتِیَهُمُ اللّهُ ...الاستفهام معناه النّفی بمقتضی الاستثناء،أی لا ینتظرون و لا یترقّبون إلاّ أن ینزل اللّه علیهم العذاب فِی ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ و هی السحاب الأبیض المتراکم کالمظلّه، و الغیوم التی یظنّون بها الرحمه فإذا صبّ منها العذاب علیهم کان أصعب و أشقّ علی نفوسهم،کما أن النّعمه غیر المتوقّعه تکون ألذّ و أشهی، و بعکسها النقمه غیر المنتظره فإنها تکون أتعب و أشد.فهل ینتظرون أن یأتیهم أمر ربک وَ الْمَلائِکَهُ ؟.و اللفظه إن قرئت بالرّفع فهی معطوفه علی لفظه الجلاله أی تأتی الملائکه.و إن قرئت بالجرّ فهی معطوفه علی ظلل،أی فی ظلل من الغمام و الملائکه.فإن لفظه:فی،تجیء مرادفه للباء الجارّه علی ما فی بعض کتب اللغه المعتمده.و

فی العیون و التوحید عن الرضا علیه السلام: إلاّ أن یأتیهم اللّه بالملائکه فی ظلل من الغمام ،و

قد قال علیه السلام: هکذا نزلت وَ قُضِیَ الْأَمْرُ أی جری قلم القضاء فی لوح المقدّرات حینئذ بتدمیرهم و إهلاکهم،بحیث لا یغیّر ذلک و لا یبدّل، و لذا عبّر بالماضی لیدل علی هذا المعنی وَ إِلَی اللّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ أی أن کل الأمور مصیرها إلیه.فإن قیل:کیف قال:و إلی اللّه..و هذا یدل علی أنها کانت لغیره،کقولهم:رجع الی فلان عبده أو منصبه؟.فیقال:

هو خطاب لمن کان یعبد غیر اللّه،و ینسب أفعاله إلی غیره تعالی.

فأخبرهم أنه إذا کشف لهم الغطاء یوم القیامه یعرفون ان الأمور بأجمعها ترد إلیه سبحانه و لا تملک نفس لنفس شیئا و الأمر یومئذ للّه،و له الملک و السلطان.هذا و یمکن أن یجاب بأن معنی رجع:أتی،بمعنی صار و وصل.و

فی العیاشی عن الباقر علیه السلام أنه قال فی تأویل هذه الآیه قولا- یبیّن أنها تعنی المهدی علیه السلام فی آخر الزمان إذ قال:ینزل فی سبع قباب من نور،و لا یعلم فی أی منها هو،حین ینزل فی ظهر

الکوفه. و

فی روایه اخری عنه علیه السلام قال: کأنّی بقائم أهل بیتی علا نجفکم،نشر رایه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله،فإذا نشرها انحطّت علیه ملائکه بدر. و قال فی تتمه التأویل:و أمّا:قضی الأمر،فهو الوسم علی الخرطوم یوم یوسم الکافر لتمییزه عن المؤمن،فقد قضی الأمر بکفره و جری قلم التقدیر علیه لعناده.

سوره البقره (۲): الآیات ۲۱۱ الی ۲۱۵

سَلْ بَنِی إِسْرائِیلَ کَمْ آتَیْناهُمْ مِنْ آیَهٍ بَیِّنَهٍ وَ مَنْ یُبَدِّلْ نِعْمَهَ اَللّهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اَللّهَ شَدِیدُ اَلْعِقابِ (۲۱۱) زُیِّنَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا اَلْحَیاهُ اَلدُّنْیا وَ یَسْخَرُونَ مِنَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ اَلَّذِینَ اِتَّقَوْا فَوْقَهُمْ یَوْمَ اَلْقِیامَهِ وَ اَللّهُ یَرْزُقُ مَنْ یَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ (۲۱۲) کانَ اَلنّاسُ أُمَّهً واحِدَهً فَبَعَثَ اَللّهُ اَلنَّبِیِّینَ مُبَشِّرِینَ وَ مُنْذِرِینَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ اَلْکِتابَ بِالْحَقِّ لِیَحْکُمَ بَیْنَ اَلنّاسِ فِیمَا اِخْتَلَفُوا فِیهِ وَ مَا اِخْتَلَفَ فِیهِ إِلاَّ اَلَّذِینَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ اَلْبَیِّناتُ بَغْیاً بَیْنَهُمْ فَهَدَی اَللّهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا لِمَا اِخْتَلَفُوا فِیهِ مِنَ اَلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اَللّهُ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۲۱۳) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا اَلْجَنَّهَ وَ لَمّا یَأْتِکُمْ مَثَلُ اَلَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِکُمْ مَسَّتْهُمُ اَلْبَأْساءُ وَ اَلضَّرّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتّی یَقُولَ اَلرَّسُولُ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ مَتی نَصْرُ اَللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اَللّهِ قَرِیبٌ (۲۱۴) یَسْئَلُونَکَ ما ذا یُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَیْرٍ فَلِلْوالِدَیْنِ وَ اَلْأَقْرَبِینَ وَ اَلْیَتامی وَ اَلْمَساکِینِ وَ اِبْنِ اَلسَّبِیلِ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اَللّهَ بِهِ عَلِیمٌ (۲۱۵)

۲۱۱- سَلْ بَنِی إِسْرائِیلَ کَمْ آتَیْناهُمْ ...هذا الأمر لیس موجها للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله.بل هو عامّ لکلّ أحد.و السؤال تقریع لهم، و فی مقام إفحام الخصم،فإنه مع الحجه و البرهان.و لفظه:کم،تکون تاره للاستفهام عن العدد کقولهم:کم درهما معک؟..و تاره تکون خبریّه تشیر الی کثره العدد لا إلیه نفسه و هی الاستکثاریه نحو:کم عبد ملکت،و کم عبید حرّرت،أی کثیرا.و هنا تصلح لکلا المعنیین، فیمکن أن تکون استفهامیّه عن عدد الآیات،کما یمکن أن تکون استکثاریه خبریه.و إذا کانت استفهامیه فهی تقریریّه،و الإفحام یحصل علی کل حال.و محلّها النّصب بناء علی المفعولیه.فاسألهم کم آتیناهم مِنْ آیَهٍ بَیِّنَهٍ أی من البراهین و الحجج الظاهره التی أبدیناها علی أیدی رسلنا و أنزلناها فی الکتب السماویّه کالتوراه و الإنجیل دالّه علی صدق محمد صلّی اللّه علیه و آله.فما أثّر شیء منها فیهم و لا استفادوا من تعالیمها، و إن کان بعضهم قد آمن و لکنّ أکثرهم قد جحد و بدّل و أخذ عوضا عمّا بدّله و حرفه من نعت محمد و من صرف الآیات عن وجهها،أو تغییر مواضعها،أو إسقاط بعض آیاتها من التوراه وَ مَنْ یُبَدِّلْ نِعْمَهَ اللّهِ أی آیاته التی هی أجلّ نعمه تعالی لأنها أسباب الهدی و الفوز بالجنّه و النّجاه من النار.فمن غیّرها مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ أی بعد إنزالها علیه و معرفتها، و جحدها و إنکارها حفظا لرئاسته فَإِنَّ اللّهَ شَدِیدُ الْعِقابِ و خصوصا بعد تمام الحجه علیهم،فاللّه یوردهم أشد العذاب لکون جریمتهم أعظم جریمه.

۲۱۲- زُیِّنَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا الْحَیاهُ الدُّنْیا ...أی جملت و حسنت الحیاه

الدّنيا بنظر الكفّار و أشربوا حبّها فى أعماقهم.و الظاهر أن المزيّن هو الشيطان.و يمكن أن يضاف التزيين إليه تعالى بخلق المشتهيات فيها، و إيجاد الشهوات فيهم،فإنّ الدار دار تكليف و اختبار،و هما لا يتمّان إلا بخلق ذلك.لكن من اتّبع شهوته و آثر زينه الحياه الدنيا على عمل الآخره يكون ذلك باختياره،و لا جبر للمكلّف فى اختيار الطاعه أو المعصيه،و لا منافاه بين أن يكون هو سبحانه خالقهما و المكلّف بأحسنهما،و بين أن يكون هو المعاقب للمقصّر و المخالف.فالكفّار يفتنهم الشيطان و يستهويهم بزينه الحياه وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا و تصدر سخريتهم الشنيعه عنهم بنتيجه حبّهم للدّنيا و زينتها،و لو كانوا عقلاء لما استهزءوا بمؤمن يحبّه اللّه و رسوله و سائر المؤمنين.و وجه استهزائهم بالمؤمنين إمّا لفقرهم،و إمّا لزهدهم فى الدنيا،أو لعدم مجانستهم معهم،لأن المؤمن يعيش فى نور الإيمان و هم فى ظلمه الكفر و الباطل يعمهون وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ لأنهم فى علّيين و فى دار الكرامه من الجنّه،و الكفّار فى سجّين و فى دار الهوان و الندامه.و سيسخر المؤمنون منهم فى الآخره كما سخروا هم فى دار الدّنيا،و كما تدين تدان.و قد عبّر اللّه سبحانه عن المؤمنين بالمتّقين إشاره إلى أنهم هم الوحيدون الذين تجنبوا معاصيه و اتّبعوا مراضيه لذلك يسكنهم دار النعيم الدائم وَ اللّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ يعطى الكثير الذى لا يحصره حساب.فإن قيل:اى وجه و مناسبه لهذا الذّيل بعد صدر الآيه المتقدّم؟.قلنا:يمكن أن يقال فى وجه مناسبته أن تزيين الحياه الدنيا و جاءوها فى أعين أهلها الراغبين فيها،كاشف نوعا عن السّعه و الاستغناء عمّا فى أيدى غيرهم لأنهم يتقنون شؤون دنياهم و يستزيدون رزقها و متعتها،كما يشاهد بالعيان و يحس بالوجدان أن أبناء الدّنيا متنوّعون فى السّعه و الرفاهيه،و أهل الآخره يبتلون بالضّيق و التّقتير،فهؤلاء كأنهم معدمون محرومون غير مستأنسين،و أولئك يعيشون فى ثراء و نعيم مستسلمين إلى زينه الحياه الدنيا بشغف الطفل إلى ثدى أمّه..و فى أذهان عامّه الناس،و لا سيما التّالين للقرآن،أنه لماذا وسّع سبحانه على الكفره

و المنافقين و قتّر على المؤمنين المتّقين مع أنّ بيده التوسيع و التقتير!.و لكن لا يسهو عن بال العاقل أنّ الكفّار مبتلون بالدنيا و رزقها و زينتها و نعيمها، و أنّ السّعه كانت سببا لتعلّقهم بها،و أنّ التقتير و إن كان منه تعالى،ليس وقفا على المؤمن الذى مهما بلغت به السّعه لا تفتنه زينه الحياه.فدفعا لهذه الشّبهه المقدّره قال سبحانه: وَ اللّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ .أى أنّ أمر الرزق بيده تعالى،يقتّر على بعض و يوسّع على آخرين استدراجا تاره،و ابتلاء أخرى،و كلاهما ناشئان عن الحكمه و المصلحه اللّتين لا يعلم بهما المخلوق.فلا حقّ لمن لا يعلم،أن يتكلّم على من يعلم بجميع الأمور من الذرّه الى الدرّه.

و الحاصل أنّه ليس المثرى مجبورا على إقباله على زينه الحياه و مغرياتها لسعته،و لا غيره ملزما بأن يدبر عنها أو يقبل على الآخره لقلّه ذات يده، بل كلاهما يفعلان ما يفعلان بالاختيار.و قوله سبحانه:بغير حساب، يعنى بشكل لا يعرف حسابه المخلوق البشرىّ و لا غيره،و لا يعرفه غير الخالق الرازق الذى كلّ شىء عنده بمقدار فى الدّنيا و الآخره،و لا يغرب عن علمه شىء و لو كان مثقال ذرّه.

۲۱۳- كانَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً ...أى أن أولاد آدم كانوا أهل دين واحد و ملّه واحده بعد آدم عليه السلام،و هو دين اللّه الذى بعث به آدم و اتّبعه صالحو ذرّيته.فلمّا توفّاه اللّه أوصى إلى ابنه شيث عليه السلام ليقوم مقامه.و لكنه لم يقدر أن يعمل بوصاياه كامله،لأن هابيل كان حسودا فهدّده بالقتل و توعّده بأن يفعل به ما فعل بقابيل حين قتله و ارتكب أول جريمه على وجه الأرض.لذا سار شيث بالمؤمنين بالتّقيه و كتمان أمر نبوّته بعد أبيه عن بعض من هم على شاكله أخيه،ثم لما مضت عليه برهه من الزمان على هذه الكيفيه لا يستطيع الأمر بالمعروف و لا النّهى عن المنكر،و لا يسمع له قول،لحق بجزيره فى البحر و أقام يعبد اللّه فيها إلى أن مات...و بمرور الزمن صار دين اللّه نسيا منسيا و صار الناس فى ضلال و حيره،فلا هم مؤمنون،و لا هم كافرون و لا مشركون،و لكنهم

كانوا يعيشون فطرتهم الأولى التى ولدوا عليها،ممّا جعلهم قابلين لأىّ دين و أيّه ملّه تعرض عليهم،فبدا للّه تعالى أن أرسل الرّسل و أنزل الكتب لإرشاد البشر و هدايتهم الى الدين الحق،و لتخليصهم من تيه الحيره و الضلال.و كان ذلك قبل نوح عليه السلام كما يستفاد من روايه العياشى عن الصادق عليه السلام و من غيرها فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ مبشّرين بالجنّه لمن أطاعهم فى أمر اللّه،و منذرين بالنّار لمن عصاهم وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ و ظاهر الآيه المباركه أنه أنزل مع كلّ نبىّ كتابا،و لكنّ الأعلام من المفسّرين قالوا:إن الكتاب اسم جنس،و المعنى أنه أنزل مع بعضهم و لم ينزل مع كلّ نبىّ كتاب.و قد قيل إن عدد الأنبياء مائه و أربعه و عشرون ألفا،و أنّ الرّسل منهم ثلاثمئه و ثلاثه عشر،و المسمّون منهم فى القرآن ثمانيه و عشرون فقط...و قوله سبحانه:بالحق،حال من الكتاب،أى متلبّسا بالحق لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ أى اللّه تعالى يحكم،أو الكتاب من باب التوسعه فى المجاز كقوله:هذا كتابنا ينطق بالحق.فيحكم فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ .فإن قلت:إن المستفاد من قوله تعالى: وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ إلخ...

يدل على انّ الاختلاف كان موجودا بين الناس قبل بعث الرّسل و إنزال الكتب،و ذلك بحكم مضارعيّه«ليحكم»و ماضويّه«اختلفوا»و إذا عرف ذلك تعرف المناقضه ظاهرا مع قوله تعالى: وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ ،إذ صريحه أن الاختلاف إنما كان بعد بعث الرّسل و إنزال الكتب؟.قلنا:إن الجواب عن المناقضه المستفاده تمكن بأمور:

أمّا أولا،فكثيرا ما يكون مفاد الماضى الذى بعد المضارع مضارعا، و مع ذلك يستعمل بصوره الماضى لنكته نشير إليها فيما يأتى.و هذا دائر و رائج فى العرف و العاده فتقول:اذهب،أو تقول:تذهب.و أنا جئت و قد تزيد كلمه الآن.فليس كون كلّ جمله ملبّسه بلباس الماضويّه دليلا على كونها ماضيه حقيقه.

ص: ۲۵۲

و ثانيا،إذا كان مفاد المضارع محقّق الوقوع،يقع فى صوره الماضى.

فيستفاد وقوعه حتما كأنه وقع و خلص.و فى القرآن استعمل الماضى بدل المضارع كثيرا،و أوضح مثل هو قوله تعالى: وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ ،مع أن النّفخ يكون يوم البعث.و هذا التعبير تأكيد لوقوع مفاد الجمله،حيث إن المضارع يحتمل الوقوع و عدمه.

و ثالثا،صراحه الجمله الأخيره قرينه كاشفه عن أن المراد هو من الجمله الأولى لا من الأخيره.فالأخيره بصراحتها تصرف الأولى عن ظاهرها لو قبلنا ظهورها فى القبليّه،فإنّ آيات القرآن الكريم قرينه بعضها على بعض،و تفسير بعضها لبعض لصراحته أو أظهريّته..

وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ أى أعطوا العلم به إذ جعلوا المزيل للاختلاف سببا له،أى لحصوله،كاليهود فإنهم كتموا صفات محمد صلّى اللّه عليه و آله بعد ما أعطوا العلم به مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ أى الأدلّه و الحجج الواضحه،و قيل التوراه و الإنجيل بَغْياً بَيْنَهُمْ يعنى:

ظلما و حسدا و طلبا للرئاسه فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بيان لما قبله،هداهم لذلك بِإِذْنِهِ أى برخصته و لفظه و أمره وَ اللّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ أى يرشد إلى سبيل الهدى و النّجاه فى الدّنيا و الآخره من يشاء،أى من له القابليه لذلك.

۲۱۴- أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّهَ... و لمّا ذكر اختلاف الأمم على أنبيائهم تسليه للنبىّ عليه الصلاه و السلام،و تشجيعا للمؤمنين على الصّبر على عنت مخالفيهم،التفت إليهم بالخطاب و قال:لا تظنّوا دخول الجنه سهلا،و نحن نعرض عليكم ذكر من سلف..و أم منقطعه و همزتها للإنكار،و معناها هنا:بل حسبتم،أى:لا تحسبوا و لا تتوقّعوا ذلك..

و قيل:«أم حسبتم»استبعاد للحسبان،و إنكار عليهم.و الحاصل أنه بل حسبتم دخولكم الجنّه وَ لَمّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ أى:هل تتوقّعون دخولها أو تترقّبونه قبل أن تمتحنوا و تبتلوا بمثل ما امتحنوا و ابتلوا

به،و لم يصبكم مثل الذى أصاب من خلوا مضوا من النبيّين و المؤمنين و أممهم الّذين كانوا قبلكم؟.فلا بدّ لكم من الصبر على الشدائد..و قد ذكر سبحانه ما أصاب من قبلهم فقال: مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرّاءُ و البأساء ضدّ النّعماء،و الضرّاء ضد السّراء.و قيل:الأول هو القتل،و الثانى هو الفقر.و فى المقام أقوال أخر لا تنافى بينها على الظاهر، و كلّ إلى ذلك الجمال تشير،أى إلى المعنيين الأوّلين.. وَ زُلْزِلُوا أى اضطربوا و أقلقوا من شدّه ما أصيبوا به من أنواع البلايا و أشكال المصائب التى يشق على البشر الاصطبار عليها.و

فى الكافى عن الصادق عليه السلام أنه كان يقرأ:و زلزلوا ثم زلزلوا،أى أصابتهم الزلازل متعاقبه بحيث سلبت عنهم الراحه فى اليوم و الليله.. حَتّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ عند تطويل مده المصائب و الحوادث و عدم تناهى الشدّه،و ذهاب الطاقه على الاصطبار،يقولون: مَتى نَصْرُ اللّهِ معناه:طلب النّصر و تمنّيه أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ لفظه:ألا،للاستفتاح،و تدل على تحقّق ما بعدها كما فى قوله: أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ .و الجمله فيما نحن فيه على إراده القول،أى قيل لهم ذلك إجابه لطلبهم:عاجل النّصر ممّن النّصر بيده.و يستفاد من الآيه أن الوصول إلى مقام القرب و الفوز بالدرجات الساميه،لا يتيسّر إلاّ برفض المشتهيات و مخالفه النفس و مقاساه الآلام فى سبيل الطاعه،و الصّبر لشدائد الدهر،و ممارسه الرياضات الشاقّه.و

قد قال عليه السلام: حفّت الجنّه بالمكاره. و

فى الخرائج عن السّجاد عليه السلام قال: فما تمدّون أعينكم؟.ألستم آمنين؟.لقد كان من قبلكم ممّن هو على ما أنتم عليه يؤخذ فتقطع يده و رجله و يصلب،ثم تلا هذه الآيه الكريمه...

٢١٥- يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ ...أى أىّ شىء ينفق فى سبيله تعالى؟..و كان عمرو بن جموح شيخا ذا مال،و صاحب ثروه،قال للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:بم أتصدّق،و على من أتصدّق؟.

فنزلت الآيه. قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ أى ما تصدقتم به و بذلتموه من

مال،فهذا بيان السّبل التى ينفق بها: فَلِلْوالِدَيْنِ،وَ الْأَقْرَبِينَ، وَ الْيَتامى،وَ الْمَساكِينِ،وَ ابْنِ السَّبِيلِ فهؤلاء ينفق عليهم كجواب عمّا سأله عمرو..و اختصاص هؤلاء لبيان أكمل مصارف النفقه و أتمّها.

و يمكن أن يحمل على الإنفاق أو المندوب فقط أو كليهما.بيان ذلك أنّ نفقه ذوى الأرحام لا تجب عندنا.و أما نفقه الوالدين إذا كانا فقيرين إليها فواجبه،و كذلك الأولاد،و تفصيل ذلك خارج عن موضوعنا..و لا يخفى ان الآيه بقرينه بيان مصارف الزكاه الواجبه،ظاهره فى الصدقه الواجبه.و أمّا الوالدان فلا مانع من أن يأخذا الزكاه من الولد إذا لم يكن مثريا أو إذا كان عاصيا وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ ما تعملوا من عمل صالح يقرّبكم الى اللّه،هو شرط،جوابه: فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ يعرفه و يجازيكم عليه و يحاسبكم به لأنه سبحانه محيط علما بظواهركم و ضمائركم.

سوره البقره (٢): الآيات ٢١٦ الى ٢١٨

كُتِبَ عَلَيْكُمُ اَلْقِتالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اَللّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٢١٦) يَسْئَلُونَكَ عَنِ اَلشَّهْرِ اَلْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اَللّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرامِ وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اَللّهِ وَ اَلْفِتْنَهُ أَكْبَرُ مِنَ اَلْقَتْلِ وَ لا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اِسْتَطاعُوا وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي اَلدُّنْيا وَ اَلْآخِرَهِ وَ أُولئِكَ أَصْحابُ اَلنّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٢١٧) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ اَلَّذِينَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اَللّهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اَللّهِ وَ اَللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)

ص: ٢٥٥

۲۱۶- كُتِبَ عَلَيْكَمُ الْقِتالُ ...وجه اتّصال هذه الآيه بما قبلها هو أن الآيه الأولى فيها دعوه الى الصّبر على المكاره و الأمور الشاقه على النفس و الرياضات المكمله لها لجعلها حرّيه بنيل الدرجات الرفيعه،و هو أن فيها أيضا بيان لإنفاق المال فى مواقعه التى فيها رضى اللّه و رسوله،و هذا أيضا صعب على الطّباع البشريه.و لذلك عقّب الأمرين بفرض الجهاد البدنىّ الذى هو جهاد للنفس أيضا كالالتزام بالبر و الطاعات،فالاتصال فى غايه التناسب و الوجاهه،لأن كلّ ذلك من واد واحد يرمى الى تكميل النفس بإطاعه امر المولى.و كتب عليكم القتال أى فرض عليكم الجهاد فى سبيل اللّه امتثالا لأمره و لو كان هذا الأمر ثقيلا و شاقا وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ أى أنه إلزام لكم بما هو مكروه من نفوسكم تنفر منه طباعكم،و لكنكم لا تعلمون المصالح و المفاسد الواقعيه فى الأوامر و النواهى جميعها على وجه الدقه و الحقيقه.و الكره يجوز أن يكون بمعنى الكراهه على وضع المصدر موضع الوصف تأكيدا،و يجوز أن يكون بمعنى المكروه كالخبز بمعنى المخبوز و الشّرب بمعنى المشروب. وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ أى لعلكم تكرهون شيئا فى الحال و هو خير لكم فى المآل،كالقتال الذى تكرهونه لما فيه من الخطورات فى حال أنه خير لكم لأن فيه إحدى الحسنيين:فإمّا الظفر و الغنيمه،و إمّا الشهاده و الجنّه وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ كالقعود عن الجهاد حبا للحياه و فيه الشرّ لكم إذ فيه الذلّ و الفقر فى الدنيا،و فيه حرمان الأجر و الثواب فى العقبى وَ اللّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ يعرف ما فيه صلاحكم و منافعكم،و أنتم لا تعرفون ذلك.كما أنه يعلم ما فيه ضرّكم و خسرانكم فى الدنيا و الآخره،و أنتم

تجهلون ذلک.و یستفاد من هذه الآیه الکریمه أن البشر لا بدّ لهم من أن یکونوا مطیعین لأوامر اللّه و نواهیه و لو خفی علیهم وجه الحکمه و الصواب،لأن من لا یمیّز الخیر من الشر فی الواقع و النتیجه،فلیس له أن یؤثر هذا علی هذا،و لا أن یختار ذاک دون ذاک،لأنه ربما أحب شیئا و کان المکروه خیرا له،و ربما کره شیئا و کان المحبوب شرّا خالصا کما أخبرنا الصادق المصدّق.

۲۱۷- یَسْئَلُونَکَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ ...عرفت الأشهر الحرم سابقا، و عرفت أن القتال فیها حرام فی الإسلام کما کان حراما قبل الإسلام.و قد بعث النبیّ(ص)سریّه بقیاده ابن عمته عبد الرحمن بن جحش فی جمادی الآخره لیترصّدوا عیر قریش و فیهم عمرو بن عبد اللّه الحضرمی و ثلاثه معه،فقتلوه و أسروا اثنین و ساقوا العیر و فیها تجاره الطائف.و اتّفق أن کان القتال فی غرّه رجب و هم یظنونه من آخر جمادی.فاعترضت قریش بأن محمدا(ص)قد استحلّ القتال فی الشهر الحرام،فنزلت الآیه الکریمه تسلیه له صلّی اللّه علیه و آله،و تبریرا لعمله المبارک.و حاصل الموضوع أنهم یسألونک یا محمد عن القتال فی الشهر الحرام،أی رجب:(قتال فیه؟.)هل فیه قتال؟.و اللفظه بدل اشتمال من الشهر الحرام قُلْ قِتالٌ فِیهِ کَبِیرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِیلِ اللّهِ فأجبهم أن القتال فی الشهر الحرام ذنب عظیم و منع عن اتّباع صراط اللّه المستقیم و عن طریق هدایه البشر و ما فیه صلاحهم فی الدنیا و الآخره.و الواو فی لفظه:و صدّ،استئنافیه و هی ظاهرا لیست بعاطفه.أما عباره وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فهی فی سیاق الکلام الذی یقتضی کونها عطفا علی سبیل اللّه،أی منع عن سبیل اللّه و عن المسجد الحرام.کما أن سوق ظاهر اللفظ قد یناسب فی عطف«صد»و«کفر»علی«قتال کبیر»کما لا یخفی..و الصدّ عن المسجد الحرام هو مثل عمل قریش و المشرکین حین منعوا النبیّ(ص)و المؤمنین معه عن زیاره بیت اللّه الحرام و عن دخول مکه.و قد استعظم اللّه تعالی صدّهم له و قال: وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَکْبَرُ عِنْدَ اللّهِ أی أن تهجیر النبیّ و المؤمنین من مکه أعظم وزرا

عنـد اللّه من القتـل و القتال،و خصوصا حين يقع القتل على من هو مثل ابن الحضـرمىّ الـذى لم يكن نفسا محترمه لأنه لم يؤمن بـالنبىّ(ص)و اصرّ على الكفر و العنـاد وَ الْفِتْنَهُ أَشَـدُّ مِنَ الْقَتْـلِ أى أن إيقـاع الاختلاف بين الناس،و إضـلالهم عن طريق الحق و منعهم عن الدخول فى الإسلام أكبر عند اللّه من قتل الحضرمىّ الذى اشتبهوا أنه حصل فى الشهر الحرام.فإن أفعال المشركين،بل كـلّ فعـل منهـا،هو أفظع و أشنع من بمراتب كثيره من قتـل واحـد من المشـركين الـذين يحـاربونكم بشتّى الوسائـل وَ لا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ..و بهذا أخبر اللّه سبحانه نبيّه(ص) بدوام عداوه كفار مكه التى تستمرّ و ترمى الى إرجاعكم عن دينكم و صرفكم عن الإسلام لتعودوا الى الجاهليه و الكفر إِنِ اسْتَطاعُوا ..

و يستشم من هذا التعليق بأنهم لا يوفّقون إلى ذلك،أى أن الأمر لا يحصل وفق مرادهم.و هذا من قبيل:أن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السـموات..فالتعليق كان على أمر محال عاده و هم لا يقـدرون عليه وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كافِرٌ أى أن من انصرف عن دين الحق و صـراطه السوىّ و أعرض عنه و مات على الرّده فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ أى فسـدت و هـذا صـريح فى ثبوت الإحبــاط و الخســران بــالرّده حيـن يمـوت المرتـدّ عليهــا إذ الموافـاه بالإيمـان شـرط فى اسـتحقاق الثواب كمـا عليه الأصـحاب.فالمرتدّون تحبط أعمالهم فِى الـدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ لأن كثيرا من الفوائـد الدنيويّه تترتّب على الإسـلام عدّتها كتب الفقه و فصّـلتها فهى تحبط بالرّده،مضافا الى خسـران الأجر الجزيل و الثواب الجميل الذى يخسـرهما فى الآخره وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ و وجه الخلود بالنّار قـد تكلّمنا عنه سابقا بالنسبه لسائر الكفّار،و المرتدّ إذا مات على الرّده يكون كافرا و يلحق بهم فى الخلود بالعذاب.

و بعـد ذكر حـال الكفّـار و حال من يرتـدّ عن الـدين و يموت بلا توبه، أخـذ سـبحانه فى شـرح حال المؤمنين،و اختص بعضـهم بالذّكر لعلوّ شأنهم

و رفعه درجاتهم و ذكر الخاصّ بعد العامّ كثير فى القرآن الكريم كما قلنا فى ما سبق قال سبحانه و تعالى:

۲۱۸- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ...نزلت فى قصه عبد اللّه بن جحش و أصحابه التى مرّت قريبا،فقد قال قوم:إنهم و إن سلموا من إثم القتل و الأسر،ليس لهم أجر و لا ثواب بما صدر عنهم.فقال تعالى:ليس الأمر كما تظنّون،بل الذين آمنوا،و صدّقوا اللّه و رسوله بعد ما عرفوهما حقّ معرفتهما وَ الَّذِينَ هاجَرُوا و تركوا أوطانهم و عشائرهم و أقاربهم،بل خلّفوا عوائلهم و أهاليهم و بيوتهم و من كان يلوذ بهم،و تركوا أموالهم و تركاتهم و كلّ ما كان عندهم وَ جاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللّهِ و قاتلوا فى إحياء دين اللّه الذين هم عليه،و هو سبيله تعالى المشروعه لعباده و يستفاد من الجمع بينها أن استحقاق الثواب يترتّب عليها جميعها لا على واحد منها منفردا إن المؤمنين،و المهاجرين،و المجاهدين أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ أى يأملونها.و التعبير بالرجاء للتنبيه على أن العبد لا بدّ و أن يكون فى جميع أحواله و أعماله بين الخوف و الرجاء،لا يغترّ بأعماله العباديّه و لا ييأس من رحمه اللّه و لا صدرت منه كبيره لغلبه نفسه الأمّاره بالسوء نستعيذ باللّه من شرها..و لعلّه سبحانه أراد إيجاب الرجاء و الطمع على المؤمنين لأن رجاء رحمه اللّه من أركان الدين،كما أن اليأس من رحمته كفر.و قد قال تعالى: إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ .و الأمن من عذابه أيضا خسران.فقد قال سبحانه: فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ .

فمن الواجب على المؤمن أن يرجو رحمه ربّه،و أن لا يأمن عقوبته،و أن يدعو ربّه خوفا،و طمعا.فاليأس من أكبر الكبائر لأنه ينتج عن سوء ظنّ به جلّ و علا..و قوله تعالى:يرجون،و إن كان فى الظاهر جمله خبريّه، إلاّ أنّها فى مقام الأمر.و قد أتى بها لأنها آكد فى المراد على ما بيّن فى محلّه، و لذا قلنا:أراد اللّه سبحانه إيجاب الرجاء و الأمل وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ و يحتمل أن تكون هذه الجمله فى مقام ردّ سوء ظنّ بعض الكفره الذين قالوا فى ابن جحش و أصحابه:ليس لهم أجر و لا ثواب،فقال سبحانه:

إن اللّه تعـالی غفور لمـا فعلوه خطأ،رحیم بـإجزال الثواب علیهم و إکثار الفضل و الکرامه،یعاملهم کما یعامل المجاهـدین،رغما للقرشیین و الکفره منهم و من غیرهـم.و یمکن أن تکون الآیه عامّه و تشملهم بعمومها.

سوره البقره (۲): الآیات ۲۱۹ الی ۲۲۱

یَسْـئَلُونَکَ عَنِ اَلْخَمْرِ وَ اَلْمَیْسِـرِ قُـلْ فِیهِمـا إِثْمٌ کَبِیرٌ وَ مَنـافِعُ لِلنّـاسِ وَ إِثْمُهُما أَکْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما وَ یَسْـئَلُونَکَ ما ذا یُنْفِقُونَ قُلِ اَلْعَفْوَ کَـذلِکَ یُـبَیِّنُ اَللّهُ لَکُمُ اَلْآیـاتِ لَعَلَّکُمْ تَتَفَکَّرُونَ (۲۱۹) فِی اَلـدُّنْیا وَ اَلْآخِرَهِ وَ یَسْـئَلُونَکَ عَنِ اَلْیَتـامی قُـلْ إِصْـلاحٌ لَهُمْ خَیْرٌ وَ إِنْ تُخـالِطُوهُمْ فَـإِخْوانُکُمْ وَ اَللّهُ یَعْلَمُ اَلْمُفْسِـدَ مِنَ اَلْمُصْـلِحِ وَ لَوْ شاءَ اَللّهُ لَأَعْنَتَکُمْ إِنَّ اَللّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۲۲۰) وَ لا تَنْکِحُوا اَلْمُشْرِکاتِ حَتّی یُؤْمِنَّ وَ لَـأَمَهٌ مُؤْمِنَهٌ خَیْرٌ مِنْ مُشْـرِکَهٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْکُمْ وَ لا تُنْکِحُوا اَلْمُشْـرِکِینَ حَتّی یُؤْمِنُوا وَ لَعَبْـدٌ مُؤْمِنٌ خَیْرٌ مِنْ مُشْـرِکٍ وَ لَوْ أَعْجَبَکُمْ أُولئِکَ یَدْعُونَ إِلَی اَلنّارِ وَ اَللّهُ یَدْعُوا إِلَی اَلْجَنَّهِ وَ اَلْمَغْفِرَهِ بِإِذْنِهِ وَ یُبَیِّنُ آیاتِهِ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ (۲۲۱)

۲۱۹- یَسْـئَلُونَکَ عَنِ اَلْخَمْرِ ...أی عن شـربه و سائر أشکال تعاطیه وَ اَلْمَیْسِرِ أی لعب القمار و بقیه أنواع اللعب و معاملاتها،و عن أحکامهما

لأنهما كانا محلّ ابتلاء الناس،و هم لا يسألونک عن حقيقتهما فهى لم تکن محلّ الحاجه أو أنها معلومه عندهم،فالسؤال عن الحقيقه لغو محض فى هذا المورد.فالمسأله إذا عن تعاطيهما،و عن بيعهما و شرائهما و التعامل بهما بکيفيات اخرى کالهبه التى تدخل فى الحکم.

و الخمر مصدر من خمره خمرا:إذا ستره و غطّاه،و سمى به کلّ شراب مسکر مغطّ للعقل و التمييز للمبالغه و الميسر أيضا مصدر من يسر و ييسر،و اشتقاقه من اليسر و قيل من اليسار.و سمى به کل قمار و لعب يؤخذ به مال الرجل بلا وجه مشروع،فکأنه أخذ المال بيسر و من غير تعب و کد،أو أنه سلب يساره.هذا بناء على قول القيل.و هذه التسميه بالمصدر أيضا للمبالغه.

أما تعاطى الخمر و الميسر مطلقا،فهو حرام بالأدلّه الأربعه:

أمّا الکتاب أولا فبنصّ الآيه الشريفه التى نبحثها: قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ و الذنب إذا کان موبقا يعبّر عنه بالإثم الکبير کقوله: كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ. و الذنوب الکبيره موبقات و حرام بلا ريب..و بنصّ الآيه الکريمه: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ.. الى قوله: رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ .و هى أشدّ و أغلظ فى التحريم من الآيه الأولى.

و الآيات الدالّه على التحريم کثيره تصريحا و تلميحا.

و أمّا السنّه ثانيا

فلقوله صلّى اللّه عليه و آله: إياکم و هاتين اللّعبتين المشومتين،فإنهما من ميسر العجم. فالتحذير«إياکم»و الذمّ«المشومتين» و الاختصاص بالأعاجم،کل ذلک يدل على أنهما ليستا مشروعتين فى الإسلام.يضاف الى أنه صلّى اللّه عليه و آله بالنسبه للخمر قد لعن فيها عشره:بدءا بزارعها و جانيها و عاصرها،و انتهاء ببائعها و شاريها و ساقيها و شاربها،کما فى الوسائل و بقيه کتب الحديث.و هذه و غيرها من الروايات الکثيره الکثيره تدل على حرمه الکثير و القليل،فى الروايات التى وصلت الى حدّ التواتر.بل لعل التحريم صار من ضروريّات الدّين..

و أما العقل-ثالثا-فإن كل عقل سليم يحكم بأن كل ما يغطى العقل و الشعور و يذهبهما و يسلب الإنسان منهما و يدخله فى عداد البهائم و لو موقّتا فهو حرام عليه،لأنه من أشرف مخلوقات اللّه عزّ و علا.هذا بالنسبه الى السّكر و الخمر.أما القمار و كافه أنواع الميسر فإنها تجرّ كثيرا الى خسائر و أرباح غير مشروعه،و تؤدى الى خصومات،و تجرّ الى منازعات و قتال و ارتكاب جرائم.و كلّ ما حكم به العقل السليم حكم به الشرع.

أما الدليل الرابع و هو الإجماع فقد أجمعت الأمه الإسلاميه بكافه فرقها على تحريمهما،كما أن الأديان السماويه السابقه فعلت ذلك و لم يرد فيها تحليل لكثير و لا لقليل،حتى أن ما يشاع و يذاع عن ان النصارى يقولون:قليل من الخمر يفرّح قلب الإنسان،هو لغو و باطل و لم ينطق به إنجيل من الأناجيل الأربعه..و الإجماع على الجهه لا شبهه فى منقوله إن لم نقل فى محصّله أيضا من صدر الإسلام إلى الآن.

فيا محمد قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ أى وزر عظيم لأنهما مفتاح الشرّ، و منشأ المفاسد..ففيهما إثم وَ مَنافِعُ لِلنّاسِ دنيويّه:ككسب المال و تحصيل الطّرب و الالتذاذ و التقويه و غيرها مما يتصوّر أنها منافع وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما لأنهما من الكبائر التى توجب النّار.بيان ذلك

قول الصادق عليه السلام: الخمر رأس كلّ إثم،و مفتاح كلّ شر. و

قوله أيضا:إن اللّه جعل للشر أقفالا،و جعل مفاتيحها الشراب. فلا يأمن من يشرب أن يثب على أمّه أو أخته إلخ..و

قوله(ع): ما عصى اللّه بشىء أشدّ من الشراب. فهذه المضارّ و المفاسد الدنيويّه يعقبها عذاب أخروى دائم.و منافعها الدنيويه المتوهّمه زائله،و عظم الإثم و كونها من الكبائر المؤديه الى سخط اللّه و عذابه الدائم واضح.فأين الزائل من الدائم،و أين اللذه الفانيه العابره من اللذه الأبديه السرمديه؟.و

قد روى أن تحريم الخمر قد نزل فى أربع آيات،كانت كلّ لاحقه منها أشدّ و أغلظ من سابقتها. و الآيه التى نحن بصدد شرحها هى الأولى منها..

وَ يَسْـئَلُونَکَ ما ذا يُنْفِقُونَ ..أی يسألـک أهـل الإنفـاق عن موارد الإنفـاق،من نفقه الجهـاد،الی الصـدقات،فنفقه العائله.و قيل إن السائل کان ابن الجموح قُلِ الْعَفْوَ أی ما يفضل عن النفقه عفوا و بلا عسر علی صاحبه فی إعطائه.أو أن المراد ما هو خيار ماله و أطيبه بناء علی أن السؤال عما ينفق.و أمّا إذا کان السؤال عن قدر ما ينفق فالجواب هو الوسط بين الإقتار و الإسـراف،أو ما سـهل إنفاقه و لم يکن فيه کلفه علی المنفق کَذلِکَ أی مثل ما بيّن أمر الخمر و الميسـر و النّفقه يُبَيِّنُ اللّهُ لَکُمُ الْآياتِ يعنی يوضح لکم الحجج فی سائر الأحکام و شـرائع الإسلام لَعَلَّکُمْ تَتَفَکَّرُونَ لکی تتدبروا و تتأملوا فی أمورکم،و تدرکوا أنّ الدنيا دار بلاء و عناء و فناء،و أنّ الآخره دار جزاء و ثواب و بقاء.فلا بدّ من الزّهد فی الدار الفانيه و الرّغبه فی الدار الآخره.

۲۲۰- فِی الـدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ. و قـد ذکرنا عنهما ما يناسب المقام.و الآيه الکريمه متصـله بسابقتها و کأنها تمام لها وَ يَسْـئَلُونَکَ عَنِ الْيَتامی و أحکامهم.قال ابن عباس:لما نزلت:و لا تقربوا مال اليتيم..

و نزلت:و إن الـذين يـأکلون أموال اليتامی ظلما..انطلق کلّ من کان عنـده يتيم فعزل طعامه عن طعامه و شـرابه من شـرابه،فاشـتد ذلک عليهم،فسألوا عنه،فنزلت: قُلْ إِصْـلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ أی إصـلاح أموالهم بلا أجر و مداخلتهم و معاشـرتهم أحسن من إبعادهـم و مجـانبتهم وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُکُمْ أی إن تشـارکوهم الحياه بجميع مظاهرها خير لهم و خير لکم و ثواب.لأنهم إخوانکم فی الدين،و من حقّ الأخ علی أخيه حسن المعاشره و جميل المخالطه.و

فی الکافی عن الصادق عليه السـلام،و العياشـی عن الباقر عليه السـلام،قالا: تخرج من أموالهم قدر ما يکفيهم،و تخرج من مالک قدر ما يکفيک،ثم تنفقه. وَ اللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ و لا يخفی عليه أن معاملتکم للأيتام و معاشرتکم لهم، و المحافظه علی أموالهم تکون لحراسـتها و حفظهـا أو لإفسادهـا و إتلافهـا،فهو يعلم فی کلا الحالين،و الإنسان علی نفسه بصـيره،فکيف به جلّ و علا و هو

واقف على اعمال العباد؟.. وَ لَوْ شاءَ اللّهُ لَأَعْنَتَكُمْ أى لو أراد لأوقعكم فى التعب و المشقه فى أمر الأيتام بعدم الإجازه فى الدخول فى شؤونهم و التصرف فى أموالهم إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ غالب على ما يشاء حَكِيمٌ فاعل على مقتضى الحكمه و التدبير لما فيه صلاح العباد.

فإن قيل:كيف قال سبحانه يسألونك،ثلاث مرات بغير عطف بالواو:

يسألونك ماذا ينفقون،يسألونك عن الشهر الحرام،يسألونك عن الخمر و الميسر.ثم جاءت«يسألونك»ثلاث مرّات أخر بالواو:و يسألونك ماذا ينفقون،و يسألونك عن المحيض،و يسألونك عن اليتامى؟.

قيل فى الجواب:إن السؤال عن الحوادث الأول،وقع على الأمور الثلاثه فى موارد متفرقه و مجالس عديده،و عن الثلاثه الأخيره وقع السؤال فى مجلس واحد فجاء معطوفا بالواو،لأن واو العطف معناها مطلق الجمع بين العاطف و المعطوف.فالواو عطفت جميع ما كان من المسائل فى مجلس واحد،و لم تدخل فى غيرها من المسائل المتفرّقه حين لم يكن من مبرّر لدخولها،فتدبّر..و قال بعض المفسّرين إن تكرار السؤال عن الإنفاق محمول عليه فى حالتى فقر و غنى المنفق،و حمله على مقدار الوسط بين الإقتار و الإسراف أيضا،بناء على ما فى الروايه عن الصادق عليه السلام.

أما بالنسبه لتكرار:يسألونك ماذا ينفقون،مرّتين و فى آيتين.فذلك يدل على أن السؤال كان من نفرين فى وقتين مختلفين و اللّه أعلم.

۲۲۱- وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ ...

نزلت فى مرثد بن أبى مرثد الغنوى،بعثه رسول اللّه(ص)إلى مكه ليخرج منها ناسا من المسلمين، و كان قويّا شجاعا،فدعته امرأه الى نفسها فأبى،فقالت:هل لك أن تتزوّج بى؟.فقال:حتى أستأذن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فاستأذنه.فنزلت الآيه بالنهى عن التزوّج من المشركات حَتّى يُؤْمِنَّ و يصدّقن باللّه.و النكاح اسم وضع فى الأصل للوطء و يطلق على العقد أيضا فيقال:نكح:إذا تزوّج و عقد.و أنكحه:زوّجه.أما النّهى فهو

عندنا عام فی تحریم جمیع الکفّار من الکتابیّه و غیرها،و إن کانت المسأله خلافیّه و محلّ تحریرها الفقه وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ أی أن المملوکه المؤمنه خیر من الحره الکافره وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ و استعظمتم حسنها و جمالها أو کثره مالها أو وجاهه عشیرتها و نحو ذلک.و لو هنا بمعنی:

إن،و الفرق بینهما أنّ«لو»للماضی،و«إن»للاستقبال.و أعجب من العجب الذی هو غیر التعجّب. وَ لاٰ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ أی لا تزوّجوا نساءکم المؤمنات للمشرکین حَتّٰى يُؤْمِنُوا بغیر فرق بین الکتابیّ و غیره.

و قد ورد الخطاب طبق العاده و المتعارف إذ أنّ المرأه کان یزوّجها الولی و إلّا یحرم علی المؤمنه أن تزوّج نفسها من المشرکین کما هو مبیّن فی الفقه وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ حرّ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ جماله و ماله و عنوانه و غیر ذلک مما هو معجب.و قد بیّن سبب ذلک بقوله تعالی: أُولٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النّٰارِ إشاره الی الکفره طرا.فهم یدعون الی الرّده و یرجعون الناس إلی الجاهلیه العمیاء. وَ اللّٰهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ أی إلی فعل ما یوجب الجنّه.یعنی الی دین الإسلام.و الإیمان به جلّ و علا و برسوله(ص) و بما جاء به الرّسل جمیعا من الشرائع الحقّه الإلهیه وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ أی بما یأمر به و یرخّص فیه من الأحکام و الأعمال الصالحه التی توجب المغفره التی تعقبها الجنّه أیضا وَ يُبَيِّنُ آيٰاتِهِ و یوضح حججه و براهینه الدالّه علی التوحید و صدق الرساله برمّتها،أو أن المراد:یبیّن أوامره و نواهیه و ما فیه هدی لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ علی أمل أن یتنبّهوا و یتدبّروا و یتّعظوا.

سوره البقره (۲): الآیات ۲۲۲ الی ۲۲۵

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسٰاءَ فِي الْمَحِيضِ وَ لاٰ تَقْرَبُوهُنَّ حَتّٰى يَطْهُرْنَ فَإِذٰا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ التَّوّٰابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (۲۲۲) نِسٰاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنّٰى شِئْتُمْ وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاٰقُوهُ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (۲۲۳) وَ لاٰ تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَةً لِأَيْمٰانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تُصْلِحُوا بَيْنَ النّٰاسِ وَ اللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۲۲۴) لاٰ يُؤٰاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمٰانِكُمْ وَ لٰكِنْ يُؤٰاخِذُكُمْ بِمٰا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَ اللّٰهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (۲۲۵)

۲۲۲- وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ...المحيض:مصدر من حاضت، تحيض،نحو:جاءت مجيئا،و بات مبيتا.و هو خروج دم الحيض فى عاده المرأه الطبيعيه قُلْ هُوَ أَذىً أى فيه ضرر يسير،كما فى قوله تعالى:

أو به أذى من رأسه.و الضمير:هو راجع للمحيض.و كون المحيض أذى يحتمل أن يكون بلحاظ حال المرأه،لأنها يعرض عليها ضعف حال خروج الدم و يعتريها فتور،و تلاقى منه مشقّه و ضيقا كثيرا،بخلاف ما لو احتبس الدم حين تكوّن الولد فإنها ترى قويه سمينه لا يعتريها الضعف إلاّ قبيل الوضع.و يحتمل أيضا أن يكون بلحاظ كون الدم نتنا و نجسا،فقد يتنفّر منه الرجل و تتأذّى المرأه و لو أذيه روحيّه فإنها أشدّ من الأذيه الجسميه.

و وجه النزول يؤيّد هذا الرأى.و قد كان ديدن اليهود أن يتجنّبوا الحيّض و لا يؤاكلوهنّ و لا يساكنوهنّ و لا يعاشروهنّ بأيه كيفيه،و كان الجاهليون كذلك أيضا،و لذلك كانت المرأه عند الطرفين فى أشد انزعاج.و قيل

إن أبا الدحداح،و بعض الرجال،سألوا النبىّ صلّى اللّه عليه و آله عن

المحيض،و عن حكم الرجال مع النساء فى فتره الحيض،فأجاب سبحانه ببعض آثاره،و بيّن تكليف الرجال معهنّ و قال فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ أى اجتنبوا مجامعتهنّ من ناحيه الوطء بالخصوص،و أما النواحى الأخر فلا..و معنى هذا أن شريعه الإسلام جاءت متوسطه بين شريعه النصارى الذين يطأون النساء فى المحيض مطلقا،و بين اليهود الذين يتجنّبونهنّ تماما فى عادتهنّ المخصوصه.فنحن الأمه الوسطى ذات الشريعه الوسطى المعتدله،لأن شريعتنا تقول بحرمه وطء الحائض و لكنها تبيح معاشرتها بجميع وجوهها،كما أنها تجيز ملاعبتها و مداعبتها و كل ما هو دون الوطء،و هى بعد دون تفريط هؤلاء و إفراط أولئك،لأنها خيره الشرائع و أكملها منذ عهد آدم عليه السلام فما دونه.. وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ بالجماع فقط حَتّى يَطْهُرْنَ أى ينقطع الدم على قراءه التخفيف.و هى قراءه أولى بالنظر و أدق فى المعنى.بيان ذلك أن اللّه تعالى نهى عن مجامعه النساء فى المحيض فتره جريان الدم و خروجه لأن المحيض مصدر ميمى و معناه ما ذكرنا.فإذا كان النهى عن وطئهنّ فى وقت مخصوص،على وجه مخصوص لا ـ مطلقا،يكون هذان الشرطان قيدين داخلين فى المحيض، أى فى حال خروج الدم فعلا.فإذا انقطع الدم نهائيا،بحسب عاده المرأه الخاصه،فلا مانع من مجامعتها حسب ظهور الآيه الكريمه بل صريحها، بدليل تنبيهه تعالى على هذا المعنى:فلا تقربوهنّ توطئه لقوله:حتى يطهرن،أى إلى انقطاع الدم.و لو لا ذلك لما كنا نحتاج الى هذا النهى بعد قوله:فاعتزلوا،لأن عدم القرب من لوازم الاعتزال،إذ الاعتزال بحد ذاته هو التنحى الذى لا يتيح القرب أصلا..فمن الواضح أن القراءه بالتخفيف هى المتعيّنه،و أن الوطء بعد العلم بانقطاع الدم جائز،لأن انقطاع الدم هو الطّهور المجوّز للوطء حتى قبل الغسل، و اللّه أعلم.

فَإِذا تَطَهَّرْنَ أى تنزّهن من الأدناس و أزلن الأقذار و أوساخ دم الحيض بعد انقطاع الدم.و قد جاء التطهّر هنا بمعنى الاغتسال؛أى غسل

البدن من الحدث و الخبث،و لا- ينحصر فى الحدث حتى ينافى ما ذكرناه، و لا- هناك قرينه تجعلنا نحمله على الحدث بالخصوص.و لعل ظهور التطهر فى معناه الأولى يصير قرينه لحمله عليه،أو لو حملناه على الاغتسال فإن شهره قراءه التخفيف فى:يطهرن،تصرفه عن حمله على الاغتسال الحدثى. فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ أى من مكان أجاز سبحانه وطأهنّ فيه.و فى ما يأتى نبيّن إن شاء اللّه أن المأمور به للإتيان و القرب منهنّ،هو أىّ مكان و موضع منهنّ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ من الذنوب كبيرها و صغيرها،و كثيرى التوبه من كل ذنب.و لعلّ فى الآيه الشريفه إشاره إلى أن من أتى زوجته فى المحيض ثم تاب و أقلع و عزم ألاّ- يرجع إلى هذا العمل يتوب اللّه تعالى عليه،بقرينه وقوع هذا الوعد هنا و تعقّبه لأحكام الحيض وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ العاملين للصالحات الموجبه لتطهيرهم من الذنوب و الآثام.أو أننا نحملها بقرينه التعبّ أيضا،فهو يحب المتنظّفين بالماء المغتسلين لتنقيه أبدانهم و أثوابهم من الأوساخ و الأخباث.فإنه تعالى يحب هؤلاء لأن النظافه من الإيمان.و

عن الصادق عليه السلام: كان الناس يستنجون بالكرسف و الأحجار الثلاث،لأنهم كانوا يأكلون البسر فكانوا يبعرون بعرا.فأكل رجل من الأنصار الدباء فلان بطنه و استنجى بالماء، فبعث النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إليه.فجاء الرجل و هو خائف ان يكون قد نزل فيه أمر يسوؤه فى استنجائه بالماء.فقال:هل عملت فى يومك هذا شيئا؟..فقال:يا رسول اللّه إنى و اللّه ما حملنى على الاستنجاء بالماء،إلاّ أنى أكلت طعاما فلان بطنى،فلم تغننى الحجاره شيئا فاستنجيت بالماء.فقال رسول اللّه:هنيئا لك،فإن اللّه عزّ و جلّ قد أنزل فيك أيه فأبشر:إن اللّه يحب التوّابين و يحبّ المتطهّرين.. فشأن النزول يؤيد المعنى الثانى،و يؤيد ما قلناه فى تفسير:تطهّرن آنفا.

۲۲۳- نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ...موضع الحرث هو الأرض التى تحرث للزرع،و الحرث هو شقّ الأرض بالأدوات الزراعيه.و قد شبّه سبحانه النساء بها لما يلقى فى أرحامهن من النّطفه التى تنتج الأولاد،كما يلقى

البـذر فی الأرض.فهنّ کـذلک ینتجن کما تنتج الأرض المحصولات.و قد جعلهنّ حرثا للرجال من باب حذف المضاف و إقامه المضـاف إلیه مکـانه أی أنهنّ مکـان الحرث-.و هـذا من أحسن التشابیه،و التعبیر من أبلغ التعابیر و أوجزها و أدقّها لأداء المعنی بأفضـل مبنیّ من التعبیر العربی و الکنـایه اللطیفه،و لـذلک تـابع اللّه تعـالی إدراج هـذا التشبیه و قال: فَأْتُوا حَرْثَکُمْ أَنّی شِئْتُمْ أی باشروا ذلک بأیّه کیفیه أردتم و أحببتم،بحیث لا یکون بالمباشره إیذاء و لا ضرر علیهن.إلّا أن ذلک یکون فی موضع الحرث لا فی موضع الفرث(الدّبر)لأن عمل وطئهنّ شرعه سبحانه للاستنتاج لا للإفراز.و

فی العیاشی و القمی عن الصادق علیه السلام فی تفسیره هذه العباره:أی متی شئتم،فی الفرج. و قد صرّح علیه السلام بما اخترناه، ثم صرّح فی غیر هذه الروایه بقوله: أَنّی شِئْتُمْ :من قدّامها و من خلفها، فی القبل.و فیها أیضا قال علیه السـلام موضحا بأنه یجوز إتیان المرأه من خلفها لکن الوطء لا بدّ أن یکون فی القبل..و

فی التهـذیب عن الرضـا علیه آلاـف التحیـات و الثنـاء، ان الیهود کانوا یقولون:إذ أتی الرجل المرأه من خلفها خرج الولـد أحول (١)،فأنزل اللّه عزّ و جلّ: نِساؤُکُمْ حَرْثٌ لَکُمْ إلخ...من خلف أو قدّام،خلافا لقول الیهود،و لم یعن فی أدبارهنّ.

و هذه الروایه مؤیّده لما قلناه أیضا..نعم قیل بالجواز،أی جواز مباشره النساء فی أدبارهنّ مع الکراهه.لکن لا یبعد أن یستفاد من قوله تعالی:

و اتّقوا اللّه،إما عدم الجواز،أو الجواز مع الکراهه الشدیده التالیه للحرمه.و سنبیّن ذلک بعد تفسیر الآیتین المتعقّبتین لقوله تعالی فأتوا حرثکم أنّی شئتم.الأولی: وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِکُمْ أی ما یفیدکم فی الدارین من الأعمال الصالحه،و منها التسمیه عند الجماع حتی لا یکون الولـد شـرک الشیطان،بقرینه وقوعها بعد الآیات المتعلقه بالرفث و کیفیته.و من هذه القرینه نسـتفید أن منها أیضا طلب الولد الصالح علی الوطء حتی تکون

****

(١) یقصد الیهود أنه إذا أتاها من خلف،فی قبلها لا فی الدّبر

المواقعه وفق ما شرعت له على ما يستفاد من الآيات و الروايات.و الثانيه:

وَ اتَّقُوا اللّهَ أى تجنّبوا معاصيه،و أن تكون مجامعتكم لمحض الشهوه و الالتذاذ و اللعب مع النساء بما هو مهيّج للشهوه و مقدّمه لها.و

فى الروايه عن الصادق عليه السلام عبّر عن المرأه بلعبه الرجل مره،و بقوله:هى لعبتك مره ثانيه.

و نرجع الى مقصودنا فنقول:إن المستفاد من قوله:و اتّقوا اللّه إما عدم جواز الوطء فى الأدبار،أو الجواز مع الكراهه الشديده،أى أن الاحتياط بتركه واجب،لأن تعقّبها لمسائل المجامعه و الفرث فى حال دون حال،و كيفيّه دون أخرى يدلّنا على أن المراد هنا من التقوى هو شىء يناسب المقام.و الذى يتبادر الى الذهن هو أنّ من التقوى هنا مجانبه الوطء فى الأدبار،كما أن من الواجب مجانبه مجامعتهن حال الحيض الذى هو أيضا من مصاديق التقوى.

أما الوجه فى التجنّب عن مباشرتهن فى الأدبار،فهو أن هذه الكيفيه من العمل هى شهويّه محضا،و لا منشأ لها سوى الشهوه و اللذه و متابعه هوى النفس بدون أن تكون فيها شائبه أمر النهى،و هى كيفيه مذمومه مبغوضه.و معلوم ان مسأله المزاوجه و التناكح للتناسل،بمقتضى روايات الباب لا لغيره،نعم يلازمه هيجان الشهوه و الالتذاذ القهريّتين اللّتين هما غير مذمومتين كمقدمه للوطء الشرعى.و أما الإدخال فى غير موضع التناسل فخارج عن دائره تشريع النكاح،بل هو عمل يستقبحه العقلاء لأنه يشبه وطء الحيوان بل هو أسوأ و أقبح،لأن الحيوان يضع الشىء فى محلّه بالغريزه و لو كان يأتى أنثاه من الخلف،إذ لا يتمكن من وطئها من غيره،أما الإنسان فيحاول الوطء فى موضع الفرث على خلاف الخلقه.

فلا بدّ من تجنّب هذا الأمر المذموم عند العقلاء و المبغوض عند النساء لأنه يوجب أذيّه اكثرهنّ. وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ فى مشهد يوم القيامه، و سترون جزاء أعمالكم،فإن كانت طبق ما شرعت له جزيتم بالخير، و إن كانت على خلاف ما شرعت جزيتم بحسب مخالفتكم.و

قد قال صلّى

اللّه علیه و آله: تناکحوا تناسلوا..إلخ... أی تناکحوا للتناسل،فإن الحکمه التی اقتضت شرع التناکح رمت الی التناسل.و أما القول بأن إثبات الشیء لا ینفی ما عداه،فهو کلام سطحی یفید فی مقام الجدل و المخاصمه،کقول لم یرد فی أثر فی الکتاب و لا فی السنّه،و لو اتّبعناه لصلّینا الصبح ثلاث رکعات مع أنها رکعتان،ثم إذا قیل لماذا تصلّونها ثلاثا و هی رکعتان علی ما أمر به،لقلنا:الأمر بالرکعتین لا ینفی الزائد، و هی مغالطه واضحه وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ أی الذین آمنوا بی حقّ الإیمان و صدّقوک فیما جئتهم به حقّ التصدیق،بقرینه تذییلها لما قبلها من الآیات الراجعه إلی أحوال النساء و أحکامهنّ فی تلک الأحوال،و المبیّنه لتکالیف الرجال بالإضافه إلیهنّ فی تلک الأحوال.و نحتمل أن اللّه سبحانه أشار بهذه البشاره الی الذین اتّبعوا مرضاته و انتهوا عمّا نهاهم عنه من عدم قرب النساء فی عادتهنّ،و إتیانهنّ فی انقطاع الدم،و فی موضع الحرث و النسل، لا فی موضع آخر مما لم یشرع له التناکح و الزواج.

و أما القول بکون الأمر بإتیان الحرث عامّیا،یشمل القبل و الدّبر، فمردود بأن من له الباع الطویله فی فهم لغه القرآن الکریم،و المعرفه الواسعه باصطلاح العرب الذین نزل القرآن علی لسانهم و وفق قواعدهم و قوانینهم فی مخاطباتهم،یعرف أن هناک فرقا بین قول القائل:أکرم زیدا الضارب عمرا،و أکرم زیدا.فإن الأمر فی الثانی عامّ من حیث أوصاف زید و جهاته،بخلاف الأمر الأول المقیّد بوصف الضرب لزید،لأن تعلیق الحکم علی المصدر أو علی وصف دالّ مشعر بأن نفس المصدر فی الأول، و منشأ اشتقاقه فی الثانی عله للحکم،کما فی قوله سبحانه: ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ ؟.الذی جوابه:کرمک یا کریم.فإذا کان قانون مخاطبات العرب هکذا،و کان قرآننا الکریم وفق قوانینهم کما ذکرنا،تعرف أن الأمر فیما نحن فیه مقیّد بعله هی کون النساء حرثا،و أنه قال سبحانه:

فَأْتُوا حَرْثَکُمْ أَنّی شِئْتُمْ ،معلّقا حکمه علی عنوان حرثیّتهن.فإذا انتفت العله قهرا ینتفی المعلول.و إلاّ فتکون التعلیقات علی الأوصاف و المصادر

مع الاستناد إلى الذوات فى الكتاب الكريم هذرا،و الكتاب منزّه عن النقائص طرّا و كلّ جهاته مصونه عن النّقض و الإبرام،و إذا وجد شىء من ذلك فيه،فإنه يحمل على قصور أفهامنا عن إدراك حقيقته..و هكذا يكون قد تحصّل ما ذكرناه من أول أخذنا فى مسأله الوطء فى الدّبر إلى ما ذكرناه أخيرا مما استفدناه من نفس الآيه الشريفه المباركه،أن الدليل على الجواز عليل،و المختار هو عدم الجواز،كما أن الوطء قبل الغسل و الغسل جائز بلا احتياج الى الوضوء و التيمّم،و إن كان ذلك بعد الغسل و الغسل أحسن لتحصيل النظافه التى هى من الإيمان و حسنها أمر طبيعى،و اللّه أعلم بأحكامه و بما فى كتابه.

۲۲۴- وَ لاـ تَجْعَلُوا اللّهَ عُرْضَةً لِأَيْمـانِكُمْ ...كان دأب العرب فى الجاهليه و ديدنهم فى الموضوعات العامه و غيرها الحلف بما يعتقدون به و يقدّسونه و يعظّمونه كاللات و العزّى و غيرهما.و قد صار المسلمون يكثرون من قول:لا و اللّه،و بلى و اللّه،فنهاهم اللّه عن ذلك و أدّبهم لأنهم ابتذلوا اسم اللّه تعالى بكثره حلفهم و هتكوا جلاله،فنهوا عن جعل اسمه سبحانه معرضا للإيمان.و يؤيّده قوله تعالى: وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلاّفٍ مَهِينٍ فى مقام ذمّ كثير الحلف باللّه،فإن الحلاّف مجترئ على اللّه و مستخفّ بعظمته،و لا يكون برّا و لا متّقيا و لا متّبعا لما يصلح أمور البشر مما نحن مكلّفون به،لأنه عزّ اسمه قال: أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تُصْلِحُوا بَيْنَ النّاسِ أى لأن تبرّوا،و قد حذفت اللام للتخفيف.و الجمله فى مورد العلّه للنّفى،و هى متعلّقه ب:

و لا تجعلوا.و اللام فى:لأيمانكم متعلّق بها أيضا أو ب:عرضه.و يستفاد من اللام أن الحلف على المرجوح لا ينعقد كما تدل عليه الأخبار وَ اللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يسمع أقوالكم الجهريّه و الخفيّه.و لعل الآيه تدلّ على أنكم لو حلفتم فى الخفاء على كل موضوع بعد النّهى عن ذلك.فإنه تعالى يسمعه،و يعلم ما فى ضمائركم و سرائركم،لأنه يعلم ما تخفى الصدور و لا يخفى عليه شىء.

۲۲۵- لا يُؤاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمانِكُمْ ...فى المجمع عنهما عليهما

السلام:اللّغو فى الأيمان لا عقد معه بل يجرى على عاده اللسان لقول العرب:لا و اللّه،و بلى و اللّه،لمجرّد التأكيد.و قيل:اللّغو فيها كالملفوظ بسبق اللسان به أو للجهل بمعناه،كالمثال الذى ورد فى الروايه الشريفه آنفا،أى لا يؤاخذكم اللّه بما لا قصد معه أولا وفاء له،فهو لغو أى لا فائده فيه و لا كفّاره وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ أى بما قصدت قلوبكم و انعقدت عليه،فإن عقد القلب هو كسبه،و كسب كلّ شىء بحسبه وَ اللّهُ غَفُورٌ للذنوب.و أحتمل أن يكون معناه هنا أنه لو حلف شخص ثم لم يف،أو حلف كذبا،ثم تاب فاللّه سبحانه كثير الغفران يعفو و يصفح عن التائب المنيب الذى ينبغى أن لا ييأس من رحمته،فإنه لا ييأس منها إلاّ من لا يعرفه و لا يعتقد أنه غفّار منّاح،فهو حَلِيمٌ يمهل العقوبه على الذنب و لا يجعل بها،و هذه من صفات الأعاظم و الأكابر الذين لا يخافون من شىء،فكيف به تعالى و هو لا يخاف الفوت.

سوره البقره (٢): الآيات ٢٢٦ الى ٢٣٢

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَهِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فاؤُ فَإِنَّ اَللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَ إِنْ عَزَمُوا اَلطَّلاقَ فَإِنَّ اَللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧) وَ اَلْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَهَ قُرُوءٍ وَ لا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اَللّهُ فِي أَرْحامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذلِكَ إِنْ أَرادُوا إِصْلاحاً وَ لَهُنَّ مِثْلُ اَلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ لِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَهٌ وَ اَللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨) اَلطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ وَ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاّ أَنْ يَخافا أَلاّ يُقِيما حُدُودَ اَللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاّ يُقِيما حُدُودَ اَللّهِ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيمَا اِفْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اَللّهِ فَلا تَعْتَدُوها وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اَللّهِ فَأُولئِكَ هُمُ اَلظّالِمُونَ (٢٢٩) فَإِنْ طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَها فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يَتَراجَعا إِنْ ظَنّا أَنْ يُقِيما حُدُودَ اَللّهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اَللّهِ يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠) وَ إِذا طَلَّقْتُمُ اَلنِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَ لا تَتَّخِذُوا آياتِ اَللّهِ هُزُواً وَ اُذْكُرُوا نِعْمَتَ اَللّهِ عَلَيْكُمْ وَ ما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ اَلْكِتابِ وَ اَلْحِكْمَهِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَ اِتَّقُوا اَللّهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَ إِذا طَلَّقْتُمُ اَلنِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ إِذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ ذلِكُمْ أَزْكى لَكُمْ وَ أَطْهَرُ وَ اَللّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)

۲۲۶- لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ...لمّا بيّن سبحانه أحوال النساء و ما يحلّ منهنّ و ما لا يحلّ عقّب بذكر الإيلاء،و هو اليمين الذى تحرم الزوجه به.فابتدأ بذكر الأيمان و ما يتعلق بها من الآداب و النصائح و ما ينبغى أن يكون من شؤون المسلمين المؤمنين المتّقين،ثم ذكر أقسام اليمين و بيّن أقسامها مقدّمه لتأسيس حكم الإيلاء.

و الإيلاء مصدر من باب الإفعال.و يقال:ألى يؤلى إيلاء،بمعنى الحلف،و ذلك بأن يقسم يمينا على ترك وطء زوجته إيذاء لها و إضرارا، أكثر من أربعه أشهر.و تعديه الإيلاء ب:على.و لكن لمّا ضمّن هذا اليمين معنى البعد،عدّى ب:من.أى للّذين يحلفون على عدم مجامعه نسائهم أزيد من أربعه أشهر ضرارا عليهنّ،فلهم الإمهال إلى أربعه أشهر،ثم إذا رفعت المرأه بعد ذلك أمرها الى الحاكم الجامع لشرائط الحكومه،فإنه يأمر بإحضاره ليحكم عليه إمّا بالرجوع إليها مع كفّاره الحنث بيمينه،و إما بطلاقها فَإِنْ فاؤُ أى رجعوا إليهن و جامعوهنّ مع القدره على الجماع،أو راجعوا بالقول مع العجز عن الجماع،و ينبغى أن يشهد على فيئه حينئذ،و تجب عليه كفّاره الحنث،قادرا كان على الجماع أو عاجزا عنه فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لا- يتبعهم بعقوبه على عملهم مع استحقاقهم لأن الإيذاء و الإضرار موجبان للعقوبه،و لكنه تعالى يعطف برحمته و يعود بمغفرته.

۲۲۷- وَ إِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ ...أى أرادوا الطلاق إراده مؤكده جازمه.بحيث عقدوا النيّه فى قلوبهم عليه فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أى لتلفّظه،فلا بدّ من التلفّظ حين إجراء صيغه الطلاق مع شرائطه الأخرى،و فى تذييله بقوله تعالى:سميع،رمز إلى اعتبار الصيغه و عدم قصد الطلاق عزيمه.فإنه إذا لم يتلفّظ بالطّلاق على الوجه المشروع فإن الزوجه لا تبين منه عندنا،و إذا لم يوقع الطلاق و لم يفعل الرجوع فإن الحاكم يحبسه أبدا الى ان يفعل أحد الأمرين.و قيل إنه إذا امتنع من

الأمرين فللحاكم أن يطلّقها لأنه لا ضرر و لا ضرار فى الإسلام،و هذا القول سديد عند المحقّقين و أهل النظر.و اللّه عَلِيمٌ بما فى الضمائر من أن الطلاق عن عزم و جزم،أو انه يراد به الأذى للمرأه الى أن تحصل الإفاءه الى أمر اللّه.و هذا الطلاق لا يجوز بل يعاقب عليه لتضمّنه الأذى.

و فى القمى عن الصادق عليه السلام: الإيلاء أن يحلف الرجل على امرأته أن لا يجامعها. فإن صبرت عليه فلها أن تصبر،و إن رفعته إلى الإمام أنظره أربعه أشهر،ثم يقول له بعد ذلك:إمّا أن ترجع الى المناكحه،و إمّا أن تطلّق.فإن أبى حبسه أبدا.

فإن قيل:كيف قال:و ان عزموا الطلاق فإن اللّه سميع عليم، و عزمهم الطلاق ممّا يعلم،لا ممّا يسمع...فالجواب أن العزم هو حديث النّفس.و حديث النّفس ممّا لا يسمعه غيره تعالى،فهو اَلسَّمِيعُ شديد السّمع،الذى يسمع همزات الشيطان و وسوسته و إن كان الشيطان ليس له صوت مسموع فى حال لأنه خلا عن الصوت المسموع.هذا مضافا الى أن العزم على الطلاق مساوق لوقوعه و إجراء صيغته.

٢٢٨- وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ...أى المخلّيات عن أحبال الرجال بالطّلاق،المدخول بهنّ من ذوات الأقراء،لأن حكم غيرهنّ خلاف ذلك على ما دلّت الأخبار.و الآيه الشريفه دلّت على حكمهنّ من حيث العدّه لا على حكم غيرهن،فإن حكم غيرهن ذكر فى موارد اخرى من الآيات و الروايات.هؤلاء المطلّقات المدخول بهنّ من ذوات الأقراء يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أى ينتظرن و يتوقّفن عن التزوّج ثَلاثَةَ قُرُوءٍ .

و قوله تعالى بعث لهنّ على الصّبر عن التزويج.لقمع ميولهنّ و هوى نفوسهنّ إلى الرجال.و معنى الفعل:يتربّصن،هنا للأمر.و الإتيان بالخبر للتأكيد.و القروء:جمع كثره،و لكنه فى المقام للقلّه و صيغتها الأقراء،و قد أوثرت الكثره لكونها أكثر استعمالا..و

عن الصادق عليه السلام: عدّه التى لم تحض،و المستحاضه التى لم تحض،و المستحاضه التى

لم تطهر،ثلاثه أشهر.و عدّه التی تحیض و یستقیم حیضها ثلاثه قروء.

و القرء جمع الدم بین الحیضتین وَ لا یَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ یَکْتُمْنَ ما خَلَقَ اللّهُ فِی أَرْحامِهِنَّ أی لا یجوز ستر ما خلق اللّه فی أرحامهنّ من الولد،أو من خروج دم الحیض،أو من حاله الطّهر،فینبغی عدم کتمان ذلک حتی یعرف مضیّ عدّتهنّ بالأطهار الثلاثه کما یعرف بالحیض أیضا.لأن المدار علی جواز رجوع الزوج بزوجته المطلّقه فی العدّه هو الأطهار الثلاثه التی أولها الطهر الذی وقع الطلاق فیه.و هذا هو مذهبنا،و علی عقیده الشافعی،هکذا.و قال القمی لا یحلّ للمرأه أن تکتم حملها أو حیضها أو طهرها،و قد فوّض اللّه الی النساء ثلاثه أشیاء:الطّهر،و الحیض، و الحبل.ثم نبّه الی أن هذا یفید بأن قولهنّ مسموع فیها بلا بیّنه. إِنْ کُنَّ یُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ أی یصدّقن بیقین،فإن الإیمان الواقعی مانع عن الکتمان و الکذب،بل و عن کل عمل غیر مشروع،فنعمه الإیمان أعظم نعمه علی الإنسان لأنه یصونه عن مهالک الدنیا و الآخره.و نقل عن الطبری أنه قبل الإسلام کان یتّفق أن یطلّق النسوان فی حال الحبل،و کنّ یکتمن ما فی أرحامهنّ من الولد،فتتزوج المرأه من رجل آخر و تنسب الولد إلیه بغضا بالرجل الأول و عنادا،فنزلت الآیه الشریفه: وَ لا یَحِلُّ لَهُنَّ، إلخ...و أکّدها بقوله: إِنْ کُنَّ یُؤْمِنَّ... أی أن اللواتی یکتمن ما فی أرحامهنّ لسن من المؤمنات.فالعامل الوحید للصیانه عن المعاصی کلّها هو الإیمان الحقیقیّ الذی یتعقّبه العمل الصالح،و لذا علّق هو تعالی إظهار ما فی أرحامهن علی الإیمان به و التصدق بالیوم الآخر و الحساب.و من فوائد حرمه الکتم أن الولد الذی یکون فی الرّحم یحفظ نسبه و تحفظ عواطف أبویه نحوه إذا لم تکتم الزوجه ذلک،أما إذا کتمته فینتفی هذان الحظّان،فإن الزوج الثانی ینکشف له أن الولد لیس منه و لا له،فلا یعطف علیه و لا یحبّه،کما أن أمّه تتحیّر فی تربیته،و قد تدفعها عاطفه کره أبیه الی إهماله،و قد تثیر عندها إحساسا بکرهه فینشأ محروما من عاطفه الأبوین و من لذّه حنوّ الأمّ و حدب الأب و عنایتهما معا.کما أن من فوائد

العدّه و ثبوت حقّ رجوع الزوج الى الزوجه فى ضـمنها،و أولويته من غيره الى زمان معيّن،أنه لا يضيع حقّ كلّ واحد منهما.ذلك أن الأمـد إذا كان أزيـد من ثلاثه قروء كان موجبا لتضـييع حقّ الزوجه،و إذا كان أقلّ فإنه لا يعلم أولا كونها ذات ولد من الزوج المطلّق أم لا،لا سيّما إذا كانت المـده قليله،و ثانيا يمكن للروابط و الإحساسات أن تتجـدّد بين الزوج و الزوجه فى هـذه الفتره،و ربما أدّى ذلك إلى ألفه و حسن عشره.و لهـذا شـرع اللّه تعالى العـدّه و جعلها فى مده جامعه للمصالح و رادعه عن المفاسد،بل جميع ما قرّر فى باب الزواج و الطلاق كان طبق المصالـح و الحكم.. وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ أى فى أيام التربّص و فتره العـدّه إِنْ أَرادُوا إِصْلاحاً يعنى إذا اتّفقا على حسن الزوجيه فإنهما يعودان إلى سيره الأزواج الصالحين..

و هـذه الشـريفه ردّ على جماعه كان دأبهم و ديـدنهم الإضـرار و الأذى بزوجاتهم،إذ كانوا يطلّقون نساءهم فإذا كانت العدّه فى شرف الانهدام يراجعونهنّ،و بهذا لا يخلّينهنّ حتى يتزوّجن بعوله غيرهم،و لا يصاحبونهنّ بمعروف،فنزلت الآيه الشـريفه نهيا لهم عمّا يفعلون من الأذى بزوجاتهم و الإضـرار بهنّ بتكرار الطلاق و تكرار الرجوع.فيستفاد من الآيه أن حق الرجوع فى صوره كان المطلّق يريد الإصـلاح برجوعه،أى أن يعيد زوجته كما كانت.أما إذا أراد الأذى و الضـرار كما قلنا فإنه لا يجوز له الرجوع إذ لو رجع بهـذا القصـد فلا يترتب على رجوعه أثر الزواج،و قـد لا تطيعه المرأه حتى تنقضـى المده،فتختار زوجا غيره و ترغم أنفه إذا عرفت لعبه و لهوه بأحكام الشرع و قوانينه المحكمه المتقنه.هذا بناء على قاعده:لا ضرر.

و لعـل مقتضـى العـدل و قاعـده اللطف أيضـا تقتضـيان ما ذكر.لكن ادّعى إجماع الأمّه على أن مع إراده الإضـرار إذا رجع تثبت أحكام الرجعه.و لذا اشـتهر بينهم القول بأن شرط الإصلاح فى إباحه الرجعه لا فى ثبوت أحكامها.هذا و لكنّ الذى يظن ظنّا قويا أن معقـد الإجمـاع و القـدر المـتيقّن منه غير مـورد الروايـه و نزول الآـيه الـذى أشـرنا إليـه مـن أنّ دأبهم كـان تكرار الطلاـق و الرجوع،بحيث كانوا يضيّعون عمر النسوان و حقوقهنّ فى أكثر

عمرهنّ،و كـان عملهم سـفها و جهلا ـ محضا يشـبه اللّهو و اللّعب بالأحكام إن لم نقل هو عين اللهو و اللعب.و مثل هـذا العمل لا يترتّب عليه أثر عنـد العقلاـء،فكيف بالشـارع الأقـدس الـذى يمضـى و يقرّر فى مرحله إثبات الحكم على أعمال السـفهه الجهله اللاّـهيه بالأحكـام المؤذيه بإماء اللّه الأسـراء فى أيـدى الرجال.فلا بـدّ من حمل معقـد الإجماع على صوره واحـده وقع الطلاق و الرجوع فيهـا و لو للإضـرار لحكمه و مصـلحه عقلاـئيه،فلا ـ مـانع لإمضـاء الشارع،فوقع مورد الإجماع و لو كان الطلاق و الرجوع للإضرار بها،مع كون هذا الإجماع منقولا و فيه ما فيه.هذا مع أن نفس الآيه المباركه بمفهومها الشرطى الذى هو حجه كالمنطوق يـدل على مـا ذكرنـاه،و ذلـك لأـنه سـبحانه علّق الرجـوع و الردّ على قصـد الإصـلاح.فإذا قصـد الإفسـاد برجـوعه فلا ـ يجوز له الرجوع،إذ لو انتفى الشـرط ينتفى المشـروط،و هـذا المفهوم كالمنطوق صـريح فى المـدّعى-و التشبيه فى ناحيه الصـراحه-و اللّه أعلم بما أراد بكلامه المتعالى. وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِی عَلَیْهِنَّ أى أنّ للنساء على رجالهنّ حقوقا كما هو مبيّن و مفصّل فى الفقه،و لا بد للرجـال من الإتيـان بحقوقهن كمـا أن لهم عليهن حقوقـا لا بـد من أدائها إليهم.و هـذا فى الوجوب و الاسـتحقاق لا فى الجنس. بِالْمَعْرُوفِ أى بـالطريقه المشـروعه و بـالوجه الـذى هو من عـادات العقلاـء و عرفهم فى معايشـهم و معـارفهم فى أمور الـدنيا و الآـخره،كلّ واحـد من الرجال و النساء بحسب حالهم و كما هو شأنهم فى أنفسـهم و مع الآخرين فى عالم التناكـح و التناسل،فلا يكلفونهنّ بما ليس لهم،و لا النساء يكلّفنهم بما ليس لهن.

و الحاصل أن كلمه:بالمعروف،عجيبه جامعه لفوائـد جّمه مما يرجع لحسن المعاشـره و ترک المضارّه و التساوى فى الحقوق بين الزّوج و الزوجه وفق مـا شـرع لهمـا بلا إفراط و لا تفريط و لا إجحاف و لا تبـذير وَ لِلرِّجالِ عَلَیْهِنَّ دَرَجَهٌ أى رفعه و علوّ و تفوّق من حيث أفكارهم الراقيه و عقلهم الكامل و تـدبيرهم الحصـيف و أنظارهم الصائبه.و لذا جعل اللّه تعالى نفقات النساء من جميع نواحيها على الرجال،و جعل اختياراتهنّ بأيديهم،

و طلاقهنّ بنظرهم.و لو كان أمر الطلاق بيدهنّ لما وجد فى جامعه البشر رجل يعتبر نفسه صاحب امرأه دائمه،و لاختلّ نظام الأنساب فوق ذلك، بل نظام العالم البشرى برمّته!.و لذا نرى أن الملل التى جعلت أمر الانفصال بيد النّسوه،و جعلت للنساء على الرجال درجه كما فى أوروبا و أميركا و غيرهما قد صار حال الرجال الغيورين مع نسائهم يرثى لها، فلا معاش هنىء،و لا معاد مؤمّن و لا راحه بال إلا بالموت و الانتحار إذا وقعت عين الزوجه على غير زوجها!.أعاذنا اللّه من تلك القوانين الجائره و تلك البلاد الضالّه.و يا ويلتا و يا حسرتا على المسلمين حيث لم يقدّروا عظمه أحكام الإسلام،و لا يعرفون قوانين الملل الضالّه المشؤومه التى سلبت شرف النساء و الرجال على السواء،و مزّقت الأسره و هدمت كيان العائله و أضاعت الأصل و هتكت الحرث و النسل!.

و الحاصل أن هذا الذى ذكر فى تفسير الدرجه كان إجمالا من تفصيل، و قليلا من كثير.و قد ذكر فى فضيله الرجال على النساء جهات أخر،و من أرادها فليراجع كتب التفسير،و خصوصا فى الآيات التى عرضت لحقوق الرجال عليهن.و نحن نورد روايه واحده فى المقام عن كتاب من لا يحضره الفقيه،

عن الباقر عليه السلام،قال: جاءت امرأه إلى رسول اللّه فقالت:يا رسول اللّه:ما حقّ الزوج على المرأه؟..فقال صلّى اللّه عليه و آله لها:أن تطيعه و لا تعصيه،و لا تتصدّق بشىء من بيتها إلّا بإذنه، و لا تصوم تطوّعا إلا بإذنه،و لا تمنعه نفسها و إن كانت على ظهر قتب أى على ظهر بعير راكبه-و لا تخرج من بيته إلّا بإذنه،فإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكه السماء،و ملائكه الأرض،و ملائكه الغضب،و ملائكه الرحمه حتى ترجع الى بيتها!.فقالت:يا رسول اللّه:فمالى من الحق عليه مثل ماله من الحق علىّ؟..قال:لا.و لا من كلّ مائه واحده.

فقالت:و الذى بعثك بالحق لا أملّك رقبتى رجلا أبدا!.قال صلّى اللّه عليه و آله:لو كنت أمرت أحدا أن يسجد لأحد،لأمرت المرأه ان تسجد

لزوجها.. وَ اللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ أى غالب على أمره،و فاعل لما تقتضيه الحكمه البالغه.

۲۲۹- اَلطَّلاقُ مَرَّتانِ ...أى الطلاق الذى له قابليه الرجوع اثنان.فى كل واحد منهما لا بد من الرجعه و الدخول.لكن الرجوع بعد مضىّ العدّه يكون بعقد جديد.و إذا قصد فى المره الثالثه أن يرجع فلا بدّ له من المحلّل كما سيأتى بيانه.فالمراد بالمرّتين طلاقان حسب السنّه،أى قابلان للرجوع بلا احتياج إلى المحلّل.و

فى المجمع عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله انه سئل:أين الثالثه؟..فقال: أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ أى بعد قوله تعالى: فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أى بالرجوع و حسن السلوك.و الإمساك هو القبض و الضّبط.و التسريح هو الإرسال و الإطلاق،أى تخليه الزوجه عن قيد الزواج و إبانتها عن زوجها بحيث لا يبقى له عليها من سلطان بعدها لأنها طالق و مرسله بالطلقه الثالثه و عدم الرجوع فى العدّه حتى تبين عنه..

و لعل المراد بكلمه:بإحسان:هو إعطاؤهنّ مهورهنّ بلا نقيصه،و عدم إيذائهنّ بالإبطاء و التسامح فى إيصال حقوقهنّ إليهن.و لذا قال سبحانه:

وَ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً من المهر و الهبات المملّكه لهن،بل و غير المملوكه و بعناوين أخر مما هو المتعارف بين الزوج و الزوجه فى حال الائتلاف.فلا يحل أخذ شىء منها على ما هو مقتضى إطلاق الآيه الشريفه إِلاّ أَنْ يَخافا أَلاّ يُقِيما حُدُودَ اللّهِ و هذا عدول من الخطاب إلى الغيبه،و منها إليه،لاقتضاء سياق الآيه و عبائرها من حيث بلاغتها و فصاحتها و جهات أخرى تعرف بالتأمل.و قد جاء العدول بعد خطاب الأزواج فى:لكم،و تأخذوا منقلبا الى الغيبه لأن الكلام أصبح مع الحكّام و هذا لا يخفى على ذوى الأفهام.و أما تفويض أمر الأخذ و الإعطاء إلى الحكّام فبلحاظ أن الزوج و الزوجه يقعان بحكمهم و إجازتهم.فبعد أن بيّن سبحانه عدد وقوعات الطلاق،و ما يجوز فيه الرجعه،و ما لا يجوز،و بيّن أنه لا يجوز أن يؤخذ منهنّ شىء مما أعطى لهنّ حال الإبانه و الفرقه،لا عوضا و لا بعنوان آخر و هى كارهه،استثنى

سبحانه الخلع فقال:إلّا أن يخافا ألّا يقيما حدود اللّه،يعنى وظائفهما المقرّره لكلّ منهما بسبب ما بينهما من التباغض و المعانده بحيث لا يمكن حصول التآلف و التحابّ بينهما.

قال أبو عبد اللّه عليه السلام: إذا قالت المرأه:لا أغتسل لك من جنابه،و لا أبرّ لك قسما،و لأوطئنّ فراشک، و لأدخلنّ عليك بغير إذنک،إذا قالت له هذا حلّ له أن يخلعها،و حلّ له ما أخذ منها. و ظاهر الآيه،أى الاستثناء فيما يعطى.و إذا أمعنا النظر فيه نرى أن اللّه سبحانه أراد أن يبيّن حكم المباداه فإن فيها النشوز من الطرفين كما لا يخفى.و لكنّ الروايه فى مورد الخلع اقتصر فيها الإمام على بيان نشوز الزوجه فقط.إلاّ أن يحمل خوف الزوج فى قوله تعالى: إِلّا أَنْ يَخافا، على عصيان المرأه بارتكاب محظور مما أوجبه اللّه عليها،أو إراده ضرر على الزوج،أو ارتكاب فعل حرام مما عدّ فى الروايه المتقدّمه.و بالجمله فإنه يخاف أن تعصى اللّه إذا لم يخلّعها.و هذا هو السبب حتى و لو كان لا يبغضها أو يحبّها،فالنشوز من ناحيه الزوجه فقط،و لا تنافى بين الآيه و الروايه على كل حال،و كلتاهما فى بيان الخلع. فَإِنْ خِفْتُمْ أَلّا يُقِيما حُدُودَ اللّهِ أى الوظائف المقرّره فى الزوجيه فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ أى لا بأس بأن يأخذ الزوج الفديه فى عوض طلاقه إيّاها.و هذا استثناء من قوله تعالى: وَ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا.. و لا بأس بإعطاء الزوجه فديه مقابل تطليقها.و ظاهر الآيه اقتضى أن يخصّ الزوج بالذكر، فإن قوله:لا جناح يفيد الإباحه للزوج فى أخذ ما افتدت به الزوجه.

و استناده إليهما لعلّه لاقترانهما كمثل قوله: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ ، و قوله:نسيا حوتهما مع أن الحوت لموسى عليه السلام.و من هذا القبيل كثير فى الكتاب و السنّه،و وجه جوازه للاتّساع. تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ إشاره الى ما حدّد و شرّع من الأحكام و التكاليف الإلهيه فَلا تَعْتَدُوها أى لا تخالفوها و لا تتجاوزوها وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ هذه الآيه مبالغه فى التخويف بعد النهى.و من يتعدّ حدوده سبحانه يكون ظالما لنفسه أو لزوجته.

۲۳۰- فَإِنْ طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ ...و المراد بهذا الطلاق هو الذى يقع بعد الطلاقين الاثنين.و

فى المجمع عن الباقر عليه السلام: يعنى الطّلقه الثالثه. و لذا لا تحل الزوجه بعد هذه الطّلقه الثالثه أى المطلّقه ثلاثا حَتّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ أى بعد أن ينكحها زوج آخر غير زوجها الذى طلّقها فَإِنْ طَلَّقَها أى الزوج الجديد،فإنه إن طلّقها بعد دخوله فيها و مجامعتها فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يَتَراجَعا أى لها و لزوجها السابق أن يرجع كل واحد منهما الى الآخر بزواج جديد إِنْ ظَنّا أَنْ يُقِيما حُدُودَ اللّهِ أى إذا اعتقدا أنهما قد يلتزمان بما شرعه الشارع لهما من لوازم الزوجيه.و قد فسّر الظنّ بالعلم و لا وجه لهذا التفسير إذ لا يعلم العواقب إلاّ اللّه سبحانه و تعالى وَ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ أى ما ذكر من الأحكام،أو أنها إشاره إلى الأمور التى بيّنها فى النكاح و الطلاق و الرّجعه.و المراد بحدود اللّه هو طاعاته و شرائعه التى ذكرت قبل هذه الجمله،لا مطلق الأحكام و إن كانت كلها حدود اللّه عزّ و جلّ يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ يعنى يفصّلها و يوضحها للعلماء.و قد خصّهم بالذكر لأنهم أهل لأن ينتفعوا ببيان الآيات، و غيرهم لا يعتدّ به لانتفاء أهليته.أو أنهم خصّوا بالذكر تشريفا لهم كما يذكر جبرائيل و ميكائيل من بين الملائكه فى بعض المقامات.

۲۳۱- وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ...هنا بيّن سبحانه حكم ما بعد الطلاق و خاطب الأزواج بقوله تعالى: وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ يعنى قاربن انقضاء عدّتهنّ فإنه بعد انقضائها ليس للأزواج حكم فإذا بلغن هذه الفتره فَأَمْسِكُوهُنَّ أى ردّوهنّ للزوجيه بِمَعْرُوفٍ مما يتعارف عليه الناس من القيام بما يجب لهنّ من النفقه المناسبه لشأنهنّ اللائق بحالهن و بأمثالهنّ،و من حسن العشره معهنّ و من غير طلب الإضرار عليهنّ بإرجاعهنّ و إمساكهنّ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ خلّوا سبيلهنّ حتى تنقضى عدّتهنّ فيكنّ أملك لأنفسهنّ،بلا ضرار عليهنّ بإمساك حقوقهنّ و مهورهنّ،أو بالإبطاء فى أدائها من أجل إيذائهن،أو بغير ذلك مما هو مذموم و غير مشروع وَ لا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً أى لا تراجعوهنّ

للإضرار بهنّ و بلا رغبه بهنّ و لا حاجه إليهنّ لِتَعْتَدُوا أى لتجوروا و تتجاوزوا ما هو المشروع فى حقهنّ من الإمساک بالمعروف أو التسريح بالإحسان.و أما الإمساک الضّراریّ فهو من الاعتداء و الظلم لهنّ،لأنه يقتضى تطويل المده عليهن فی حبال الرجال،أو يلجئهنّ الی الافتداء و البذل للخلاص.و

فی الفقيه عن الصادق عليه السلام أنه قال فی هذه الآيه: الرجل يطلّق حتی إذا کادت المرأه أن يخلو أجلها راجعها،ثم طلّقها،يفعل ذلک ثلاث مرات،فنهی اللّه عن ذلک وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِکَ أی الإمساک الضّراری و الاعتداء عليهنّ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لأن الاعتداء علی المسلم موجب للعقاب،و تعريض النفس للعقاب ظلم لها. وَ لا تَتَّخِذُوا آياتِ اللّهِ هُزُواً أی اجتهدوا فی رعايه آياته و العمل بها،و لا تتهاونوا فيها.و يقال لمن لم يجدّ فی أمر إنما أنت متهاون بالأمر و هازئ به ساخر منه. وَ اذْکُرُوا نِعْمَهَ اللّهِ عَلَيْکُمْ أی نعمه الأزواج و نعمه الأموال التی تصلون بها الی الزوجات.الی جانب الصحه و العافيه،و الهدی للإسلام و الإقرار بالرسول المکرّم(ص)بقرينه قوله تعالی: وَ ما أَنْزَلَ عَلَيْکُمْ مِنَ الْکِتابِ وَ الْحِکْمَهِ أی القرآن الذی دلّ علی الحلال و الحرام و العلوم الجمّه.و لعل المراد بالحکمه:السنّه،أی الشرائع المبيّنه لکم يَعِظُکُمْ بِهِ أی بما أنزل لتتّعظوا وَ اتَّقُوا اللّهَ و إياکم أن لا تتّعظوا و لا تتأثروا بمواعظ اللّه و نصائحه وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِيمٌ عالم عارف بالعمل بمواعظ القرآن و حکمه،و بعدم العمل،و بجميع ما يصدر منکم قولا و عملا حتی ما فی ضمائرکم.و فی الجمله تهديد صريح و تأکيد واضح.

۲۳۲- وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ...المراد بالبلوغ هاهنا هو غير البلوغ فی الآيه السابقه،لأن البلوغ فی السابقه بلوغ مقاربه کما قلنا، أما هنا فهو بمعنی الانقضاء و الانتهاء.أی فإذا انتهت عدّتهنّ و تمّت فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أی لا تمنعوهنّ من التزوّج بغيرکم.و قيل إن الخطاب عام، أی ليس لأحد ذلک.أو أنه موجّه للأزواج يعنی أن تطلّقوهنّ سرا و لا

تظهروا طلاقهنّ کی لا یتزوّجن بغیرکم،أو جهرا فلا تمنعوا نساءکم المطلّقات عن التزوّج بعد انقضاء العدّه ظلما و حمیّه.و قد نزلت هذه الآیه المبارکه نهیا للرجال عن ذلک بل الظاهر للأزواج خاصه بقرینه:و إذا طلّقتم،فی صدر الآیه،لأن الطلاق بأیدیهم،و بقرینه أخری هی الآیه السابقه التی خوطب بها الأزواج،و محطّ الکلام فی سائر آیات الطلاق الآنفه الذکر واحد،و لا فرق دالاّ فی البلوغین.و التوالی فی الآیتین متفرعه علی الموضوعین من البلوغین،و الفروق الأخر التی فی ذیل الآیتین لیست بفروق ذات بال کما لا یخفی علی المتأمل.و الحاصل أنه لیس للأزواج علی زوجاتهم سلطه بعد الطلاق و انقضاء العدّه،و لیس لهم حقّ فی منعهن أن یفعلن بأنفسهنّ ما شئن،بل الخیار لهنّ فی اختیار أیّ زوج أردنه إِذا تَراضَوْا بَیْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ یعنی إذا حصل التراضی بین المطلّقات و من أراد التزوّج بهنّ بالمعروف:أی بأداء الحقوق و النفقات و حسن العشره. ذلِکَ یُوعَظُ بِهِ مَنْ کانَ مِنْکُمْ یُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ و الإشاره بذلک،هی للأحکام المذکوره آنفا.و اختصاص الوعظ بالمؤمنین لأنهم هم المنتفعون بالوعظ. ذلِکُمْ أَزْکی لَکُمْ وَ أَطْهَرُ أی أن العمل بما ذکر خیر لکم و أنفع و أسلم من دنس الذنوب و العصیان وَ اللّهُ یَعْلَمُ یعرف ما فیه الصلاح وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ذلک و لا تعرفون وجوه الحکمه لقصور علمکم و فهمکم.

سوره البقره (۲): الآیات ۲۳۳ الی ۲۳۴

وَ الْوالِداتُ یُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَیْنِ کامِلَیْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ یُتِمَّ الرَّضاعَهَ وَ عَلَی الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ کِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُکَلَّفُ نَفْسٌ إِلاّ وُسْعَها لا تُضَارَّ والِدَهٌ بِوَلَدِها وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَ عَلَی الْوارِثِ مِثْلُ ذلِکَ فَإِنْ أَرادا فِصالاً عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَ تَشاوُرٍ فَلا جُناحَ عَلَیْهِما وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَکُمْ فَلا جُناحَ عَلَیْکُمْ إِذا سَلَّمْتُمْ ما آتَیْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ اتَّقُوا اللّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ (۲۳۳) وَ الَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزْواجاً یَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَهَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُناحَ عَلَیْکُمْ فِیما فَعَلْنَ فِی أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ (۲۳۴)

۲۳۳- وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ ...بعد أن بيّن سبحانه حكم الطلاق أردفه بحكم الصّغار و ما يخصّهم من الرضاع و التربيه،و ما يجب من الكسوه و النفقه..و هل المراد ب:الوالدات،المطلّقات كما قيل إذ الكلام فيهنّ،أم أن الكلام يعمّ غيرهنّ؟..أما التخصص فبعيد لأنه خال عن الدليل.و أما تعقيب حكم الصّغار لأحكام الطلاق فلا يدل على الاختصاص بواحده من الدّلالات لأن الوالدات أعمّ من المطلّقات.هذا و قوله تعالى:يرضعن،قيل فيه إنه خبر.و لكن المراد به الأمر و المبالغه، أى:ليرضعن.و هو أمر للنّدب.و

فى الكافى عن الصادق عليه السلام:

لا تجبر الحرّه على إرضاع الولد،و تجبر أمّ الولد يعنى:الأمه فلعلّ معنى الآيه أن الإرضاع حقّ الأمّهات فلا يمنعن منه إن أردنه.و

فى الكافى و الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام: ما من لبن رضع منه الصبىّ أعظم بركه عليه من لبن أمّه. و قد يجب الإرضاع على الأمّ فيما إذا لم يقبل الرضيع ثدى غير أمّه أولا يعيش إلاّ بلبنها بإخبار طبيب عادل خبير يوثق بقوله مثلا،أو إذا لم يوجد غيرها حين يتعذّر إيجاد غير الأم.و حَوْلَيْنِ يعنى سنتين،تحديد لأقصى مده الرضاع،و لرفع احتمال التسامح فى الحولين بتجويز النقص عن الحولين نعتها سبحانه بقوله:

كامِلَيْنِ أى تامّين،تأكيدا لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ أى أن هذا الحكم لمن رغب فى إتمام الرضاعه.أو أنه متعلّق ب:يرضعن،أى أنه موجّه للأمّهات فمن شاءت منهن أن تتمّ الرضاعه فلها أن تجعلها حولين، و إلاّ فبمقدار ما يجرى الاتفاق عليه،لأن الإرضاع واجب على الأب، و هو مكلّف بنفقه الولد،فأمر الرضاع بيده و الأمّ لا تستحقّه،لأنه سبحانه و تعالى علّق ذلك على إراده الأب بدليل قوله عزّ و جلّ أيضا:و إن تعاسرتم فسترضع له أخرى. وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ أى الأب الذى أولد المولود،و فى ذلك إشاره إلى أن الولد للأب،و لهذا نسب إليه.و إنما لم يقل على الزوج لأن أب الولد قد يكون غير الزّوج كحال أب الولد من الزوجه المطلّقه التى تزوّجت بآخر..فعلى الأب رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ يعنى أن مؤونه المرضع و تكاليفها على الأب بِالْمَعْرُوفِ أى بالكيفيه المتداوله المعروفه بين الناس بالنسبه للمرضعات،فإن كل شخص يبذل بمقدار وسعه و ميسوره،و لذا قال سبحانه: لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاّ وُسْعَها بقدر استطاعتها.و إذا لم ترض أمّ الرضيع بميسور أبيه فترضع له أخرى.و قد جعل حقّ الحضانه للأم،و جعلت النفقه على الأب بحسب مقدوره.

و قيل إنه أراد برزقهنّ و كسوتهن:نفقه الزوجات،و ليس كذلك،لأن النفقه هنا يقابلها الرضاع،بخلاف نفقه الزوجه التى تجب بسبب الزوجيه.

أما علّه تحديد مؤونه المرضعه التى تجب على الأب للمرضع ب:

المعروف،فذلك كيلا تكون النفقه المطلوبه فوق طاقه الأب.و التكليف بما لا يطاق مرفوع فى الشرع.و لذا نبّه عليه سبحانه بقوله: لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاّ وُسْعَها .و فى الآيه على كل حال بيان لقاعده كلّيه تشمل جميع التكاليف الشاقّه على النفوس،و منها ما نحن فيه.و قد ذكر عزّ و جل فى جمله الأحكام أن لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها فعلى قراءه من يقول:

أصلها:تضارر،يكون المعنى:أن لا تضرّ الأمّ ولدها بالتفريط فى حضانته،و عدم رعايه شؤونه و المحافظه على ما يحتاج إليه الرضيع من

نظافه و أكل و شرب و كسوه.و على قراءه فتح الرّاء:تضارّ،يكون الفعل بصيغه نهى أى على أن:لا تضارر و لا يلحق بها إجحاف.أما بناء على قراءه الرفع:لا تضارر،فهى حينئذ خبر،و بولدها:صلته أى متعلق به على النهى،و الباء سببيّه،و إضافه الولد إلى أمّه تاره و إلى أبيه أخرى من باب الاستعطاف لهما عليه،و لتشديد حرصهما و عدم تقصيرهما فى حقه. وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ أى الأب فإنّ عليه أن لا يضر بولده فى تسامحه بدفع النفقات،أو بتأخير شىء مما يجب عليه،أو أن يأخذه من أمّه بلا عذر،و بالأخص إذا صار الولد يعرف أمّه و أصبح يأنس بها و يستوحش من غيرها،فإذا أخذه منها قهرا يؤذيه و يضرّه.هذا بالحقيقه ظاهر الآيه.و أمّا الحمل على أن الوالد و الوالده عليهما أن لا يضارّ أحدهما الآخر بسبب الولد الرضيع،فخلاف الظاهر،فتفطّن و تأمّل،بالرغم من أن الروايات التى تدل على القول الأخير متعدّده،فى حين أن الروايات التى تدل على الظاهر الذى قلنا به قليله،و اللّه العالم على كل حال.

وَ عَلَى الْوارِثِ مِثْلُ ذلِكَ أى مثل ما على الوالد فى حين وفاه الأب.و الجمله معطوفه على:و على المولود له...و

فى العياشى عن الباقر عليه السلام: أنه سئل عن ذلك فقال:النفقه على الوارث مثل ما على الوالد. و

فى الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛أنه قضى فى رجل توفّى و ترك صبيا استرضع له،أنّ أجر رضاع الصبىّ ممّا يرث من أبيه و أمّه.

فَإِنْ أَرادا فِصالاً أى المرضعه و الوالد و إن كان جدّ الرضيع،فإذا قصد فطم الطفل عن الرضاع قبل الحولين.

ورد هكذا فى المجمع عن الصادق عليه السلام (عن تراض منهما)أى عن اتّفاق و برضى الطرفين وَ تَشاوُرٍ و مقاوله بينهما حول فطامه و قرار رأيهما على ما هو صلاحه لأن الوالده أبصر بما فيه مصلحه رضيعها لأنها تعلم من حاله ما لا يعلمه الأب.و لذا قيّد سبحانه الفطام قبل الحولين بالتشاور حتى تنجلى لهما مصلحه الولد،و عند ذلك فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أى لا مؤاخذه تلحق بهما

لذلك الفطام المبكر إذا كانت فيه مصلحه الرضيع.و إذا لم يتفقا على جهه،و لم يستقر رأيهما عليها و انجرّا الى التشاجر و التنازع فإنهما يرجعان الى الحولين الكاملين. وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ الخطاب للآباء لأن النفقه عليهم.فإذا لم ترد الأمّ أن ترضع ولدها،سواء لجفاف اللّبن أو لأيّه جهه اخرى كقلّه الأجره و قلّه النفقه،فللأب أن يطلب مرضعه ثانيه مكانها بالرغم من أن الأم لها حق التقدم فى الرضاع و الحضانه لأن لبنها أوفق لمزاج ولدها بعد أن ربى فى بطنها و اغتذى بدمها.و لذا قيل إنه لا بدّ أن يكون عمر ولد المرضعه مناسبا لعمر الرضيع الذى تأخذه،إذ لو كان عمره أكثر أو أقلّ فلا يناسب لبنها مزاجه.و يشترط فى المرضعه أيضا صحه المزاج و حسن الأخلاق و صباحه المنظر فإن ذلك كلّه يؤثّر فى الرضيع.

قال الإمام الصادق عليه السلام: الأمّ أولى برضاع ولدها. و

فى روايه عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنظروا إلى من ترضع أولادكم،فإن الولد يشبّ عليه. أى أنه ينشأ و يصير شابا على الرضاع،بمعنى أنه يعتاد و يتخلّق بما طبعته عليه صاحبه اللّبن.و

فى حديث جاء أن:الرضاع يغيّر الطباع.فليراع من المراضع أحسنها خلقا و خلقا،و شرفا و نسبا،و صحه و سلامه. و لهذا عاد أبو محمد الجوينى الى منزله يوما،فرأى طفلا له يرضع من امرأه،فأخذه و قلبه-أى جعل أسفله أعلاه-و أدخل إصبعه فى حلقه،و عصر بطنه حتى قاء ما شربه من اللبن.و كان يقول:لو مات هذا الرضيع لكان ذلك عندى أحسن من أن يرضع من غير أمّه فتفسد فطرته و طبيعته!..و كان أبو المعالى يلكن فى وعظه فيقول:هذا من أثر لبن شربته من غير أمّى.و هذا هو ابن أبى محمد الجوينى صاحب القضيه التى ذكرناها سابقا.

فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِذا سَلَّمْتُمْ ما آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ أى أن ما ذكرناه يتمّ بشرط تسليم ما قصدتم إعطاءه إلى المراضع.و قوله:بالمعروف،متعلّق بسلّمتم.يعنى أعطوهن نفقاتهنّ بما هو المتعارف بين المؤمنين و المستحسن عندهم،و بكيفيه مشروعه حسنه وَ اتَّقُوا اللّهَ بالمحافظه على حدوده

و بالأخص فى ما شرع لكم من أمر المراضع و الرّضعاء وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ هذا الجمله بعد الأمر بالتقوى،جاءت تنبيها للمسترضعين و توعّدا لهم،حتى لا يقصّروا فى أمر المراضع و لا فى حق أطفالهم،فإنه سبحانه محيط بأعمالهم و أسرارهم.و هو بصير عليم بما يعملون،لا يخفى عليه تقصيرهم فى الإنفاق،كما أنه لا يخفى عليه تقصير المرضعات أثناء حضانتهنّ للأطفال.

۲۳۴- وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً ...لمّا بيّن سبحانه عدّه المطلّقات،و عرض للرضاع،أخذ فى بيان عدّه المتوفّى عنها زوجها.

فالرجال الذى يموتون و يذرون،أى يتركون،أزواجا خوالف من النساء، من عادتهنّ الحبل،فعلى هؤلاء النساء أن يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أى يصبرن و يحبسن أنفسهن عن الرجال و الزواج،معتدّات أَرْبَعَهَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً أى عشر ليال و عشره أيام بعد الأربعه الأشهر،فهذه عدّه المتوفّى عنها زوجها.و لعلّ هذا التحديد الدقيق بلحاظ أنّ الحمل يعرف فى هذه المده،بل قيل إن الجنين يتحرّك فى ثلاثه أشهر أحيانا إن كان ذكرا، و فى الأربعه إن كانت أنثى.فاعتبر اللّه تعالى أقصى الأجلين،و زاد عليه العشره للاستظهار.و ما ذكرناه من التحرّك عهدته على قائله.و

فى العلل عن الرضا عليه السلام: أوجب عليها إذا أصيبت بزوجها و توفّى عنها، بمثل ما أوجب عليها فى حياته إذا آلى منها. و اعلم أن غايه صبر المرأه أربعه أشهر فى ترك الجماع،فمن ثم أوجب عليها و لها. فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ انتهت مده عدّتهنّ و انقضت التى ذكرناها سابقا. فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فلا مؤاخذه أيها الأولياء أو الحكام أو المسلمون فِيما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ فى الخروج من بيوتهنّ،و التزيّن بما هو جائز لهنّ عرفا و شرعا،لا بما هو منكر و غير مناسب من مثلهنّ.و لعل هذا معنى قوله تعالى:بالمعروف،أى حسب المتعارف،أو معناه بما كان حراما عليهن فى العدّه و صار لا بأس بالإتيان به بعدها،و منها تعريض أنفسهن للنكاح و التزويج وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ عليم بأعمال عباده من حيث الخروج

ص: ۲۹۰

عن حدود ما شرع لهم،أو الالتزام به،يجازى العاصى و يثيب الطائع.

و الآيه ترغيب و ترهيب.

سوره البقره (۲): الآيات ۲۳۵ الى ۲۳۷

وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَهِ اَلنِّساءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اَللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَ لكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً وَ لا تَعْزِمُوا عُقْدَهَ اَلنِّكاحِ حَتّى يَبْلُغَ اَلْكِتابُ أَجَلَهُ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّهَ يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (۲۳۵) لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ اَلنِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَهً وَ مَتِّعُوهُنَّ عَلَى اَلْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَى اَلْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى اَلْمُحْسِنِينَ (۲۳۶) وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَهً فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ إِلاّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا اَلَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَهُ اَلنِّكاحِ وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَ لا تَنْسَوُا اَلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اَللّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۲۳۷)

۲۳۵- وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَهِ النِّساءِ ...لمّا قدّم سبحانه ذكر عدّه الخوالف،و جواز الرجعه فيها للأزواج،جاء بهذه الآيه

ص: ۲۹۱

الکریمه تعقیبا لما سبق،من أجل بیان ما لغیر الأزواج بالنسبه للمطلّقات إذا رغب هذا الغیر فی الزواج من مطلّقه ما.

فالخطاب هنا للأجانب من الرجال الذین یریدون خطبه النساء المطلّقات غیر الرجعیات أو المتوفی عنهن أزواجهنّ بعد انقضاء العدّه، یقول لهم فیه جلّ و علا: لا جُناحَ عَلَیْکُمْ فِیما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَهِ النِّساءِ .و التعریض لغه خلاف التصریح و ضد الکنایه،و هو فی الاصطلاح الکلام الذی له معنی مطابقیّ و معنی تضمّنی،و أنت ترید معناه التضمنیّ کأن ترید أن تتزوج امرأه،و من أجل اختبارها و معرفه رضاها تقول لها مثلا:أنا أحب مجالستک و مصاحبتک أو تقول لها:إن جمالک یفوقه حسن أخلاقک و أدبک..فإن لهذا الکلام دلالتین:مطابقیّه فی معناه الظاهریّ الذی لا یریده المتکلّم بل یرید معناه،و تضمّنیه و هو الذی قصده من کلامه و هو أنه یرید أن یتزوّجها و ینکحها.و هذا الذی أرید به التعرض.

و أما کون التعریض غیر الکنایه فذلک أن الکنایه هی الدلاله علی الشیء بذکر لوازمه نحو:کثیر الرماد،للمضیاف.فدلاله الکنایه علی المقصود بالالتزام.و الحاصل أنه:لا بأس علیکم أیها الخطّاب من الرجال إذا عرّضتم تعریضا قبل خطبه النساء استعلاما لرضاهنّ،فإذا علمتم الرضی منهنّ فاستنکحوهنّ من أهلهن.فلا مانع إذا فعلتم ذلک أَوْ أَکْنَنْتُمْ فِی أَنْفُسِکُمْ أی أضمرتم و أخفیتم و لم تعرّضوا و لم تصرّحوا،و لکن خطرت الرغبه فی نکاحهنّ فی أنفسکم بعد انقضاء عدّتهن،و عزمتم علی ذلک،فلا بأس و لو کان العزم و الخطور أثناء عدّتهن حین وفاه أزواجهنّ کما یدل نظم الآیات الکریمات و لقوله سبحانه: حَتّی یَبْلُغَ الْکِتابُ أَجَلَهُ، و علیه الاتفاق حتی و لو کانت الآیه صالحه للعموم لبعض المعتدّات، و التفصیل موکول الی الفقه. عَلِمَ اللّهُ أَنَّکُمْ سَتَذْکُرُونَهُنَّ بألسنتهم و بکلامکم حین إبداء الرغبه فی نکاحهنّ،مخافه أن یسبقکم غیرکم إلیهن.و ذلک لا یدل علی التوبیخ،لجواز أن تقصدوا فی ذکرهن وجها صحیحا راجحا،کتطییب قلوب المؤمنات المنقطعات ذوات الأیتام،إذ

تطمئن قلوبهن لوجود الكافل وَ لٰكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا لأنهنّ أجنبيّات، و المواعده بالسرّ تدعو الى ما لا يحلّ و تجرّ إلى الحرام،و لا أقلّ من خوف الوقوع فى ذلك،و لعل هذا مناط المنع،و قيل إن السرّ هو الدعوه الى الجماع الذى يعبّر عنه بذلك،و النهى عنه لأنه خلاف التعريض و الاحتشام.و معنى الدعوه الى الجماع كأن يصف الرجل نفسه بأنه كثير الباه كثير الجماع ليهيجها و يحرّك إحساساتها لا أن يدعوها إلى الحرام. إِلاّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً و لعله القول الكنائىّ و التعريضىّ لا القول بما هو صريح فى الزواج و النكاح.و على هذا يحتمل قويّا أن يكون المنهىّ عنه هو القول الذى لا يجوز أن يتكلم به الرجل مع الأجنبيه إلاّ فى السرّ مما يستقبح أو يستهجن ذكره علانيه معها.و ليس المراد بالسرّ هو المكان الخالى من الناس و المخفىّ عن الأنظار و اللّه أعلم..و الاستثناء فى الآيه منقطع لرفع ما يتوهّم من المنع عن كل ما يدل على التزويج لأن التزويج يدل على الجماع و يؤول إليه.لكن يجوز القول بالمعروف الموافق للحياء و الحشمه كالتعريض و كريم الخطاب كقوله مثلا:لا تسبقينى بنفسك إذا انقضت عدّتك،أو:إننى أكرم النساء و أحبّهنّ و أحترمهنّ،و أحب فيهنّ من كانت أوصافها كذا و كذا،ثم يعدّ ما ينطبق عليها بحيث تعرف أنه يقصدها،و نحو هذه من معاريض الكلام التى وردت به روايات عن ابن عباس فى الدر المنثور..و لأن الاستثناء منقطع فإن حرف الاستثناء جاء بمعنى:لكن-و بل.و المعروف هو التعريض المرخّص به فى السرّ.

و التصريح بالمواعده منهىّ عنه:فلا تواعدوهنّ بالصراحه سرا،بل قولوا لهنّ فى الخلوه قولا فيه تلميح وَ لا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ حَتّى يَبْلُغَ الْكِتابُ أَجَلَهُ يعنى:و لا تقصدوا قصدا جازما عقد النكاح قبل انقضاء العدّه، و لكن العزم عليه بعد العدّه لا مانع منه بقرينه قوله تعالى: حَتّى يَبْلُغَ الْكِتابُ أَجَلَهُ ،أى إلى بلوغ ما كتب و قدّر من مده العدّه المفروض انتهاؤها و غايتها.

و يستفاد من مجموع هذه الآيات المباركات الاهتمام التامّ بأمور:

الأول:صون الرجال أنفسهم بالنسبه للأجنبيّات لئلا يقعوا فيما حرّم اللّه تعالى.

و الثانى:صيانه الفروج عن اختلاط المياه و اختلاط النّطف و النسل.

و الثالث:حفظ النساء أنفسهنّ عن الأجانب من الرجال،و التجنب منهم تماما ليتحصّنّ من الزّلل و الخطل. وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ و هذه الشريفه تنبيه و ترهيب من العزم على ما لا يجوز شرعا،فلا بدّ من الحذر منه،و لذا قال تعالى: فَاحْذَرُوهُ بما نهاكم عنه،و بمخالفه ما أمركم به،و بارتكاب مالا يرضاه وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ عباره شريفه جاء بها سبحانه للترجّى بعد الترهيب و التحذير.أى لا- تيأسوا من روحى و رحمتى فإنى غفّار لعبادى إذا فعلوا عملا غير مرضىّ عندى و خالفونى فى بعض أوامرى و نواهى فلا- أعاجلهم بالعقوبه و أمهلهم حتى يتوبوا إلىّ فإنى حليم أرأف بهم و أغفر لهم حتى كأنهم لم يذنبوا و لم يفعلوا شيئا إذا تابوا توبه نصوحا.

۲۳۶- لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ...أى لا تبعه و لا جرم.

و المقصود من هذه الشريفه هو رفع التوهم من منع الطلاق فى الصورتين المذكورتين،لأنه فراق قبل النتيجه المطلوبه شرعا من النكاح،و قطع لما كان يؤمل من ألفه الزواج و أفراحه،إذ لم يكن ينتظر سوء صحبه من المرأه و لا أهلها،بل المجامله و حسن المعاشره يدل على ذلك الاتفاق على الزواج و عدم المضايقه فى تقديم الصّداق و فرضه فى العقد،و هذا كله كاشف عن كمال مساعده المرأه لخاطبها فى المزاوجه،و عن رغبتها فى هذا القران.

فالتوهّم فى محلّه،و لذا دفعه اللّه تعالى و رفعه بقوله: لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أى قبل أن تدخلوا بهنّ و قبل فرض الفريضه أى الصداق أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً عطف على:

تمسّوهنّ،و لذا جزم بحذف نونه.و قد جاء العطف بأو،لأنها تنبئ عن أنّ الجمع غير معتبر فى نفى الجناح بخلاف الواو فإنها لو أتى بها لدلّت على

اعتباره،و هو خلاف فى حكمه سبحانه فيما نحن فيه.و هذا الحكم ثابت قبل الوطء و بعد فرض الصّداق.و غايه الأمر،أنه بعد فرضه يكون على المطلّق نصفه،أى نصف ما فرض على نفسه كما صرّح فى الآيه الآتيه.

و ما نحن فيه عليه المتعه أى إذا لم يقدّر و لا عيّن لها صداقا،فالواجب عليه التمتيع،لأن الأزواج أمرهم بذلك فى الآيه الكريمه إذ قال: وَ مَتِّعُوهُنَّ عطف على مقدّر،أى طلّقوهنّ و متّعوهن.و الأمر ظاهر فى الوجوب.

و المراد بالمتعه يمكن أن تكون البلغه لما يكفيها طيله سنتها بما يناسب شأنها أو أن المتعه فى الطلاق كما قيل هى القميص أو الإزار أو الملحفه.

و كل ذلك من ناحيه الجنس كميه و كيفيه موكوله إلى الزوج كما قال سبحانه عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ،وَ عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ قدره:قرئ بسكون الدال و فتحه،و أريد به المقدار الذى يتناسب مع سعته من المال.و الموسع هو ذو السعه نحو المثرى و الغنىّ.و المقتر هو المقل من المال.فعلى كل واحد أن يمتّع مطلّقته بما يتلاءم مع سعته أو إقلاله.و

فى روايه عن أبى بصير:

أن أدنى المتعه أن يعطيها خمارا. و فى الفقيه:أن الغنىّ يمتّع بدار أو خادم،و الوسط بثوب،و الفقير بدرهم أو خاتم.و

فى روايه الحلبى عن الصادق عليه السلام: ان الموسع يمتّع بعبد أو أمه،و يمتّع الفقير بالحنطه و الزبيب و الثوب و الدرهم. و لعل الكل على سبيل المثال و مناسبه الحال.

مَتاعاً بِالْمَعْرُوفِ و هو ما يتمتع به،و نصب بالمفعول لمتّعوهنّ،بما هو المتعارف بين الناس بحسب الشأن و الحال حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ حقا:

صفه لمتاعا،أى متاعا ثابتا محقّقا على من يحسن فى مقام أداء حقوق الناس.و هذا الذيل ترغيب و تشويق ليدفع كلّ من عليه حقوق للناس أن يوصلها إليهم،و منهم المطلّقات سواء كنّ مدخولات أو غير مدخولات كما فى المقام.فعلى الأزواج إعطاء حقهنّ لهنّ بلا نقيصه و لا تسويف، ليحسبوا من المحسنين الذين من شأنهم الإحسان.و

فى الكافى و العياشى أن الصادق عليه السلام سئل عن الرجل يطلّق امرأته،يمتّعها؟..قال:

نعم،أما يحب أن يكون من المحسنين،و أما يحب أن يكون من

المتقين؟.. و

فى الكافى عنه عليه السلام،قال: فليمتعها على نحو ما يمتّع مثلها من النساء. و يمكن أن يراد رعايه حالها جميعا كما قلنا آنفا.و

فى التهذيب عن الباقر عليه السلام فى قوله تعالى:و متعوهنّ،فى سوره الأحزاب،فى هذا الحكم بعينه:أى أجملوهنّ على ما قدرتم عليه من معروف،فإنهن يرجعن بكآبه بعد طلاقهنّ و وحشه و همّ عظيم، و شماته من أعدائهنّ.فإن اللّه كريم يستحى و يحب أهل الحياء،إنّ أكرمكم أشدّكم إكراما لحلائلهم.

۲۳۷- وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَهً ...هذه الآيه الشريفه تدل على أن الجناح فى الآيه المتقدمه من ناحيه تبعه المهر،و لذلك حدّد سبحانه الأمر و قال: فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ و هذا إثبات للجناح المنفىّ هناك،و تقدير لما فرض عزّ و جلّ إِلاّ أَنْ يَعْفُونَ و العافيات هنّ المطلّقات،أى أن الفرض هو نصف المهر،و هنّ قد يتركن ما يجب لهنّ على المطلّقين و لا يطلبنهم بذلك إعفاء لهم أَوْ يَعْفُوَا الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَهُ النِّكاحِ أى الولىّ إذا كانت البنت صغيره أو غير راشده،إذ له العفو إذا اقتضته المصلحه،أو وكيله أو من يوصى إليه من طرف الولىّ،فهم جميعا بمنزله الأب و الجد،يجوز لهم ما كان جائزا لهما.و فى بعض الروايات أنه ليس للولىّ أن يدع الفرض كلّه بل يأخذ بعضا و يدع بعضا.و ولايه الأب و الجد تكون على البكر غير البالغه،و أما فى من عداها فلا ولايه لهما.نعم قيل بأن لهما ولايه العرس حتى على البكر البالغه فإذا زوّجت تنقطع ولايتهما عنها مطلقا.

و أما إعراب الآيه المباركه فقوله:فنصف فى موضع رفع بالابتداء، و خبره مقدّر:فعليكم نصف.و يعفون فى موضع نصب بأن أو بالاستثناء،و النون علامه جمع المؤنّث.و الفعل المضارع إذا اتّصلت به نون ضمير الجمع للمؤنّث بنى،فيستوى فى الرفع و النّصب و الجزم.أو يعفو:تقديره:أو أن يعفو.فهو فى محل نصب عطفا على يعفون.و أن

تعفوا:فى محل رفع بالابتداء،أى و عفوكم أقرب للتقوى.و اللاّم بمعنى الى و تتعلّق بأقرب.

وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى الخطاب للمطلّقه و الولىّ فى صوره المصلحه للعفو عن بعض الواجب لا الجميع على ما قدّمنا من منع الجميع.و الإتيان بصيغه الجمع جاء بلحاظ تعدّد النساء و الأولياء،أو المرأه الواحده و أوليائها،كلّ أولئك مع الموصى لهم و الوكلاء.فالمخاطب هو المجموع من حيث إنهم متعدّدون..أما وجه أن العفو أقرب للتقوى، فهو أولا-لأن من ترك حق نفسه لغيره كان عمله مستحسنا فى غايه الحسن و الزّهد و التقوى و ثانيا:أن معناه:أقرب لاتّقاء معصيه اللّه،لأن من تزهّد و تجاوز عن حقه المشروع كان أقرب الى طاعه اللّه عزّ و جلّ.

بخلاف من يعصيه و يطلب ما ليس له..

و يحتمل ان يكون الخطاب عاما لجميع الناس،و الجمله مستأنفه.

و معناه يكون لترغيب البشر و تهذيب أنفسهم و تخلّقهم بحسن المزايا،إذ ان العفو يكون منهم عمّا هو مقدور لهم أخذه من حقوقهم مع قدرتهم على الانتقام ممن ظلمهم،و اللّه تعالى عفو يحب أهل العفو و الإحسان الى عباده. وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ أى لا-تتركوا تبادل الإحسان فيما بينكم،و لا تنسوا ما يتفضّل به الواحد منكم على الآخر من عمل المعروف.و يمكن أن تكون هذه الجمله فى مقام بيان عامّ و ضرب قاعده كلّيه،فإن الإنسان بمقتضى الفطره البشريه المطبوع عليها صاحب الفضيله يحب التفضل على غيره و الإحسان إليه حتى و لو كان من غير جنسه.و اللّه تعالى فى مقام التنبيه الى ما فطر الإنسان عليه كأنه يقول له:يا أيها الإنسان،لا-تنس ما فطرتك عليه يوم خلقتك.فإننى كوّنتك على سجيّه حب الفضل و الجود على الغير،فكن على حسب ما كوّنت.

و هذا بعمومه يشمل المقام من باب:إياك أعنى و اسمعى يا جاره،و ذلك أن عفو المطلّقات لتمام حقهنّ أو لبعضه يحسب من الفضل و الإحسان،فما أجمل عند اللّه تعالى أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقده النكاح دفعا

للخصومات و المشاكل و إذا اقتضت المصلحه ذلك إِنَّ اللّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يرى و يشاهد أعمالكم و يعطيكم أفضل جزاء المحسنين إن أحسنتم،و أما إذا اسأتم فعلى أنفسكم تجنون،و إذا نسيتم الفضل، و تغافلتم عن الإحسان فلا شيء لكم و لا عليكم.و

فى العياشى عن الباقر عليه السلام أنه قال:قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يأتى على الناس زمان عضوض،يعضّ كلّ امرئ على ما فى يديه،و ينسون الفضل بينهم. قال اللّه تعالى: وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ .و فى العيون عن علىّ عليه السلام بهذا المضمون.

سوره البقره (٢): الآيات ٢٣٨ الى ٢٣٩

حافِظُوا عَلَى اَلصَّلَواتِ وَ اَلصَّلاهِ اَلْوُسْطى وَ قُومُوا لِلّهِ قانِتِينَ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالاً أَوْ رُكْباناً فَإِذا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اَللّهَ كَما عَلَّمَكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩)

٢٣٨- حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ (١)..

عن زيد بن ثابت،قال: لما هاجر النبىّ كانت أثقل الأمور على الناس المهاجرين هى الصلاه.و كان من

****

(١) قيل فى وجه ذكر الصلاه خلال احكام الأزواج و الأولاد لئلا يلهيهم ذلك عنها لكثره أحكامه و الاهتمام بشأنه.و هو وجه غير موجّه عندنا،إذ لعل ذكرها هنا كان بمناسبه أنه تعالى بعد بيان آيات الأحكام بعناوينها قال:و لا تنسوا الفضل بينكم تنبيها للعباد،ثم بيّن أنّ من أجلّ أفراد الفضل و الإحسان التذكّر لنعم اللّه و المحافظه على الصلوات،و الإتيان بها فى أول أوقاتها،و الاهتمام بها رغم شده الأحكام فى غيرها و هذا لعظم أمر الصلاه التى هى من أفضل الطاعات و العبادات.و لذا خصّها بالذكر خلال احكام يراها الإنسان غير مناسبه لها.و فى هذا دليل على عظيم شأن الصلاه عند اللّه تعالى و على غايه فضلها،بغضّ النظر عن الآيات الأخرى و الروايات،و اللّه العالم.

ورائه صف أو صفان،فقال(ص):لقد هممت أن أحرق على قوم لم يشهدوا الصلاه.بيوتهم!. فنزلت هذه الآيه فانكفّ عمّا قصده لأن اللّه لمّا حثّ الناس على المحافظه على الصلوات،و اختصّها بالذكر من بين العبادات،علموا أنها أعظم العبادات و أهمّها عنده سبحانه تفخيما،فأكبّوا عليها و اهتموا بها غايه الاهتمام،و لا سيّما الجماعات،فاستراح النبيّ (ص)بذلک..و معنى الآيه المباركه أنه تعالى خاطب أصحاب النبيّ الأكرم صلوات اللّه عليه و آله بالمداومه على الصلوات المكتوبات فى مواقيتها على ما هو الظاهر.و الخطاب كان موجّها إليهم لأنهم كانوا فى حضره مبلّغه رسول اللّه الذى هو سفيره و الواسطه بينه تعالى و بينهم و بين جميع خلقه.و قد كان أصحابه(ص)محلّ ابتلائه،و كان المؤمنون أقلّيه فى ذلک اليوم و هم العمده،فالخطاب لذلک لهم لا للحصر،و عموم الخطاب يشمل سائر البشر كسائر العمومات،تشمل من حضر فى ذلک العصر و من لم يحضر،كما تشمل من يأتى فى سائر العصور إلى يوم القيامه.ثم إنه سبحانه كما اختص الصلاه من بين العبادات بالذكر لما قلناه،كذلک اختص به الصلاه الوسطى من بين سائر الصلوات أيضا لما قلناه،كقوله سبحانه: مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ .ثم اختلفوا بأنها أىّ صلاه.فقيل:إنها صلاه الظهر،و فى الخلاف أنّ عليه إجماع الفرقه.و فى الروايات من الصّحاح و غيرها دلاله عليه كصحيحه أبى بصير و صحيحه محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام،و صحيحه زراره عن الباقر عليه السلام و غيرها و غيرها.و قيل:إنها العصر.و لهذا القول مؤيّدات من الروايه و الأقوال.بل الحاصل أنها فسّرت بجميع الصلوات اليوميه من الفجر الى الظهر إلخ...و من أراد الاطّلاع عليها قولا و دليلا فليراجع الدرّ المنثور فإنه أحصاها.و لعل أقوى الأقوال دليلا و شهره هو أنها الظهر أو العصر،و الأول أظهر عندنا فى غير الجمعه،و الجمعه يوم الجمعه.و هذه بعض روايات الباب:

ففى الكافى و التهذيب عن الباقر عليه السلام فى الصلاه الوسطى،قال: هى صلاه الظهر،و هى أول

صلاه صلّاها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. و هى وسط النهار و وسط الصلاتين بالنهار:صلاه الغداه،و صلاه العصر..و اللّه أعلم. وَ قُومُوا لِلّهِ قانِتِينَ أى انتصبوا فى الصلاه داعين لأن

القنوت هو الدعاء فى الصلاه حال القيام على قول ابن عباس.بل هو المروىّ عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السلام . و لعله هو هذا القنوت المعروف،و هو المعروف فى ألسنه الصحابه و غيرهم كما فى الروايات المذكوره فى الدر المنثور و غيره...

و لفظه الجلاله:للّه،إمّا أنها متعلقه بقوموا،أو بقانتين،و تقديمها على قانتين كان للتأكيد بأن الدعاء لا بد من أن يكون خالصا له تعالى، كما أن الصلاه كذلك...

۲۳۹- فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالاً أَوْ رُكْباناً ..أى فإن خفتم أثناء مباشرتكم الصلاه و القيام بها،من عدوّ أو لصّ أو سبع أو غير ذلك،فصلّوا راجلين،أى قائمين على أرجلكم كالعاده،أو راكبين.و

فى الكافى عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآيه فقال:إن خاف من لصّ أو سبع يكبّر و يؤمى إيماء. و

عن الباقر عليه السلام: الذى يخاف اللصوص يصلّى إيماء على دابّته فَإِذا أَمِنْتُمْ زال خوفكم و ذهبت وحشتكم فَاذْكُرُوا اللّهَ كَما عَلَّمَكُمْ صلّوا صلاه تامّه الأفعال و الشرائط،يعنى صلاه المختار الذى لا يخشى شيئا.فإنه تعالى علّمكم ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ما كنتم تجهلونه من الشرائع و الأحكام و كيفيّه الصلاه التى لم تكونوا عالمين بها قبل نزولها و قبل التكليف بها.

سوره البقره (۲): الآيات ۲۴۰ الى ۲۴۲

وَ اَلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّهً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَى اَلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْراجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِى ما فَعَلْنَ فِى أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَ اَللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲۴۰) وَ لِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى اَلْمُتَّقِينَ (۲۴۱) كَذلِكَ يُبَيِّنُ اَللّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۲۴۲)

ص: ۳۰۰

۲۴۰- وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ ...أى الذين يقاربون منكم الوفاه، لأن المتوفّى لا يقدر أن يأمر أو ينهى وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً أى يخلفون وراءهم،و يتركون بعد موتهم زوجات، وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ فليوصوا وصيه بناء على قراءه النّصب.و قرئ بالرفع،أى عليهم وصيه لأزواجهم مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ متاعا بدل من:وصيه،و هو بمنزله المتعه فى المطلّقات و نظيرها.فكما أن متعه المطلّقه لإعاشتها فى أيام عدّتها،فكذلك أيضا نفقه المتوفّى عنها زوجها.و الفرق أن أيام العدّه فى المطلقات هى ثلاثه قروء،و هى هاهنا الى حول و قيل إن الحول كان عدّتها فنسخ بما تقدّم فى الآيه ۲۳۴ حيث جعلت العدّه للمتوفّى عنها زوجها أربعه أشهر و عشره أيام.و المشهور أيضا أن الحول و المتاع حسب الوصيه لا انه كان العدّه، بل العدّه هى التى وردت فى الآيه السابقه من أول ما شرعت.فلهؤلاء النساء متاع الى الحول غَيْرَ إِخْراجٍ و الجمله حال من أزواجهم،أى غير مخرجات من بيوت سكنهنّ.بل لهنّ التمتّع بذلك بوصيه من أزواجهنّ، فيقمن بعدهم حولاً مستمتعين بالمال و السكن و سائر النفقه.و قد أشرنا آنفا و نسبنا الى الشهره بأن هذه ليست وصيه بنفقه العدّه المشروعه،بل هى فضل و إحسان لهنّ،و تفضّل من أزواجهنّ و مكافأه على الجميل ليبقين فى الحداد و التربّص إذا شئن ذلك فَإِنْ خَرَجْنَ من منازل الأزواج قبل تمام الحول لجهه من الجهات التى يجيء ذكرها إن شاء اللّه،فلا يجب الإنفاق المذكور عليهن و قد كان ذلك فى أول الإسلام،حيث كان الرجل إذا مات أنفق على امرأته من أصل تركته حولا،ثم أخرجت من بيت زوجها بلا ميراث.ثم نسخ هذا التربّص بهذه الكميه و هذه الكيفيه و هذا الإخراج

بلا ميراث.و

قد روى العياشى،و ورد فى المجمع أيضا،عن الصادق عليه السلام،و فى عده روايات أخر عن الصادقين عليهما السلام: هى منسوخه ،نسختها:يتربّصن بأنفسهنّ أربعه أشهر و عشرا،و نسختها آيات الميراث.يعنى آيات:الرّبع،و الثّمن،و آيه التربّص المقدّمه فى القراءه المتأخره فى النزول.

و فاقدات الأزواج إذا خرجن من بيوت أزواجهن فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِي ما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ أيها الأولياء للميّت و أيها الحكّام.و قد اختلف فى رفع الجناح فى هذه الحاله.و أوجه الوجوه أن يقال:لا بأس عليكم إن تزوّجن بعد انقضاء العدّه.و التقدير:إذا خرجن من العدّه بانقضاء السنّه،فلا جناح فى ترک الحداد و التزوّج.فلا تمنعوهنّ عن ذلک،لأن طلب النکاح أو التزيّن للتزوّج و نحو ذلک يعدّ مِنْ مَعْرُوفٍ الشرع و الناس فى عرفهم العام و طبائعهم.فهنّ كما يستفاد من هذه الآيه الشريفه مخيّرات بين التربّص فى المنزل و الحداد و أخذ النفقه،أو الخروج لشأنهنّ و ترکها وَ اللّهُ عَزِيزٌ غالب لمن خالفه و لا يقهره أحد،و هو أيضا حَكِيمٌ يفعل ما فيه المصلحه و يراعيها فيما يفعل.

۲۴۱- وَ لِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ ...وجه مناسبه هذا الذيل إلى ما قبله:

أن الآيات السابقه فى بيان تكاليف الحكّام و أولياء الموتى بالنسبه الى زوجاتهم من جهه حقوقهن.و جملته توعّد و ترهيب لمن خالف العمل بالتكليف بعد البيان،و لم يوصل الحقوق الى ذويها،و اللّه قاهر غالب على أمره،ينتقم ممن خالف أحكامه التى أنزلها بحسب موازين الصلاح و نظام الحكم..و يحتمل كون هذه الشريفه تأكيدا لما تقدّم من متعه من لم تمس و لم يفرض لها فريضه،فإطلاقها جار على ذلک التقييد.و هذا الاحتمال ليس ببعيد لقرب الآيه من تينک الآيتين.و يمكن حملها على الاستحباب و إبقاؤها على إطلاقها نظرا لصحيحه الحلبى و صحيحه عبد اللّه بن سنان و سماعه،كما يؤكّد هذا الحمل ما

روى أن الحسن بن علىّ عليهما السلام لم يطلّق امرأه إلاّ متّعها. و من المعلوم أنه عليه السلام ما تزوّج بامرأه إلاّ

و لها مهر.و مع ذلک يمتّعها عند الطلاق...و ظاهر الخبر أن هذا التمتيع کان غير مهورهنّ،و کان الإمام عليه السلام يمتّعهنّ و ينفق عليهنّ مده حياتهن..و بالنظر إلى الجمله الفعليه التى تدل على الاستمرار،و مضافا الى أن ذلک ظاهر من شيم الأئمه عليهم السلام بالنسبه إلى رواتب الناس عنهم،فقد کانوا لا يقطعونها طيله حياتهم.و يؤيده ما

فى الکافى عن الصادق عليه السلام حيث قال: متاعها بعد ما تنقضى عدّتها.

و بناء على الاستحباب فى المطلّقات جميعا هذا،بعد ما وجبت لواحده منهنّ و هى التى لم يدخل بها و طلّقت قبل أن تمس،و عدم فرض فريضه.

و معنى الشريفه:أن للمطلقات متاعا بِالْمَعْرُوفِ على الموسع قدره و على المعسر قدره حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ و نصب حقا:إما لکونه حالا من المتاع، و إما أنه مفعول للفعل المقدّر:أى ثابت واجب بوجوب أخلاقىّ حيث کانت المتعه هذه مستحبّه،و جعلت حقا على أهل التقوى،أى يحقّ هذا العمل أن يکون وظيفه هؤلاء المؤمنين لأنهم أولى بذلک حيث هم أکرم خلق اللّه و أعزّهم.

۲۴۲- کَذلِکَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَکُمْ آياتِهِ ...يعنى:کما يبيّن اللّه تعالى لکم الأحکام و الآداب و ما تحتاجون إلى معرفته فى دينکم،هکذا يبيّن لکم آياته و دلائل وجوده و علائم توحيده بلطفه و تفضّله.و قد شبّه سبحانه بيانه الآتى بالبيان الماضى.و المراد بالبيان هو ذکر الأدله التى يبيّن بها الحق من الباطل،و الصحيح من الفاسد.و الآيه الکريمه خطاب لرسول اللّه(ص) أولا بقوله:کذلک،و للناس ثانيا بقوله:لکم،لاحتياجهم فى نظام أمرهم الى بيان هذه الأحکام لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ أى لکى تعقلوا و تفهموا.

و وجه التخصيص باستعمال العقل،أن الآيات بحقيقتها لا تدرک إلاّ بالعقل حيث إنه هبه ربّانيّه و قوّه مدرکه تحس بواسطته النفس ما لا يمکن أن تدرکه بالحواس.

سوره البقره (۲): الآيات ۲۴۳ الى ۲۴۵

أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ اَلْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اَللّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ إِنَّ اَللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى اَلنّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ اَلنّاسِ لا يَشْكُرُونَ (۲۴۳) وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اَللّهِ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۲۴۴) مَنْ ذَا اَلَّذِي يُقْرِضُ اَللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً وَ اَللّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۲۴۵)

۲۴۳- أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ ...الخطاب تقدير لمن سمع بقصه القوم الذين خرجوا من ديارهم وَ هُمْ أُلُوفٌ أى آلاف كثيره حَذَرَ الْمَوْتِ خوفا منه و فرارا،غافلين عن أنه لا يمكن الفرار من أمر اللّه و قضائه،و هم كما

فى الكافى عن الباقر و الصادق عليهما السلام: أهل مدينه من مدائن الشام. و فى بعض التفاسير أنهم أهل-داودان-قريه قريبه من واسط فى العراق،كانوا إذا وقع الطاعون و أحسوا به خرج أغنياؤهم لقوّتهم على ذلك،و بقى الفقراء لضعفهم،فكان الموت يكثر فى الذين أقاموا،و يقلّ فى الذين خرجوا،فيقول الذين خرجوا:لو كنّا أقمنا لكثر فينا الموت،و يقول الذين أقاموا:لو كنّا خرجنا لقلّ فينا الموت.

فاجتمع رأيهم أنه إذا وقع الطاعون و أحسوا به خرجوا كلّهم من المدينه.

فلما أحسوا بالطاعون خرجوا جميعا خوفا من الموت و تنحّوا عن منطقه سكنهم فمرّوا بمدينه خربه قد جلا أهلها عنها و أفناهم الطاعون فنزلوا بها.فلما حطوا رحالهم و اطمأنّوا قال لهم اللّه عزّ و جلّ موتوا جميعا،فماتوا من ساعتهم،ثم فنيت أجسادهم و صاروا رميما تذروه الرياح على طريق المارّه.

ص: ۳۰۴

فجمع المارّه رفاتهم و بقاياهم و وضعوها فی محلّ واحد بعید عن الطریق.

ثم کان أن مرّ بهم نبیّ من أنبیاء بنی إسرائیل حزقیل علیه السلام فلما رأی تلک الرّفاه بکی و استعبر،و قال:یا رب لو شئت لأحییتهم الساعه کما أمتّهم،فیعمرون بلادک و یلدون عبادک،و یعبدونک مع من یعبدک من خلقک!..فأوحی اللّه تعالی إلیه:أ تحب ذلک؟..قال:نعم یا رب..فأحیاهم اللّه عزّ و جلّ.ثم قال المفسّر:

قال أبو عبد اللّه: علیه السلام:فیهم نزلت هذه الآیه.

و فی الغوالی عن الصادق علیه السلام،فی حدیث یذکر فیه نیروز الفرس،قال: إنّ نبیا من أنبیاء بنی إسرائیل سأل أن یحیی القوم الذین خرجوا من دیارهم و هم ألوف حذر الموت فأماتهم اللّه،فأوحی اللّه إلیه أن:صبّ الماء فی مضاجعهم.فصبّ علیهم الماء فی هذا الیوم فعاشوا و هم ثلاثون ألفا.و صار صبّ الماء فی یوم النیروز سنّه ماضیه لا یعرف سببها إلاّ الراسخون فی العلم.

فإن قیل:کیف یجمع بین قوله تعالی: فَقٰالَ لَهُمُ اللّٰهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْیٰاهُمْ، و قوله سبحانه: لا یَذُوقُونَ فِیهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَهَ الْأُولیٰ. نقول:یمکن الفرق بینهما بأن یقال:الإماته الأولی إماته عقوبه مع بقاء الأجل،و لذا أحیاهم لاستیفاء آجالهم الباقیه.و فی الآیه الثانیه أراد بالإماته الإماته بانتهاء الأجل المحتوم.و الحقّ فی الجواب أن الآیه الثانیه تتحدّث عن أصحاب الجحیم و أنهم لا یذوقون فیها الموت إلاّ الموته الأولی،فالضمیر فی:فیها،راجع للجحیم،و أهلها بعد أن یستقروا فیها لا یذوقون الموت أبدا،و کذلک أهل الجنّه.فلا منافاه بین الآیتین،و الناس معرّضون للموت مکرّرا فی دار الدنیا کما فی عزیر و أصحاب الکهف و أصحاب موسی و غیرهم.فلا مبرّر لإنکار الرجعه کما لا یخفی.

فالقوم الذین ذکرناهم فعلوا ما فعلوا فَقٰالَ لَهُمُ اللّٰهُ مُوتُوا فماتوا جمیعا علی حالهم التی کانوا علیها بأقلّ مما یرتدّ إلیهم طرفهم لأنه سبحانه

يقول للشيء:كن فيكون،فهو القادر القاهر،و إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ وردت هنا لأن إحياء هؤلاء بعد موتهم إنعام عليهم،و عبره لهم و لغيرهم ممن يقتصّ أخبارهم و يستبصر بقصّتهم العجيبه الداله على عظمه اللّه و جليل قدرته.يضاف الى ذلك أن هذه الآيه حجه على من أنكر سؤال منكر و نكير فى القبر و إحياء الميّت فيه،و ردّ على المنكرين للرجعه.فأى فضل و إحسان أعظم من هذه الأمور للإنسان المسلم المؤمن المعتقد باللّه و رسوله،بل لكل إنسان غير جاحد إذ ربما استبصر بها و التزم سبيل الهدى و اجتنب طريق الضلاله و الرّدى؟و لذا يقال:إن القرآن شفاء للقلوب و شرح للصدور وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَشْكُرُونَ له حقّ شكره، بأن يتدبّروا آياته،و يتفكّروا بنعمائه،و يتّعظوا بمواعظه،و يعتبروا بتكويناته،فيستدلّوا بها على قدرته و يقروا بتوحيده.

۲۴۴- وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ ...ظاهر هذا الخطاب أنه موجه الى أصحاب رسول اللّه الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فهو بعد تذكيرهم بالذين فرّوا من الموت و لم ينفعهم الفرار،عقّب بهذه الآيه التى يستفاد منها حضّهم على الجهاد بعد استذكار هذه القصه،فلا يفرّون و لا يسلكون طريقه الذين هربوا من الطاعون فوقعوا فى الموت،و ليعلموا أن امر الموت و الحياه بيده تعالى،و الفرار من قضاء اللّه لا ينجى الإنسان منه إذا قدّر له،و ليدركوا أن المجاهدين إنّ ماتوا فاز وا بالشهاده و إلاّ فإنهم يعودون بالثواب الجزيل و الأجر العظيم.فانتبهوا لذلك أيها المسلمون وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ لأقوالكم و خطرات نفوسكم عَلِيمٌ بما فى ضمائركم،فلا تحملوا أنفسكم و لا أصحابكم على الارتياب و الشك فى أمر الجهاد،و لا تتوقّفوا عنه لأنه تعالى يسمع القول،و يرى اتّباعكم لوساوس الشيطان و ترتيبكم الأثر على ما يمليه عليكم من الخدع و التثبيط،و يعاقبكم على القعود عن الجهاد.

۲۴۵- مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ ...بهذه الآيه الكريمه عبّر سبحانه عمّن ينفق ماله فى سبيل اللّه بالمقرض أى الذى يعطى ماله للمستدين منه

بشرط أن يعيده إليه بعد الأجل المعلوم الذى يعيّنانه عند استقراضه.بيان ذلك أن حكمه اللّه و لطفه و رحمته بعباده من الناس،قد اقتضت أن يجعل بعضهم محتاجين الى البعض بمقتضى نظام مدنيّتهم و تشابك مصالحهم فى معاشهم و شؤون حياتهم،و اقتضت رحمته أن يأمر بالتعاون و الإحسان، و أن يعود الغنىّ على الفقير بجوده،و أن يرجع المحتاج الى الميسور بطلبته، و أن ينفق بعض مال المتموّلين لنصر الحق و أهله و لدفع الباطل و أهله.كما اقتضت حكمته أن يرغّب الإنسان بالإنفاق فى سبيل اللّه و فى الجهاد على الأخص،و أن يوفقه لتنحيه شح نفسه و نزعات حرصه فجاء بهذه الآيه من القرآن الكريم على أحسن وجه من الترغيب و أجمل طريقه فى الحض على البر و عمل الخير و المضىّ فى طريق إصلاح البشر من أجل سعادتهم فقال سبحانه: مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً أى مقرونا بالإخلاص و طيب النفس.و المراد بإقراضه عزّ و علا هو الإنفاق فى طاعته و فى الطرق المقرره من عنده سبحانه.و إقراضه هو أيضا ما يطلب به ثوابه الجزيل.فمن أقرضه فى الموارد المذكوره فَیُضاعِفَهُ لَهُ أى يكثر له جزاءه و يزيد فى ثوابه و تعويضه.و الصيغه للمبالغه،فإنه تعالى يزيد فى ذلك أَضْعافاً کَثِیرَهً و لم يحدّدها لأنه لا يحصيها غيره و لا منتهى لها.يدل على

ذلك ما رواه الصدوق فى معانى الأخبار،و الخزاز فى الصحيح، و العياشى،عن على بن عمار عن الصادق عليه السلام حيث قال: لما نزل:من جاء بالحسنه فله خير منها،قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

أللهمّ زدنى،فأنزل:من جاء بالحسنه فله عشر أمثالها،فقال:ربّ زدنى،فأنزل اللّه:من ذا الذى يقرض اللّه قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيره،فعلم رسول اللّه(ص)أن الكثير منه لا يحصى و ليس له منتهى وَ اللّهُ یَقْبِضُ وَ یَبْصُطُ أى يقترّ على قوم و يوسّع على آخرين، حسب مصلحه كل واحد،فلا تبخلوا عليه بما وسّع عليكم فيقترّ عليكم كما فعل بهم فإنّ أمر الرزق بيد اللّه تعالى.و هذا الإقراض المضاعف الأجر و العوض هو من أعظم نعمه على العباد،فليغتنم ذو السعه فرصه الإنفاق

و إقراض اللّه جلّ شأنه،قبل أن يضيق عليه رزقه فتبقى له الحسره،و لا يخف فى إقراضه فقرا فإن القبض و البسط بيده سبحانه،و الرزق بيده يعطى العباد منه بمقتضى تقديره و حكمته وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ و تعودون بعد الموت على كل حال،ليوفّيكم جزاء ما أنفقتم،و حسب ما قدّمتم.و كم تشتد حسرات الحريص الشحيح على ما فرّط فى جنب اللّه يوم الحسره و الندامه!..

سوره البقره (٢): الآيات ٢۴۶ الى ٢۴٧

أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلْمَلَإِ مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ مِنْ بَعْدِ مُوسی إِذْ قالُوا لِنَبِیٍّ لَهُمُ اِبْعَثْ لَنا مَلِکاً نُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اَللّهِ قالَ هَلْ عَسَیْتُمْ إِنْ کُتِبَ عَلَیْکُمُ اَلْقِتالُ أَلاّ تُقاتِلُوا قالُوا وَ ما لَنا أَلاّ نُقاتِلَ فِی سَبِیلِ اَللّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِیارِنا وَ أَبْنائِنا فَلَمّا کُتِبَ عَلَیْهِمُ اَلْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلاّ قَلِیلاً مِنْهُمْ وَ اَللّهُ عَلِیمٌ بِالظّالِمِینَ (٢۴۶) وَ قالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إِنَّ اَللّهَ قَدْ بَعَثَ لَکُمْ طالُوتَ مَلِکاً قالُوا أَنّی یَکُونُ لَهُ اَلْمُلْکُ عَلَیْنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْکِ مِنْهُ وَ لَمْ یُؤْتَ سَعَهً مِنَ اَلْمالِ قالَ إِنَّ اَللّهَ اِصْطَفاهُ عَلَیْکُمْ وَ زادَهُ بَسْطَهً فِی اَلْعِلْمِ وَ اَلْجِسْمِ وَ اَللّهُ یُؤْتِی مُلْکَهُ مَنْ یَشاءُ وَ اَللّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ (٢۴٧)

۲۴۶- أَ لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ ...وجه ارتباط هذا بما قبله،هو أن ما تقدّمه کان ذکر الجهاد.و بهذه المناسبه عقّب بقصه من قصص بنی إسرائیل التی خاطب بها نبیّه الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قال:ألا أخبرک یا محمد بما سأله أشراف بنی إسرائیل لنبیّهم مِنْ بَعْدِ مُوسی أی بعد وفاته إِذْ قالُوا لِنَبِیٍّ لَهُمُ قیل

هو شمعون،أو یوشع، أو أشموئیل بحسب المرویّ عن أبی جعفر الباقر علیه السلام . و قیل هذا اسمه بالعبرانیه،و بالعربیه هو إسماعیل،و ردّ القول بأن إسماعیل بالعبرانیه هو یشمع إیل کما أفاد بعض الأعاظم ممن له خبره بالعبرانیه.

قال له رهط من بنی إسرائیل: اِبْعَثْ لَنا مَلِکاً نُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللّهِ أی هیّء لنا أمیرا و قائدا نأتمر بأمره و ننتهی بنهیه و نقاتل معه و نجاهد فی سبیل ربّنا و حسبه له تعالی قالَ هَلْ عَسَیْتُمْ إِنْ کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتالُ أَلاّ تُقاتِلُوا جمله:ألا تقاتلوا خبر لعسی.و قد فصل الشرط بین عسی و خبرها، و استفهم عما هو متوقّع عنده من جبنهم عن القتال.و الاستفهام تقریریّ و ظاهر الآیه الشریفه أن

النبیّ قال لهم: هل عسیتم أی:أولا تحسبون أن تخافوا من القتال فلا تقاتلوا العدوّ إذا کتب علیکم القتال؟ یعنی أنتم کذلک،و لستم من أهل مقاتله الخصم و مبارزته. قالُوا وَ ما لَنا أَلاّ نُقاتِلَ فِی سَبِیلِ اللّهِ أی ماذا یمنعنا من القتال فی طریق الحق و الحقیقه وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِیارِنا وَ أَبْنائِنا بالحرب و الطّراد.و هل بعد هذا مانع معقول فی ترک القتال،فهو دفاع عن الدین،و دعاء إلی التوحید و حفظ لمنعتنا و وجودنا و قد أخرجنا من دیارنا ظلما فَلَمّا کُتِبَ عَلَیْهِمُ الْقِتالُ أی فرض علیهم حرب العمالقه الذین کانوا یسکنون ساحل بحر الروم المتوسط بین مصر و فلسطین،و کانوا غالبین علی بنی إسرائیل و قد قتلوا منهم رجالا و سبوا منهم نساء و احتجزوا لهم ذراری و فرّقوا بین الآباء و أسرهم،.فعند ما فرض علیهم قتال هؤلاء العمالیق الکفره تَوَلَّوْا إِلاّ قَلِیلاً مِنْهُمْ أی أعرضوا و أدبروا عن القتال غیر طائفه قلیله.و قیل کان عدد الباقین الموافقین علی الجهاد ثلاثمئه و ثلاثه

عشر رجلا،بعدد أهل بدر وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ أى أنه كان تعالى يعلم من أول الأمر أنهم ليسوا من أهل المبارزه و القتال،بدليل قول نبيّهم لهم هل عسيتم إلخ...بإلهام منه سبحانه.و التعبير بالظالمين هنا،لأنهم بمخالفتهم لنبيّهم،و بعصيانهم لأمره تعالى،ظلموا أنفسهم و خسروا خسرانا مبينا،فكان ذيل الآيه الشريفه توعدا لهم و تهديدا.

۲۴۷- وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ...

روى أيضا أن أسمه أرميا النبىّ. و ردّ هذا

بأن أرميا على ما فى الصحيح عن الصادق عليه السلام كان معاصرا لبختنصّر. و التاريخ بين ذلك العصر و عصر طالوت نحو أربعمائه سنه.و فى البيان و مجمع البيان:هو شموئيل،و فى المجمع هو بالعربيه إسماعيل كما قدّمناه قال هذا النبىّ الكريم إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً و قيل سمىّ طالوت،لطوله.و فى بعض كتب اليهود عن بعض المؤرخين:كان أطول من جميع بنى إسرائيل من كتفه فما فوق.فلما أخبرهم النبىّ بأن اللّه اختار لهم طالوت سلطانا و أميرا و قالُوا أَنّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا أى كيف يكون له سلطان و ليس عنده أهليّه وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ لأنه من ولد بنيامين و كانت النبوّه يومئذ فى أولاد لاوى، و منه موسى بن عمران و أخوه هارون عليهما السلام،و الملك فى ولد يوسف عليه السلام،فنحن أحق منه وراثه و مكنه..و يذكر تاريخ اليهود فى أواخر سفر القضاه بمناسبه ما،أن سبط بنيامين قد صدرت من بعضهم بادره قبيحه كالذى يصدر عن الإنسان حين الغضب.فأراد بنو إسرائيل أن يؤدّبوا هؤلاء فحماهم سبطهم فحاربهم باقى الأسباط حتى نكّلوا بهم فصار سبط بنيامين قليلا محتقرا،و لذا احتقروا طالوت لأنه كان بنياميّا، و قالوا نحن أحق منه بالإماره تراثا وَ لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ ليقدر على تأثيل ملوكيته و تأسيس مملكته به،و تقويه المملكه تقتضى المال الكثير لصيانتها و تنظيم إدارتها،فالملك بلا مال كالمحارب بلا سلاح.و لذا أنكروا تملكه عليهم لسقوط نسبه بنظرهم،و لفقره فلا مال له يعضده فردّهم نبيّهم ردا عنيفا و قالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ أى اختاره و هو

أعلم بمصالح عباده وَ زادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ فرزقه سعه فيه،و لا يتمّ أمر السياسه المدنيّه و الدينيه إلا به وَ الْجِسْمِ إذ الجسم المهيب أعظم فى النفوس،و أقوى فى مكايده الأعداء فى الحروب.فهذان الأمران أهمّ للسلطان مما اعتبرتم للملك وَ اللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ فأزمه الأمور بيده تعالى،و هو يقدر أن يعطى المال قرينا للملك،و أما البيتيه فلا مدخل لها فى السلطنه،فكم و كم من سلطان طلع من غير بيوت السلطنه،و كم من بيوت السلطنه أصبحت و ليس فيها ملك و لا سلطان،و اللّه يعطى ملكه بحسب ما تقتضى حكمته و مصالح عباده وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ ذو فضل وجود،جزيل العلم بمن له صلاحيه الملك و الزعامه و السياسه الدنيويه و الدينيّه.

سوره البقره (٢): آيه ٢۴٨

وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَهَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التّابُوتُ فِيهِ سَكِينَهٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّهٌ مِمّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَهً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢۴٨)

٢۴٨- وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ...قال لهم هذا القول حين طلبوا منه الحجه من اللّه الداله على أن تمليك طالوت بمشيئته،قال: إِنَّ آيَهَ مُلْكِهِ أى علامه كونه سلطانا عليكم من عند اللّه و يأمر منه سبحانه أَنْ يَأْتِيَكُمُ التّابُوتُ أى يجىء التابوت إليكم بعد أن رفعه اللّه عنكم حين احتقرتموه.

و قد روى على بن إبراهيم فى تفسيره،عن أبى جعفر عليه السلام: أن التابوت الذى أنزله اللّه على أمّ موسى فوضعت فيه ابنها و ألقته فى البحر،

ص: ٣١١

کان فی بنی إسرائیل معظّما یتبرّکون به.فلما حضرت موسی علیه السلام الوفاه وضع فیه الألواح أی رضراض الألواح و مکسوراتها و درعه و ما کان عنده من آثار النبوه،و أودعه عند وصیّه یوشع بن نون.فلم یزل التابوت بینهم،و هم فی عزّ و شرف ما دام فیهم،حتی استخفّوا به و کان الصبیان یلعبون به فی الطرقات.فلما عملوا المعاصی رفعه اللّه عنهم.فلما سألوا نبیّهم أن یبعث لهم ملکا،بعث إلیهم طالوت،و ردّ علیهم التابوت.

و قیل إن التابوت صندوق کانت فیه التوراه أو مطلق علائم النبوّه کالعصا و الطّست الذی تغسل فیه قلوب النبیّین،و الدرع الذی ألبسه طالوت لداود علیه السلام،و أمثالها.و لا منافاه بین هذا القول و ما ورد عن أبی جعفر(ع).و الحاصل أنه قال لهم:یأتیکم التابوت فِیهِ سَکِینَهٌ مِنْ رَبِّکُمْ أی أن فی التابوت شیء مودع تسکن به قلوبکم و یمسّها الأمن و الطمأنینه،قد جعلها اللّه فیه لیسکن بنو إسرائیل حین یصیبهم الضّر فی أمورهم،و إذا اشتدت فاقتهم.و هذا من نعم اللّه تعالی علیهم کالمنّ و السلوی و غیرهما ممّا منّ اللّه تعالی به علیهم..أما التابوت فقد کان عندهم بمنزله اللواء الأعظم فی الحروب،و کان معه الفتح و الظفر.

و الروایات فی السکینه کثیره مختلفه و من أراد الاطّلاع علیها فعلیه بالمفصّلات من التفاسیر.ففیه السکینه وَ بَقِیَّهٌ مِمّا تَرَکَ آلُ مُوسی وَ آلُ هارُونَ و هذه البقیه یمکن أن تکون تراث الإرث کرضاض الألواح، و کاللّوحین من التوراه،و کقفیز المنّ الذی کان ینزل علیهم،و کنعلی موسی و قیل مطلق ثیابه و ما هو من آثار الأنبیاء علیهم السلام:

و کعمامه هارون و العصا.و قیل إن المراد بآلهما:هو موسی و هارون،فقد یقول العرب:آل فلان،و هم یریدون شخصا بنفسه،و قد قال شاعرهم:

فلا تبک میتا بعد میتّ أحبّه علیّ،و عباس،و آل أبی بکر

یرید أبا بکر نفسه.فسیأتی التابوت بما فیه تَحْمِلُهُ الْمَلائِکَهُ و یحتمل أن یکون ذلک قدّام جیش طالوت عالیا بین السماء و الأرض،حتی إذا رآه بنو إسرائیل عیانا سکنت قلوبهم لذلک لأنه علم بالنّصر و الظفر،مضافا إلی أن فیه السکینه و الأمن.. إِنَّ فِی ذلِکَ أی فی رجوع التابوت بعد رفعه منذ زمن طویل لَآیَهً لَکُمْ علامه و حجه ظاهره لکم إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ إذا کنتم مصدّقین لقول نبیّکم بأن اللّه اصطفی طالوت ملکا، و هذه علامه اصطفائه له.أو إن کنتم مؤمنین کما تزعمون،لأنهم کفروا بردّهم علی نبیّهم.و

فی تفسیر القمی بسند صحیح عن الرضا علیه السلام: أوحی اللّه الی نبیّهم أن جالوت هو رئیس المشرکین و شجاعهم، یقتله من یستوی علیه درع موسی،اسمه داود بن أسی.و کان أسی راعیا،و کان له عشره بنین،أصغرهم داوود.فلما جمع طالوت بنی إسرائیل للحرب،بعث الی اسی أن أحضر ولدک.فلما حضروا،دعا واحدا واحدا منهم فألبسه درع موسی،فمنهم من طالت علیه و منهم من قصرت عنه،فقال لأسی:هل خلّفت من ولدک أحدا؟..قال:نعم، أصغرهم ترکته فی الغنم.فبعث إلیه.فلما دعی أقبل و معه مقلاع،فناداه ثلاث صخرات حصیات و هو فی طریقه:یا داود،خذنا فإنک تقتل بنا جالوت.فأخذها فی مخلاته.و لما برز رمی بها جالوت فقتله،و زوّجه طالوت بنته..فلما جاء إلی طالوت ألبسه درع موسی فاستوت علیه..

فضمّه الی جنده.

سوره البقره (۲): الآیات ۲۴۹ الی ۲۵۲

فَلَمّا فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُودِ قالَ إِنَّ اَللّهَ مُبْتَلِیکُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَیْسَ مِنِّی وَ مَنْ لَمْ یَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّی إِلاّ مَنِ اِغْتَرَفَ غُرْفَهً بِیَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاّ قَلِیلاً مِنْهُمْ فَلَمّا جاوَزَهُ هُوَ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ قالُوا لا طاقَهَ لَنَا اَلْیَوْمَ بِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالَ اَلَّذِینَ یَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اَللّهِ کَمْ مِنْ فِئَهٍ قَلِیلَهٍ غَلَبَتْ فِئَهً کَثِیرَهً بِإِذْنِ اَللّهِ وَ اَللّهُ مَعَ اَلصّابِرِینَ (۲۴۹) وَ لَمّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَیْنا صَبْراً وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ اُنْصُرْنا عَلَی اَلْقَوْمِ اَلْکافِرِینَ (۲۵۰) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اَللّهِ وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَ آتاهُ اَللّهُ اَلْمُلْکَ وَ اَلْحِکْمَهَ وَ عَلَّمَهُ مِمّا یَشاءُ وَ لَوْ لا دَفْعُ اَللّهِ اَلنّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ اَلْأَرْضُ وَ لکِنَّ اَللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَی اَلْعالَمِینَ (۲۵۱) تِلْکَ آیاتُ اَللّهِ نَتْلُوها عَلَیْکَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّکَ لَمِنَ اَلْمُرْسَلِینَ (۲۵۲)

ص: ۳۱۳

۲۴۹- فَلَمّا فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُودِ ...فصل:أی انفصل فصلا، متعدّ بالأصل إذ یقال:فصل نفسه،و فصل جنده،و قد حذف مفعوله فصار لازما.و جنوده کانوا ثمانین ألفا،و کان طالوت لا یختار للقتال إلاّ الشابّ النشیط الفارغ.و کان الوقت فی القیظ،أو ان شده حراره الصیف،فشکوا له قلّه الماء فبشّرهم و قالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِیکُمْ بِنَهَرٍ أی أنه معاملکم معامله اختبار لکم فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَیْسَ مِنِّی أی أنه لا یکون من أصحابی و لا تابعا لی و لا مؤمنا بی و منقادا لأمری،بل یعد فی

زمره العاصين و المعاندين وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّی يعنی و من لم يذقه فإنه من أصحابی و التابعين لی إلی قتال الكافرين.

و لو سئل:كيف قال فی الماء:و من لم يطعمه،و الماء مشروب لا مأكول،و الطّعم يستعمل فی ما هو مأكول؟..فيجاب:طعم و أطعم يقع علی كل ما يساغ حتی الماء،و يستعمل فی ذوق الشیء.فمن لم يطعمه يعنی:من لم يذقه.و الفرق بين الذوق و الشرب أن الأول آكد فی عدم الشرب كما لا يخفی علی أهل الفكر السليم،فالذوق قد يتحصّل من الشیء القليل النزر الذی يناله الإنسان بطرف لسانه.و

فی الحديث: إنی لا أمتنع من طعام طعم منه السّنّور.أی ذاقه. و ذاقه:عرف طعمه حلوا أو مرا،أی ما تميّزه الذائقه..

و الحاصل أن طالوت قال لهم ذلک مشترطا إِلاّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ مستثنيا بذلک الغرفه الواحده،ليعلم مبلغ طاعتهم لأوامر الابتلاء.

و غرفه قرئت بضمّ الغين،بمعنی المغروف،و قرئت بالفتح علی أنها مصدر بمعنی الرّخصه فی القليل دون الكثير فَشَرِبُوا مِنْهُ أی كرعوا و عبّوا بأفواههم و مدّوا اليه أعناقهم و جرعوا بأفواههم ما شاءت لهم شده العطش إِلاّ قَلِيلاً مِنْهُمْ كفّوا أنفسهم و التزموا بأمر اللّه و لم يشربوا منه إلاّ بمقدار الرخصه.و

فی تفسير القمی عن الصادق عليه السلام: أن الذين لم يشربوا و لم يغترفوا كانوا ثلاثمئه و ثلاثه عشر رجلا. و يستفاد من الروايه أن حد القليل فی الآيات أو الروايات هو هذا المقدار،إلاّ ان تكون قرينه صادفه.و

روی أن من اقتصر علی الغرفه روی،و من استكثر غلب عطشه و عجز عن المضیّ و اسودّت شفته فَلَمّا جاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أی عند ما قطع طالوت النهر هو و جنده الذين شربوا كما أمرهم أو لم يشربوا البته،لأنهم كانوا مؤمنين.و قيل إن بعضهم عصی،و أن الذين آمنوا هم القليلون من جنده الذين لم يشربوا.و حينئذ قالُوا أی الذين اغترفوا قال بعضهم لبعض.و هذا هو الظاهر لأنهم عصوا فی أول الأمر و المناسب لحالهم هو أن يخافوا من كثره جند العدو.و إلاّ فالمؤمنون

الخالصون هم حزب اللّه،و اللّه تعالى يقول:ألا إن حزب اللّه لا خوف عليهم و لا هم يحزنون:فلا هم يحزنون من كثره جنود العدوّ فى الجهاد،و لا يفرحون بقلّتهم.و الحاصل أن القوم قالوا لا طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ أى أن الذين شربوا قالوا حين رأوا جند جالوت الكثير:لا قدره لنا على صدّ جالوت و جيشه،و لسنا بقادرين على مواجهه هذا الجبار مع العماليق (١)،و لا نتمكن من محاربتهم و قتالهم. قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أى يتيقّنون و يعتقدون أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللّهِ و هم المؤمنون المخلصون الذى يصدقون بلقاء ثواب اللّه و أجره على جهاد أعدائه،قالوا: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ أى فرقه و جماعه قليله غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ انتصرت على فرقه أكبر منها بأمر اللّه و نصره.و لفظه كم خبريه. وَ اللّهُ مَعَ الصّابِرِينَ ينزل النصر عليهم و يؤيدهم به.

٢٥٠- وَ لَمّا بَرَزُوا لِجالُوتَ ...أى حين وقفوا موقف الحرب وجها لوجه،و رأوا كثرتهم و شدّتهم،لم يعتمدوا على قوّتهم و ثباتهم مهما بلغوا من الطاعه و التفانى فى سبيله تعالى،لأنهم قليلون،و لذا قالُوا فى مقام التجائهم الى اللّه سبحانه داعين بالتأييد منه و التسديد و النّصره لإظهار دين الحق رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً الإفراغ لغه هو الصّب.و قد شبّهوا الصبر بالماء الذى يصب فيعمّ سائر أبدانهم،فطلبوا الصبر من اللّه تعالى يصبّه عليهم صبا ليكون كافيا وافيا،و دعوه قائلين وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا فى مواقع الحرب و النزال وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ و اجعلنا نظفر بهم و أنزل علينا ملائكه النصر حتى ندمّر الكافرين تدميرا.

٢٥١- فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللّهِ ...أى غلبوهم و انتصروا عليهم.

و المأثور أن هزيمه الكفار حصلت بعد أن قتل داود جالوت و لكنه سبحانه أخّر ذكر القتل ليجرى ما ذكر لداود من الفضائل على نسق واحد،لأن

****

(١) العمالقه من ولد عمليق بن عاد.و كان عاد و قومه هم الذين بعث اللّه إليهم هودا يدعوهم إلى الإسلام و دين الحق و خلع الأنداد،فأبوا قوله.و تفصيل قصتهم تأتى معنا إن شاء اللّه تعالى.

ذلک أبلغ فی تمجیده،و أظهر بیانا لعظمه النعمه علیه: وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ الجبّار بالحصیات و المقلاع الذی کان معه وَ آتاهُ اللّهُ الْمُلْکَ المهیب الباذخ الذی لم یکن فی الأرض المقدسه لأحد قبل داود وَ الْحِکْمَهَ أی النبوّه و علّمه مما یشاء کفصل القضاء،و عمل الدروع السابقات أی الواسعه-و لین الحدید،و السّرد،و الزّبور السماویّ،و الصوت الجمیل و الألحان المعجبه التی کانت تردّد صداها الجبال و الودیان،بحیث لو قرأ الزّبور لاجتمعت علیه الطیور تسبّح اللّه و تمجّده،و نحو ذلک من خصائصه علیه السلام.. وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ أی ضرب المنافقین و المفسدین،و دفعهم بالمؤمنین،و دفع الأشرار و الکافرین بنصر المسلمین علیهم-و بعضهم:بدل من الناس.فلو لا لطف اللّه فی ذلک لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ بغلبه المفسدین و الکفره،و لانمحقت الأدیان من أصلها،و لعمّ الکفر و الزندقه.و لکنه تعالی خلق الناس مختارین فی أفعالهم،و أحرارا فی أن یتمتّعوا فی الأرض،و لذا خرج المؤمن من الکافر،و الکافر من المؤمن،و الصالح من الفاجر و بالعکس،و علم سبحانه أن سیکون فیها منافقون و مفسدون،و لکنه ما کان لیخلّی السبیل لأمثالهم لئلا یملأوا الأرض فسادا و ظلما،و یصیر دین اللّه هباء،ثم علم أن المفسدین یرون أن إهلاک قوم بقوم هو من سنن الحیاه،فلا یرتدعون و لا یرجعون عن غیّهم و ضلالهم،و لذا شرع اللّه تعالی باب جهاد الکافرین و المنافقین،و أوجب علی المؤمنین قتالهم لیزید فی أجر المؤمنین و یرفع درجاتهم،و لیقطع دابر الکافرین کلّما استفحل أمرهم بین عباده، فیکون ذلک بنصر منه تعالی للردع النوعیّ فی الغالب،و لإیقاف طغیان المفسدین و الکافرین.و هذا من أهمّ أحکام الجهاد و مصالحه..

فلو لا دفع اللّه الکافرین بالمؤمنین،لعمّ الأرض الفساد،و لهلک العباد وَ لکِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَی الْعالَمِینَ ذو نعمه علی الناس بأن یوقف فی طریق الفساد ما یمنع الفساد.فأیه نعمه هی أعظم من فرض الجهاد للقضاء علی الفساد فی الأرض یا أولی الألباب؟...

۲۵۲- تِلْكَ آياتُ اللّهِ ...أی هذه القصص المذکوره فی الکتب السماویه،و التی حصلت و کادت تذهب أدراج الریاح لقدمها،و أوشک أن تذهب من أذهان الناس لهجرها،و منها آیات و علامات نبوّتک یا محمد نَتْلُوها عَلَيْكَ نقرأها علیک بالوحی و إرسال القرآن لأنک ما کنت تعلمها قبل الوحی،و هی دلاله واضحه و علامه دالّه علی صدق دعواک وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ أی المبعوثین من اللّه إلی الناس کافه،بدلاله إخبارک بهذه الآیات:کإماته ألوف الناس دفعه واحده،و کإحیائهم دفعه واحده بدعاء نبیّهم،و کتملیک طالوت الذی لم یکن من الأسره المالکه و أولاد یعقوب، و کتملیک داود الذی کان یرعی الأغنام و علّمه اللّه الحکمه و القضاء بین الناس و سائر العلوم،و کهزیمه جالوت الجبّار و عمالقته الأشداء،فهذه الأمور کلها من آیات اللّه.و من أخبر بها مع أنه لم یشاهدها،و لم یعرف أهلها و لا عایش عصورها،لا یمکن أن یکون قد تلقّاها إلاّ عن طریق الوحی.و اللّه تعالی لا یوحی إلاّ إلی الأنبیاء،فبما أنک مخبر بها کما حصلت واقعا،فإنک من المرسلین دون أدنی ریب..

سوره البقره (۲): الآیات ۲۵۳ الی ۲۵۴

تِلْكَ اَلرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اَللّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وَ آتَيْنا عِيسَى اِبْنَ مَرْيَمَ اَلْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ اَلْقُدُسِ وَ لَوْ شاءَ اَللّهُ مَا اِقْتَتَلَ اَلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ اَلْبَيِّناتُ وَ لكِنِ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شاءَ اَللّهُ مَا اِقْتَتَلُوا وَ لكِنَّ اَللّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ (۲۵۳) يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خُلَّةٌ وَ لا شَفاعَةٌ وَ اَلْكافِرُونَ هُمُ اَلظّالِمُونَ (۲۵۴)

ص: ۳۱۸

۲۵۳- تِلْکَ الرُّسُلُ ...إشاره إلی الأنبیاء المذکوره قصصهم فی السوره فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضٍ بمنقبه أو فضیله تخصه دون غیره علی ما یبیّنه اللّه فی هذه الآیه بقوله: مِنْهُمْ مَنْ کَلَّمَ اللّهُ أی أنه مازه عن غیره و اختصّه بتکلیمه له کموسی علیه السلام،و کخاتم النبیین صلوات اللّه علیه و آله و إن لم یکن مشهورا بهذه الصفه،

فقد ورد مستفیضا عن الصادق علیه السلام أن التغیّر الذی کان یعتریه عند الوحی إنما هو عند تکلیم اللّه له بلا واسطه جبرائیل کما روی مسندا فی محاسن البرقی،و علل الشرائع،و توحید الصدوق،و إکمال الدین،و أمالی الشیخ ،بل إن أحادیث المعراج عن رسول اللّه(ص)ناطقه بأن اللّه کلّمه و ناجاه کما فی تفسیر القمی،و بصائر الدرجات و غیرهما بأسانیدهم عن الصادق و الکاظم و الباقر و أمیر المؤمنین علیهم السلام،حتی أن أهل السنّه رووا ذلک فی حدیث المعراج. وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ أی فضلّهم برفع الدرجات و ارتقاء المراتب.و هذه الفضیله أرفع و أجل من الخصیصه الأولی کما لا یخفی علی أهل الدربه.و قیل أراد بهذا البعض محمدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فإنه تعالی فضّله علی غیره من الرّسل بمراتب عدیده متفاوته، و اختصّه بفضائل لا تحصی،کالعلوم الوافره و الآیات الباهره و البراهین الساطعه و الحجج المتکاثره،و الدعوه العامّه للإنس و الجنّ مع المعاجز المستمره الأبدیه الکافیه إلی یوم النشور،یؤیده ما

فی العیون عن النبی صلّی اللّه علیه و آله،إذ قال: ما خلق اللّه خلقا أفضل منّی و لا أکرم علیه منّی.قال علیّ:فقلت:یا رسول اللّه أنت أفضل أم جبرائیل؟..

فقال:إن اللّه فضّل أنبیاءه المرسلین علی ملائکته المقرّبین،و فضّلنی علی جمیع النبیّین و المرسلین،و الفضل بعدی لک یا علیّ و الأئمه من بعدک.

و إن الملائكه لخدامنا و خدّام محبّينا.. ثم فضلّه(ص)بأن جعله خاتم النبيين،و الحكمه تقتضى ختم النبوّه بأشرف الرّسل لأعظم الأمور،فإن الزمان كلما قرب إلى آخره يكون أهله أحوج إلى مثل هذه الشريعه الغراء التى تكون فى كل حكم من أحكامها مراعيه لمصالح كثيره و أسرار عديده توجدها الظروف كلما تقدمت الأيام بالناس،و ليجد الناس فيها حلولا لجميع مشاكلهم الإنسانيه و الاجتماعيه و الاقتصاديه و غيرها،و لذا نرى فيها أن حلال محمد حلال الى يوم القيامه،و حرامه حرام الى يوم القيامه.

فالإسلام يعنى بأمور البشر معاشا و معادا الى يوم البعث،و هو كاف واف يستوعب جميع متطلّبات الحياه ما وجدت الحياه على الأرض.

وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ أى المعجزات الداله على صدق دعواه بأنه رسول اللّه،كإبراء الأكمه و الأبرص،و إحياء الموتى،و الإخبار عمّا كانوا يأكلونه أو يدّخرونه فى بيوتهم.و قد اختص موسى و عيسى عليهما السلام بالذكر بعظمه معاجزهما و وضوحها و كونها معروفه فى ذلك العصر و مشهوره شهره عجيبه.ثم قال سبحانه:

وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ فهو إما جبرائيل(ع) على ما فى تفسير الإمام ،و إما اسم ملك مقرّب كان قرينا للأنبياء و حافظا لهم على ما فى بعض الروايات وَ لَوْ شاءَ اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ أى مشيئه إلجاء و إجبار بحيث لا يقتتل الذين بعد الرسل و يكونون مجبرين على الإيمان و ممنوعين عن الكفر...لا-فإنه سبحانه لم يفعل ذلك لأن التكليف لا يحسن مع الإلجاء.و الجزاء أيضا لا حسن له إلاّ مع الاختيار،و الجبر خلاف مقتضى الحكمه و مصالح العباد.و الحاصل أن مشيئه اللّه لو اقتضت عدم القتال بين الأمم بعد بعث الرسل بالبراهين و الحجج الداله على وضوح الحق و الباطل بحيث لا يشك إلاّ المعاند، لارتفع القتال.و لكن الحكمه اقتضت غير ذلك و لم تلجئ أحدا الى فعل و تركت للعباد أن يختاروا وَ لكِنِ اخْتَلَفُوا و تنازعوا باتّباع الهوى من بعض و عدمه من بعض فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بتوفيق اللّه و لطفه و عنايته فاختار سبيل الهدى وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ بسوء اختياره فأخذ طريق الضلال و الغىّ

وَ لَوْ شاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلُوا هو تكرار،إما أنه بلحاظ التأكيد على ما ذكرناه ليبين ان المشيئه الإكراهيه الاضطراريه يرتفع معها التكليف،أو أنه أمر للمؤمنين بالكف عن قتالهم وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ ليجزى المؤمنين جزاء المجاهدين فى سبيل الحق،بدون أن يجبرهم و يكرههم،و دون أن يكفّهم و يمنعهم،بل يعمل معهم ما تقتضيه المصلحه و توجبه الحكمه.و

فى العياشى عن أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل: كبّر القوم و كبرنا، و هلّل القوم و هلّلنا،و صلّى القوم و صلّينا،فعلام نقاتلهم؟...ثم تلا هذه الآيه.ثم قال:نحن الذين من بعدهم،و قال:فنحن الذين آمنّا،و هم الذين كفروا.

۲۵۴- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاكُمْ ...لما قصّ سبحانه أخبار الأمم السابقه،و ثبت رساله نبيّنا،عقّب بذكر شىء من أوصاف أصحابه مختارا الإيمان لأنه أصل تتفرع عنه جميع الطاعات فنعتهم بالذين آمنوا،أى صدّقوا به و برسوله محمد،فقال لهم:أنفقوا مما رزقناكم الإنفاق الواجب المعهود شرعا كالزكاه حيث لا عهد بالإنفاق العام الواجب فى صدر الإسلام لغيرها.و قيل إنه أعم من الفرض و النفل لأنه أتم و لأن الآيه ليس فيها وعيد على ترك الإنفاق،و إنما فيها إخبار بفوائده العظيمه لليوم العظيم بقرينه تعقيبه بقوله: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِىَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خُلَّةٌ وَ لا شَفٰاعَةٌ فالأمر بالنفقه قبل ذلك اليوم أقوى شاهد على أن فائدتها تحصل فى ذلك اليوم مضافا الى فوائدها الدنيويّه على ما يستفاد من الروايات.

و هذه الفوائد تترتب على الإنفاقات الفرضيه و النفليه.و قوله:لا بيع:أى لا تجاره و لا عمل ينجى و يفتدى به من العذاب.و لا خله:أى لا صداقه تقى العذاب و تدفعه،فإن الأخلاّء بعضهم لبعض عدو إلاّ المؤمنين و لا شفاعه:فلا يملك أحد الشفاعه لأحد يوم القيامه إلاّ أن يؤذن له فيها،و لا يشفعون إلاّ لمن ارتضى.و لا منافاه بين نفى الشفاعه و الآيات المثبته لها.

فإن المنفيه هى الشفاعه المطلقه التى تكون بلا إذن منه تعالى و لا رضى و المثبته هى المقيّده بهما.و قد يكون النفىّ راجعا الى شفاعه الأصنام

و الكواكب التى كانوا يعتقدونها و يقولون بها. وَ الْكافِرُونَ هُمُ الظّالِمُونَ أى التاركون للزكاه عبّر عنهم بالكافرين،و نعتهم تغليظا بالظالمين لأنفسهم إذ لم يتركوا لأنفسهم وسيله إليه تعالى تنجيهم من عذابه.و وجه آخر نحتمله فى تخصص الكافر بالظلم مع أن غيره يمكن أن يكون ظالما،و هو أن ظلم الكافر يكون غايه فى الظلم لأنه ظلم أبديّ لو فرض أن عاش عمر الدنيا لعاش ظلمه معه كذلك،و لذلك يكون خلوده فى النار دائميا، بخلاف ظلم غيره من أهل الإسلام،فإنهم ليسوا كذلك بحسب عقيدتهم،و لكنهم إذا أذنبوا تابوا،و إذا عملوا ما لا يرضاه اللّه و رسوله جاءهم وقت يقفون عنده و يلجأون الى الإقلاع عن الذنب و العوده عن مزاوله الإثم.أما الكافرون فيكفى أن يكون من ذنوبهم الكفر باللّه و إنكار الموجد و العياذ باللّه من ذلك،و هو ممّا لا مغفره له إذا مات الإنسان عليه.

سوره البقره (٢): الآيات ٢٥٥ الى ٢٥٧

اَللّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ اَلْحَيُّ اَلْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ لَهُ ما فِي اَلسَّماواتِ وَ ما فِي اَلْأَرْضِ مَنْ ذَا اَلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاّ بِما شاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ اَلْعَلِيُّ اَلْعَظِيمُ (٢٥٥) لا إِكْراهَ فِي اَلدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ اَلرُّشْدُ مِنَ اَلْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اِسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ اَلْوُثْقى لاَ انْفِصامَ لَها وَ اَللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) اَللّهُ وَلِيُّ اَلَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ اَلظُّلُماتِ إِلَى اَلنُّورِ وَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ اَلطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ اَلنُّورِ إِلَى اَلظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ اَلنّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٢٥٧)

ص: ٣٢٢

۲۵۵- اَللّٰهُ لا- إِلٰهَ إِلاّ- هُوَ ...مبتدأ و خبر.و اللّه علم و اسم لواجب الوجود ذاتا،و هو المستحقّ للعباده لا- غيره،لأنه القادر على الإنعام.و لا تحقّ الألوهيه لسواه لأنه الذات المقدّسه المتصفه بصفات الربوبيه:كوحده الوجود،و العلم المحيط بجميع ما سواه،و القدره الكامله التى ليس فوقها قدره،و الخالقيّه،و غير ذلك ممّا سيجىء كمثل اَلْحَيُّ أى الباقى الذى لا سبيل للفناء عليه لأنه الموجد للحياه و الفناء،و هو على اصطلاح المتكلّمين:الذى يصح أن يعلم و يقدر،و قيل:الثابته له صفه الحياه، و الدائم بدوام ذاته.و لا- يخفى أن هذه المعانى للحىّ الذى هو من أوصاف ذات البارى جلّ و علا،و إلاّ فمعنى الحىّ واضح ظاهر.و كمثل اَلْقَيُّومُ التى أصلها:قيووم،على وزن:فيعول.و القاعده أن الياء و الواو إذا اجتمعا و كانت الأولى منهما ساكنه قلبت الواو ياء و أدغمت الياء فى الياء قياسا مطردا.و القيام:أصله:قيوام على وزن:فيعال، ففعل به ما ذكرنا.إلاّ أنه تحصلا للأخف فى الكلام حذفنا إحدى الياءين.و معنى القيّوم:القائم الدائم بتدبير الخلق و حفظهم فى جميع شؤونهم لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ أى لا تستولى عليه الفتره المعبّر عنها بالنعاس الذى يتقدم النوم،و لذا قدّمها عليه بقوله: وَ لا نَوْمٌ أى الحاله الثقيله العارضه للمخلوق المزيله لحسّ قوى السمع و البصر،و إذا غلبت عليهما غلبت أيضا على القلب و الوعى،فسلبت الكائن المدرك الواعى جميع إدراكاته و وعيه.و السّنه يجوز أن لا تغلب و لا تستولى على المدارك،بل

یطرأ النوم بعدها غالبا فیغلب علی کل ذلک،و قد یهجم النوم بلا تقدّم السّنه.لکن اللّه جلّ شأنه منزّه عن أن یعرض علی قیمومته سنه أو أن یغلب علیها نوم لَهُ ما فِی السَّماواتِ أی هو المالک لما فیها من الموجودات العظیمه العجیبه التی خلقها و أسکنها فیها،و المتصرّف فی جمیع أمورها و المتکفّل بکل حاجاتها و حاجات من فیها.یملکها جمیعها وَ ما فِی الْأَرْضِ من الذّره الی الذّره،قائم بتدبیر أمرها و أمر ما فیها من الکائنات التی کوّنها.یملک السماوات و الأرض و ما فیهنّ،داخلا فی حقیقتهنّ أو خارجا عنها،متمکّنا من ذلک کلّه.و هذه الآیه الشریفه مؤکده لقیمومیّته و حجّه علی تفرّده بألوهیته.

مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ ظاهر هذه الشریفه الاستفهام، و معناه الإنکار و النّفی أی:لا یشفع یوم القیامه شافع ممّن ترجی شفاعته إلاّ بإذنه.فالشفاعه منحصره به تعالی،و الشّفعاء لا یشفعون إلا لمن ارتضی.و هذه بیان لکبریائیّته التی تفرّد سبحانه بها،و أنه لا أحد یساویه.فهو المتفرّد بالعظمه و الجلال...و لا یخفی ان الشفاعه مقام رفیع منیع،لا یناله إلاّ من کان من بلاط سلطانه عزّ و جلّ،و هو لأمّتنا محمد صلّی اللّه علیه و آله و عترته الطاهرون،و الأنبیاء من بعدهم لسائر الأمم،و ذلک تشریفا لهم و إعلاء لمقاماتهم السامیه و درجاتهم الراقیه، و ترغیبا للناس فی طاعتهم،لأن طاعتهم طاعه اللّه،و عصیانهم مخالفه للّه تبارک و تعالی. یَعْلَمُ ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ أی أنه سبحانه یحیط بأمورهم طرّا مما قد مضی و نسوه،و ممّا یأتی و قد جهلوه و لم یدروا به،و ممّا هم علیه فعلا.و حاصل ما یستفاد من هذه الشریفه و اللّه أعلم-أن إضافه العلم بما بین أیدیهم:أی قدّامهم،و ما خلفهم:یعنی ما مضی من أمرهم،لا یدلّ علی أنّ علمه عزّ و علا منحصر بجهه من الجهات دون جهه.و اختصاص قوله تعالی ببعض الجهات-أی بما قد مضی،و بما سیأتی-یدلّ علی أن الرؤیه التی یعقبها العلم یقع علی هاتین الجهتین غالبا،لأن الإنسان المرئیّ-مثلا-إمّا أن یمشی قدّام الرائی فیری خلفه

و ما فيه،أو يمشى مواجها له فيرى قدّامه و ما فيه.و أمّا الرؤيه الواقعه على سائر أطرافه فهى تبعيّه نوعا كما هو الواضح وجدانا و لا يحتاج الى إقامه برهان.نعم ربما تكون الأطراف الأخر منظوره فى الرؤيه بأنفسها أحيانا.

و على كل حال فقد روى فيها معان غير هذه لا بأس بالنظر فيها فى التفاسير المفصّله.و

قد روى القمى عن الرضا عليه السلام أن المراد بما بين أيديهم و ما خلفهم،ما لم يكن بعد. وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ففى حال كونه جلّ و علا- محيطا بالمخلوقات و بمعلوماتهم و بمظنوناتهم و بما يخطر على بالهم و على سائر أعمالهم،فهم عاجزون عن أى شىء من هذا و لا يحيطون- أى يعلمون تفصيلا-بشىء مما عنده تعالى من علم إِلاّ بِما شاءَ أى بما أراد أن يعلّمهم إياه و يطلعهم عليه..

و الجملتان تدلّان على أن العلم الذاتىّ بالأشياء على ما هى عليه، يخصّه سبحانه و تعالى و هو متفرّد به.و يدلّان على وحدانيّته.و الجمله الأخيره تبيّن بقرينه التقابل ما فى الجمله الأولى.أى أن فيها إشاره الى ما فسّرناه أولا. وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ

روى الصّدوق فى توحيده،بسنده عن المفضّل عن الصادق عليه السلام: أن العرش هو العلم الذى أطلع اللّه عليه أنبياءه و حججه.و الكرسىّ هو العلم الذى لم يطلع عليه أحدا.. و

بسنده عن حفص بن غياث عنه عليه السلام،قال عن الكرسىّ فى الآيه:علمه. و فى كثير من الروايات فسّروا الكرسىّ بعلمه تعالى..و لما بيّن عزّ شأنه أن له ما فى السماوات و الأرض،شاء أن يبيّن إحاطه علمه بهما،و سلطه تدبيره بجميع ما هو له ملكيه ذاتيّه يتفرّد بها.فكان من المناسب لإدراكنا القاصر التمثيل بالجسمانيّات المألوفه لنا، فشبّه الإحاطه و السّلطه بما لو كان على كرسىّ الملك بحسب التخيّل، و لعلّها على ذلك جرت تعابير الأئمه عليهم السلام فى السماوات و الأرض و نسبتهما مع الكرسىّ،و أنهما ضمن سلطه الكرسىّ و فى الكرسىّ،أى أن الكرسىّ محيطه بهما إحاطه الظّرف بما فيه.فعلمه سبحانه،كإحاطه الملك بما حوله علما حين جلوسه على عرش الملك..ثم لمّا بيّن عظمه ذلك

كله قال: وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما أى لا يتعبه و لا يشقيه و لا يثقله إمساكهما و حفظهما عن التفرّق و الاندثار.فهو جلّ و علا يمسكهما بقدرته الكامله و بلا عمد و لا متّكأ يعتمدان عليه وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الذى ليس فوقه شىء فى المرتبه.و العلىّ بهذا المعنى من أسماء اللّه الحسنى.و جاء العلىّ بمعنى المنزّه عن المثل و النّد.و العظيم أى فى سلطانه و جلاله،و كلّ ما سواه محتقر بالنسبه إليه.و

فى الجوامع عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: سمعت نبيّكم على أعواد المنبر و هو يقول:من قرأ آيه الكرسىّ فى دبر كلّ صلاه مكتوبه،لم يمنعه من دخول الجنّه إلاّ الموت.و لا يواظب عليها إلاّ صدّيق أو عابد.و من قرأها إذا أخذ مضجعه أمّنه اللّه على نفسه و جاره و جار جاره و الأبيات حوله.. و لاشتمال الآيه على توحيده تعالى و أصول صفاته الكماليه و نعوته الجلاليّه،ورد فى شأنها ما ورد من الآثار المذكوره فى الروايه السابقه،و

ورد عن الباقر عليه السلام: من قرأ آيه الكرسىّ مره،صرف اللّه عنه ألف مكروه من مكاره الدّنيا،و ألف مكروه من مكاره الآخره.و أيسر مكروه الدنيا الفقر،و أيسر مكروه الآخره عذاب القبر. الى غير ذلك من الأخبار الكثيره الوارده فى الآثار.

٢٥٦- لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ ...يؤخذ من هذه الشريفه حريه الاعتقاد بعد ثبوت الحجّه و البرهان،ليكون التديّن بالبحث الفكرىّ و الاقتناع العقلى.و اللّه سبحانه خيّر العباد بعد تبيان آياته ليكون معتقدهم ساميا حقا له تقديره بالنسبه لموازين هذه الآيه الشريفه.و هو عزّ و علا،بعد وضوح منهجه،و إشراق أنوار معرفته،و إناره أعلامه بالإتيان بمعجزات باهره، و براهين لائحه،و حجج ساطعه،و آيات و دلائل واضحه بيّنه هاديه الى دين الفطره المستقيمه،قال-جلّت قدرته-لا إكراه فى الدين.أمّا فى بدء الإسلام و تجميع الأنصار فقد كانت القوى الحربيه تؤازر قوى الهدايه، و كانت آيه السيف.و كان الأمر بالجهاد،و كان أمر الكفره دائرا بين الإسلام أو القتل،و أمر أهل الكتاب بين أحد هذين الأمرين أو الجزيه التى كان يقبلها الإسلام لتجهيز العسكر و تكثير القوى و ازديادها من أجل

منعه الـدين و ترويجه و تشـييد أركانه.و بعـد حصول النتيجه المتوخّاه من قوّه الإسـلام،و عدم حاجه المسـلمين الى الجزيه لتزايد اموال الغنـائم عنـدهم رفضوا قبول الجزيه و لم يرضوا من أحـد إلاّ الإسـلام أو القتل.ف قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ أى بعـد ظهور طريق الحق و وضوحه من الباطـل،و تمـاميّه الحجه على الناس.فلاـ إكراه فى الـدّين و لا جبر عليه،بل صاروا مخيّرين بالأخـذ بأيه عقيـده شـاؤوا،ليهلك من هلك عن بيّنه و ليحيا من حىّ عن بيّنه،فإن اتّبعوا الحقّ و عملوا خيرا جزوا خيرا،و إن تابعوا الباطل نالوا فى آخرتهم شرا.و قيل

كان لأنصارىّ ابنان،فتنصّـرا قبل البعثه،ثم قـدما المـدينه فقال أبوهما:و اللّه لا أدعكما حتى تسلما.فاختصـموا الى النبىّ صـلّى اللّه عليـه و آلـه فنزلـت الآـيه. فَمَـنْ يَكْفُرْ بِالطّـاغُوتِ أى يجحـده و يتـبّرأ منـه.و الطـاغوت مـأخوذ مـن الطغيـان،و وزنـه:فعلـوت مثل الرغبوت،و الرهبوت،و الرحموت.و هى مصـدر بـدليل وقوعها على الواحـد و الجماعه بلفظ واحـد.و قـد قدّم لأمه على عينه على خلاف القياس فصار:

طيغوت،فبدلت الياء ألفا فصار:طاغوت،أى شيطان،أو ما عبد من دون اللّه،أو من هو رأس الضلال و الغىّ.و

فى الحديث: من رفع رايه ضلاله فصاحبها طاغوت. و جمعها طواغيت.

و الحاصـل أنه يمكن أن يقال هو كنايه عن الباطل،و فى كلّ مقام من القرآن الكريم يراد منه ما يناسب سـياقه،و المناسب للمقام هنا هو الأصـنام أو دعاه الشّرك و الكفر. وَ يُؤْمِنْ بِاللّهِ أى يصدّق بذاته المقدّسه و يوحّده،و يعترف بربوبيّته و برسله و ما جاؤا به فى كـلّ زمـان فَقَـدِ اسْـتَمْسَکَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقى أى اعتصم بعصـمه قويه متينه هى من أشـد الروابط بحيث تكون لاَ انْفِصامَ لَها فلا تنقطع أبدا و لا تنحلّ.و

فى الكافى عن الصادق عليه السلام: هى الإيمان باللّه وحده لا شريک له.

و عن الباقر عليه السلام: هى مودّتنا أهل البيت. و

فى المعـانى عن النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله: من أحبّ أن يتمسّـك بـالعروه الوثقى التى لاـ انفصـام لهـا،فليتمسّـك بولايه أخى و وصيّى علىّ بن أبى طالب،صلوات اللّه

علیه،فإنه لا یهلک من أحبّه و تولاّه،و لا ینجو من أبغضه و عاداه وَ اللّٰهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ یسمع الأقوال و یعلم الأفعال و ما فی الضمائر،و یسمع وساوس الصدور،و لا یخفی علیه شیء.ثم لمّا ذکر سبحانه المؤمن و الکافر،بیّن ولیّ کلّ منهما فقال عزّ من قائل:

۲۵۷- اَللّٰهُ وَلِیُّ الَّذِینَ آمَنُوا ...أی وکیلهم الذی هو أولی بهم من أنفسهم،و مغیثهم،و ناصرهم علی أعدائهم،و کهفهم فی شدائدهم، و ملجأهم عند اضطرارهم،و هذه کلّها من معانی الولایه الربّانیه.و کم من فرق بین ولایه اللّه عزّ و جلّ علی المؤمنین،و ولایه المؤمنین بعضهم علی بعض علی ما قرّر فی محلّه!..فهو تعالی ولیّ المؤمنین جمیعهم یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ أی من ظلمات الکفر و الضلاله إلی نور الإیمان و الهدایه بتوفیقه و لطفه.و هذه الجمله بیان لمصداق من مصادیق ولایه اللّه علی المؤمنین.و هذا الإخراج من طخیاء الکفر و الغیّ و الإدخال فی لألاء النور،من أعظم نعمه تعالی علی عباده المؤمنین.و قد خصّهم بالذکر مع أنّ لطفه عمیم لجمیع طبقات المخلوقات و الموجودات،لأنهم لم یعاندوا الحق،و لم یخرجوا أنفسهم عن الأهلیه لتوفیقه و شمول ألطافه الخاصه.

و لا یقال:کیف قال اللّه تعالی: اَللّٰهُ وَلِیُّ الَّذِینَ آمَنُوا یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ ،بلفظ المضارع،و القاعده تقتضی أن تأتی بلفظ الماضی:أخرجهم،فإن الإخراج قد وجد لأن الإیمان قد ثبت و تحقّق.

و یقال:جیء بالمضارع لأنه دالّ علی استمرار ذلک الإخراج بقاء فی حق المؤمن ما دام مؤمنا.و الماضی لا یدل علی هذا المعنی،و کذلک قد یستشکل بأن المؤمن متی کان فی ظلمات الکفر،و الکافر فی نور الإیمان لیخرجا من ذلک؟..و الجواب عن ذلک أن الإخراج یستعمل و یطلق علی المنع عن الدخول فی شیء،فیقال لمن امتنع عن الدخول فی أمر:خرج منه،و أخرج نفسه عنه و خلّصها و إن لم یکن قد دخل فیه.فعاصمیّه اللّه تعالی للمؤمنین عن دخول ظلمات الکفر و النّفاق،إخراج أو بمنزله

الإخراج لهم منها.و تزيين قرناء الكفار الباطل لهم و صدّهم به عن الهدى و دين الحق،إخراج لهم عن نور الهدايه،و إخراج عن الإسلام الذى هو نور حقيقته و باطنه بمعناه الواقعى الذى هو التسليم فى جنب اللّه بحيث لا يرى لنفسه اختيارا و لا فى أعماله إلاّ رضاه عزّ و جلّ.و

قد جاء فى الأثر:

الإسلام هو التسليم،أى للّه و لرسوله بما جاء به من عنده. أو يقال إنّ إيمان رؤساء أهل الكتاب بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله قبل أن يظهر،كان نورا لهم.و كفرهم به بعد ظهوره هو الخروج من ذلك النور الى الظّلمات.أو لأنه لمّا ظهرت دلائل نبوته و حجج رسالته،كان موافقوه و متّبعوه خارجين من ظلمات الجهل و الضلاله إلى نور العلم و الهدايه، و كان مخالفوه و معاندوه واقعين فى تيه الجهل و الغوايه وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ و المراد بالطاغوت هنا الجماعه-و قد سبق و قدّمنا أنها تقع على الواحد و الكثيرين-بقرينه استناد الأولياء إليها.و المراد بها رؤوس الضلال.و ولايتهم على الكفره هى الإماره و الرئاسه عليهم لإغوائهم و تعميه الأمور عليهم حتى يركبوا أعناقهم و يستفيدوا من إذعانهم لهم مغانم عظيمه،منها نهضتهم معهم ضدّ الأنبياء،و تجنيد الجنود عليهم.

و لو لا ولايتهم و رئاستهم عليهم لما قدروا على ذلك.أ فلا تعد هذه التعميه و هذا الإغواء إخراجا من الرؤساء لمرؤوسيهم و التابعين لهم من نور الهدايه و الصراط المستقيم اللّذين هما نور و ضياء،إلى الضلاله و الطريق المعوّج اللّتين هما الظّلمات،لأنهما توصلان سالكيهما و السائرين فيهما الى جهنّم و النار التى سجّرها الجبّار للعاصين؟..و هل يوجد مكان أشد ظلمه منها نستعيذ باللّه عز و جل من جهنم و ممن يدعو إليها؟.فأولياء الكفّار يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ كما ذكرنا،و هو المتبادر إلى ذهن كل حصيف يعمل فكره..فالذين كفروا،و أولياؤهم أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ هذه هى النتيجه الحتميّه لمن يتولّى الطاغوت،و لكل طاغوت و أتباعه و المستجيبين لدعوته و السائرين فى ظلام غوايته و الراضين لجهالتهم بجهالته.

و أمّا السؤال البديهيّ،بأنه متى كان هؤلاء،فى النور،فأخرجهم قرناؤهم منه إلى الظّلمه،فقد أجبنا عليه بما يكفى عند بيان المراد من قوله سبحانه: اَللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ ،سابقا.و قد قيل أيضا:

إن إخراجهم يكون من نور الفطره إلى فساد الاستعداد.و

فى الكافى عن الصادق عليه السلام: النّور آل محمد(ص)و الظّلمات عدوّهم. و

عن ابن أبى يعفور قال: قلت لأبى عبد اللّه:إنى أخالط الناس فيكثر عجبى من أقوام لا يتولّون فلانا و فلانا،لهم أمانه و صدق و وفاء.و أقوام يتولّونكم و ليست لهم تلك الأمانه و لا الوفاء و لا الصدق..قال فاستوى أبو عبد اللّه عليه السلام جالسا،فأقبل علىّ كالغضبان ثم قال:لا دين لمن دان اللّه بولايه إمام جائر ليس من اللّه و لا عتب-أى لا عتاب و لا لوم و لا مؤاخذه-على من دان اللّه بولايه إمام عادل من اللّه...قلت:لا دين لأولئك،و لا عتب على هؤلاء؟..قال:لا دين لأولئك و لا عتب على هؤلاء.ثم قال:ألا تسمع لقول اللّه عزّ و جلّ: اَللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ ؟..يعنى من ظلمات الذنوب إلى نور التّوبه و المغفره لولايتهم كلّ إمام عادل من اللّه عزّ و جلّ.و قال: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ :إنما عنى بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام،فلمّا أن تولّوا كل إمام جائر ليس من اللّه، خرجوا بولايتهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب اللّه لهم النّار مع الكفّار.. و يستفاد من هذه الروايه أن الدين-فى قوله: لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ -هو التشيّع،و أن الآيه مؤوّله بتمامها بولايتهم عليهم السلام.

سوره البقره (٢): الآيات ٢٥٨ الى ٢٥٩

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ قالَ أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ قالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَ اللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ (٢٥٨) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنّى يُحْيِي هذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَ شَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَ انْظُرْ إِلى حِمارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنّاسِ وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)

۲۵۸- أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِى رَبِّهِ ...تر:من رأى يرى رؤيه،أى نظر بالعين أو بالعقل.و المراد هنا النظر بالعقل،اى التدبّر و التفكّر.يعنى ألم تتفكّر يا محمد بقصه الحجاج الذى جرى بين إبراهيم عليه السلام و بين خصمه حين حاجّه فى رَبِّهِ ؟.و الاستفهام هنا تقريرى، أى لا بدّ أن تتدبّر هذه القصه العجيبه المفيده فى المجادله مع المنكرين للصانع و الجاحدين له تعالى.و المحاجّه-لغه-تشمل الجدل و إن كان باطلا داحضا.و الظاهر أن الذى حاجّ إبراهيم عليه السلام،هو النمرود الملك الجبّار الذى كان فى زمانه.و قيل إن المحاجّه كانت قبل إلقاء إبراهيم عليه السلام فى النار و حبسه،و قيل بعد ذلك.و لم نجد مدركا لواحد من القولين،سوى ما

روى فى المجمع عن الصادق عليه السلام من أنّ المحاجّه كانت بعد إلقائه فى النار.

و الـذى جرّأ النمرود على حجـاج إبراهيم عليه السـلام فى ربّه بالباطـل، هو عتوّه و كبريـاؤه،و ذلـك أَنْ آتاهُ اللّهُ الْمُلْکَ أى لأنه تعـالى أنعم عليه بـأعظم نعمه و أعطـاه ملک الشـرق و الغرب،فطغى و بطر من هـذه النعمه الجزيله و لم يتحمّلها عقله و لا عـدّها تفضّلا من الله تعـالى بـل أنكر خالقه و رازقه و المنعم عليه،فبعث اللّه إبراهيم عليه السـلام ليـدعوه إلى طريق الحق و يهـديه إلى الدين المستقيم إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ مخاطبا النمرود،بهذا الكلام القائم على الحذف و التقدير،أى أن النمرود قال لإبراهيم عليه السـلام:من ربّک؟..فأجابه بـذلک،مبتـدئا بأول نعمه ينعم اللّه تعالى بها على خلقه،و مختتما بآخر آيه تدلّ على عظمته إذ لا يقدر عليها غيره.و بيان ذلک أن إفاضـته الروح أمر إلهى،لا يعرف كيف يخرجها من البدن الحىّ من دون تعب و لا حرج و لا نقص فى البـدن،و لا إحـداث فعل فيه كذبح و فصد و خنق و غيره،إلا هو جلّت قدرته فما كان من النمرود إلّا أن قالَ أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ أى أنـا أحيى من هو مستحق للقتـل فلاـ أقتله فـأكون قـد وهبته الحياه من جديـد،و أميت إذ أقتل من أشاء من المجرمين.و هو جواب يـدل على جهـل و حمـاقه من الكافر المنكر،لأن عـدم القتل إبقاء لحياه موجوده،و ليس إحـداث حياه لم تكن، و لا هو إيجاد لها.فسـمع إبراهيم عليه السلام لجوابه الأحمق،و أغضى عن الدخول فى التفصيل،بعد أن رآه مموّها أو قاصر الفهم عن معنى الأحياء و الإماته اللّذين أضافهما إبراهيم عليه السلام الى ربه،فعدل إلى حجه أخرى أظهر و أقوى تجبه الخصم و تلقمه حجرا،إذ قـالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ،فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ و اختار احتجاجا ليس فيه تلبيس على أحد فى الجواب،و لا يستطاع التمويه فيه و لا الزندقه،فطبع اللّه على قلب خصمه...

و يحتمل أن يكون مراد إبراهيم عليه السلام بالحجه الثانيه،هو تبيان للخصم يريه أن من كان من شأنه القدره على إماته الأحياء و إحياء الموتى، لاـ بـدّ أن تكون عنـده القـدره على أن يـأتى بالشـمس من المغرب فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ أى فشـل و خجـل و تحيّر و تخاذل للعجز عن الجواب..و لا يقال:لم لم يقل النمرود:فليأت بها ربّک يا إبراهيم من المغرب إن كنت صادقا بأنه قادر على كل شىء.ذلـک أن النمرود علم من الآيـات التى جاء بها إبراهيم عليه السـلام أنه لو اقترح هـذه الحجه لأتى بها اللّه سـبحانه تصـديقا لنبيه و تأييدا لدينه،فيصـير النمرود حينئذ محلّ مزيد للفضيحه و مثار للسخريه،فأعرض عن ذلک...و قد يصرف اللّه سبحانه بعض العقول، و يعمى بعض القلوب من أهل الباطل فيضـلون على أسئله و أجوبه تنطوى تحتها مصالح و حكم خفيه علينا،دحضا للبدع و المخترعـات،و لئلاـ يضـلّ عبـاده و يضـيعوا عن الحق..فلم يـدع النمرود شـيئا،و لاـ قال إن النظام الشمسـى من مخترعاتى و من تنظيمـاتى،لأنه يعلم ان النظام و الشـمس و الأفلاک متقـدّمه عليه،و لوضوح بطلان هـذه الـدعوى وَ اللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ لأنفسـهم بإبائهم قبول الهدايه.فاللّه عزّ و جلّ يتركهم و أهواءهم لأنه غنىّ عن العالمين لا تضـرّه معصيه من عصـى،و لا تزيد فى عظمته طاعه من أطاع.

و يحتمل أن يكون مراد إبراهيم عليه السلام بالحجه الثانيه،هو تبيان للخصم يريه أن من كان من شأنه القدره على إماته الأحياء و إحياء الموتى، لا بدّ أن تكون عنده القدره على أن يأتى بالشمس من المغرب فَبُهِتَ الَّذِی كَفَرَ أى فشل و خجل و تحيّر و تخاذل للعجز عن الجواب..و لا يقال:لم لم يقل النمرود:فليأت بها ربّك يا إبراهيم من المغرب إن كنت صادقا بأنه قادر على كل شىء.ذلك أن النمرود علم من الآيات التى جاء بها إبراهيم عليه السلام أنه لو اقترح هذه الحجه لأتى بها اللّه سبحانه تصديقا لنبيه و تأييدا لدينه،فيصير النمرود حينئذ محلّ مزيد للفضيحه و مثار للسخريه،فأعرض عن ذلك...و قد يصرف اللّه سبحانه بعض العقول، و يعمى بعض القلوب من أهل الباطل فيضلون على أسئله و أجوبه تنطوى تحتها مصالح و حكم خفيه علينا،دحضا للبدع و المخترعات،و لئلا يضلّ عباده و يضيعوا عن الحق..فلم يدع النمرود شيئا،و لا قال إن النظام الشمسى من مخترعاتى و من تنظيماتى،لأنه يعلم ان النظام و الشمس و الأفلاك متقدّمه عليه،و لوضوح بطلان هذه الدعوى وَ اللّهُ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الظّالِمِينَ لأنفسهم بإبائهم قبول الهدايه.فاللّه عزّ و جلّ يتركهم و أهواءهم لأنه غنىّ عن العالمين لا تضرّه معصيه من عصى،و لا تزيد فى عظمته طاعه من أطاع.

۲۵۹- أَوْ كَالَّذِی مَرَّ عَلى قَرْيَهٍ ...أى انظر و تفكّر فى قصّه أخرى غريبه كقصه محاجّه إبراهيم مع خصمه.و أو:للعطف و الجمع،نظير الواو.و قيل إن المارّ على القريه هو عزيز بن شرحيا،أو هو أرميا.

ففى تفسير البرهان عن أمير المؤمنين عليه السلام .أنه عزيز. و

فى تفسيرىّ القمى و الطبرسى عن الصادق عليه السلام أنه أرميا النبى. و المشهوريين العامه و الخاصه أنه عزير النبىّ الذى نسبه اليهود إلى اللّه حينما قالوا:

عزير بن اللّه لأنه أقام التوراه بعد ما أحرقها جيش بختنصّر بأمره حينما سلّطه اللّه على بنى إسرائيل.

أما القريه فهى بيت المقدس و نواحيها التى خرّبها بختنصّر،مرّ عليها عزير وَ هِیَ خاوِيَهٌ عَلى عُرُوشِها أى أنها مخرّبه من أركانها.

فالعروش:جمع عرش.و يطلق على ركن الشىء و ما به قوامه.و المراد به

هنا البيوت التى بها قوام القريه،أو الحيطان التى بها قوام البيوت.

فالقدس حين مرّ عليها عزير كانت سقوف بيوتها مطبقه على أرضها، و حيطانها مهدّمه.و الخاويه بمعنى الخاليه على ما فى الصحاح و القاموس.

فيقال:خوت الدار،أى خلت من أهلها فالمعنى:أن القريه كانت خاليه من إسكان،و كانت سقوفها و حيطانها مهدّمه على أركانها التى تقوم عليها،فمرّ بها عزير و قالَ أَنّى يُحْيِي هذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِها و أنّى:ظرف،أى:متى.أو حال،بمعنى:كيف.و على التقديرين هو تعجّب و إقرار بالعجز عن معرفه كيفيه الإحياء بعد تناثر اللحم و بلاء الأعظم و تفرّقها،و بعد أن صارت العروق و الأعصاب ترابا،و بعد أن بعثرت العوامل الطبيعيّه من ريح و شمس و مطر و هواء أكثر الأجزاء من كل جسم.و لذا تعجّب من البعث و الإحياء،أو يمكن أن يكون قد استعظم النشور فى سانحه من سوانح تفكيره،و اشتاق الى ان يعاين إحياء الموتى ليرى كيفيه بعثهم للمزيد من الاستبصار و لإزاله ما يخطر فى البال،فيطمئنّ بذلك قلبه..و منّ اللّه عليه بجلاء هذا العجب فَأَماتَهُ اللّهُ مِائَهَ عامٍ و لبث طيله هذه المده ميتا ثُمَّ بَعَثَهُ فأحياه.

و ظاهر الآيه المباركه،و ما يتبادر الى الذهن من لفظ الإماته،هو المعنى الحقيقى للموت.اى إزهاق النفس،و إخراجها من الجسم.و كذا ظاهر الروايات الوارده فى المقام عن أمير المؤمنين و الصادق عليهما السلام.

فكلّها ظاهره و صريحه فى تحقّق الموت بمعناه المعروف:كقبض الروح، و فناء البدن،و تفكّك أوصاله و تناثر لحمه و عظامه.و إنه سبحانه-بعد المائه عام-قد جمعها و كسا العظام لحما و أعاده إلى الحياه.و لكن مفسّرا مصريا اعتبر الإماته هنا فقدانا للحس و الإدراك كالسّبات و النوم العميق،لا مفارقه الروح للبدن.و لا ندرى لأى شىء أسند رأيه و لا كيف استفاد هذا المعنى و اخترع هذا التأويل للّفظ الفصيح الصريح...و لا نعلم ماذا يقول فى قوله عزّ و علا: ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ؟..فنعوذ باللّه من التفسير بالرأى من الذين لا يخامرهم خوف من اللّه حين يتقوّلون فى معانى

کتابه الکریم،مع ان من فسّر القرآن بالرأی فلیتبوّأ مقعده من النار!.

هذا،مضافا إلی أن تفسیر الإماته بالسّبات هنا لا یناسب المقام،إذ لا معنی أن یتعجّب مارّ من کیفیه بعث عظام نخره و لحوم مبعثره،یجمعها اللّه و یعید إلیها الحیاه،ثم یبتلیه اللّه بالسّبات لیثبت له کیفیه البعث.بل لا معنی لنوم مائه عام کامله،و لیست الإفاقه من ذلک النوم کالبعث من الموت،بل لا بد أن یمیته اللّه کما أماتهم و ان یبعثه کما یبعثهم و لو مضی علی موتهم ملایین السنین.

فقد أماته الله تعالی إماته لا ریب فیها،دامت مائه عام ثم بعثه بعدها و قالَ کَمْ لَبِثْتَ بإسماع صوت أو ببعث ملک أو نبی فلم یتردد بل قالَ لَبِثْتُ یَوْماً أَوْ بَعْضَ یَوْمٍ و هذا کلام الظانّ لأن الله أماته فی أول النهار،و بعثه بعد مائه عام فی آخر النهار،فقال:یوما و هو یحسب أن الشمس قد غربت ثم التفت فرأی قرصها لا یزال ظاهرا فی الأفق فقال استدراکا:أو بعض یوم(فقال)القائل الذی احتملناه فی المورد: بَلْ لَبِثْتَ مِائَهَ عامٍ أی بقیت هنا ماکثا فی مکانک مائه سنه و قد أظهرت لک المشیئه الالهیه أمرا من خوارق العاده و علائم القدره لتذهب حیرتک فی کیفیه إحیاء الموتی بعد فنائهم.ثم قال القائل:و ان لم تطمئن و بقیت فی شک من قصتک فَانْظُرْ إِلی طَعامِکَ و قیل کان تینا أو عنبا وَ شَرابِکَ و کان عصیرا أو لبنا لَمْ یَتَسَنَّهْ أی لم یتغیر بمرور السنین المتطاوله و لا طرأ علیه تلف،مع أن مقتضی العاده و طبیعه هذه الأشیاء بالخصوص أن یسرع إلیها التأثر و التعفن فکیف إذا مرت علیها مائه سنه؟..فبهذه القدره یحیی الله الموتی و یعید کل جنس کما کان و قد أفرد الضمیر فی فعل یتسنه لأن الطعام و الشراب بمنزله جنس واحد.ثم لفت القائل نظره بقوله: وَ انْظُرْ إِلی حِمارِکَ الذی أمتناه و ابلیناه و فتتنا أعضاءه و أجزاءه ثم بعثناه حیا کما کان.

و قد فعلنا هذا لنطلعک علی قدرتنا وَ لِنَجْعَلَکَ آیَهً لِلنّاسِ و علامه ترشد المنکرین للبعث و المتعجبین من القدره علیه فستکون أنت حجه بالغه لمظهر قدرتنا و برهانا علی صدق رسلنا و أنبیائنا حین أنذروا الناس من البعث

و النشور و الحساب و الثواب و العقاب-و هذا كله ظاهر من سياق الكلام فی الایه الشریفه.

و قیل إن عزیرا رجع الی قومه علی حماره بعد بعثه و قال:أنا عزیر، فکذبوه.فجاءهم بمعجزه إملاء التوراه بعد أن کان بختنصر قد أحرقها،ثم قابلوا إملاءه علی نسخه منها کان جده قد دفنها فی مکان ما،فدلهم علیها فأخرجوها،و عارضوا إملاءه و النسخه فما خرم حرفا واحدا فقالوا:هو ابن الله.

و قیل انه رجع الی قومه و هو شاب و أولاده شیوخ،و کان إذا حدثهم بحدیث قالوا:حدیث مائه سنه و

عن علی علیه السلام: انه خلف امرأته حاملا و کان له خمسون سنه ثم رجع و له خمسون سنه و لابنه مائه سنه..

ثم تابع سبحانه فی بیان مظاهر البعث فقال: وَ انْظُرْ إِلَی الْعِظامِ ای عظام الحمار أو عظام أهل القریه أو سائر الموتی أو عظام نفسه إذ قیل إن أول ما أحیا اللّه تعالی منه عینیه فنظر الی عظامه(کیف ننشزها)ای نرفع بعضها علی بعض لترکیبها.و قرئ بالمهمله-ننشرها-ای نحییها.و الجمله حال من العظام فان سأل سائل:لماذا أتی فی المقام بمثالین:واحد منهما:لم یتسنه،عن الطعام و الشراب.و الثانی:الحمار الذی عاد کما کان من قوه و صلابه..و الجواب عن الجهتین أن وجه اختصاص الطعام و الشراب واحد.و قد اختصهما بالذکر لأنهما شیئان أقرب الی الفساد و أسرع الی التعفن ثم أورد ذکر الحمار کضدّ لهما،فهو أقدر علی الصمود أمام عوامل التلاشی و سرعه التلف لصلابه أعضائه و قوه بدنه.و قد أعیدا-بما هما فیه کما کانا و بنفس الخصائص و المیزات.فهذان المثالان یریاننا کمال القدره کما أریا عزیرا کیفیه الاعاده فحصل له کمال الطمأنینه و سکون النفس و راحه القلب الی ثبوت مسأله البعث و النشور...ثم نبهه تعالی الی النظام فقال ثُمَّ نَکْسُوها لَحْماً أی نلبسها لحمها بذاته نجمعه من هاهنا و هاهنا.. فَلَمّا تَبَیَّنَ لَهُ أی وضح لعزیر أمر إحیاء الموتی من خلال إحیاء نفسه و حماره و اعاده

طعامه و شرابه بعينهما و رجع كل شيء كما كان قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أى:حصل لى اليقين الكامل من المشاهده و العيان بأن الله يقدر و يتمكن من بعث من فى القبور بعد إعاده الحياه إليهم.

سوره البقره (٢): آيه ٢۶٠

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قالَ فَخُذْ أَرْبَعَهً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَ اعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢۶٠)

٢۶٠- وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِى ..يمكن أن يكون الكلام معطوفا على ما قبله أى على قصه عزير أو على قصه إبراهيم الأولى.و على التقديرين معناه:انظر يا محمد الى قصد أخرى لإبراهيم جرت فيها شؤون خارقه للعاده و ايات ربانيه و ذلك حين قال لربه عز اسمه:أرنى كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى و السؤال بحسب النظره السطحيه يرى منكرا من القول.

و لكن بعد إمعان النظر يعلم أن قوله عليه السلام لا يعنى نظره الى أصل الأحياء بعد الاماته حتى يكون أمرا غير مترقّب منه بل كان هذا الأمر مفروغا عنه عنده.فسؤاله كان عن كيفيه الأحياء.و بعباره اخرى قد يفهم من كلام إبراهيم(ع)أنه كان شاكا فى الاعتقاد بالبعث مع ان مثل هذا الشك لا تجوز نسبته الى الأنبياء عليهم السلام و بالأخص بأولى العزم منهم كما أنه لا ينسب إليهم صلوات الله عليهم اى امر راجع الى المعتقدات التى تتوقف عليها صحه الايمان.فحاشا اى رسول ان تقع بحقه مثل هذه النسبه

إذ لا ملازمه بين ان لا يعرف الإنسان كيفيه الشيء و كنهه و ان يعتقده من غير شك فيه.فلا أحد الا و يعرف الكهرباء و اللاسلكى و غيرهما من إنجازات العصر الحديث و يؤمن بوجود ذلك كله فى حين انه لا يعرف كيفيه وجود هذه الأشياء.و فى هذه الحال لا يقال إنه شاك فيهما و غير معتقد بصحتهما وجودا.

هذا و مشاهده الكيفيه-مع قطع النظر عن الالتذاذ بها-هى مزيده قهرا على اليقين الذى يحصل بالبرهان و الحجج على أهل البعث و زياده اليقين موجبه لزياده سكون القلب و الاطمئنان.فهذا الطلب منه عليه السلام لا ينافى مقامه السامى.ألا ترى الى استفهام الله جلت قدرته و هو أعلم بالمرء من نفسه كيف جاء استفهاما تقريريا: قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ أى بقدرتى على الأحياء و إعاده التركيب لكل شيء على ما كان فى الدنيا.فانما استفهم سبحانه-و هو يعلم أن إبراهيم(ع)أرسخ الناس إيمانا-ليجيب بما أجاب و ليعلم السامعون غرضه من طلبه حيث قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى أى يزداد سكونا و اطمئنانا بانضمام العيان إلى البرهان،حيث إن للعيان أثرا غريبا لا يتضح فى الدليل و البرهنه.فلما أجاب اللّه إبراهيم بجواب متين استجاب اللّه دعاءه و قالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ جمع طائر كصحب و صاحب أو انه مصدر سمى به و الطيور هى:طاووس،و ديك،و حمام،و غراب.و لم نجد فى كتب التفسير و لا فى الروايات جهه معينه لاختيار هذه الأنواع و اختصاصها و ان كان قد ذكر فى كتب العرفاء و المتفلسفين بعض الكلمات و الحكم حول اختيارها دون ان يغنى ذلك من الحق شيئا.فعلى كل حال ان فى اختصاص العدد بأربعه و فى اختصاص هذه الطيور بالذات أسرارا مخفيه علينا و مكشوفه عند أهلها كما لا يخفى على أرباب البصيره و النظر ذاك ان كلام(الحكيم لا يخلو عن حكمه و رموز هامه فاجعلنا اللهم من أهلها بحق كتابك الكريم و بحق من أنزلته عليه.فقد صدر الأمر الالهى:أن خذ أربعه من الطير فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ أى أجمعهن و اضممهن إذ يقال إن من لوازم الأخذ الجمع و الضم.و الأخذ هنا و بقرينه السياق هو الاختيار لتلك الطيور

و هو أعم من الصر و لا- منافاه بينهما على كل حال بل لعل وجه الأمر بجمعهن اليه(ع)للتأمل فى شأنهن و من أجل ان يعرفهن معرفه كامله و يميزهن بعلامات و فوارق حتى لا تلتبس الطيور عليه بعد الأحياء و قد أمره تعالى بقوله: ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً بانيا كلامه سبحانه على الحذف و التقدير.و الموجب لعدم ذكر المقدر ان قوله:

ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً مغن عن ذكر تقطيعهن و خلط أجزائهن و تفريقها بعد ذلك على الجبال العشره كما روى عن الصادق عليه السلام و قيل السبعه و قيل الاربعه و القول الاول أسد و أقوى فى النظر بمقتضى روايات الصحاح المتعدده عن الباقرين و الرضا عليهم السلام و قد أحصاها كتاب الوسائل فى باب الوصيه بالجزء فى غالبها. ثُمَّ ادْعُهُنَّ اى نادهنّ:يا ديک، يا طاووس،إلخ.. يَأْتِينَكَ سَعْياً يجئن إليک مسرعات ساعيات.ثم اكتفى سبحانه بذكر الوعد عن بيان الوقوع لأن وعده لا خلف فيه.

و الحاصل ان إبراهيم(ع)بعد تفريق أجزائهن مختلطه على الجبال جعل مناقيرهن بين أصابعه،ثم دعاهن بأسمائهن فتطايرت تلک الاشلاء و الاجزاء المتفرقه على الجبال بعضها الى بعض حتى استوت الأبدان و عادت الى ما كانت اليه و جاء كل بدن نحوه عليه السلام لينضم الى رأسه و رقبته فخلى إبراهيم عن مناقيرهن فعادت الطيور كما كانت ثم طارت بقدره الله تعالى و وقعت على ماء كان هناک و شربت منه و قالت:يا نبى الله أحييتنا أحياک الله فقال عليه السلام:بل الله يحيى و يميت و هو على كل شىء قدير و هذا الذيل من قولنا و الحاصل الذى ذكرناه من روايه الكافى و العياشى عن الصادق عليه السلام مع تحريف جزئى فى اللفظ و دون تغيير المعنى ثم انهى البارئ سبحانه هذه الايه الكريمه بقوله: وَ اعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ أى فليرسخ علمک فى قلبک بحيث لو كشفت الغطاء لما تطرق اليه أقل من مثقال الذره من الريب أو الشک و اعرف يقينا ان الله عزيز:اى غالب على الأشياء بأجمعها فلا يعجز قدرته شىء إذا أراده و هو(حكيم)ذو إحكام لما يبرمه و يقضى به و هو ذو حكمه بالغه فى كل ما يفعله و يدبره.

سوره البقره (۲): الآيات ۲۶۱ الى ۲۶۲

مَثَلُ اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اَللّهِ كَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ وَ اَللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اَللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (۲۶۱) اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اَللّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۲۶۲)

۲۶۱- مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ..أى مثل ما ينفقون من أموالهم فى البر على مقتضى التشبيه.و اما مقتضى ظاهر صدر الآيه الشريفه فيحكم بأن التشبيه راجع الى المنفقين لا الى النفقه.فعلى هذا يصير المعنى:مثل المنفقين لأموالهم فى سبيل الله كَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ و اسناد الإنبات الى الحبه اسناد الى بعض أسبابه كالماء و الأرض و الحراره و غيرها.و المنبت الحقيقى هو اللّه تعالى:و المنفقون أموالهم فى سبيله تتضاعف أموالهم و يتزايد أجرهم كالحبه التى تزرع فتعطى سبع سنابل فِي كُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ و التمثيل بذلك يقتضى ان لا يكون فرضا موهوما أو نادرا عزيز الوجود بل من شأن القران الكريم انه لو شبه شيئا بشىء يكون المشبه و الممثل به أمرا واضحا بحيث يعرفه كل حضرى-و بدوى-فتتم الحجه بذلك على الخلائق أجمعين و ما نحن فيه كذلك فان إنبات الحبه سبع سنابل يقع فى كثير من القرى بل ادعى من يوثق بدينه من أهالى جبل عامل ان الحبه قد تنبت نحو عشر سنابل و عشرين سنبله إذا أخصبت.و اما حمل السنبله مائه حبه فهو أمر رائج فى بعض النباتات بل قد يزيد كما فى الدخن و البر و الشعير إذا زرعت فى الأراضى المعده اعدادا صالحا.فمن أنفق درهما كان مأجورا بهذا التقدير العظيم وَ اللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ بحسب حسن نيته و سلامه قصده و بحسب إخلاصه و تعبه فى تحصيل ما ينفق و بحسب إيثاره على نفسه و على عائلته أيضا و لا عجب من مضاعفه

ذلک من عند الله وَ اللّهُ واسِعٌ ای موسع فی عطائه و انعامه علی العباد و عَلِیمٌ بذوی الاهلیه و الاستحقاق للمضاعفه و قدرها و کیفیتها.

۲۶۲- اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ ...لما أراد سبحانه التفضل علی عباده بما هو أکثر من مضاعفه المال و الأجر ذکرهم بشرطین مخصوصین یستحق بهما جزیل الأجر کل من ینفق ماله فی سبیل الله و نبههم فی هذه الشریفه الی الإنفاق المقبول المأجور فقال سبحانه:ینفقون فی طرق البر ثُمَّ لا یُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا و هو الشرط الاول الذی یفرض ان لا یمنوا علی من أعطوه کأن یفخر المعطی بعطائه و یعتد بإحسانه و یتطاول علی من أعطاه و قد یعنفه إذا اقتضی الأمر.و الشرط الثانی أشار الیه بقوله تعالی: وَ لا أَذیً و هو الضرر الیسیر الذی لا تکلف فی تحمله و لا مشقه علی النفس.

فعلی من یعطی للبر ان لا یمن و لا یؤذی و لو بالقدر الیسیر.و الأذی بحسب کتب اللغه ذو مراتب تختلف ضعفا و شده.بدلیل

قوله صلی الله علیه و آله عن بضعته الزهراء علیها السلام: من آذاها فقد آذانی. و

قولها علیها السلام هی نفسها: اللهم إنهما قد آذیانی.. فالمنفقون بحسب الشرطین المذکورین لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ و بقوله: عِنْدَ رَبِّهِمْ رمز سبحانه الی ان ثواب عمل هؤلاء المحسنین أمر لا یعلمه الا الله و لا یجزیهم به الا هو عز و جل و الذین یکون جزاؤهم و حسابهم مع اللّه فإنهم من الفائزین الآمنین وَ لا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ إذ کیف یحزن و یخاف یوم القیامه من بعث امنا مطمئنا الی وعد ربه عز و علا؟...

و عن النبی صلی الله علیه و آله فی کثیر من الروایات ان الله کره عده خصال عد منها المن بعد الصدقه. و

عن الصادق علیه السلام عن النبی (ص): من أسدی الی مؤمن معروفا ثم أذاه بالکلام أو منّ علیه فقد أبطل الله صدقته... فان قیل:کیف مدح الله ترک المن و نهی عنه ثم وصف نفسه بالمنّان فی نحو قوله: لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ.. و قوله:هو المنان ذو القوه..فیجاب أن«من»تجیء بمعنی:أعطی و المنان:المعطی

الوهـاب،و المنـن:العطايـا،و امنـن أو أمسـک:یعنی:تفضـل بالعطـاء أو امنعه.و منّ علی المـؤمنین:أنعم علیهم و امـا منّـا:أی انعـاما بالإطلاق و دون عوض..أو ان المن یجیء بمعنی الاعتـداد بالنعمه و اسـتعظامها و اسـتکثارها.و هو بهذا المعنی مذموم کالذی مر فی تفسـیر الآـیه الکریمه.أمـا قوله تعـالی: بَـلِ اللّهُ یَمُنُّ عَلَیْکُمْ أَنْ هَـداکُمْ لِلْإِیمـانِ فلیس من الاعتـداد و لاـ من التبجـح و انما هو التفضل علیکم بالهدی ای:بل الله ینعم علیکم بهدایتکم.

و هـذا بخلاف المنه بعطاء المال.بل قـد یکون من صـفات الله تعالی ما هو مدح فی حقه و ذم بالنسـبه الی غیره:فلا عجب أن الله تعالی متکبر جبار منتقم، فی حین.ان الإنسان المتصف بهذه الصفات یکون مذموما مقبوحا.

سوره البقره (۲): الآیات ۲۶۳ الی ۲۶۵

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَهٌ خَیْرٌ مِنْ صَـدَقَهٍ یَتْبَعُهـا أَذیً وَ اَللّهُ غَنِیٌّ حَلِیمٌ (۲۶۳) یـا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَـدَقاتِکُمْ بِالْمَنِّ وَ اَلْأَذی کَالَّذِی یُنْفِقُ مـالَهُ رِئـاءَ اَلنّاسِ وَ لا یُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ اَلْیَوْمِ اَلْآخِرِ فَمَثَلُهُ کَمَثَلِ صَـفْوانٍ عَلَیْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَکَهُ صَـلْداً لا یَقْـدِرُونَ عَلی شَـیْءٍ مِمّا کَسَـبُوا وَ اَللّهُ لا یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلْکافِرِینَ (۲۶۴) وَ مَثَـلُ اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ اِبْتِغاءَ مَرْضاتِ اَللّهِ وَ تَثْبِیتاً مِنْ أَنْفُسِـهِمْ کَمَثَلِ جَنَّهٍ بِرَبْوَهٍ أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُکُلَها ضِعْفَیْنِ فَإِنْ لَمْ یُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ وَ اَللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ (۲۶۵)

۲۶۳- قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَةٌ ...أن تلين للسائل من إخوانک و تتلطف له بالکلام و تتجاوز عما یقوله فی سؤاله و تعفو عن الحاحه إذا سأل و الحف فی السؤال و تعتذر منه فی مقام رده بالشکر لک علی إحسانه کل ذلک خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذىً ای من إعطاء و إنفاق یقارنهما الأذی و المن وَ اللّهُ غَنِيٌّ عن صدقاتکم علی عیاله من الفقراء و انفاقکم علیهم بهذا الشکل بل هو غنی عن جمیع طاعاتکم و انما امر بها لأن فوائدها تعود إلیکم لأنکم تربحون ثوابها الذی یعود إلیکم بل هو غنی فی کل حال حَلِيمٌ لا یعاجل بالعقوبه من یستحقها عاجلا.فعلیکم-عباد الله- بالحلم و الصبر لما یصدر عن السائل الذی یطلب صدقاتکم و عن غیره ممن یستحق العقوبه و المؤاخذه.

۲۶۴- یا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ ..أکد سبحانه هدایته فی أمور الإنفاق و الصدقه و إرشاد الناس الی ما فیه جزیل ثوابه حین یتم ذلک بشرط و شروطه ثم قال عز من قائل:لا تبطلوا صدقاتکم و تذهبوها ادراج الریاح بِالْمَنِّ وَ الْأَذى حین تمّنون بها علی الله و علی السائلین أو حین تؤذون عیاله من المحتاجین فان ذلک یذهب فضیله الإنفاق فی سبیله تعالی ثم ضرب سبحانه مثلا للمقام یؤکد و یوضح عمل المنّان المؤذی الذی لا ینفعه التصدق و یستحق ابطال تصدقه فقال هو كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النّاسِ الرئاء و الریاء واحد لأنهما من:راءی أی عمل عملا- لا لحسنه و لا لوجه اللّه بل لأجل ان یراه الناس و تباهیا بالعمل و افتخارا کمن ینفق لیقول الناس انه محسن حال کونه لم یؤمن بجدوی الصدقه و لا یرمی إلی أجرها الأخرویّ وَ لا يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ إذ لو کان مؤمنا بذلک لما عمل لغیر الله تعالی فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ ای أن المرائی فی إنفاقه کأنه صخره أو حجر ضخم أملس عَلَيْهِ تُرابٌ ای انه مستور بقلیل من التراب و یخیل للناظر الیه کأنه أرض فَأَصابَهُ وابِلٌ أی نزل علیه مطر غزیر شدید قطراته کبیره تنهمر کأفواه القرب،فجرف التراب عن وجهه فَتَرَكَهُ صَلْداً حجرا صلبا أملس لا- یصلح لزرع و لا- إنبات..فإن المنفقین

رياء و سمعه هم كذلك لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمّا كَسَبُوا اى لا يجدون ثواب ما أنفقوا لأنهم لم يبتغوا وجه الله تعالى فذهبت أموالهم التى جمعوها و لم يتمكنوا من صرفها بمراضى الله و لا قدروا ان يسيطروا عليها للإنفاق المأجور فكان ذلك مدعاه لحسراتهم و خسرانهم وَ اللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ اى لا يمنعهم من الهدى و لكنه لا يوفقهم اليه لأن نفقاتهم تكون للرياء و هم الذين اخرجوا أنفسهم من الأهليه للتوفيق و التأييد و لذا عدهم الله فى زمره الكفره الذين لا يستحقون هدايه و لا عنايه منه سبحانه و فى ذلك إشاره الى ان المن و الرياء من صفه الكافرين لا المؤمنين و الا فما كان المراؤون ليحسبوا من الكافرين.

۲۶۵- وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ...إن اللّه جل و علا بين لنا أقسام الإنفاق و طرقه المشروعه المأجوره و ميز المرضى منه عن غيره و قابل بين الإنفاق المأمور به و الإنفاق المنهى عنه و ضرب لذلك أمثالا توضيحيه و لا سيما ما قاله سبحانه عن إنفاق المرائى الذى يبتغى السمعه و الشهره ثم أخذ-فى هذه الايه الكريمه-بضرب مثل عمن يمارسون الانفاقات المشروعه فقال سبحانه: وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ اى يصرفون قدرا يعتنى به من أموالهم فى طرق البر طلبا لمراضيه تعالى،و حملا لأنفسهم على طاعته و امتثالا لأمره،فمثلهم كَمَثَلِ جَنَّهٍ بِرَبْوَهٍ اى كأرض مشجره أو بستان أو حديقه فيها من كل فاكهه حال كونها تقع فى مرتفع من الأمكنه.و قد افترضها سبحانه بربوه لأن شجرها يكون أنضر و عودها أصلب و ثمرها أكثر و الطف و أحلى و ازكى إذ هواؤها انشط و أنقى و أصفى لسلامتها من وخامه المستنقعات و تجنبها من الارتواء بالماء الذى ينز من فوقها كما هو المشاهد و المجرب.فتصور الجنه بربوه عاليه و قد أَصابَها وابِلٌ اى مطر غزير ينهمر عليها بهدوء لترتوى دون ان تنجرف تربتها.و من المعلوم ان سقى المطر له اثار و خواص فى تنميه الشجر و حسن إنشائه لا تتوفر فى مياه الجر،و لذا خصه سبحانه بالذكر و لم يقل سقاها نهر دفاق فاذا أصابها الوابل المنتظم استوت على سيقانها و أثمرت و أنتجت فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ أى أعطت مثلين مما كانت تعطيه و قد نصبت لفظه«ضعفين» على انها حال اى:أتت أكلها-يعنى ما يؤكل منها-مضاعفا. فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ فانها إذا لم يتسن لها الوابل ليسقيها فانها ينزل عليها الطل:المطر الخفيف كالرذاذ و غيره فترتوى أرضها و يحسن نباتها و تعطى أكلا فاخرا..

۲۶۵- وَ مَثَلُ اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ...إن اللّه جل و علا بين لنا أقسام الإنفاق و طرقه المشروعه المأجوره و ميز المرضی منه عن غيره و قابل بين الإنفاق المأمور به و الإنفاق المنهی عنه و ضرب لذلک أمثالا توضيحيه و لا سيما ما قاله سبحانه عن إنفاق المرائی الذی يبتغی السمعه و الشهره ثم أخذ-فی هذه الايه الكريمه-بضرب مثل عمن يمارسون الانفاقات المشروعه فقال سبحانه: وَ مَثَلُ اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ اِبْتِغاءَ مَرْضاتِ اَللّهِ ای يصرفون قدرا يعتنی به من أموالهم فی طرق البر طلبا لمراضيه تعالی،و حملا لأنفسهم علی طاعته و امتثالا لأمره،فمثلهم كَمَثَلِ جَنَّهٍ بِرَبْوَهٍ ای كأرض مشجره أو بستان أو حديقه فيها من كل فاكهه حال كونها تقع فی مرتفع من الأمكنه.و قد افترضها سبحانه بربوه لأن شجرها يكون أنضر و عودها أصلب و ثمرها أكثر و الطف و أحلی و ازكی إذ هواؤها انشط و أنقی و أصفی لسلامتها من وخامه المستنقعات و تجنبها من الارتواء بالماء الذی ينز من فوقها كما هو المشاهد و المجرب.فتصور الجنه بربوه عاليه و قد أَصابَها وابِلٌ ای مطر غزير ينهمر عليها بهدوء لترتوی دون ان تنجرف تربتها.و من المعلوم ان سقی المطر له اثار و خواص فی تنميه الشجر و حسن إنشائه لا تتوفر فی مياه الجر،و لذا خصه سبحانه بالذكر و لم يقل سقاها نهر دفاق فاذا أصابها الوابل المنتظم استوت علی سيقانها و أثمرت و أنتجت فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ أی أعطت مثلين مما كانت تعطيه و قد نصبت لفظه«ضعفين» علی انها حال ای:أتت أكلها-يعنی ما يؤكل منها-مضاعفا. فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ فانها إذا لم يتسن لها الوابل ليسقيها فانها ينزل عليها الطل:المطر الخفيف كالرذاذ و غيره فترتوی أرضها و يحسن نباتها و تعطی أكلا فاخرا..

و حاصل التشبيه ان الإنفاق إذا كان طلبا لمرضاه الله فانه تعالی لا يضيعه كثيرا كان أم قليلا فهو مفيد و مثاب عليه علی كل حال كالبستان الذی يجوز أن ينتج ضعفين أو ضعفا واحدا و لكنه يثمر علی كل حال وَ اَللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يری أعمالكم بل هو واقف علی ما فی ضمائركم إذ يعلم من الإنسان ما توسوس به نفسه و يطلع علی نياته و لا تخفی عليه خافيه فی الأرض و لا فی السماء.

سوره البقره (۲): الآيات ۲۶۶ الی ۲۶۹

أَ يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّهٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ اَلثَّمَراتِ وَ أَصابَهُ اَلْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَّهٌ ضُعَفاءُ فَأَصابَها إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اَللّهُ لَكُمُ اَلْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (۲۶۶) يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَ مِمّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ اَلْأَرْضِ وَ لا تَيَمَّمُوا اَلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (۲۶۷) اَلشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ اَلْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَ اَللّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَهً مِنْهُ وَ فَضْلاً وَ اَللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (۲۶۸) يُؤْتِی اَلْحِكْمَهَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ اَلْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَيْراً كَثِيراً وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا اَلْأَلْبابِ (۲۶۹)

۲۶۶- أَ يَوَدُّ أَحَدُكُمْ ...الاستفهام إنكارى اى كيف يحب أحدكم و من ذا الذى يحب أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ اى بستان ينتج هاتين الثمرتين و قد اختصهما بالذكر لكثره منافعهما و لخواص بهما-مع أن الجنه تحتوى عاده على اثمار مختلفه كما صرح تعالى به فى قوله فيما يأتى:

فيها من كل الثمرات-و لأنه عز و جل فرض فيهما الزكاه و لأنهما من خير الفواكه للتغذى و الاقتيات للفقراء و غيرهم و النخيل دائم الخضره فى سائر الفصول و الخضره الدائمه شرف للأشجار حتى و لو كانت غير مثمره لأن لها بهجه تبهج النظر و تستقبلها العين بارتياح بسبب ان من خواصها تكثير نور العين كما فى الروايه..و الحاصل انه كيف يحب أحدكم ان تكون له جنه تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ و الجمله:تجرى محلها النصب بناء على كونها حالا من الجنه.و يحتمل كونها فى محل رفع على انها صفه لها و الاحتمالان جاريان فى قوله: لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ.. يكون له ذلك وَ أَصابَهُ الْكِبَرُ و الواو هنا علامه كون ما بعدها فى مورد النصب حالا من أحد.و أريد من لعباره انه بلغ حد الشيخوخه و الهرم وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ اى أولاد صغار لا يقدرون على تحصيل معاشهم فهم فى حاله تستوجب الإنفاق عليهم فى حياه وليهم و توريثهم بعد وفاته،مما يجعله حريصا على تلك الجنه يتعلف بها زياده لأنها سبب معاش ذريته فَأَصابَها إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ اى ضربتها ريح هو جاء التفت بأشجارها بشكل اسطوانى كالعمود ثم اقتلعت ما فيها و طيرته فى الفضاء و كان فى الاعصار نار سماويه فَاحْتَرَقَتْ أشجار تلك الجنه بحيث لم يعد يستفاد منها بشیء.فهل يود أحد ان يكون له ذلك مع ذريه هو مسئول عنها فى حياته و بعد مماته و ان

یصاب بهذا الحادث السماوی المدمر؟..و الجواب:لا،لأننا قدمنا انه استفهام استنکاری..و هذا مثل لمن یعمل الحسنات عن طریق إنفاق المال و غیره و لا یرید بذلک وجه الله سبحانه ثم إذا اشتدت حاجته إلیها فی الآخره یجدها قد حبطت فیتحسر کما یتحسر صاحب الجنه المحترقه التی کانت سبب معاشه و معاش أولاده.هذا الی ان الضر الدنیوی قابل للجبر و یمکن معه الصبر و لکن الضر فی الاخره هو الحسره الدائمه و الندامه الابدیه.. کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللّهُ لَکُمُ الْآیاتِ ای مثل هذا البیان الذی أوضح سبحانه لکم فیه امر الصدقه و قصه إبراهیم علیه السلام و قصه الذی مر علی القریه الخاویه و غیرها مما سلف و الذی فیه آیات و براهین تحتاجون إلیها فی أمور دینکم و دنیاکم عرضها علیکم لَعَلَّکُمْ تَتَفَکَّرُونَ بنتیجه ما ذکرناه لکم و تتدبرون فی الآیات للاعتبار.

۲۶۷- یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَیِّباتِ ما کَسَبْتُمْ ..ای اصرفوا علی المحتاجین من خلاله أو من جیده.و الایه الشریفه لبیان صفه الصدقه و المتصدّق علیه.و ما مضی فی الموضوع کان فی الحث علی الإنفاق و صفه المنفق و بیان کیفیه الإنفاق من حیث خلوصه من الأذی و المن و الریاء.فأنفقوا ایها المؤمنون من ذلک الرزق الحلال وَ مِمّا أَخْرَجْنا لَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ عطف علی الطیبات.و المراد به غیر الردیء فی ذاته أو لحرمته،ای من الزارعات و الفواکه و الخضر و المعادن و غیرها.و الظاهر ان المراد هو مطلق الإنفاق فی سبیل الله و طرق البر سواء أ کان فی الفرض أم فی النفل وَ لا تَیَمَّمُوا الْخَبِیثَ ای لا تقصدوا و تتعمدوا صرف الردیء مما عندکم و یؤیده قوله تعالی: لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتّی تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ فلا تختاروا ردیء ما عندکم مِنْهُ تُنْفِقُونَ حال من الفاعل ای منفقین منه وَ لَسْتُمْ بِآخِذِیهِ و أنتم لا تأخذونه فی حقوقکم و هدایاکم و صلاتکم لرداءته و الواو للحال،و الجمله لدفع المغالطه فی مصداق الخبیث یعنی:أنتم تنفقون من الردیء و لا تأخذونه إذا اعطی لکم و هذا هو خیر میزان فی الخبیث من غیره فاذا قبلتم الشیء الذی یهدی إلیکم عن رغبه فهو طیب و ان لم تقبلوه أو

قبلتموه بکره فهو خبیث و یشیر الی هذا لفظه الاستثناء فی قوله تعالی إِلاّ أَنْ تُغْمِضُوا فِیهِ کنایه عن التنازل و التسامح فی الأخذ ای تأخذونه بغض النظر عن رداءته مما یشکل دلیلا علی عدم الرغبه فیه لخباثته.و هذه صفه ثانیه تدل علی خباثه ما ینفق و الا فان الإنسان لا یعرض عنه بلا وجه عقلانی وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَنِیٌّ عنکم و عن انفاقکم علی عباده لأنه هو الذی یرزقکم و جمیع المخلوقات و ما بکم من نعمه فمن اللّه سبحانه و تعالی و هو:(حمید)ای محمود علی آلائه و نعمه العامه أو علی الأصح:هو حامد ای مجاز للمنفقین البرره علی إحسانهم بالنیه الخالصه و القصد الشریف و الله تعالی فضله عمیم علی الناس و هو غنی عن العالمین و لکنه-بطلبه ذلک منا -یرید ان لا یدع للشیطان سبیلا علینا کیلا یحرمنا من هذه الفضیله ذات الأجر الجزیل.

۲۶۸- اَلشَّیْطانُ یَعِدُکُمُ الْفَقْرَ ...فحین الإنفاق فی سبیل البر یتدخل الشیطان و یوسوس لمن ینفق من حلال ماله و جیده محتملا له الفقر و مخوفا له بالفاقه لیمنعکم عن هذا الأمر العظیم ذی الخیر الکثیر وَ یَأْمُرُکُمْ بِالْفَحْشاءِ ای یسول لکم بما هو أشد قبحا من الذنوب و هو الزنی و اللواط و غیرهما من المنکرات.و قیل ان الفحشاء هنا البخل و البخیل فاحش.و کله من الفحش:أی القبیح من الفعل أو القول فأعرضوا عن امر الشیطان فانه یغشکم وَ اللّهُ یَعِدُکُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ ای عفوا عما فرطتم به(و فضلا) ای زیاده فی الاخره مما أنفقتم فی الدنیا..فیا أرباب العقل و الحجی:بأی وعد ینبغی أن تأخذوا بوعد الشیطان أم بوعد الرحمان وَ اللّهُ واسِعٌ فی نعمه یعوض علیکم ما أنفقتم فلا تخافوا عوزا و لا فقرا إرغاما للشیطان فان الله(علیم)بمقدار ما تنفقونه فیضاعفه لکم فی الدنیا و الاخره..

۲۶۹- یُؤْتِی الْحِکْمَةَ مَنْ یَشاءُ ...الحکمه موهبه الهیه قدسیه یقذفها اللّه فی قلب من له الاهلیه لها فتتفجر من قلبه ینابیع الحکمه و العلم و الحلم و العدل و لا ینطق واجدها عن هوی لأن لسانه بعد هذه النعمه یکون وراء عقله فلا ینطق الا بالحق و الصواب و لذا یقول سبحانه و تعالی وَ مَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَةَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً و فسر الخیر هنا بالشرف و الکرم و المراد بکثرته هو المرتبه الفاضله.و ظاهر الایه الشریفه ان الحکمه هی منشأ الخیر الکثیر و الخیر العمیم.و قد قیل ذلک و قیل هی العلم النافع و الحق.

۲۶۹- يُؤْتِی الْحِكْمَهَ مَنْ يَشاءُ ...الحكمه موهبه الهيه قدسيه يقذفها اللّه فی قلب من له الاهليه لها فتتفجر من قلبه ينابيع الحكمه و العلم و الحلم و العدل و لا ينطق واجدها عن هوی لأن لسانه بعد هذه النعمه يكون وراء عقله فلا ينطق الا بالحق و الصواب و لذا يقول سبحانه و تعالی وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَيْراً كَثِيراً و فسر الخير هنا بالشرف و الكرم و المراد بكثرته هو المرتبه الفاضله.و ظاهر الايه الشريفه ان الحكمه هی منشأ الخير الكثير و الخير العميم.و قد قيل ذلک و قيل هی العلم النافع و الحق.

اما تقديم ثانی المفعولين فی الجمله الاولی فهو اهتمام به كما ان تنكير الخير فی الجمله الاخيره للتعظيم،أی:خير كثير.. وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ يعنی:لا يتدبر و لا يتفكر فيما اذكر و لا يتعظ بجميع ما فصلنا من وجوه البر و امتثال امر الله و عدم الاستماع لوسوسه الشيطان الا ذوو العقول الصائبه و أصحاب المعارف الحقه فی دائره السياسه الدينيه الالهيه و تفهم ايات القران العظيم و دلائله الواضحه اللائحه و براهينه الساطعه.و

فی الكافی و الخصال عن النبی(ص) انه كان ذات يوم فی بعض أسفاره إذا لقيه ركب فقالوا:السلام عليک يا رسول الله فالتفت إليهم و قال:ما أنتم؟.

فقالوا:مؤمنون.قال:ما حقيقه إيمانكم؟..قالوا:الرضا بقضاء الله و التسليم لأمر الله و التفويض الی الله.فقال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله:علماء حكماء كادوا ان يكونوا من الحكمه أنبياء فان كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون و لا تجمعوا ما لا تأكلون و اتقوا اللّه الذی اليه ترجعون.

سوره البقره (۲): الآيات ۲۷۰ الی ۲۷۴

وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَهٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اَللّهَ يَعْلَمُهُ وَ ما لِلظّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ (۲۷۰) إِنْ تُبْدُوا اَلصَّدَقاتِ فَنِعِمّا هِیَ وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا اَلْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ وَ اَللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۲۷۱) لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ وَ لكِنَّ اَللّهَ يَهْدِی مَنْ يَشاءُ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَ ما تُنْفِقُونَ إِلاَّ اِبْتِغاءَ وَجْهِ اَللّهِ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ (۲۷۲) لِلْفُقَراءِ اَلَّذِينَ أُحْصِرُوا فِی سَبِيلِ اَللّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِی اَلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ اَلْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ اَلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ اَلنّاسَ إِلْحافاً وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اَللّهَ بِهِ عَلِيمٌ (۲۷۳) اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ اَلنَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَهً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۲۷۴)

۲۷۰- وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ ...أی حسنه مرضیّه،أو قبیحه غیر مرضیه منه تعالی کالتی یعقبها المنّ و الأذی و الریاء،و«ما»موصوله تتضمن معنی الشرط،صلتها:أنفقتهم،و عائدها:ضمیر محذوف،و التقدیر:إن أنفقتموه،و من نفقه:تبیّن الموصولیه..فمهما أنفقتم من نفقه أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ عاهدتم علی الوفاء به:جملتان عاد سبحانه و تعالی یرغّب فیهما بالإنفاق المفروض،و بما یوجبه الإنسان علی نفسه من نذر مشروع فی طاعته،بحیث لا- یکون فی معصیه،مهما فعلتم من ذلک فَإِنَّ اللّٰهَ یَعْلَمُهُ یعرفه فیثیب علی الإنفاق و النذر المقبول و یجزی بهما أحسن جزاء المحسنین وَ ما لِلظّٰالِمِینَ أنفسهم من الذین ینفقون فی المعاصی، و ینذرون فیما لا یرضی اللّه،لا یکون لهؤلاء مِنْ أَنْصارٍ ینصرونهم و یمنعون عنهم عذاب اللّه إذا نزل بهم یوم لقائه.

٢٧١- إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ ..أى تظهرونها عند الإعطاء بحيث تكون بشكل علنىّ فَنِعِمّا هِیَ أى:فنعم الصدقه شيئا هى فى حدّ ذاتها.

و إبداؤها لا يضرّ بفضلها إذا لم ينضمّ إليها شىء من الرياء وَ إِنْ تُخْفُوها تعطوها خفيه و سرا،و تبرّوا بها اَلْفُقَراءَ بحيث لا يطّلع عليكم أحد فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ و علّه الأفضليه هنا قد تكون أسلم و أحفظ من الرياء و السّمعه خلافا لما فى الصدقه الظاهره فإنها فى معرض تلك الظواهر.و قيل إن الإخفاء مطلوب فى النّفل لزياده الأجر،و الإبداء يكون فى الفرض للتشجيع على إنفاق الحقوق المرسومه على القادرين.

فعن على بن إبراهيم،بإسناده عن الصادق عليه السلام،قال: الزكاه المفروضه تخرج علانيه و تدفع علانيه،و غير الزكاه إن دفعه سرّا فهو أفضل. فإن صحّ هذا الخبر خصّص الآيه،و إلاّ فهى على عمومها. وَ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ قرأ نافع و حمزه،و الكسائى«يكفر»بالياء و جعلوا الفعل مجزوما على محلّ الجزاء.أى:يكون الإخفاء سببا لأن يكفّر اللّه عنكم سيئاتكم.

و قرأ ابن عامر،و عاصم بالنون،على قراءه ابن كثير و أبو عمر و عاصم فى قراءه أخرى-الفعل مرفوعا فى محل خبر لمحذوف.أى:نحن نكفّر.

فسبب تكفير السيئات يكون أعمّ من الإخفاء و الإعطاء للفقراء. وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ عليم و مطّلع على حقيقه ذلك و كنهه،إذ لا يخفى عليه شىء من أعمالكم،سرّها و علانيتها،حقّها و باطلها،قليلها و كثيرها،لأن الناقد بصير بصير.

٢٧٢- لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ ...هدى الناس و إيصالهم إلى الحقّ ليس مفروضا عليك يا محمد،و لا أنت مسئول عن ذلك،و لا عن ائتمارهم بما أمروا به و لا عن انتهائهم عمّا نهوا عنه،بل عليك البلاغ فقط اَللّهَ يَهْدِي يدلّ و يوصل إلى الطريق المستقيم الحق مَنْ يَشاءُ ممّن عندهم الأهليه و الإراده الخيّره..و يستفاد من الآيه الكريمه أنه صلّى اللّه عليه و آله كان يتجرّع الغصص و يناله الأذى فى دعوته،و يتألم من عدم اهتداء قومه.

فنزلت الشريفه لتسليته و تطييب خاطره الكريم.و هذا نظير قوله تعالى:

طه، ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى، إِلاّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشى. و لذا عاد سبحانه لمخاطبه الناس بقوله: وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكَمْ و المراد بـالخير هنـا المال الطيّب بقرينه المقام و للتعبير بلفظه:خير لأنه وسيله للتوجّه الى اللّه عزّ و جلّ.فالإنفاق الطيّب يعود نفعه الى منفقه إذ يكـون عن خلـوص نيّته، فهو الـذى يرجع إليه أجره وَ مـا تُنْفِقُونَ إِلاَّـ ابْتِغـاءَ وَجْهِ اللّهِ أى لطلب مرضـاته.و يمكن ان تكون الجمله خبريّه.-إنفاقكم ابتغاء-و اللّه تعالى يخبر هنا عن صـفه المؤمنين الخلّص الذين يكون مقصدهم من الإنفاق تحصيل رضوانه.و يحتمـل-ضـعيفا-كونهـا فى مقـام النهى و إن كـان ظاهرها الخبر،أى:و لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه اللّه فإنه تعالى يبيّن لكم كيفيه ذلك تعليما و تأديبا بآدابه المرضـيّه عنده تعالى.. وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ و التوفيه إكمال الشـىء و إتمامه..فمعنى الآيه المباركه:أنّ إنفاق بعض المال،يضاعف أجره و ثوابه مضاعفه كامله تامه وافيه بحيث يرضـى صاحبه بما يعطيه اللّه بدلا عمّا أنفق فى يوم الفـاقه إليه،أى يوم القيـامه حيث ينال الجزاء الأوفى وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ بمنع الثواب،و لا بنقصان الجزاء حتى لا يؤخر عن محلّ الحاجه،بل يصل إليكم فى أشد وقت الحاجه.و كلّ ذلك لترغيب الناس و تحريض المؤمنين.

٢٧٣- لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا ...الجمله خبر لمبتدأ محذوف و التقدير:

النفقه للفقراء..و قد خصّص سبحانه هؤلاء بالإنفاق و الإعانه:و هم الفقراء من أهل الحاجه الذين احتبسوا فى سبيل اللّه،أى منعهم الجهـاد عن العمل و الكسب و لم تتـح لهم فرصه طلب العيش.ذاك أن الجهاد فى سبيل اللّه يكون لإعلاء الـدين،و إعلان كلمه التوحيد،و هو يستوعب سائر أوقات المجاهدين،و لذا قال عزّ من قائل: لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ فلا يتمكّنون من الاحتراف و العمل للتكسّب و جلب الرزق و إصلاح أمور معاشهم..و

فى المجمع عن الباقر عليه السـلام: أنها نزلت فى أصـحاب الصّـفه. و قيل كانوا نحوا من أربعمائه من الفقراء المهاجرين،يسكنون صفّه المسجد و يستغرق وقتهم التعلّم،و التعليم

و العباده.و كانوا يستخرجون فى كل سريّه يبعثها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله،فيخرجون إليها مسرعين إجابه لدعوته(ص)اشتياقا لنصره كلمه التوحيد و إعلاء الدعوه إليها و تشييد أركان الإسلام،جزاهم اللّه عن الإسلام و أهله خير الجزاء،و نوّر اللّه مضاجعهم بأنوار رحمته..و الحاصل أنه تعالى عقّب على أمور الإنفاق ببيان أفضل الفقراء الذين هم مصداق مواضع الصدقات،ثم وصفهم جلّ و علا بقوله: يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ فجاهل حالهم يظنّ أنهم أغنياء بسبب تعففهم و إبائهم السؤال و طلب الصدقه،لأن السؤال يكشف عن الحال،و يبيّن فقر السائل،إذ قد يغلب الفقر ملكه العفّه أحيانا فيلجأ المحتاج إلى السؤال.و لكن ملكه العفّه قد تكون راسخه عند بعض المعوزين فيأنفون من السؤال، و إن كنت يا محمد،و يا أيها الإنسان تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ أى بالعلائم التى فيهم،فإنها تكون دالّه على فقرهم لكل ناظر لبيب.و ذلك كرثاثه الحال،و صفره الوجه و الهزال،و الخجل من الظهور فى المناسبات الاجتماعيه،و غير ذلك مما يساعد على التعريف بحالهم و هم لا يَسْئَلُونَ النّاسَ إِلْحافاً أى عفه و سترا لفقرهم،و حفظا لماء وجههم،و صيانه لشرفهم الذى اكتسبوه ممّا فى الإسلام من مكارم الأخلاق و تعزيز حال المؤمن الذى يعتنقه.و يقال:لحف الثوب،أى:لبسه صيانه لبدنه،و لحفه:

غطاه باللحاف و نحوه:لحف القمر أى:محق و امتحق تحت شعاع الشمس بحيث يختفى عن الأنظار و لا يرى.و قد يجىء الالتحاف بمعنى الإلحاح:

يعنى أن هؤلاء الفقراء لا يلحّون فى السؤال،و يطلبون الصدقه مكرّرا.أى لا يسألون سؤال إلحاح بحيث يلازمون الأغنياء و يشكون لهم سوء حالهم.

و لكن هذا المعنى لا يليق بالمقام لأن المعنى المفهومىّ يخالف قوله سبحانه فى صدر الآيه:تعرفهم بسيماهم.فإنهم إذا سألوا الأغنياء و طلبوا الصدقه بأدنى مراتب الطلب،لا يصحّ أن يعرفوا بسيماهم بل السؤال يكشف عن حالهم.أما هؤلاء فيعرفون بالسيماء و هم متعفّفون،و يغطّون حاجتهم بالسكوت عن كشف حالهم أنفه و تعفّفا..و هذا الذى قلناه هو ما اختاره

صاحب مجمع البیان بل قال فیه:لا یسألون الناس أصلا،و نسبته لابن عباس،و قال:و هو قول الفرّاء و الزجاج و أکثر أرباب المعانی.

و قرینه أخری تناسب المقام و تأبی حمل معنی الإلحاف علی الإلحاح،هی ان أهل الصفه کانوا أجلّ شأنا و أسمی مقاما من ان یسألوا الناس و یظهروا فقرهم.

فعصبّیتهم العربیه مانعه من ذلک و لو ماتوا من الجوع.و کذلک آباؤهم و انفتهم و تمسّکهم بالعشائریه و القبلیه مضافا الی آداب الإسلام و خلق القرآن بل زد علی ذلک کله الأب الرحیم للفقراء و المساکین،اعنی محمدا سید المرسلین صلوات اللّه علیه و آله فإنه کان علی رأسهم،بل کانوا فی ضیافته،و کان یؤاکلهم و یشاربهم بما قسم اللّه تعالی فی ذلک العهد الشدید الذی کانوا فیه فی ضیق و ضنک،و کان الکثیرون ممّن سواهم فی شظف عیش و عسر أیضا،حتی أن النبیّ(ص)کان فی ضیق معاش فی بدء الدعوه.و الحاصل ان أهل الصفّه کانوا ذوی جلال و شأن و لا یلیق بمقامهم السامی الإلحاح فی طلب الصدقه،بل لم یسألوها مطلقا..و قد کرّر سبحانه قوله: وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِیمٌ ترغیبا فی الإنفاق،و دلاله علی انه محفوظ مکتوب،معلوم عنده جلّ و علا-سواء أ کان إنفاقا علینا أن سرّیا،و معلوم بإجماله و تفصیله،و کونه فرضا أو نفلا، و کما و کیفا..و ننبّه إلی أنه لا بد من الفحص التامّ لتحصیل مصارف الصدقه لتقع فی ید أهلها.و لننال علیها الجزاء الأوفی.

۲۷۴- اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ ...یبیّن اللّه سبحانه فی هذه الآیه الکریمه أوقات الإنفاق و أشکاله،و ثوابه العظیم.فالمنفقون لأموالهم بِاللَّیْلِ وَ النَّهارِ و فی أی وقت منهما بلا تعیین وقت أفضل من وقت،بل حین یشاءون سِرًّا وَ عَلانِیَةً جهارا أمام الناس،أو خفیه عنهم،یعطون علی الدوام فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ و لا یخفی أنّ إبهام الأجر کمّا و کیفا دلیل علی عظمه و عدم تحدیده،أی:فلهم أیّ أجر و أی مقدار!.لذلک وَ لا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ فلا خشیه علیهم یوم القیامه و لا یردن ما یکرهون.فهنیئا ثم هنیئا لمن وفّقه اللّه لمثل هذا العمل العظیم و نوال هدا

الوعد الكريم..و

روى أن هـذه الآـيه المبـاركه نزلت فى أمير المـؤمنين علىّ بن أبى طـالب عليه السـلام،حيث كـان يملـك اربعه دراهم،فتصـدّق بـدرهم فى النهار،و بدرهم فى الليل،و بدرهم علانيه و بدرهم سـرا،فنزل فيه قول اللّه الذى يكرّمه به و يشـجّع الآخرين على اتّباع سيرته الميمونه.

سوره البقره (٢): الآيات ٢٧٥ الى ٢٧٧

اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ اَلرِّبا لا يَقُومُونَ إِلاّ كَما يَقُومُ اَلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ اَلشَّيْطانُ مِنَ اَلْمَسِّ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا اَلْبَيْعُ مِثْلُ اَلرِّبا وَ أَحَلَّ اَللّهُ اَلْبَيْعَ وَ حَرَّمَ اَلرِّبا فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهى فَلَهُ ما سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَى اَللّهِ وَ مَنْ عادَ فَأُولئِكَ أَصْحابُ اَلنّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اَللّهُ اَلرِّبا وَ يُرْبِى اَلصَّدَقاتِ وَ اَللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفّارٍ أَثِيمٍ (٢٧۶) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ وَ أَقامُوا اَلصَّلاةَ وَ آتَوُا اَلزَّكاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧)

٢٧۵- اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا ...لمّـا بيّن سـبحانه بعض أحكام المال المتعلّقه بإنفاقه،أخـذ فى بيان حكم آخر يترتب على الأموال و المعاملات فقـال عزّ و جـلّ: اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبـا ،أى يأخـذونه،و التعبير عنه بالأكـل لأـن الأكل من أغلب منافع المال.و الرّبا هو الزياده فى المعامله شهره،و إلاّ فهو مطلق الزياده.و بناء على ما هو المشهور من استعماله يعرّف بأنه الزياده التى تؤخذ فى المعامله ببعض الأشياء بمثلها كالمال و المكيل و الموزون،سواء أ كان فى معامله أم قرض أم أجل،و حرمته ثابته بالإجماع من المسلمين

و بالكتاب و السنه بل لا يبعد أن تكون حرمتها من ضروريات الإسلام..

فهؤلاء الذين يأكلون الربا(لا يقومون)حين يبعثون من قبورهم ليوم النشور و الحساب إِلاّ كَما يَقُومُ الَّذِی يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ أی مثلما يقوم الذی يصرعه الشيطان و يمسه بالجنون و تكون هذه الحاله يوم القيامه إماره داله علی أكله الربا كما عن ابن عباس و جماعه من المفسرين.و

فی المجمع و القمی عن الصادق عليه السلام قال:قال رسول الله صلی الله عليه و آله: لما أسری بی الی السماء رأيت قوما يريد أحدهم ان يقوم فلا يقدر أن يقوم من عظم بطنه.فقلت:من هؤلاء يا جبريل قال:هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذی يتخبطه الشيطان من المس.و إذا هم بسبيل ال فرعون يعرضون علی النار بكره و عشيا،يقولون:ربنا متی تقوم الساعه... و لعل الوجه فی انتظارهم الساعه لرجاء تخفيف العذاب عنهم و سوف لا يخفف العذاب عنهم بل يزيد و يشتد ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا أی أن الحاله التی تعتريهم من التخبط المذكور هی عقوبه لهم بسبب اجتهادهم من عند أنفسهم إذ قالوا لا فرق بين الزياده فی الثمن فی البيع المؤجل و بين الزياده فی الاستقراض للأجل و كما أن البيع للربح فكذلك الاقراض و هو اجتهاد فی مقابل النص لأن الله تعالی يقول:

وَ أَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا و الواو للحال ای ان اجتهادهم كان خاطئا حال كون البيع محللا من الله و كون الربا محرما منه تعالی.فهذه معارضه صريحه لقوله سبحانه لأن الربا محرم فی سائر الأديان السماويه

فعن جميل بن دراج عن أبی عبد الله عليه السلام قال: درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زينه كلها بذات محرم فی بيت الله الحرام.. و قال ابن عباس:كان الرجل إذا حل دينه علی غريمه فطالبه به قال المطلوب به:زدنی فی الأجل أزدك فی المال،فيتراضيان عليه و يعملان به.فاذا قيل لهم:هذا ربا قالوا:

هما سواء يعنون بذلك أن الزياده فی الثمن حال البيع و الزياده فيه بسبب الأجل عند محل الدين سواء.فذمهم الله به و ألحق الوعيد بهم و خطأهم فی ذلك بقوله: أَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا..

أما تحريم الربا ففى سته أشياء لا خلاف فيه.و هى ما

عن النبى صلى الله عليه و آله: حرم الربا أو حرم التفاضل فى سته أشياء:الذهب، و الفضه،و الحنطه،و الشعير،و التمر،و الملح. و قيل الزبيب.

قال عليه السلام: إلا مثلا بمثل يدا بيد من زاد أو استزاد فقد أربى. و فى عله تحريمه

قال الصادق عليه السلام: انما شدد فى تحريم الربا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف قرضا أو رفدا. و قيل غير ذلک و نحن لن نزيد فى إيراد الروايات الكثيره.و المراد بالقرض القرض الحسن.و الرفد هو المساعده و العطيه. فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ أى زجر منه تعالى حيث إن أوامره و نواهيه سبحانه موعظه حسنه و حملها على الزجر و النهى فقط بقرينه ما بعدها: فَانْتَهى اى اعتبر و انزجر(فله ما سلف)اى ما اخذه قبل النهى فلا يلزمه رده و لا يسترد منه.

قال الصادق عليه السلام: لو أن رجلا ورث من أبيه مالا و قد عرف ان فى ذلک المال ربا و لكن اختلط فى التجاره بغير حلال كان حلالا طيبا فليأكله.و ان عرف شيئا معزولا أنه ربا فليأخذ رأس ماله و ليرد الربا. و أيما رجل أفاد مالا كثيرا-أى استفاد-قد أكثر فيه من الربا فجهل ذلک ثم عرفه بعد ذلک فأراد ان ينزعه فما مضى فله- يعنى فى حال جهله انه الربا-و يدعه فيما يستأنف-يعنى بعد معرفه حرمه الربا-(و امره الى اللّه)أى أن اللّه يحكم بشأنه ما يريد و لا اعتراض لأحد عليه لعدل حكمه وَ مَنْ عادَ رجع بعد معرفته الكامله لحرمه الربا الى قياس المرابين الذين يقولون:ما زال يجوز بيع ما يسوى درهما من البضاعه بدرهمين كذلك يجوز بيع درهم-نقدى-بدرهمين و استقراض درهم بدرهمين.و من قال بهذه المقاله أو عمل بها بعد الاستبصار فَأُولئِکَ أَصْحابُ النّارِ لأنهم قرناؤها دائما و هم من سكانها و هُمْ فِيها خالِدُونَ لا يخرجون منها أبد الآبدين لكفرهم بتحليل ما حرم الله و هذا جزاء المبدعين و المبتدعين و أهل القياس و الرأى و قد اختلف الأعلام فى أن أهل الكبائر أهل الخلود فى النار أم لا...

فقيل انهم ليسوا بمخلدين.فأشكل عليهم بقوله تعالى: وَ مَنْ عادَ... الى

ص: ٣٥٧

قوله: هُمْ فِيها خالِدُونَ و أجيب بأن الخلود يستعمل فی طول البقاء و ان لم يكن بعنوان التأبيد يقال فلان مخلد فی حبس الأمير إذا طال حبسه.أو نقول إن«أولئک»إشاره الی من عاد مستحلا للربا لقوله: إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا بعد نزول آيه التحريم و وصولها اليه فيكون المستحل كافرا و هو يخلد فی النار.

۲۷۶- يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا ...أی يذهب به و ببركته و يبطله و يمحوه

قيل للصادق عليه السلام:قد يرى الرجل يربی فيكثر ماله.فقال:يمحق الله دينه و ان كثر ماله. و فی روايه اخری بهذا المقام وردت مذيله

بقوله عليه السلام: و ان تاب منه ذهب ماله و افتقر. أقول:و هذا هو المحق.فاللّه تعالی يمحق الربا وَ يُرْبِی الصَّدَقاتِ ای ينميها و يزيدها بأن يثمر المال فی نفسه فی العاجل و بمزيد الأجر و الثواب فی الآجل.و

العياشی عن الصادق عليه السلام قال:قال رسول الله صلی الله عليه و آله: إنه ليس شیء الا و قد وكل به ملک غير الصدقه فان الله يأخذها بيده و يربيها كما يربی أحدكم ولده حتی تلقاه يوم القيامه و هی مثل أحد.. وَ اللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفّارٍ أَثِيمٍ و الكفار:هو المصر علی تحليل الحرام و الأثيم:المتمادی فی ارتكابه و هی صيغه المبالغه.

۲۷۷- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ ...جمع سبحانه فی هذه الايه الكريمه الخصال الأربع التی هی أهم الخصال الشريفه بل هی أصولها و هی:

۱-الايمان و هو الركن الركين المقدم علی أغلبها.

۲-عمل الصالحات ای الأعمال الصحيحه التی لا يدخلها فساد فی العبادات و المعاملات.إذ تكون عن خلوص نيه لا يخالطه رياء و لا سمعه و لا غل و لا غش و لا ارتكاب محرم.

۳-الصلاه و هی عمود الدين و إذا انهدم عمود البيت انهدم البيت من أركانه.

۴-الزكاه التی تتلو الصلاه فی الاهميه.و لذا عطفتا لما يعمّهما من الفضل

و لما تبعثان اليه من الأعمال الصالحه..و من كان متصفا بهذه الصفات فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ..و قد أبهم سبحانه الأجر و لم يبينه للاهتمام به ثم أشار بقوله: وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ و هذا مقام شامخ يسامى مقام المقربين فى ذلك اليوم إذ لا يخلو أحد من الخوف حين تدكّ السماوات و الأرض و تخر الجبال هدّا و يقع من الأهوال ما لا يخطر بالبال من جمع الشمس و القمر و مخاوف يوم البعث.و لا ينجو من الخوف يومئذ الا المقربون أو من يحذو حذوهم و يتصف بصفاتهم ممن يكونون فى امن و أمان و هذا نهايه أمل كلّ آمل برحمه اللّه الواسعه.

و اما وجه تعقيب ما سبق من آيات الربا بهذه الآيه الشريفه فواضح لأنها تبيّن من له استحقاق للأجر و الثواب عليه تعالى.و قد صرح فيها انه:هو المؤمن باللّه و رسوله و بما جاء به الرسول ذو العمل الصالح.لكن آكل الربا المحرم بنص الكتاب و صريح السنه غير مؤمن بذلك و عمله فاسد و ليس له عند الله أجر و لا ثواب بل يستحق العقاب و العذاب الأليم.و الايه تشير الى بطلان عمله.

سوره البقره (٢): الآيات ٢٧٨ الى ٢٨١

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ اَلرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اَللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَ إِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَ اِتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اَللّهِ ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٨١)

ص: ٣٥٩

۲۷۸- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ..الخطاب عام و لكن وجه للمؤمنين لأنهم أشرف و أعظم شأنا من غيرهم بسبب امتثالهم لأوامر الله تعالى و لأن غير المؤمن لا يتأثر بأمره عز و جل و لا بنهيه،أو لأن التقوى فرع الايمان.فالخطاب خاص بهم و لا يشمل غيرهم و لذلك قال: اِتَّقُوا اللّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا تجنبوا غضبه و اتركوا ما بقى مما شارطتم الناس عليه من زياده ربا.

و قيل فى شأن نزولها انه كان لثقيف بعض المال على قريش فطالبوهم عند حلول الأجل بالمال و الربا فنزلت هذه الكريمه.فاتقوه ايها الناس إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بقلوبكم كما تظهروا الايمان بألسنتكم فان علامه ايمانكم بالحقيقه هى امتثال ما أمرتم به من عند ربكم.

۲۷۹- فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ ..أى إذا لم تنتهوا عما نهيتم عنه فَأْذَنُوا على قراءه و معناه أعلنوا انكم فى حرب مع الله و رسوله و هى قراءه تناسب المقام كما لا يخفى على ذوى الافهام.و على قراءه فَآذَنُوا يكون المعنى ليكن معلوما لديكم انكم قد دخلتم فى حرب مع الله و رسوله و قد نكر الحرب لتعظيم شأنها و ما يترتب عليها من خسران وَ إِنْ تُبْتُمْ عن المراباه و أكل هذا المال المحرم فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ اى خالص المال الذى اقرضتموه دون ايه زياده فتكونون قد أخذتم مالكم لا تَظْلِمُونَ المدين بأخذ الزياده و لا تظلمون أنفسكم بأكل الربا وَ لا تُظْلَمُونَ و لا يلحقكم ضرر و لا تنقص رؤوس أموالكم و لا تأكلون شيئا بغير استحقاق فيلحق بكم ظلم.

۲۸۰- وَ إِنْ كانَ ذُو عُسْرَهٍ ..أى إذا كان غريمكم مبتلى بالافلاس،و حاله عسيره ضيقه فَنَظِرَهٌ إِلى مَيْسَرَهٍ فعليكم بإنظاره و إمهاله الى حد اليسار و التمكن من إرجاع المال.و

عن الصادق عليه السلام: حدّ الإعسار أن لا يقدر على ما يفضل عن قوته و قوت عياله على الاقتصاد.. فاذا علمنا حدّ الإعسار عرفنا حدّ اليسار إذ تعرف الأشياء بأضدادها.فيجوز أن نعتبر المرء موسرا تجوز مطالبته إذا زاد ما بيده من المال عن قوت نفسه و عياله إذا أنفق على الاقتصاد..

و بعد أن بين سبحانه حكم الغريم المعسر أخذ فى تعليمنا امرا أخر يرفع به درجتنا فى الدارين فقال عز و جل: وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ اى إذا أبرأتم ذمه الغريم المعسر و احتسبتم دينكم صدقه عليه و على عياله كان ذلك أكثر و أحسن جزاء من إمهاله الى حد اليسر إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ انه معسر فتصدقوا عليه بالدين حينئذ بحسب قول الصادق عليه السلام و قيل:

إن كنتم تعلمون ما فى التصدق من الأجر و الثواب..

۲۸۱- وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّٰهِ ..رجوع معاد و استسلام.فلا بد من أن تتقوا ذلك اليوم و أهواله العظيمه بطاعه اللّه و الانزجار عن معاصيه و الإنفاق فى سبيله ليكون ذلك ذخرا ليوم الفاقه و التهيؤ للمصير اليه تعالى، حيث تحاسبون ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ فتعطى جزاء ما عملت من خير أو شر ثوابا أو عقابا وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ بنقصان ثواب أو زياده عقاب و الضمير راجع الى الناس الذين يدل عليهم«كل نفس»و فى المجمع عن ابن عباس انها أخر آيه نزل بها جبرائيل عليه السلام،و قال:ضعها فى رأس المائتين و الثمانين من البقره و عاش الرسول بعدها واحدا و عشرين يوما و قيل سبعه أيام

سوره البقره (۲): الآيات ۲۸۲ الى ۲۸۴

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَ لا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اَللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَ لْيُمْلِلِ اَلَّذِي عَلَيْهِ اَلْحَقُّ وَ لْيَتَّقِ اَللّهَ رَبَّهُ وَ لا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كانَ اَلَّذِي عَلَيْهِ اَلْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَ اِسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ اِمْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ اَلشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا اَلْأُخْرى وَ لا يَأْبَ اَلشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا وَ لا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلى أَجَلِهِ ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اَللّهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ وَ أَدْنى أَلاّ تَرْتابُوا إِلاّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَلاّ تَكْتُبُوها وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ وَ لا شَهِيدٌ وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَ اِتَّقُوا اَللّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اَللّهُ وَ اَللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۲۸۲) وَ إِنْ كُنْتُمْ عَلى سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ اَلَّذِي اُؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ وَ لْيَتَّقِ اَللّهَ رَبَّهُ وَ لا تَكْتُمُوا اَلشَّهادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَ اَللّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (۲۸۳) لِلّهِ ما فِي اَلسَّماواتِ وَ ما فِي اَلْأَرْضِ وَ إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اَللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ اَللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۲۸۴)

۲۸۲- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ ...اى تعاملتم بالدين يعنى تعاملتم بالقرض المؤجل و لا فرق بين أن يكون المبيع مؤجلا- أو الثمن فاذا تعاملتم بذلك إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ أى الى وقت معين مؤخر فسجلوا ذلك على القرطاس و اجعلوه مكتوبا و بينوا وقت استحقاقه بالأيام أو الشهور فانه ادفع للنزاع إذا نسيه المديون أو أنكره.و الأمر للاستحباب و للإرشاد.

و هذا الدين غير القرض المحض الذى لا أجل فيه حتى يحتاج الى الكتابه و لا عبره بتأجيله أو تعجيله.و يمكن ان يكون السر فى تخصيص ذى الأجل بالذكر هو كون المؤجل معرضا للوهم غالبا فتكون المخاصمه فيه و فى الأجل و الشروط و ان كانت حكمه عدم الارتياب جاريه فى القرض أيضا باعتبار نفس المال و مقداره.و يؤيد ما ذكر من السر ما

فى العلل عن الباقر عليه السلام: ان الله عز و جل عرض على آدم عليه السلام أسماء الأنبياء و أعمارهم.قال:فمر بآدم اسم داود النبى عليه السلام فاذا عمره فى العالم أربعون سنه فقال آدم:يا رب ما أقل عمر داود و ما أكثر عمرى.يا رب ان انا زدت داود ثلاثين سنه أتثبت ذلك له؟..قال:نعم يا آدم قال:فانى قد زدته من عمرى ثلاثين سنه فانفذ ذلك و اثبتها له عندك و اطرحها من عمرى قال ابو جعفر عليه السلام:فأثبت اللّه عز و جلّ لداود ثلاثين سنه و كانت عند الله مثبته فذلك قول اللّه عز و جل: يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ.

قال:فمحا اللّه ما كان عنده مثبتا لآدم فأثبت لداود ما لم يكن عنده مثبتا قال:فمضى عمر آدم فهبط ملك الموت لقبض روحه فقال له آدم:يا ملك الموت إنه قد بقى من عمرى ثلاثون سنه.فقال له ملك الموت:يا آدم الم تجعلها لابنك داود النبى عليه السلام و طرحتها من عمرك حين عرض عليك أسماء الأنبياء من ذريتك و عرضت عليك أعمارهم و أنت يومئذ بوادى الدخياء؟..فقال له آدم:ما أذكر هذا.قال عليه السلام:فقال له ملك الموت:يا آدم لا تجحد الم تسأل اللّه عز و جل أن يثبتها لداود و يمحوها من عمرك فأثبتها لداود فى الزبور و محاها من عمرك فى الذكر؟..قال آدم:

حتما أعلم ذلك قال أبو جعفر عليه السلام:و كان آدم صادقا.قال(ع):

لم يـذكر و لم يجحـد فمن ذلك اليوم أمر اللّه تعالى العباد أن يكتبوا بينهم إذا تـداينوا و تعاملوا الى أجل لأجل نسـيان آدم عليه السلام و جحوده ما على نفسه و أورد فى الكافى ما يقرب منه على اختلاف فى عدد ما يزيد على عمر داود و زاد شهاده جبرائيل و ميكائيل على آدم عليهم السلام جميعا..

فاذا تـداينتم فاكتبوه مع تعيين أجله وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَـدْلِ اى بالسويه لا يزيـد و لا ينقص فى كتاب المـداينه أو البيع بين المتعاقدين فلا بد من اختيار كاتب أمين موثوق حتى لا يغير فى مقدار الدين و صـفته و اجله و لا يكتب شيئا يضر بأحد الطرفين وَ لا ـ يَأْبَ كـاتِبٌ اى و لا يمتنع الكاتب أَنْ يَكْتُبَ الصك و يحرره على الوجه المتفق عليه و(كما علمه اللّه)من الكتابه بالعـدل و فى موضوع الكتـابه خلاـف هـل هى واجبه أم لا؟..فقيل انها فرض كفائى كالجهاد و قيل نسـخ وجوبها بقوله: لا يُضَارَّ كاتِبٌ.. و على الكاتب على كل حال ان يكتب.. فَلْيَكْتُبْ للناس على وجه حاجاتهم و شـروطهم شاكرا للّه ان علمه هـذه النعمه و قـد عقب النهى عن الامتناع منها -لا يأب-بالأمر بها تأكيدا.و الأمر الذى يعلمنا اللّه فى الدين المؤجل «فليملل الذى عليه الحق»و الاملاء هو الإمضاء المتعارف بين الناس و المطلوب ممن عليه الدين إمضاء الصك الذى يملى شـروطه و يشـهد عليه و بذلك يكون إقراره بما فيه،فيصـير مديونا لدائنه و لا يسـتطيع إنكارا و بذلك ينتظم أمر البشـريه من ناحيه مهمه لا يسـتغنى عنها الكثيرون فعلى الذى عليه الحق أن يملل وَ لْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ و ليخف جانبه فيذكر كل ما اشترطه على نفسه وَ لا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً و لا ينقص من الدين شيئا من قيمته أو وصـفه أو شـروط تأجيله و هذه الجمله تفسـير لاتقاء ربه و نتيجه لتقواه. فَإِنْ كانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَـفِيهاً اى إذا كان المديون ضعيف العقل أو مبذرا اى جاهلا الدقه فى المعاملات الماليه أو ضَعِيفاً فى بعض أعضائه و جوارحه بحيث لا يقوى على الاملاء و إمضاء الصك.أو ان المراد هو الضـعف فى القوى الباطنيه بحيث لا يتعقل و لا يشعر كيف يملى و لا يعرف معنى لهذه الورقه.و

فى التهذيب عن الصادق عليه السلام: السفيه:الذى يشترى الدرهم

بأضعافه و الضعيف:الأبله. و الأبله-كما نعرف-هو الذى فى عقله ضعف و فى رأيه عجز.. أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ لا يقدر على الإملال ككونه صبيا مثلا أو شيخا مختلا فى فهمه و تعبيره أو لا يقدر على الكتابه لأنه مبتلى بمرض مانع عن الكتابه كارتعاش جوارحه و نحوه فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ فعلى ولى أمره ان يملى و يوقع الصك لأنه ينوب عنه وَ اسْتَشْهِدُوا على الدين شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ اثنين دون النساء فى حال وجود الرجال و ينبغى الاحتراز عن إشهاد غير المؤمن فإن شهادته غير مقبوله و لا فرق بين الأحرار و العبيد الذين يوثق بقولهم و يطمأن،بعدم كذبهم و عدالتهم فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ اى لا بد من كون الشهداء مرضيين رجلين كانا أو رجل و امرأتان و سبب جعل امرأتين بدل رجل ثان هو مخافه أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما تنسى الشهاده حسب أصولها و حسب وقوع الاتفاق الى جانب تذكرها للمتداينين فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى

ففى تفسير الامام عن أمير المؤمنين عليهما السلام: إذا ضلت إحداهما عن الشهاده و نسيتها ذكرتها الاخرى فاستقامتا فى أداء الشهاده.. و هذه هى عله لاعتبار التعدد فى المرأه و

قال على عليه السلام أيضا:عدل الله شهاده امرأتين بشهاده رجل لنقصان عقولهن و دينهن و

فى الكافى عن الصادق عليه السلام فى عده اخبار: أربعه لا يستجاب لهم دعوه.أحدهم رجل كان له مال فأدانه بغير بينه.يقول اللّه عز و جل:ألم آمرک بالشهاده.. و

عنه عليه السلام: من ذهب حقه على غير بينه لم يؤجر.. وَ لا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا أى لا يمتنعوا عن أداء الشهاده و إقامتها أو عن تحمل الشهاده إذا طلب منهم ذلک أداء أو تحملا و «ما»زائده للتأكيد و ظاهر النهى التحريم.. وَ لا تَسْئَمُوا اى لا تضجروا و لا تتبرموا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً و الضمير راجع الى الحق الذى يكتب بالصک فاكتبوه مهما كا قدره إِلى أَجَلِهِ اى مهلته المسماه ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ اى ان الكتابه اعدل عنده تعالى و اولى وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ اى أصوب و احكم لها.و قيل اضبط لها.و هو مأخوذ من القيام على الشىء

بمعنى الحفظ وَ أَدْنى أَلاّـ تَرْتـابُوا أى أبعد من الشک و أقرب الى حفظ الحقيقه من جميع وجوهها:الدين،و الأجل،و القدر،و الشهود إِلاّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ يعنى أن كتابه الدين واجبه الا فى مورد كانت المعامله و المبايعه حاضره اى تجاريه نقدا بنقد و يدا بيد تنقلونها حاله لا آجله.و هذا معنى قوله تعالى:تديرونها بينكم.و من قرأ بنصب التجاره معناه:الا ان تكون التجاره تجاره حاضره.فتكون«و كان»ناقصه، و اما بناء على رفعها فتكون«كان»تامه و حاضره:نصبت على الحال فى المعامله التجاريه يدا بيد فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَلاّـ تَكْتُبُوها لاـ بأس عليكم إذا لم تكتبوها لبعدها عن التنازع و التخاصم و لعدم نسيان المبايعه التجاريه بجميع حيثياتها لقرب الزمان فلا يرتاب أحد بالثمن و لا بالمثمن و لا بالمقدار و لا الوصف و لا فى غير ذلک من الكيفيات وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ اى احضروا الشاهد لأداء الشهاده عند اللزوم أو لحملها،و الظاهر هو الثانى فى المقام،و الأمر استحبابى بقرينه رفع الحرج فى التجاره الحاضره و الكلام لا يزال فيها و ادعى عليه الإجماع.هذا مضافا الى أن الأمر الواقع عقيب رفع الحرج عن عدم الإتيان بالمأموريه قرينه على الاستحباب بإتيانه وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ وَ لا شَهِيدٌ بناء على قراءه الإدغام و الفتح و البناء للمفعول يكون المعنى:

لا يفعل بالكاتب و لا بالشاهد ضرر بأن يكلف بمشقه أو قطع مسافه بعيده من غير تكفل بمؤونه و من غير مصرف لطى طريقه.و هذه هى القراءه المشهوره بين القراء،الا أبا عمر فانه قرأ بالإظهار و الكسر و البناء للفاعل اى:و لا يضارر و على هذا يكون المعنى بالعكس يعنى لا يجوز ان تصدر المضارّه من الكاتب و لا من الشاهد و لا ان يمتنع أحدهما من الاجابه أو ان يحرف بالزياده أو النقصان ففى ذلک ضرر على المتعاملين أو ان لا يضر المتداينين بعدم إتيانهما للكتابه و الشهاده أو التحريف فى الكتابه و أداء الشهاده و اللّه تعالى اعلم.. وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ يعنى ان تفعلوا الضرر الذى نهيتم عنه فان ذلک خروج عما امر اللّه به سبحانه و معنى فسوق بكم:فسوق قائم بكم كما يقال:داء بكم اى قائم بكم يعنى ان الفسوق

من طبعكم و شيمتكم فإياكم و ذلك وَ اتَّقُوا اللّٰهَ فيما أمركم به و نهاكم عنه فى هذا المقام و غيره وَ يُعَلِّمُكَمُ اللّٰهُ ما تحتاجون اليه و ما فيه مصالحكم الدنيويه و الاخرويه.و يظهر من الآيه الشريفه ان التقوى المطلوبه هنا للتعليم و الإذعان لأوامر اللّه وَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يعلم المتقى و يميزه من غيره.

فاذا كان أهلا علمه و أدبه و فهمه الأحكام و مصالحها و حكمها و علمه معارف الدين و أصوله.و عن القمى:فى البقره خمسمائه حكم و فى هذه الايه خاصه خمسه عشر حكما.

۲۸۳- وَ إِنْ كُنْتُمْ عَلىٰ سَفَرٍ ...اى فى حاله سفر و أردتم الاستيثاق من دينكم وَ لَمْ تَجِدُوا كٰاتِباً يكتب لكم صك الدين و لا شاهدا فَرِهٰانٌ مَقْبُوضَةٌ اى فخذوا رهانا مقابل المال الذى يستدينه غريمكم.و قد رفع «رهان»على الخبريه و التقدير:فالوثيقه رهان.و مقبوضه:صفه للرهان الذى هو جمع رهن كثمر و ثمار و صحب و صحاب.و القبض هنا قيد صحه الرهان للأجل فقد جعل اللّه تعالى هذا الحكم للمسافر الذى يضيق وقته عن كاتب أو شاهد يمكن ان يؤدى الشهاده عند اللزوم.و قد اختصه سبحانه بالذكر باعتبار ان الغالب فى المعاملات حال السفر ان لا يجد الإنسان الكاتب و الشاهد كما هو بالوجدان لتوزع حواسه حينئذ على جمله أشياء فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً اى وثق الدائن بالمديون و كان عنده موضع امانه فلم يطلب منه وثيقه و لا شاهدا و لا قبض منه رهنا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ اى المديون(أمانته)دينه و يرده الى صاحبه بمقتضى الامانه.و يمكن ان تعم هذه الايه الشريفه جميع الأمانات حتى الوديعه الى جانب إشعارها بالتعليل و بكون هذا المورد أحد المصاديق للعام لا أن له خصوصيه.. وَ لْيَتَّقِ اللّٰهَ رَبَّهُ و ليتجنب عقوبه ربه بأن لا يجحد الحق لصاحبه و لا يبخس من الحق شيئا،بل يرجعه اليه فى وقته و من غير مطل و لا تسويف و لا إنكار وَ لاٰ تَكْتُمُوا الشَّهٰادَةَ لا تحجبوها و تبخلوا بها إذا ما دعيتم الى أدائها.و الخطاب للشهود و ظاهر النهى هو حرمه كتمان الشهاده وَ مَنْ يَكْتُمْهٰا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ و من حجبها مع علمه بالمشهود به و تمكنه من الأداء من غير ضرر بعد ما

دعی إلیها ثم امتنع و لم یقمها یکشف عن ان قلبه مریض آثم و نسبه الإثم الی القلب هی باعتبار ان الکتمان من أفعاله و لتغلیظ الإثم فان القلب رئیس الأعضاء فإثمه أکبر الاثام و أشدها اما التعبیر بالإثم دون الفعل فهو للدلاله علی الدوام بدوام نیه الکتمان وَ اللّٰهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِیمٌ ترهیب و تهدید بأن العالم بإثم القلب و ما تنعقد علیه النیه فی الضمیر هو عالم بما یصدر عن جمیع الجوارح و لا یخفی علیه شیء و هو یجازی بما یصدر.

۲۸۴- لِلّٰهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ ...ای هو سبحانه مالک لها و مدبر لشؤونها و بیده أزمه أمورها یصرفها کیف یشاء و یعلم ما فیها وَ إِنْ تُبْدُوا ما فِی أَنْفُسِکُمْ ای تظهروا من الطاعه أو العصیان أَوْ تُخْفُوهُ تکتمونه و لا تظهرونه لأحد یُحاسِبْکُمْ بِهِ اللّٰهُ أی یجازیکم طبق استحقاقکم لأنه یعلمه.

قال علیه السلام فی نهج البلاغه: و بما فی الصدور یجازی العباد.. و هذه العباره من الآیه الکریمه یستشم التهدید و التشدید و انه لا ینبغی للعباد ان یظنوا إخفاء شیء عن خالقهم فذلک من سوء الظن به و من عدم معرفته إذ لا تخفی علیه خافیه.و قد بین کیف یحاسب فَیَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ بعد محاسبته و استحقاقه العذاب وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ حسب استحقاقه عقلا و باقتضاء حکمته الکامله و عدله الجاری فی جمیع مخلوقاته وَ اللّٰهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ و هو مستطیع للمغفره و عدمها لا یسأل عما یفعل لأنه ارحم الراحمین.و نقل عن ابن عباس انه قال:لفظ الآیه عام و المورد لیس بمختص.و ما یخطر فی البال من حدیث النفس لا یؤاخذ اللّٰه تعالی به،و لکن المؤاخذه علی ما اعتقده و عزم علیه..و هذا لا ینافیه ما اشتهر من انه لا یعاقب بعزم المعصیه و یثیب بعزم الطاعه لجواز کون معناه انه تعالی لا یعاقب عقاب تلک المعصیه بعینها و ان عوقب عقاب العزم لأنه لم یباشرها بخلاف عزم الطاعه فان العازم علیها یثاب علی عزمه و کأنه قام بالطاعه تفضلا منه تعالی علی العباد و منه ترغیبا بالطاعات.و

قد جاء فی الأخبار ان المنتظر للصلاه فی الصلاه ما دام ینتظرها و هذا کله من الطافه و کرمه علی عباده.

ص: ۳۶۸

سوره البقره (۲): الآيات ۲۸۵ الى ۲۸۶

آمَنَ اَلرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَ إِلَيْكَ اَلْمَصِيرُ (۲۸۵) لا يُكَلِّفُ اَللّهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها لَها ما كَسَبَتْ وَ عَلَيْها مَا اِكْتَسَبَتْ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَ اُعْفُ عَنّا وَ اِغْفِرْ لَنا وَ اِرْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى اَلْقَوْمِ اَلْكافِرِينَ (۲۸۶)

۲۸۵- آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ ...يعنى صدق و أيقن النبى محمد عليه أفضل الصلاه و السلام بما أنزله اللّه تعالى عليه.و هذه الايه الشريفه تنص على انه سبحانه يعتد بإيمان نبيه صلوات اللّه عليه وَ الْمُؤْمِنُونَ كذلك صدقوا بذلك فمدح اللّه ايمانهم إذ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ و المؤمنون مبتدأ و ما بعده خبره أى:المؤمنون بأجمعهم آمنوا باللّه و صدقوا رسله و قبلوا دعوتهم بألسنتهم و قلوبهم و لذا جاهدوا فى سبيل ترويج الدين و نشر الدعوه التى نزلت من السماء و كان لسان حالهم قولهم: لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ بل نؤمن بما جاؤا به من عند ربهم و لسنا كأهل الكتاب من اليهود و النصارى نؤمن ببعض و نكفر ببعض بل نقر و نعترف بأنهم رسل ربنا و يجب علينا إطاعه أوامرهم و نواهيهم لأنها كلها تدعو الى الحق و تنهى عن الباطل و لذلك أذعن المؤمنون وَ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا دعوه الدعاه الى اللّه و أجبنا الى ما دعونا اليه غُفْرانَكَ رَبَّنا نطلبه و نسألك إياه وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ اى الرجوع بعد الموت..و الكلام كما لا يخفى متضمن للإقرار بالبعث و الحشر و الحساب.

۲۸۵- آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ ...يعنى صدق و أيقن النبى محمد عليه أفضل الصلاه و السلام بما أنزله اللّه تعالى عليه.و هذه الايه الشريفه تنص على انه سبحانه يعتد بإيمان نبيه صلوات اللّه عليه وَ الْمُؤْمِنُونَ كذلك صدقوا بذلك فمدح اللّه ايمانهم إذ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ و المؤمنون مبتدأ و ما بعده خبره أى:المؤمنون بأجمعهم آمنوا باللّه و صدقوا رسله و قبلوا دعوتهم بألسنتهم و قلوبهم و لذا جاهدوا فى سبيل ترويج الدين و نشر الدعوه التى نزلت من السماء و كان لسان حالهم قولهم: لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ بل نؤمن بما جاؤا به من عند ربهم و لسنا كأهل الكتاب من اليهود و النصارى نؤمن ببعض و نكفر ببعض بل نقر و نعترف بأنهم رسل ربنا و يجب علينا إطاعه أوامرهم و نواهيهم لأنها كلها تدعو الى الحق و تنهى عن الباطل و لذلك أذعن المؤمنون وَ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا دعوه الدعاه الى اللّه و أجبنا الى ما دعونا اليه غُفْرانَكَ رَبَّنا نطلبه و نسألك إياه وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ اى الرجوع بعد الموت..و الكلام كما لا يخفى متضمن للإقرار بالبعث و الحشر و الحساب.

۲۸۶- لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً ...فيما افترض عليها من واجبات إِلاّ وُسْعَها اى ما تتسع طاقتها اليه و تتحمله قدرتها.و الوسع-بالحركات الثلاث على الواو-هو الطاقه و القدره.و

فى التوحيد عن الصادق عليه السلام: ما أمر العباد الا دون سعتهم و كل شىء امر الناس بأخذه فهم متسعون له و ما لا يتسعون له فهو موضوع عنهم و لكن الناس لا خير فيهم..

فالنفس غير مطالبه الا بما تطيقه لَها ما كَسَبَتْ من الأقوال و الأعمال التى فيها رضى اللّه وَ عَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ مما فيه سخطه و قد خص الخير بالكسب و الشر بالاكتساب لأن فى إتيان الشر حربا بين النفس الاماره بالسوء و بين الشرع الظاهر و الباطن.فإتيان الشر من أعمالها فهو اكتساب حصل؟؟؟مدافعه و منازعه اما الخير فتجنى النفس ربحه و تكسب ثوابه بالتسليم للأوامر و النواهى فلا اعتمال فيه كما لا يخفى على من له باع فى دقيق الأقوال.

رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا أى إذا تعرضنا لما يؤدى نسيان تكليف أو صدور خطأ أو تفريط أو اغفال فنسألك يا إلهنا ان تسامحنا بذلك رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً اى لا تكلفنا احكاما ثقيله شاقه كما كلفت الأمم الماضيه.و قد استعيرت لفظه:إصر لهذا المعنى بمجموعه مراعاه للاختصار كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا كتكليف بنى إسرائيل قتل النفس لتكفير الذنب مثلا أو بقطع بعض المواضع من أبدانهم إذا تنجس و كحرمه بعض الطيبات من الرزق كما قال تعالى: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ . رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ من العقوبات التى كانت تنزل عليهم عند إتيان بعض المعاصى عاجلا و بلا إمهال.و هذا الدعاء على وجه التعبد فان اللّه تعالى لم يكلف امه محمد (ص)المرحومه بما لا تطيق لطفا بها و تعظيما لنبيها صلى اللّه عليه و آله وَ اعْفُ عَنّا تجاوز عنا وَ اغْفِرْ لَنا أمح ذنوبنا و استرها و لا تفضحنا فى

الدنيا و لا فى الاخره على رؤوس الاشهاد و وَ ارْحَمْنا اعطف علينا و اشملنا برحمتك و اعف عنا و أدخلنا الجنه أَنْتَ مَوْلانا سيدنا الذى له الولايه علينا بالنعم و الذى هو أملك منا بأنفسنا فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ بالظفر عليهم و الغلبه لهم تم الجزء الأول،و يليه الجزء الثانى مبتدأ بأول سوره آل عمران و الحمد للّه رب العالمين

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المــركز من فضلــكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءٍ من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩